# الفهرس

# المقدمة

لقد تميز العرب المسلمون بكل أطيافهم ونحلهم ومستوياتهم، خلال القرن العشرين، بأنهم كانوا يتحركون، يعملون يأكلون يسافرون ويتأثرون، يقرؤون ويكتبون ويناقشون ويفكرون من الذاكرة؛ يستجرون ويجترُّون كل الأشياء، ويجترحون السلوك من الذاكرة أيضاً؛ فالجديد لديهم، كان أوعيةً جديدةً للذاكرة؛ ولاشيء يُذكر عن نشاطهم في هذه الحياة إلَّا ما كان قد صَدَرَ عن الذاكرة، وكان بفعل من الذاكرة، فما وافق تلك الذاكرة كان صحيحاً لديهم، والخطأ عندهم ماخالف الذاكرة، وقد تخيلوا وخلطوا بين ما كان من الذاكرة وبين ما كان من الذكر الحكيم، كلام الله سبحانه وتعالى، والذي وحده لا يحولُ ولا يزولُ، وغابَ عن بالهم أن القرآن المجيد هو كتاب رب العالمين، وأنه هو الكتاب الكوني، الكتاب المحفوظ، الذي وحده لا يأتيه الباطل أبداً، وأنَّ هذا فقط ما يجب عليهم الثقة به والغوص فيه والتركيز عليه أولاً؛ وهو مايجب على العرب والمسلمين التعويل عليه أساساً لا على غيره؛ وأن عليهم الآن محاولة فهمه فهماً صحيحاً عربياً خالصاً، لا مانصَّت عليه الأفكار والأفهام والآراء والشروحات والتأويلات والتفسيرات المقوقعة والمدونة بحسب المعارف القديمة، والتي لا شك أنَّ بعضها يُعد من النفائس، وأنَّ بعضها الآخر قد أصبح بالياً.

وهكذا أصبح أكثر الناس من العرب المسلمين، مطلع القرن العشرين منقلبين من الشعور بالعلياء إلى (أركوزات) تعمل بخيوط الذاكرة، وتتأثر بالذاكرة، والناجح فيهم كان صاحب الذاكرة الحافظة! والمحترم منهم من تمتعتْ أفكاره بالصبغة المُسْبقة الصنع، وكانت أحكامه مسبَّقَة ومعلوماته قديمةً وضِعَتْ قبل مئات السنين؛ وهو يحافظ عليها بأخلاطها، ويركن ويطمئن لما طرأ عليها من تحوُّلٍ ومن انحرافٍ؛ تحت أشكالٍ من الادعاءات، والصيغ المتعددة، لا يقبل عنها بديلاً، حتى أصبح عندهم هذا النموذج هو منتهى العلم؛ وهو يحافظ

على التقعيدات، والتقنينات، والتخريجات الفقهية التي أرساها أشخاص عاشوا قبل ١٢٠٠ سنة، فمنذ ذلك الحين هبط العرب من عليائهم من كونهم أناس دينٍ وقضية، وتحولوا إلى أناس عيش يدبون على الأرض كما تدب الدواب البُهُم، ينعمون في حالة من غياب العقل! وصارت حياة العرب منذ ذلك الحين جعجعة بلا طحن، عبارة عن صوت وصورة دون أي نتيجة؛ وذلك على الصعيد الديني والدنيوي؛ فهل أصبح العرب اليوم مثل فقراء اليهود،... لا دين ولا دنيا؟!

كذلك أُحيط بالعرب المسلمين في نهاية القرن العشرين، من فرَّ منهم من أسر الجمود في الماضي ليقع فريسة في أحضان الحديث المستحدث التافه المتفَّه الخاوي، وليتحولوا فيه إلى عبيد لغرائزهم التي أُطلقت قصداً وتفلتتْ عمداً، وفي كل اتجاه؛ من خلال الإعلام والدعاية اليهودية الطاغية والمصلطة على العرب المسلمين، من أجل إهلاكهم وإغراقهم، ووضعهم في الاستهلاك والعَوَز، والحاجة المِلِحّة، واستمرار الاحتياج والعجز الدائم، بعد أن مورست عليهم ضروب الحصار المصنَّع، والحرمان المصنَّع والتجويع المصنَّع والحروب المصنّعة، حتى صار، على أثره، العرب المسلمون في جميع معاطنهم، يأكلون الحنظل، ويشربون الماء العَكر، فيستطعمون طعم العسل! لذلك فإنّ المطلوب من الباحثين العرب المسلمين الآن أن يتحرروا من العبودية للنصوص القديمة والحديثة على السواء؛ وصار المطلوب منهم أيضاً إعمال العقل وتحرير الفهم ورفع مستوى الوعي، وتعميم وتعميق المنطق، وتطبيقه على كلٍ من النصوص القديمة والحديثة، إن البعضَ ممن يرفضون القديم مايلبثوا أن يقعوا فريسة في أحضان الحديث؛ وربما كان الحديث من صنع اليهود أيضاً؛ إن رئيس مجلس كتابة التاريخ العالمي، يهودي!

هكذا خدعوا أنفسهم، وخدعوا العرب والمسلمين، عندما طرحوا أفكاراً حالمة، واهمة غير صحيحة، وهي أساساً كانت دخيلة، ولم تكن مطلوبة دينياً إسلامياً ولم يكن الإسلام مصدراً لها، بل

هي تاريخياً أفهام بعض الفقهاء والعلماء والشخصيات، ولم تكن نابعةً من حقيقة الدين الحنيف (الإسلام) أبداً، بل أضيفت عليه من خارجه، وهي أفكارٌ وتنظيرات لم تكن صحيحةً حين توهمها العقل العربي الإسلامي غير الواعي والمغيَّب! والذي طفىٰ عليه ما تعلق بالتفاسير والتأويلات وكتب تدوين التاريخ، لما قبل الإسلام وعصر الرسالة المعظمة وصدر الإسلام، أو ما كان قد تشكَّلَ في عصور الانحطاط والجمود، بجماع أفكارالشعوبيين أو العرب المسلمين المغيبين المحاصرين في رؤاهم وتجاربهم.

وهل صحيحٌ أن حرب ٦٧ قامت من أجل القضاء على الأنظمة العربية التقدمية؟ وهل صحيحٌ أن الحجارة والمقلاع، وهي بيد الأطفال العرب في فلسطين المحتلة، هل يمكنها أن تواجه السلاح الفتّاك المتواجد بيد اليهود المدججين، حتى يقوم الإعلام العربي الموجَّه، والفن العربي الموجَّه، والسياسة العربية الموجَّهة، بالتركيز علىٰ قيادة الجماهير العربية العفورة والخرقاء ؛ ودفعها مدة ثلاثين عاماً في هذا الاتجاه!؟ وبالتالي هل صحيحٌ أنَّ صبيب الدم العربي يمكن أن يستمر حتى آخر قطرة لآخرعربي!؟ دون أن يفهم العربُ أنهم يُقَدَّمون إلى الذبح كالنعاج، ولا شيء غير ذلك! فإلى أي درجةٍ وصل السخفُ بالقناعات العربية وإلى أيِّ مدى وصل الاستهتار بالإنسان العربي المسلم؟ وإلى أي مدى وصلوا في عمليات تجهيل الفكر العربي الإسلامي؟ وإلى أي مدى وصل الحمقُ والتتفيه بالعقل العربي المسلم؟ الآمر الذي أدى بالإنسان العربي المسلم، مع مرور الزمن، إلى حالة اللا اكتراث، واللا اهتمام، واللامبالاة، واللا انتماء، واللا التزام، بل وإلى حالة خروجٍ وبراءةٍ وطلاق إلى غير رجعةٍ، من القيم الدينية الربانية، والأخلاق العربية الأصيلة، والمبادئ والمثل والروح الوطنية، وهم لم يعودوا يدركو أنَّ الوطن للمواطنين جميعاً وأن هذا الوطن يجب أن يكون كالأم المشتركة، وأنَّ من يفكر في التخلي عن وطنه أو خيانته؛ إنما يُمسي كالبحار المعتوه

الذي ثقب السفينة التي تحمله، إنَّ علينا كمسلمين مؤمنين عِراب أن نُحبّ وطننا لا لأنه عظيمٌ فحسب، ولكن لأنه وطنٌ لنا أيضاً، كما أنه وطنٌ لكافة المؤمنين في العالم، فليس لأحدٍ من العقلاء من العرب المسلمين المؤمنين بالله العظيم سبحانه وتعالى، الواعين أو الفاهمين؛ أن يتخلى عن وطنه العربي أو أن يتنصل من الانتماء إليه، وهو بؤرة الإيمان ومركز جميع الأوطان، ومهما انتقل أو تنقل المرء في العالم بين الأوطان، ومهما هاجر ومهما شعر بحلو العيش خارج وطنه! فإنَّ عليه أن يعلم، كلَّ العلم، أنَّ الأرض لله الواحد القهار ولاشك، وكذلك فالأرضين، والبيئات الأخرى تُعتبر عزيزةً ولكنها أوطانُ قد تخصَّصَ بها أبناؤها، ويبقى الشرف العظيم يتجلى فينا جميعاً بانتسابنا للنبي العربي محمد ﷺ.

إن العرب المسلمين بكل أطيافهم وطوائفهم، بعد تخلفهم الذي أصبح مزمناً، والذي باتوا فيه يقرؤون التاريخ بشكلٍ محددمن قبل أصحاب المصالح؛ وبشكلٍ يناسب مصالح هؤلاء. إن الدعوات السياسية التي عمَّت أرجاء الثقافة والفكر العربي الإسلامي، بتياراته المختلفة، نُودي فيها منذ مطلع القرن العشرين، وألحَّت على تنظيرات وأفكار فيها تجاوز للانتماء لوطن العرب، وإلى الروح الوطنية العربية والمشاعر الوطنية العربية، بحجة أن الإيمان بدين الإسلام يتعارض مع المشاعر الوطنية؛ وبالتالي فقد صوروا الروح الوطنية العربية والمشاعر الوطنية العربية على أنها شُبهة إلحاد وكفر! إن مثل هذه الدعوات قد انطوت على غفلةٍ ووهمٍ وتجهيلٍ وانعدام للوعي ليس له مثيل، بل على خداعٍ، خُدِعَ به العرب المسلمون فقط، وقد أصابت هذه الدعوات مقتلاً في الفكر الديني السلفي والصوفي والشيعي بكل فروعهم وتشعباتهم وطوائفهم، لأنَّ تلك الدعوات التي كانت تدار من الخارج؛ من بعيد، وكانت تدعو إلى تجاوز المشاعر العربية الوطنية، والروح الوطنية العربية كانت بطبيعتها وفي جوهرها دعوةً إلى تجاوز الدين الصحيح، وإلغاء الملكيَّة، وإلغاء الأسرة، وتنطوي في النهاية

على مشاعية المرأة؛ وهي بطبيعتها المشاعيَّة دعوة إلى تحطيم الروابط الأسرية، وبالتالي فإن بقاء الأسرة العربية المسلمة واستمرارها والحفاظ عليها وعلى كيانها، يقتضي أن يكون أي فكر أو أي تنظير خيِّر حقيقي أصيل يؤدي إلى ضمان الحفاظ على الكيان الوطني والاجتماعي الإنساني الطبيعي، الذي فطر الله تعالى الإنسانَ عليه، لا أن يعمد هذا الفكر إلى قصِّ ونفي وإلغاء الأشياء التي فطر اللهُ سبحانه وتعالى عليها البشر.

مما لا شك فيه أن استهداف قيام دولةٍ لليهود عام ١٩٤٨ على بطاح الأرض العربية في فلسطين كان يهدف بالنسبة للدول الأوربية وأمريكا، إلى تشكيل إسفينٍ يُدقُّ على بطاح الأرض العربية، لشق أي طموحٍ عربي إسلامي، قد ينبت في المستقبل، وكقاعدة متقدمة تشاركتْ في استثمارها كل الدول الأوربية وأمريكا، لذلك كان قيام دولة (إسرائيل) هو المنبع، والمحرك لجميع الأحداث اللاحقة التي عمَّتْ المنطقة من شواطئ الأطلسي وعموم إفريقيا إلى حدود الصين، منذ مطلع القرن العشرين إلى الآن، وإلى ما شاء الله تعالى. إنَّ ذهنيِّة الإنسان العربي، فكره وقلبه، كانت قبل عام ١٩٦٧ ساميةً مثاليةً نبيلةً، فصارت بعد ٦٧ مبتذلة مكرورة ممجوجة معلوكة متقيأة خالية الدسم، تمليها عليه غرائزه وتحددها له أهواؤه بقذارة مفضوحة، فالرأيُّ مايمليه الإعلام والفعل ما تفعله الأنظمة، لكنّ عام ٦٧ كان بحق عام نكبة للعرب وللمسلمين عامة، ليس لكونه عام ضياعٍ وخسارةٍ عسكرية وسياسيةٍ للأرض العربية فحسب، فالأرض العربية أساساً كانت كلها مستباحة ومستلبة؛ والإنسان العربي والشخصية العربية، والمسلمون في كل مكان في العالم الآن باتوا معتدى عليهم! ولكن عام٦٧ بحق كان يمثل مرحلة تحولٍ مفصليَّة، طرأت على الحياة العربية، في الوجدان العربي، وباغتت الداخل العربي في الصميم.

فبعد أن استبيحت الأرض العربية من قبل المستعمرين عسكرياً وسياسياً وبالاستيطان؛ بُدىء في عام ٦٧ بالعمل على استلاب الإنسان العربي المسلم والفكر الإسلامي العربي،

واشتغلوا على تمزيق العرب المسلمين من الداخل، عندما ضربوا عندهم المثال وشُوهوا لديهم القدوة وأنزلت غاياتهم النبيلة ونماذجهم السامية، إلى أدنى مستوى لهم، نحو الانحطاط والدونية؛ عبر الأهداف البديلة التي وضعت لهم، من البلهاء، والمثليين والأشكال المريضة الشاذة، التي تُحَرِّكْها الشهوة، وغريزة الاستهلاك، والتي باتت تُعرضُ على أنظار وأسماع الأجيال العربية ليلاً نهاراً، في جميع المجالات الفنية والرياضية والأدبية؛ والثقافية والفكرية والعلمية والاقتصاد والاتصالات والمواصلات، والإعلام والإعلان، وحتى المناهج المدرسية، فإنها لم تسلم من الأذى! وهكذا عملوا إلى أن طُويت صفحة المروءة والشرف! فالرأيُّ ما يُمليه عليه قادتة من الداخل والخارج! وتحول العرب بعدها، في كل شيء، في الأدب، وفي الثقافة، وفي التربية، وفي العلوم، وفي الاقتصاد؛ وفي السياسة، وفي جميع مجالات الحياة، تحولوا إلى حالة انعدام الوزن والقيمة! وصارت المناهج في الحياة العربية، والأهداف العربية مقلوبةً رأساً على عقب، بحيث أصبحت مشاريع الاستثمار السياحي، وإقامة المنشآت السياحية والصناعة السياحية، والجلب والجذب السياحي وتوابعها؛ لدى الأنظمة والمنظمات العربية هي أهم من أي صناعة ثقيلة؛ وهي تضاهي كل الصناعات الثقيلة! وصارت المشاريع السياحية وملحقاتها لدى العرب من الغايات، ومن الأهداف التي ترعاها الدول العربية والأحزاب العربية الثورية والتقدمية، والشخصيات التي صارت نماذج تُحتذى عند الأجيال! فلم يعد المجد هو الهدف، ولم تعد الفضيلة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الهدف!

نعم فقبلَ ٦٧ كان الهدف المطروح للأجيال، هو العمل على تحقيق المجد، والوصول إلى العلياء، عن طريق المبادئ والمثل العليا، والقيم النبيلة، والنفوس والأرواح المشرئبة والشجاعة، فعلى الرغم من التخلف الشديد في المعاش، فقد كان النشيد قبل ٦٧ يلهب المشاعر، كان الناس يؤمنون بأن مدى الحياة قصير؛ بينما المجد مداه أزلي، كانوا يأملون بتحرير

كل شبر من الأرض العربية، ويحلمون بقيام وحدة عربية تلم شعث العرب المسلمين، وهكذا انقلبت الصورة رأساً على عقب، فتحولت الشعوب العربية إلى قطعان من الأسرى المكبلين داخل حدود دول اقيمت لهم خاصة، كحظائر، من أجل تكبيلهم وحصرهم، لضبط تحركاتهم، ولجم طموحاتهم، وقطع كلَّ إمدادٍ عنهم، وفي كل المجالات، الصناعية والزراعية والتجارية والتربوية والثقافية، لقد تفِّهَتْ حياتهم وسطِّحَتْ إلى أبعد الحدود، وبأيدٍ عربية!

إن العربي في هذا العصر، بات لا يمتلك زمام أمره، وهو بالإضافة إلى كونه يئنُ تحت سياط الحاجة الملحَّة، المتَوهَّمة، والمفتعلة، فقد أصبح مُخترقاً من جميع الجهات، وعلى جميع المستويات، ونحن على أبواب الألفية الثالثة، فإنه إلى الآن، لا يزال أي يهودي يستطيع في أي لحظة، بكل بساطة، يستطيع أن يدخل إلى المسجد العربي؛ وأن يصلي بالمسلمين إماماً! وكذلك فإنه إلى الآن مازال بإمكان اللصوص، سرقة أحذية المصلين وحاجاتهم من المساجد، بمجرد توجه المسلمين إلى الصلاة؛ إن اختراق العرب والمسلمين، وانتحال صفاتهم، والتجسس عليهم، تاريخياً، كان من اسهل الأعمال عند اليهود، نظراً لعدم وجود الحيطة والحذر في حياة المسلمين كما أنهم لا يتركون بينهم وبين أعدائهم، أي مسافة للأمان، وهم لا يعرفون اتخاذ مثل هذه الإجراءات لحماية دينهم وأنفسهم وأولادهم وأجيالهم ومدنهم وأوطانهم. لقد قام المستوطنون اليهود باقتحام مسجد الخليل في فلسطين المحتلة فجأةً، عدة مرات، وغدروا بالمسلمين وطلقوا النار على المصلين من الخلف، أثناء الصلاة، فقتلوا العشرات، وكذلك فعلوا بالقدس وقبة الصخرة، وكرروا هذه العمليات الغادرة عدة مرات، وأحرقوا المسجد الأقصى عدة مرات، فهل اتخذ العرب المسلمون حيال أعدائهم، أو حيال أنفسهم، أو حيال مقدساتهم أي إجراء ذاتي وقائي؟ هل كانت المرجعيات العربية الإسلامية، مرجعيات خُلّبية، صوْرية، لا تمثل العرب المسلمين بحق؟

هل تكرر هذا العمل من قبل اليهود والأمريكان وأعوانهم في العراق؟! ماالذي فعله العرب المسلمون من إجراءات ذاتية وقائية للسلامة في المساجد العربية؟ علماً أن المسجد هو النقطة المركزية في مشاعر العرب المسلمين، وفي حياة العرب المسلمين، فهل ضُرب المركز في حياة العرب والمسلمين؟ إذاً فالنصر والانتصار يجب أن يكونا أولاً في الفكر والعقل والوجدان العربي مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري الذي يجب تحقيقه على العدو في أرض المعركة! وما جدوى قوتك في الخارج إذا كنت ضعيفاً في الداخل؟ فهل آن الأوان للعرب المسلمين الآن، أن يدركوا أنهم أصبحوا مستهدفين، كعرب مسلمين من قبل اليهود والصليبية العالمية المهودة، لأنهم عرب ومسلمون، وأنّ عليهم الآن أن يدركوا أنَّ إعمال العقل، والوعي، والتفكُّر، هو الطريق الصحيح، والممكن؛ والسبيل الأساسي للنجاة من كل مآزقهم الحالية، ولتحقيق النصر على أعدائهم، في كل المواقع! هل آن الأوان ليدرك العرب المسلمون مطلع الألفية الثالثة أنّ الفتوحات العقلية والفكرية هي أهم بكثير، ويجب أن تتحقق قبل سعيهم إلى الفتوحات العسكرية، وأن الوصول إلى تحقيق النجاح والتفوق، والنصر والانتصار، يجب أن يكون أولاً في الفكر، والعقل، والوجدان، وهذا أولى، بل ويجب أن يسبق في الأولوية، هدفهم في السعي إلى تحقيق الانتصارات العسكرية على أرض المعركة؛ مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري على العدو في أرض المعركة؛ وإلَّا فما الجدوى من انتصار الحمقى والمجانين والمُغيَّبين والمُغفلين وفاقدي الوعي والفهم؟ متى سيدرك العرب المسلمون أن القيمة الحقيقية للإنسان، كانت دائماً في إيمانه بالله العظيم، وأنه لادنيا لمن لا يحيي دينه، وإنَّ إحياء الدين لدى الإنسان يكون في تجليات أدائه لضروب الواجب تجاه المجتمع والناس، وحمل القضايا الوطنية بكل صدقٍ وأمانةٍ، والدفاع عنها في كل موقعٍ، وفي كل محفل، وأن العبادات كلها كانت مفتاحاً لذلك، ومدخلاً يوجب على الإنسان الولوج منه إلى أعلى مستويات الإحسان، وأنه لا دين للمنقطع، ولا دين للمنبت؛ وأنّ بطن الأرض أولى بأولئك

الذين لا يملكون المشاعر والأحاسيس الوطنية مع الدين السماوي، وليس لديهم روح الثورة ضد الظلم، وضد التخلف، وضد الأعداء، وضد القيود المقيِّدة للحرية الربانية العادلة، وأنَّ كثيراً من الأحياء هم بالحقيقة أموات، يمشون على الأرض، وأن بعض الأموات بالواقع هم الأحياء!

كما يجب على المؤمن، أن يؤمن؛ بجماع فكره وعقله وقلبه، وأن يمارس بسلوكه هذا الإيمان، أداءً إيجابياً بنَّاءً، متوجاً بالبذلِ والعطاءِ، فمتى سيدرك العرب المسلمون، الذين أغرب بهم، أنه لا قيمة البتَّة لإنسان العيش، وأن القيمة كل القيمة عند الله سبحانه وتعالى لإنسان القضايا العادلة والسامية والنبيلة؟ فكيف سيذهب العرب إلى مجابهة أعدائهم، قبل اكتشافهم وقبل معرفتهم لذاتهم؟ كيف سيذهب العرب لمجابهة اليهود دون أن يقوموا أو قبل أن يقوموا أولاً بمحاولة اختراق اليهود أو بمحاولة تفكيك اليهود، لقد قام اليهود باختراق وتفكيك العرب والمسلمين فعلاً ومنذ قرون؛ فمتى ستصبح القدرة على الفهم والوعي والإدراك والرصيد من الإيمان العميق والقيم النبيلة السامية والمثل العليا؟متى ستصبح هي المحددات الأساسية للزواج العربي الإسلامي، واختيار الشريك في الزواج العربي الإسلامي، متى سيدرك الشباب العربي الإسلامي، أن الجهل يمكن التغلب عليه دائماً، عندما تتوفر لدينا إرادة المعرفة، وأن لذائذ العقول باقية، وأنّ لذائذ القلوب باقية أيضاً، أما لذائذ الحواس فسرعان ما تمضي، وأن عليهم أن لا يضيِّعوا الحكمة بين الشباب والجمال، وأنّ عليهم أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم وأن يعلموا أن الفرصة تفضل دائماً العقل الذي يكون دائماً على استعداد... متى سيعود العرب المسلمون إلى إرضاع أبنائهم وبناتهم مبادئ الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والمروءة والشرف والمجد، والروح الوطنية العالية مع الحليب؟ متى سيعود العرب المسلمون ليعتقدوا أن الطفل من أطفالهم إذا لم يكن يحمل منذ الطفولة مبادئ الشهامة

والنخوة والخير والعدل والاستعداد للتفكير بحرية وحب الوطن والدفاع عنه والذود عن الحرمات والمقدسات، كل ذلك بعد الإيمان بالله الواحد، أنه إذا لم يكن كذلك، فهو طفلٌ خاسر؛ ليس له حقٌ في شرب الماء، ولا في تنفس الهواء؛ وذلك بغض النظر عن التشويه الحاصل، وعلى الرغم من كل التردي وعلى الرغم من كل الانحراف المعمم الآن، ومتى سيتعلم الأطفال العرب أن العلم الكثير يقربنا من الله سبحانه وتعالى، وأن الفكرة الجديدة الصحيحة لا يعوقها إِلَّا الجهل الشديد، وأن التفكير الخلاّق يتطلب خفوت الصوت وسكون أعصابٍ وهدوء، وأن الشخص الذي يصغي جيداً يستطيع أن يفكر جيداً، وأن المسائل الهامة التي لا نعرف عنها الكثير؛ هي تلك التي يجب أن نشبعها درساً، وأنّ علينا ان لا نضيِّع أوقاتنا في مناقشة المسائل التافهة، وأن عبقرية الإيمان بحاجة دائمة إلى جرأة وإقدام، وأنَّ عبقرية السؤال هي أهم بكثير من عبقرية الجواب! وأنّ طرح السؤال بشكلٍ خاطئ يوصل دائماً إلى نتائج كثيرة خاطئة، وأن طرح السؤال بشكلٍ صحيح يؤدي دائماً إلى نتيجة واحدة صحيحة، وأنّ الفكر النيِّر هو الخير العميم وأن العِلمَ فيه مفاتيح الحرية.

فإلى أن يصل العرب المسلمون، بأجيالهم اللاحقة إلى هذا المستوى الرفيع من الفهم والوعي والحضور والذكاء العميق، الهبة التي يعطيها الله سبحانه وتعالى للأصفياء من عباده المؤمنين، فإنني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.

**خالد محمد حمد**

دمشق في ٠١/ ٠٥/ ٢٠٠٧

# مفهوم الإمام

في الدين الإسلامي أساساً لا يوجد مراتب دنيوية؛ وكذلك فإنَّ مفهوم الإمام؛ الذي يعني ما أتمَّ به من رئيسٍ وغيره، جاء في لسان العرب ما هو نصه: أمَّمَ بالفتح أي قصد، ويمَّمْتُه أي قصدته، فلأمُّ: أي قصد الطريق المستقيم (أي أنَّ الإمام هو العلامة على الطريق الذي ينبغي أن يُقصد) ويتيممون أي يقصدون وأمّ الباب قَصَدَهُ، وتيممتُ الصعيد للصلاة أي قصدته وأصله التعمُّدُ والتوخي قال ابن السكيت: قوله عزَّ وجل ﴿ **فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ [النساء:٤٣]، أي اقصدوا الصعيد الطيب، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم اسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب، وابن سيده: التيمم التوضؤ بالتراب على البدل؛ وتيممته: توخيته وقصدته، والتيَمُّم بالصعيد مأخوذٌ منه وصار التيمم عند عوام الناس يعني التمسح بالتراب؛ والأصل فيه القصد والتوخي، واليمامة القصد وجَمَلٌ مئم: أي دليل هادٍ يعني القصد لأن الدليل الهادي: قاصد؛ والأمة الحالة والشرعة، والدين، أو الطريقة، قال تعالى:﴿ **إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ** ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أي على طريقة، أو على سنة، وقوله تعالى: ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[آل عمران: ١١٠]، أي يعني خير أهل دين (ليأتمَّ بهم باقي الناس)[1] قال تعالى: ﴿ **فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ** ﴾ [التوبة: ١٢]، أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ** ﴾ [القصص٤١]، أي من تبعهم فهو في النار يوم القيامة، والإمام الذي يُقتدى به، وجمعه أئمة مثل إناء وآنية، وإمامُ كل شيء قيِّمه والمُصلِح له[2] قال تعالى: ﴿

---

(١) ما بين قوسين للمؤلف.

(٢) والرواة، والكتَّاب والوعاظ، المسلمون العرب، في هذه الأيام، يطلقون العنان لأهوائهم في النقل، والتنقل بين الكتب؛ دون إعمال العقل، يصدرون عن الذاكرة المسجلة في أدمغتهم مسبقاً، اللوحة الجاهزة، تُسيِّرهم وتدفعهم، =

**﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾** [الأعراف٣]، بل إن الناس صاروا يقلدون تقليداً أعمى قال ﷺ : «**يكثر الحديث من بعدي**[1]، **فإذا روي**

---

الدفع الذاتي، ولقد نسي هؤلاء الْمُنَوَّمون، أو تناسوا، أنهم بسبب هذا الوهم الذي توهموه، قد وقعوا، وأوقعوا المسلمين، ولقرونٍ عديدةٍ في شر مما منه فروا، ولسان حالهم يقول إنما اتبعنا إماماً، أو سلكنا مسلك عالمٍ، إنه أعلم منا، اوَإنْ كان هذا الإمام، أو هذا العالم، ينقل بالأساس عن كتب اليهود؛ بل لسان حالهم يقول كما قال عنهم الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٤-١٠٥]، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٤]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان: ٢١]، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٠-٢٢] ومن عجيب تأثير هذا الوهم على أصحابه أنه يصدهم عن المنطق، وعن العدل والله المستعان.

(١) وكيف يستمر هذا التأويل الذي لم يكن أساساً من عند الله سبحانه وتعالى، بل هو عبارة عن تخرصات ووجهات نظر، كانت خاصة في الكثير من الحالات، نبعت من مصلحة خاصة أيضاً في وقتٍ من الأوقات؛ وفي ظروفٍ وفي حالةٍ استثنائية خاصة! في عصور الإنحطاط إلى أدنى مستوى، ولكنها استمرت مع مرور كل تلك الحِقَبْ، وعلى الرغم من تغير كل تلك الظروف؛ فمن هو صاحب المصلحة في الترويج لمثل هذه الافتراءات وشيوعها وإشاعتها؟ من هو صاحب المصلحة في ترويج الأخطاء، أو الأفهام الخاطئة عن بيان القرآن الكريم العربي المبين، وإشاعتها في العالم فضلاً عن شيوعها بين المسلمين العرب! القرآن الذي نزل عربياً غير ذي عِوج، فتحولَ في التفاسير إلى أعجمي معوج! من الذي اشاع بين العرب المسلمين أنَّ ألفاظ القرآن الكريم يمكن تفسيرها وفهمها عن طريق المأثور والمنثور...من الأقوال؛ فألجم العقل الإنساني عن الفهم الصحيح وأبعَدَهُ عن التفكُّر مئات الأميال!! ومنْ مِنَ العرب المسلمين ناقش هذه النقطة لمعرفة، ما إذا كانت منطقية أم لا؟ ما إذا كانت حقيقية أم صادقة!؟ كيف ترك المجال واسعاً ليدخل منه الدخيلون على العروبة والإسلام فيحولون السكك والدروب عن مسارها العربي الأصيبل؟ وبالتالي ليدخلوا مداخلهم وأوهامهم ونفاقهم ودجلهم وتأويلاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان؛ كيف يتركون فهم القرآن الكريم وفهم آياته من خلال اللسان العربي المبين وينتقلون بفهمه إلى ما صار يُدعى بالمأثور أو بالرواية =

**لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فردوه»** فدلَّ هذا الحديث على أن كل حديث يخالف كتاب الله تعالى فإنه ليس بحديث، وإنما هو مفترى، وكذلك كل حديث يعارض دليلاً أقوى منه فإنه منقطع عنه ﷺ ، لأن الأدلة الشرعية لا يناقض بعضها بعضاً، وإنما التناقض من الجهل المحض؛ [1] وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تكتبوا عني شيئاً إِلَّا القرآن، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه**»[2] أخرجه مسلم في صحيحه، وهناك قول ينسب لأبي حنيفة يقول: (**إذا صح الحديث فهو مذهبي**) والأحق أن يقال ما جاء في القرآن الكريم هو الصحيح، وهو المذهب الوحيد، وكان ابن حنبل رحمه الله تعالى يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدوا أحداً من الأئمة، وخذوا من حيث أخذوا، قال الطحاوي رحمه الله (**لا يقلد إِلَّا كل عصبي، أو غبي**) والحق يقال: إن من يقلد دون تَفَهُّم، فإنه يقر بصغر عقله أمام العقل الآخر! ويتمسكون بما هو غير صحيح، ولا هو وارد في كتاب الله سبحانه وتعالى، ولكن يجب أن

---

والتحمل والسماع والتلقين والعنعنة والمناولة ثم بالجرح والتعديل أو الإجازة؛ وبالتالي الإعلام والوصية! والوجادة؛ ثم بالتقسيم إلى صحيح وحسنٍ وضعيف ثم إلى شاذ ومقلوبٍ ومعلول ومطرب ومرسل ومنقطع ومعضل ومدرج! ثمَّ إلى أنواع منها متواتر ومشهور وآحاد ثم لفظي ومعنوي ثم إلى مقبول ومردود، ثم كان هنالك القدسي أوالرباني؛ وما إلى ما هنالك من مصطلحات ومبتدعات أبتدعت في عصور الانحطاط والتخلف وعصور توقف العقل والفكر والوجدان العربي المسلم عن أي عمل وعن أي نشاط، ثمَّ أمليت على العرب والمسلمين بداية بالفوة والدعم! ما ترك المجال واسعاً للشعوبية واليهود لكي يمرروا للعرب المسلمين ماشاؤوا من اضاليلهم وافتراءاتهم بمسوغات كان على المسلمين قبولها فلا يستطيعون ردها حتى كانت كتب الحديث، عند بعض المسلمين، كإنجيل النصارى، فهذه الكتب، كتب الحديث، التي وضعها الناس تحت ظروفٍ وأسباب سياسية كما هو معروف، وذلك كما كان النصارى قد وضعوا أناجيلهم كبديل عن الشرع الإلهي اخترعوها كبديل عن الإنجيل الحقيقي وأخذوا يرجعون إليها لتلبية أهوائهم!

(١) أبو اليسر عابدين أغاليط المؤرخين، ص ٣٤ مكتبة الغزالي بدمشق ١٩٧٢.

(٢) أبو اليسر عابدين أغاليط المؤرخين، ص ٤٢ مكتبة الغزالي بدمشق ١٩٧٢.

يعلم المُجهَّلون، أنَّ مَنْ ذمَّ نَفْسَهُ لا يُسْمَعْ!

# القرآن الكريم إمام المسلمين

إن القرآن العربي المبين هو إمام العالمين والرسول العربي ﷺ هو الإمام التنفيذي الذي سيحتذى من قبل جميع المسلمين في العالم وذلك إلى يوم يبعثون؟ والكون بأثره هو كتاب الله جلّ جلاله المنشور بياناً، وهو آياته المعلنة إعلاناً؛ والقرآن الذي تنزلَ على الرسول ﷺ هو ذاته كتاب الله عز وجل، المسطور في السور والمنزل في اللوح المحفوظ، كلام الله رب العالمين سبحانه وتعالى الذي لا يحول ولا يزول، القرآن العربي المبين واللسان العربي والحكم العربي، وهذا الكتاب هو إمام المسلمين، الإمام المبين في الدنيا والآخرة، الذي على الإنسان أن يستبينه ويتعلمه ويعمل بمقتضاه، وأن التعويل في الأحكام[1] والشريعة أساساً قراءةً وفهماً يجب أن يكون على القرآن الكريم العربي المبين فحسب، وأنّ هذا القرآن الكريم يجب أن يكونَ هو الإمام المبين للمسلمين، كل المسلمين لا غير!. فهل كان العرب المسلمون ذاكرين لذلك أم أنَّ العرب في الحياة الأمريكية، وفي أوربة وباقي دول العالم ليسوا مكترثين، ليُذكّروا بنكبات

---

(١) وهذه الأحكام، كانت في الإسلام الأول، وهي أحكام الإسلام الأول؛ كانت ولا تزال في كتاب رب العالمين، القرآن الكريم، وهي لا تزال موجودة في الكتب السماوية السابقة، بقاياها، أحكام القرآن الأزلي المنزل على سيدنا موسى، وعلى جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وكان مع بني إسرائيل فضيعوه، وقام اليهود فيها بعد، بخلطه بما جلبوه معهم من وثنيات وشركيات وتحريفات، وزيادات، وقد بقيت في تلك التوراة (التوراة اليهودية المحرفة) بعض الشواهد التي تشهد بأن الله واحدٌ جل جلاله، وأن دينه واحدٌ، وهو الإسلام لا غير، قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٣]، إن القرآن الكريم، الذي هو أساساً، محفوظٌ في اللوح المحفوظ، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، وهو قديمٌ، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾ [أول سورة الرحمن]، فالقرآن الكريم، كلام الله تعالى، كان قبل خلق آدم عليه السلام، وهو عربيٌّ، وبلسان مبين، ويتضمن الحكم العربي، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧]، إن القرآن الكريم، من جهة، هو شرعةٌ خاصةٌ لأمة معينة، وهو أيضاً شاملٌ ويشتملُ، على كل الهُدى، والهدي السماوي السابق، من عصر آدم عليه السلام، واللاحق إلى عصر سيدنا محمد ﷺ، إلى يوم يبعثون، فكيف فُهِمَ، وكيف فُسِّرَتْ الآيةُ من آياته؛ قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

عرب فلسطين والعراق. والعرب المسلمين في كل مكان «إن الغائبين دائماً مخطئون»[1].

(١) يبلغ عدد المسلمين في فرنسة أكثر من ستة ملايين نسمة (بحسب حديث الرئيس السابق للجالية الإسلامية في فرنسة – إذاعة لندن، برنامج خاص عن الأحداث التي جرت في باريس إحراق السيارات ٢٠٠٥ م) فقال إن أكثرهم من العرب، وهم جميعاً، ليس لهم أي اعتبار في سياسة فرنسة، والحكومة الفرنسية لا تقيم لهم أي وزن، ولا تحسب لهم أي حساب، وليس لهم أي أثر، ولا أي أهميِّة في الحياة الفرنسية،بل وعلى العكس تماماً فإن الحكومة الفرنسية تتحكم بالجالية العربية المقيمة على أطراف وضاحية مدينة باريس، وفي ضواحي المدن الفرنسية الأخرى، وتزدريها في ظروفٍ سيئة ومعاملة رديئة (وتعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية، وليس لهم حقوق المواطن الفرنسي؛ فلا يوجد لهم ممثل في البرلمان الفرنسي، وليس لهم أصوات في الانتخابات، وهم ممنوعٌ عليهم دخول الوظائف في الحكومة الفرنسية خصوصاً إذا كانت من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة، فقط لكونه عربياً مسلماً؛ على الرغم من حصول الأكثرية منهم على الجنسية الفرنسية، ومع ذلك تبقى لهم معاملة خاصة والسلطات الفرنسية تضع الجالية العربية دائماً تحت السيطرة، وتخضعها دائماً لقوانين خاصة؛ بحيث تُنكل بأفراد الجالية العربية والإسلامية، وكل واحد منهم معرض دائماً أو هو مهدد بالسجن أو بالطرد؛ تحت ذريعة التخوُّف من الإرهاب، والحذر من الأعمال الإرهابية المفتعلة بينما يبلغ عدد اليهود في فرنسة أقل من أربعمائة ألف يهودي، ولفظة يهودي باللغة الفرنسية لا تزال تعني ما تعنيه من الدلالة على المراوغة والمكر والخديعة! ولا تزال لفظة يهودي في الفرنسية، بالنسبة للفرنسي، تحمل معنى الإهانة والاحتقار! ولكن القرار الفرنسي في النهاية بمجموعه، القرار السياسي، والقرار الاقتصادي، والإعلامي كله في يد اليهود، واليهود في فرنسة يتحكمون بكل المناحي والنشاطات، وطائفتهم هي الطائفة الذكية، وتراعى مصالحها ومشاعرها وتحترم إلى أقصى الحدود، وهي (أي السياسة الفرنسية) دائماً تصبُّ في صالحهم! فكيف يُهمَّش ستة ملايين من المسلمين العرب؛ ويصبح القرار الفرنسي بمجموعه بيد اليهود، وعددهم أقل من أربعمائة ألف؟ هذه المعادلة ذاتها تتكرر في معظم الدول الأوربية! إنكلترا وإيطاليا وإسبانيا والدول الإسكندنافية وألمانيا وأمريكا، الشمالية والجنوبية، وأستراليا، في جميع الدول تتكرر المأساة نفسها بالنسبة للجاليات العربية الإسلامية؛ فما هو السبب؟!

ويضيف المتحدث برأيه الهام جداً حول هذا الموضوع فيقول: (إن اليهود في فرنسة يمارسون نشاطهم اليومي، قي مختلف المجالات، وهم فرنسيون تماماً، ولا يستطيع أحدٌ تمييزهم عن غيرهم من الفرنسيين، لا في مأكل، ولا في مشرب، ولا في لباس، ولا في حديث؛ ولا في العادات والتقاليد؛ ولا في رأي؛ وهم بذلك فرنسيون مئة بالمئة! في العمل، وفي الشارع، وفي الطريق، وفي المدرسة، وفي النادي وفي جميع الأماكن.. خارج البيت، فهم في مظهرهم فرنسيون، ولا يُبدون شيئاً ينافي ذلك أبداً! ولكنهم إذا دخلوا إلى بيوتهم، مجرد دخولهم إلى البيت، فإن اليهودي ينقلب إلى يهوديته، رأساً على عقب، ينقلب ١٨٠ درجة، كل شيء في بيت اليهودي يصبح يهودياً، الطعام والشراب، واللباس والحديث والعادات والتقاليد، والآراء، كل شيء يصبح يهودياً صميمياً وفق تعاليم التلمود والحاخام، خصوصاً تربية الأولاد، والعلاقة الأسرية والعائلية.

واليهودي لا يمكن أن يتزوج إِلَّا يهودية أبداً، واليهودية تتزوج يهودياً، حتماً، ويمكن أن تتزوج من غير اليهود إذا ضَمِنَتْ =

تهويد الزوج والأولاد؛ او لغاية كان فيها مصلحة لليهودية العالمية! واللغة البينية بينهم تصبح العبريِّة، وهم لا يرون على شاشات التلفزيون في حياتهم الداخلية إِلَّا القنوات اليهودية الخاصة ولا يسمعون حتى في الأغاني والموسيقا إِلَّا ليهود، ولا يقرؤون إِلَّا كتباً خاصة بهم، وبالعبرية؛ ولا يستعملون كل تلك الأجهزة الحديثة؛ أو الألعاب، أو المجلات، أو الجرائد، أو الأطعمة، أو ألعاب الأطفال غير الهادفة لهم؛ ولا يدخلون كل هذه الأشياء إلى بيوتهم أبداً، مع أنهم، كيهود، يمكن أن يكونوا أصحاب معاملها وفباركها! ولكنهم يعلِّمون أولادهم أن هذه الأشياء إنما هي صُنعت وعُملت لغير اليهود؛ وبالتالي فيحرُم على اليهود التعامل معها بتاتاً؛ والعرف اليهودي يقول: المهم أن يكون اليهودي يهودياً في البيت، وبعد ذلك فلا مشكلة عندهم إذا كان اليهودي خارج البيت أي شيء آخر، فرنسياً أم إنكليزياً أم أمريكياً! على أن يكون كل سلوكه في النهاية خدمة لليهود، لكن خارج البيت فقط؟!

ويضيف المتحدث قائلاً: بينما تجد العرب المسلمين في فرنسة على العكس من ذلك تماماً فهم في خارج بيوتهم يعملون على إظهار المظاهر العربية، والخصائص العربية؛ ففي اللباس يتميزون باللباس العربي؛ وفي المأكل يبحثون عن المطعم العربي، والطعام العربي؛ وفي الحديث فإنهم يحاولون أمام الفرنسيين التحدث باللغة العربية ويحاولون استعراض العضلات في إبراز العادات والتقاليد العربية، والطقوس، والعبادات الإسلامية، خصوصاً في رمضان، بما فيها الحجاب؛ وقراءة القرآن الكريم، جميع العبادات الإسلامية، يمارسها العرب في الشارع الفرنسي، الممارسات الخارجية، يمارسها العرب في فرنسة على الطريقة العربية، وفقط من أجل استعراض العضلات والإغاظة للآخرين؛ والمماحكة؛ ولكنهم أي العرب، إذا دخلوا إلى بيوتهم، أصبحوا فرنسيين أكثر من الفرنسيين، انقلبوا في حياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، إلى فرنسيين أكثر من الفرنسيين أنفسهم؛ يتحدثون مع زوجاتهم وأولادهم وأصدقائهم من العرب باللغة الفرنسية؛ يلبسون الأزياء الفرنسية هم ونساؤهم وأولادهم؛ بل ويرسلونها إلى آبائهم في بلدانهم العربية بما فيها (الكرافة والستيان والعطور والبارفانات والمكياجات الفرنسية)! ويأكلون الطعام الفرنسي، وعلى الطريقة الفرنسية،وبالقواعد الفرنسية؛ ويشربون المشاريب الكحولية الفرنسية، ووفق الأصول الفرنسية، ويعيِّدون وفق الأعياد الفرنسية الدينية والوطنية، ويشترون شجرة الميلاد، ويعملون بابا نويل، وهم يضحكون أو يبتسمون على الطريقة الفرنسية، عاداتهم وتقاليدهم كلها فرنسية مئة بالمئة، وهم يُحمِّلون أولادهم العادات الفرنسية، والتقاليد الفرنسية والثقافة الفرنسية والآراء الصليبية المهودة، ليصبحوا في المستقبل يهوداً أكثر من اليهود، وإضافة إلى ذلك، فإن العرب في فرنسة يفتقدون إلى الحد الأدنى من التضامن، أو وحدة الهدف، فهم لا رابط حقيقياً يربطهم، ولا يوجد لديهم هدف مشترك، إِلَّا جمعيَّات مفككة غير هادفة، ولا تملك القرار، ولا يخضع لها الناس بل شكلت فقط بمعرفة السلطات على الأغلب وهي مخترقة، قامت أساساً لتكريس الوضع القائم، لدى المسلمين العرب وليس لتطويره أو تغييره، وهي لاتعمل لمصلحة العرب المسلمين فعلاً، إذ كيف تعمل هذه الجمعيات لمصلحة العرب، والعرب أنفسهم لايدركون ما هية مصلحتهم؛؟! من هم وماذا يريدون؟وأنت تجد العربي هناك، وحده لا همَّ له إِلَّا تحقيق أهدافه الخاصة ومنفعته القريبة الخاصة، وهو على الأغلب، غير معني بأمر العرب والمسلمين إنه منتمٍ إلى الواقع إنتماءً كلياً =

وقد اتخذ قراراً نفسياً، وموضوعياً وعملياً في حياته، لارجعة فيه، ألا وهو الانخراط في البوتقة الفرنسية، فهل عرفتم أيها السادة الفرق الكبير بين الكتلة العربية الإسلامية، وبين اليهود، والسبب الذي يجعل اليهود يمسكون القرار الفرنسي والأوربي، بينما العرب على كثرتهم فإنهم يُعانون في أوربة وفي أمريكا معاناة مزمنة!!! فأين اللوبي العربي؟! سأل هذا السؤال وأنهىٰ البرنامج!

# الرسول العربي الأمــي هو الإمــام

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [ الرحمن: ٥]، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس: ١٢]، وهو القرآن الكريم العربي المبين، وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ [الأحقاف: ١٢]، وهو أيضاً القرآن الكريم، الكتاب الكوني العربي المبين، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٦].هذا وأنّ دور الحديث الشريف في حياة المسلمين والعرب، في الأساس كان دوراً تثقيفياً، توثيقياً، إرشادياً، وليس كما يتوهمون(١)، إنّ العودة يجب أن تكون

(١) لقد توهم البعض وبالغوا في اعتقادهم، بحيث توهموا أن الرسول الأعظم ﷺ كان يتلقى وحيين؛ وحيٌ للقرآن وآخر للحديث مستقلاً عن الوحي الأول؛ وهذا وهمٌ خطير توهمه الناس من العوام، ثمَّ انتقل هذا الوهم إلى علماء العوام! فتصوَّروا وصوَّروا وبالغوا في التصوُّر والتصوير! وتوهموا أن السنة الشريفة هي فقط تلك الأحاديث المسطرة في كتب الحديث! وقد تناسوا أنّ الرسول ﷺ لم يتنزَّل عليه بالوحي إلَّا القرآن الكريم فقط، بينما الرسول ﷺ كان يبيِّن ويشرح وينفذ ويطبق ما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢ ﴾ [الحاقة: ٤٠-٥٢]، (الوتين: المتين، أو الحبل المتين القوي الشديد الموصول والمتصل مع الله تعالى، فلو تأول لانقطع ذلك الحبل المتين المشدود إلى الله تعالى، فالرسول ﷺ كان الإمام التنفيذي والمثال التطبيقي والشهيد علينا لنفعل مثل فعله وليفعل الناس مثل فعلنا، قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والشهيدُ المتقدم، والواقع أن السنة تعني الطريق، طريق الله تعالى، أو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، واتباع هديه والامتثال لحكمه وتطبيق شرعه، وأنَّ السنة الشريفة الأساس أنها سنة الله سبحانه وتعالى التي كان عليها الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، قال تعالى: ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن =

للقرآن الكريم أولاً، ونسيَ العربُ المسلمون، أوكانوا قد أُنسوا أنّ على المسلمين كافةً، أن يكونوا أنصار الله، وأن الأساس أن يكون الله سبحانه وتعالى هو وليهم، أنَّ عليهم اتباع هديه، في كلامه المنزَّل على عبده ورسوله محمد ﷺ خاتم أنبيائه، وذلك إلى الله عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤]، وهو عهدٌ عهد به المؤمنون أمام الله سبحانه وتعالى لا ينبغي إضاعته، ولا ينبغي الانحراف عنه، فكل مسلم يوم يموت، وعند لحده، وعند نزوله في القبر، فمِنَ السنة النبوية الشريفة أنه إذا كان مؤمناً مشهودٌ له بالإيمان، فمندوبٌ ويسنُ له أن يلقن أجوبة لأسئلة هو مسؤولٌ عنها من قبل الملكين وهي: من هو ربك؟ فيقول الله ربي، فيقال وما هو دينك فيقول الإسلام ديني، فيقال من هو نبيك؟ فيقول محمدٌ نبيي، فيقال ومن هو إمامك؟ فيقول القرآن إمامي، والله تعالى أعلم. وفي القرآن الكريم فإنَّ الإمام هو الكتاب العربي المبين والإمامة هنا العلامة الواضحة، إنها النبوة والكتاب، وبالتالي فهي لا تجوز للظالمين، إنها محصورة وموقوفة على المختارين من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةً ﴾ [هود: ١٧]، وهذا وصف للكتاب الذي جاء مع سيدنا موسى، كان واضحاً، ومعلوماً، قال تعالى: ﴿ مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وهنا تعني، أي أنبياء مرسلين لهدي المهتدين، قال تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ [الأحقاف: ١٢] وهذا تأكيدٌ على أنه الكتاب، كتاب موسى، كان إماماً ورحمة، واضح، وكان رحمة للبشر أنزله رب العالمين، وهو الفرقان وهو القرآن، ولا يجوز إطلاقها على أحدٍ من بعد خاتم النبيين

تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاًۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً ﴾ [فاطر:٤٣].

محمد ﷺ، ولا ينبغي إطلاقها على أحدٍ من بعده أبداً، بينما تطلق في المسجد على كل من يؤم المصلين في الصلاة، لتنظيم الصفوف، ولإقامة الصلاة، كونها وظيفة أرضية تقليدية ليس إِلَّا.وهي لم تكن مألوفةً (بحيث تطلق كصفة) في عهد الرسول الأعظم ﷺ، ولا على عهد صحابته الكرام، ولم يعرفها العرب كصفة يتصف فيها الأشخاص العاديون؛ ولم يجرؤ أحد على الاتصاف بها، ولم يجرؤ أحد على إطلاقها على أحد أبداً أبداً، إِلَّا بعد انهيار السلطة العربية، وتسلط الأعاجم، على حياة الناس في دينهم ودنياهم،[1] وتحديداً إبان سقوط العصر الأموي، ومن قبل لم تكن معروفةً، صفة لأحد، ولا اتصف بها أحدٌ أبداً، بل أطلقت بأثرٍ رجعيّ على البعض! ولا تزال تتسم بالظلال الفارسية الأساسية، وهي إلى الآن لا تزال تحمل الصبغة الشعوبية التي هيمنت على الإسلام منذ الانقلاب العباسي الشعوبي الهدام إلى الآن مروراً بالبويهيين والسلاجقة والفاطميين[2] والمماليك والعثمانيين الدول التي كرست

(١) وفي كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) للإمام ابن حجر الهيثمي، الكبيرة السابعة والأربعون، عن الإمام أحمد بسند ابن لهيعة «اللّهم لا يدركني زمانٌ، أو لا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب» ج١ ص١٥٩ دار الفكر ١٩٨٧

(٢) فهل لا يزال، أولا تزال ملامح دعوة الأزهر الفاطمي؛ الذي بناه جوهر الصقلي! تهيمن على الإسلام والمسلمين في العالم إلى اليوم، وذلك على اختلاف نحلهم وتشعباتهم، بما فيهم الصوفية والسلفية والشيعة؛ وتفرض عليهم الرؤيا والعقيدة الفاطمية ومقلوباتها البويهية والصفوية!؟ هل اتخذت الدعوة الفاطمية بعد زوال الدولة الفاطمية وهل فرخت واتخذت اساليب وأشكالاً وأنماطاً وطرائق مختلفة ومتعددة، بحيث اخترقت تلك العقيدة جميع الموانع الدفاعية والتحفظات التي كانت لدى المعارضين؛ وغدت وقد نبتت ونبعت واستقرت وعششت في رؤوس دعاة السنة قبل الشيعة! وباتت تمارس في عقر دار السنة قبل الشيعة، وتحولت لديهم إلى القناعات الثابتة التي يصعب على أيٍ من المتنورين المصلحين أو العقلاء زحزحة أيٍ منها! حتى صارت من ملامحهم الأساسية! والمسحة التي تبرز خصائصهم غير الأصيلة؛ والواقع أن «صلاح الدين الإيوبي» رحمه الله تعالى شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وجعلت الظروف تقوده وقد قادته إلى القضاء على الدولة الشعوبية الفاطمية لكن قضاءه على تلك الدولة كان قضاءً سياسياً وعسكرياً (لأنَّ صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى لم يكن يقصد أو لم يكن يتعمد القضاء على الدولة الفاطمية في مصر؛ ولكن ذلك حصل صدفة وبطريقة دراماتيكية، فقد تتابعت الأحداث ومات الخليفة الفاطمي الذي كان ضعيفاً وكان صلاح =

الاعوجاج وخلقت مفاهيم مغايرة تماماً للحنيفية السمحة، الأمر الذي سيجعل كلمة «قس بن ساعدة الإيادي» التي قالها قبل الإسلام، تنطبق على الواقع الحالي للعرب المسلمين والمسلمين عامة حين قال مخاطباً قومه: (إن لله ديناً أفضل مما أنتم عليه) قال سيدنا أبو بكر رضيَ الله عنه يوم تولى أمور الخلافة للمسلمين: (وليِّـتُ عليكم ولستُ بخيركم) حول هذا الفهم العربي للفظ خليفة كان على العرب المسلمين أن يدوروا.وسيدنا رسول الله محمد ﷺ.الرسول العربي الأمي هو الإمام التنفيذي، الأول والأساسي، وهو القدوة، وهو المثال ﷺ للبشرية جمعاء، والرسول العربي الأميُّ، هو إمام الأئمة، وقائد الغر المحجلين، إمام المتقين، قدوة القدوة، وبهذا المعنى فإنه لا إمام غيره، قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] والشهيدُ المتقدم، وهو الذي يقتحم أولاً، وهو الذي يجرئ القوم على التقدم.

---

الدين في تلك الظروف وزيراً له فوجد الفرصة سانحةً، بينما لقد ذهب الجيش أساساً من بلاد الشام إلى مصر بداية نجدة للدولة الفاطمية كما هو معروف)!؟ فقط بينما اتخذت الدعوة الفاطمية أساليب أخرى مختلفة، واتبعت طرائق جهنمية غير مرئية مست فيها العقيدة الإسلامية العربية بأمور خطيرة جداً بحيث خرجت فيه العقيدة الإسلامية من المفهوم الحنيف وانتشرت بلبوسات أخرى وتحولت فيه إلى ما آلت إليه في العصور اللاحقة، إلى حالات ليست بعيدةً عن ما هو موجودٌ لدى اليهود والنصارى والمجوس والهندوس! فهل سأل أحد من العرب المسلمين نفسه لِماذا هدم الرسول ﷺ مسجد ضرار؟! هل تحولت المساجد الإسلامية إلى مجرد معابد أو ما يشبه المعابد واتخذت انماطاً وأشكالاً وهيئات وتقاليد وطقوساً وملامح قريبة من باقي المعابد التي لدى الآخرين؟! هل تحول الإسلام في رؤوس عامة المسلمين إلى مجرد قواعد وقوانين شكلانية آلية؟ صار فيه المسلمون عبارة عن قطيع وله مرياع! إنّ الأزهر الشريف وهو يقود المسلمين في العالم علماً وفتاوىً؛ لم يبتعد كثيراً عن كونه مركزاً للفاطميين فهل استمرت الدعوة الفاطمية في جلباب السنة؟ هل أشربَ المذهب الفاطمي لكافة المسلمين في العالم؟ هل اخترق الفكر والمنهج والعقيدة الفارسية الفاطمية غير العربية عقيدة (بشتكين) و(نشتكين) هل اخترقت هذه العقيدة الفكر الإسلامي ونقضته من القواعد بما فيه ما يعشش الآن في رؤوس دعاة السنة أنفسهم؟

# حول الفهم العربي للفظ خليفة

المقصود بلفظ خليفة هو أن يكون خليفة للمسلمين أو أميراً للمؤمنين، وكان جانباً حياتياً وأمراً سياسياً، وضرورياً ضرورة واجبة والذي كان من مهامه الأساسية العدل في القضاء وتطبق أحكام الشريعة الإسلامية والسنة النبوية الشريفة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك كانت من مهامه الأساسية إقام الصلاة في المسجد المركزي في المدينة، ومن هناك كانت تدار أمور المسلمين؛ إدارة إشرافٍ ورعاية، طبقاً لما نص عليه الشارع. لذلك كانت أول كلمة قالها أول أميرٍ للمسلمين سيدنا أبو بكرٍ رضي الله عنه (وليت عليكم ولست بخيركم) وعندما وليّ الأمر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، قال قوله المشهور: (إذا رأيتم فيَّ اعوجاجٍاً فقوموه، فقال أحدهم لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد السيف) ورضي الله تعالى عن سيدنا عمر بن الخطاب.

كان الرسول الأعظم ﷺ، قد حدد النموذج للقدوة، على أن يختار المؤمنون من بعده أميراً يدير شؤونهم، يسمى بأمير المؤمنين، وكانت الإمارة لاتعطى لطالبها؛ لأنَّ الأمير، ربان إمارته، وهنالك فرق واضح بين لفظ أمير، الذي سيسوس القوم والأمة بأسرها، بالربط والاتساق والتنسيق والتنظيم والحفاظ على المقدرات، مقدرات الأمة، وثرواتها وتنميتها، لا تبديدها؛ وإضاعتها؛ والذي من المفروض أنّ لديه كأميرٍ القدرة على القيادة، وإدارة دفة الحكم، وأنّ لديه ذكاءً واسعاً، وفهماً عالياً، و يمتلك عزيمة لا تُقهر ولا تلين، في طريق سعيه لتحقيق النصر للأمة التي يقودها[1].

(١) هناك فرق كبير بين محامٍ يعمل في غرفة محكمة صلح البداية، وبين محامٍ القضايا الإقليمية والدولية والعالمية؛ كذلك =

وفي المعجم فإن لفظ الأمر وفعل وأَمِرَ، ينطوي على التنمية؛ والتكثير، والخير، أو الامتثال إلى الخير، والأمر ضد النهي، والأمير الملك، لنفاذ أمره، والأمير قائد الأعمى(١) والأمير الجار لانقياده، والأمير المُشَاوَر، وفي التنزيل العزيز: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر: الرؤساء، والعلماء، ويقال أَمَرَهم الله فأَمِروا، أي كَثُرُوا، قال تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء:١٦]، أمرنا: أكثرنا أي أكثرنا من مترفيها، ففسقوا فيها، والنمير الناجع الزَّاكي، النامي في الماشية، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، أي أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أتاح للإنسان في حياته على الأرض أمر الخلافة.

أما الفهم العربي للفظ خليفة، فهو أن الله سبحانه وتعالى، جعل للإنسان ميزةً، وخاصِّيةً انفرد بها عن باقي الكائنات، من مخلوقاته تعالى، ألا وهي أنَّ الإنسان يرثُ من أجداده وإخوانه البشر، ويستخلفهم، ويستمدُّ ويستفيد من تجاربهم وأفكارهم وعلمهم، المستمد أساساً من الله تعالى، وكل أنواع العطاءات والرزق والخير والثروة، يرثُهُ، فلا تضيعُ الجهود البشرية، هباءً منثوراً، بل تتكرس، وتتكدس وتحتشد، وتجتمع القِوى؛ بعكس كل الكائنات

---

فإن أي مهندس قد يكون بإمكانه بناءَ بيتٍ جديد، ولكن قد لا يستطيع هذا المهندس، وليس بالضروري أن تكون لديه القدرة على التنظيم، وعلى التخطيط الشامل للمدن الكبرى، وهناك طبيب إسعافات أولية وهناك طبيب يستطيع الأشراف، والمراقبة على الصحة العامة في الدولة بأكملها، بل وهنالك دكتور يدير ويشرف على الأوضاع الصحية في الأقاليم والعالم؛ فالإمكانيات والطاقات العقلية والنفسية والجسدية متفاوتة وليست واحدة عند جميع البشر. إن الإمرة يجب أن تعطى للنخبة ممن يخافون الله كثيراً ولديهم الطاقات الهائلة وكان عندهم وعي عالٍ بالمسؤولية تجاه الحق وحس وطني جميل وانتماء.

(١) ولكنّ الأعمى لا يقود عمياناً...

الأخرى، التي لا تملك هذه الإمكانية أبداً. بل إن الإنسان تنتقل التجارب لديه، جميعها بخيرها وشرها؛ من إنسان إلى إنسان، ومن جيلٍ إلى جيل، وهذا هو الاستخلاف، وهذه الميزة غيرُ موجودةٍ لدى باقي المخلوقات، وهذه هي القوة العظيمة التي بها ميَّز اللهُ سبحانه وتعالى الإنسانَ عن باقي مخلوقاته، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، والله تعالى أعلم.

ومن الجدير بالذكر أن تعبير الخليفة، أو صفة الخليفة التي اتصف بها الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، لم يكن المقصود منها، أن يكونوا خلفاء للرسول الأعظم، إنهم لم يكونوا خلفاء للرسول ﷺ، حاشا وكلا أن يكون هناك أحدٌ من البشر يمكن أن يكون خليفة أو نائباً للرسول الذي كان متصلاً مع الله سبحانه وتعالى، في خطٍ مفتوح، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ بل كانوا خلفاء للمسلمين، لإدارة المجتمع والدولة فحسب؛ بينما لفظ إمام، والإمامة أساساً كانت للصلاة في المسجد، داخل المسجد، كانت قضية أرضية، ضمن قانون الأرض، لأن الأساس أنَّ إمام الصلاة المقيم لها في المسجد الرئيسي الكبير؛ أو في أي مسجد يصلي فيه المسلمون.

# تطور مفهوم الإمام

لقد تطور مفهوم الإمام[1] إذ امتد اللفظ والمفهوم والمعنى، أو تطور عند الشعب، ليصبح معناه: أنه القيِّم على شؤون دولتهم، والراعي لمصالحهم، (وقد استُمِد هذا المعنى من كون سيدنا أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، كان أول من صلَّى بالناس، بوجود الرسول ﷺ، وقد أقره الرسول ﷺ، وندبه إلى الصلاة بالمسلمين، لما اشتد مرضه ﷺ) وشرطه له مبايعتهم له وأنهم به راضون! ولا يجوز أن يَؤمَّ أحدٌ الناس، وهم له كارهون قال ﷺ: «**لا يؤمنَّ أحدكم الناس وهم له كارهون**»[2] والمأثور عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، أحدهم من تقدم قوماً وهم له كارهون**» وإمام الجند قائدهم، وأَمَّ الصلاة إمامةً إذا ائتم به أي إذا أُقتُدِيَ به، والإمام المثال أي ما أمتثل عليه والإمام الخيط الذي يُمدُّ على البناء فيبنى عليه، ويستوي ساف البناء عليه، والإمام من ذلك في الإملاس والاستواء، وفي الصحاح الإمام خشبة البنَّاء يُسوّي عليها البناء، وإمام القبلة تلقاؤها، والحادي إمام الإبل، وإن كان وراءها، لأنه الهادي لها، والإمام الطريق.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، أي لبطريق مبين، يقصد فيميَّز يعني

---

(١) (ولابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى رأيٌ في مفهوم لفظة إمام، عند بيانه لمعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]، يقول فيها: الإمام بمعنى القدوة، وهو يَصلُحُ للواحد والجمع، كالأمة، والأسوة، وقد قيل: هو جمع أمم، كصاحب وصحاب، وراجل ورجال، وتاجر وتجّار، وقيل:هو مصدر كقتال وضِراب، أي ذو إمام، والصواب الوجه الأول، فكل من كان من المتقين وجب عليه أن يأتمّ بهم، والتقوى واجبة، والائتمام بهم واجب ومخالفتهم به مخالفٌ للائتمام بهم) عن كتاب، طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، ص١٢ تحقيق طه عبد الرؤف سعد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٩٣.

(٢) أخرج الحاكم في مستدركه: (ثلاثة لعنهم اللهُ تعالى، من تقدم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجلٌ سمع حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح فلم يجب) وقال: (ثلاثة لاتجوز صلاة أحدهم...، وإمام قومٍ وهم له كارهون) وأبو داوود وابن ماجة: (ثلاثةٌ لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون، ورجلاً يأتي الصلاة دبراً...)

قوم عادٍ ولوط وأصحاب الأيكة، والإمام يعني القَدّام، وفلان يؤم القوم أي يتقدمهم، وإمامُ المسلمين رئيسهم، والإمام الكتاب، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١]، والإمام الطريق الواضح، والإمام الدليل في السفر؛ وقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]، والإمام إذا أَمَّ الناس في الصلاة، والأمة الجيل، والجنس (مجموعة من الناس، بينهم أوضاع مشتركة، دينية تاريخية وحضارية أو وحدة حال) وكل من كان على دين الحق، مخالفاً لكل الكافرين، فهو أمة وحده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٠]، كان أمة: أي كان إماماً، وأصل هذه المعاني من القصد، والاتجاه، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، والأمة الرجل: المنفرد الذي لا نظير له؛ وأممت قصدت، قال الفراء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠]، أي: كان معلماً للخير، والأمة المعلم، والأمام نقيض الوراء، والإمَّعة: الذي لا رأيَ له، والأمع: الذي لا رأيَ له، ولا عزم، فهو يتابع كلَّ أحدٍ على رأيه؛ وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الإمعة فيكم اليوم، المُحقب الناس دينه؛ وفي رواية الذي يُحقب الناس دينه، أراد الذي يُقلد الناس في دينه، أو الذي يجعل دينه تابعاً لدين غيره، فلا حجة ولا برهان، ولا رواية، وهو من الأرداف على الحقيبة والأمة العَلَمُ، أو الراية، الذي يتبعه الجيشُ وأمّ القوم تقدمهم، والإمام كلّ ما ائتم به القوم، وكانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين؛ والرسول الأعظم ﷺ، إمام المسلمين، وعليهم جميعاً الائتمام به، بسنته، أي بطريقه، الذي مضى عليها إلى الله سبحانه وتعالى، والمُجَسَّد بالكتاب الذي أنزل عليه، ورئيس القوم من أئتمَّ به قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢]، أي قادته[1] انتهى كلام المعجم.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة إمام، إحياء التراث العربي، ت: أمين عبد الوهاب وآخرون، بيروت

من الواضح ومما تقدم وفي اللسان العربي المبين، أنّ الإمام فقط الغرض منه تنظيم الصف، فمتى؟ وكيف؟ ومن الذي تعسَّف فدمج بين مفهوم الأمرة، والإمامة، وماعلاقة الإمامة بالسياسة(١) أي ما علاقة الإمامة بالسلطة أو السياسة التي أصبحت تعني السلطة؟ وهل نقول أمير المؤمنين، أم إمام المؤمنين؟ وهذه الألفاظ ألفاظٌ لها وظيفة إنسانية أرضية ليست سماوية إلهية.

---

(١) هل كانت (السياسة) بمفهومها الأساسي الواسع، تاريخياً، إحدى النتائج التطبيقية للدين الإسلامي، بحيث بدأ العمل السياسي عملياً مع الحكم في المدينة المنورة، في عهد الرسول العربي، محمد ﷺ، عندما قام ﷺ بتطبيق أول منهج، وأول دستور، وأول طريقة (سياسية) في إدارة المدينة النموذج؟ قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والشهيدُ المتقدم، بحيث انبثقت عن دولة الرسول ﷺ، أول طريقة سياسية ربانية، في إدارة العلاقة مع الموالين، والمحايدين، وأول طريقة سياسية في إدارة الصراع مع أنواع الخصوم، ومع تعدد أشكالهم، وأنماطهم، ومواقعهم القريبة والبعيدة، من العرب؛ والعجم، ولم تكن السياسة من قبل معروفةً لدى أيٍ من الحكومات أو الحكام السابقين؟ وكان الرومان، والفرس، ومن قبلهم اليونان، أبعد ما يكونون في حكمهم، عن السياسة وأساليبها، وطرائقها، وأعمالها، ونتائجها، الذين كانوا يعاملون شعوبهم كما تُعامل البهائم، يملكون الرقاب ملكية القطعان، بحيث لم يكونوا يتورعون عن استخدام أية وسيلة تبلّغهم أهدافهم في التسلط على الناس، وكانوا لا يقيمون وزناً للأخلاق، أو الشرف، فهل تعلَّم العالم السياسة من الرسول العربي محمد ﷺ، المنبثقة أحكامُهُ عن الله عز وجل، من قرآنه المجيد؟ ثم كانت السياسة عند خلفاء العرب المسلمين الراشدين، السياسة في الحكم، منبثقة أيضاً عن القرآن المجيد، وسنة الرسول الكريم ﷺ، بحيث لم يكن الرومان ولاالفرس، ولا من كان قبلهم من الحكام، من الفراعنة، والنعمانات الذين عبَّدوا الناس، إلى الأكاسرة والقياصرة، الذين لم يعرفوا شيئاً عن السياسة، ولم يمارسوها في حكمهم للشعوب، إلَّا بطشاً وإرهاباً، بل كانت دولهم السابقة، دول قهرٍ، واستلابٍ للناس بلا حدود؟!

وهكذا انتقلت المفاهيم السياسية منذ البداية، من المجتمع العربي الإسلامي إلى باقي أنحاء العالم، عن طريق العرب المسلمين أولاً، وخاصة عبر أنماط الاحتكاك، ومن خلال الانتشار الإسلامي، والفتوحات الإسلامية، سواءً أكان ذلك مع الفرس، أم مع الروم، ما أدى إلى بروز التحدي، وعوامل المناهضة، عند تلك الحكومات، أو القوى الغاشمة التي كانت قد وقفت وراء تلك الحكومات؛ مثل اليهود وأنواع الشعوبيات التي أبرزت للعرب منذ القديم ألدَّ الخصام، وأثارت ضدهم أنواع المؤامرات، والعصبيات، منذ ذلك الحين، الأمر الذي شكل ردود أفعالٍ عصفت في ما بعد، بالعرب المسلمين، كما حصل في هجمة المغول الشرسة على العرب المسلمين، من الشرق، وكما حصل في الحملات الصليبية المتعددة، التي اجتاحت العرب والمسلمين من الشمال والغرب؛ وتبع ذلك بناء الدول، والدويلات في الغرب، على نمط الدولة الإسلامية، وهكذا استمر التسييس في الغرب للشعوب الغربية، محاكاةً للنظام العربي الإسلامي سواءً في الإدارة، أم في الاقتصاد؛ فإن النظام الغربي قد استفاد إلى أبعد الحدود من التشريع العربي الإسلامي، ومقولته الخالدة (العدل أساس الملك)

# حول مفهوم إمام في القرآن العربي المبـين

هناك فرق واضح بين مفهوم الإمام ومفهوم الولي في اللسان العربي المبين، فالوليُّ هو الناصر، وهو المتولي لشؤون وأمور العالم والخلائق، القائم بها، ومن أسمائه عز وجل الوَلِيُّ، وهو مالك الأشياء كلها، جَمِيعها، المتصرف بها، فلا وليٌ للخلائق إِلَّا الله سبحانه وتعالى، قال ابن كثير: وكأنّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة، فالله سبحانه وتعالى وحده هو الوليُّ، وهو وحده النصير، ولا ولي للمؤمنين، إِلَّا الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤]. قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١]، قال تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة:٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [الشورى:٤٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧]، قال تعالى:

﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [ الأنعام:٧٠]، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية:١٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٥]. هذا هو المفهوم العربي المبين الأساسي، لمدلول اللفظتين، الإمام، والولي، لكن النبع الصافي، ومع مرور الزمن، قد خالطته روافد أضافت إليه ما هو غريبٌ

عنه؛ فإلى أي مدى استطاعت الصوفية عبر الحلاج، وابن عربي، والدولة العثمانية، وإلى أي مدى استطاع التشيُّع عبر الهيمنة الفارسية التي اتسعت وطالت أيضا، من خلال البويهيين، والفاطميين، والصفويين، إلى أي مدى استطاعوا بالقوة تغريب هذه المفاهيم، وإبعادها إلى أبعد مدى.. عن الأساس العربي المبين، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر٢٨]. بحيث تَشَجَّرتْ المشجرات، للأئمة الذين أصبحوا مقدسين ومعصومين، وكانت هذه المشجرات السبب الرئيسي في تشَجُّرُ الطائفية، وإنشعاب هذه الطوائف[1]،

(١) لاحظ التشابه بين أسماء الطوائف اليهودية المجوسية وبين اسماء الطوائف التي خرجت على الإسلام إبان العصر العباسي، ولا حظ أيضاً اسماء الأعياد والمناسبات!

والحقيقة هي أنَّ جميع المجموعات اليهودية ليست من بني إسرائيل وقد كانت السامرة بعض هذه المجموعات اليهودية، الآتية من الشرق، وليس هناك يهود عرب، على الإطلاق، ولم يكن في يوم من الأيام يهود عرب، وإنما كانت هناك فئة من العرب تهودت، في فترة من فترات التاريخ، قبائل من العرب العاربة التي كانت قد تهودت، وقد تشكلت على أرضها دول كانت مهودة، ذات تبعية، لم تكن حرة، كانت مفروضة من الخارج، من أثينا أو من روما، أو من بلاد الفرس، كان اليهود فيها عبارة عن عمال اعتمدت عليهم تلك العواصم للتحكم بالعرب، وذلك لما كان يتصف به اليهود من عداء سافر للعرب، لاعتقاد اليهود، أن العرب هم الذين أسروهم أو أنهم، هم أول من استعبدهم وأهانهم وجرأ الشعوب على إهانتهم، أو أن العرب هم الذين تسببوا بأسرهم! وجلبهم من بلادهم لذلك اعتمدت عليهم روما وأثينا والمدائن، من قبل، (وذلك كما اعتمدت عليهم بريطانيا وفرنسة، وكما تعتمد عليهم أمريكا الآن) ونتيجة حقدهم الدفين على العرب، كانت قد اعتمدت عليهم جميع تلك الإمبراطوريات، السابقة واللاحقة؛ اعتمدت عليهم في حكمها للعرب، وشكل اليهود طوال تلك الحقب، موظفين لقبض الضرائب، والنسب، وجواسيس، وأدلاء، وقادة حملات، بلا رحمة، على الموحدين العرب، لم يكن اليهود من الموحدين؛ كما قام اليهود بالتنكيل بالعرب، والإساءة إليهم، بكل طريقة، لم يدعوا وسيلة تمكنهم من النيل من العرب إلَّا وسلكوها، وفي بعض الحالات كانوا يعينون كحكام للدويلات العربية، التي كانت تنشئها تلك الإمبراطوريات، مثل الدول التي قامت في اليمن في حقبة من حقب التاريخ قبل بعثة الرسول العربي الكريم ﷺ. والقرآن الكريم ينبئنا بكثيرٍ من القصص، والأحداث التي توضح لنا الكيفية التي تعامل فيها اليهود مع العرب، لاسيما حادثة أصحاب الأخدود، وغيرها. فما علاقة هذه الطوائف اليهودية القديمة (بالماسونية) المنظمة اليهودية العالمية (الأنتر ناشيونال)؟، ولفظة (ماسون) لفظة آرامية، أو سريانية عربية قديمة بدلالة الواو والنون، مثل قاسيون، وحرمون، وصابون، وكانون، وعمان، وإنسان، وجان، وغيرها من الألفاظ المعروفة في دنيا العرب، فإذا نحينا الواو والنون جانباً؛ والواو والنون في اللسان العربي المبين القديم، فإنها إذا ارتبطت بلفظٍ معين، كان ذلك دليل نسبة هذا =

اللفظ، أو هذا الفعل، إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا رفعنا الواو والنون؛ رجع اللفظ إلى حقيقته! وهو (ماس) من الإمساس! فهل انبثقت (الماسونية) في مرحلة من مراحل التاريخ عن هذه الطائفة اليهودية؟ هل قامت هذه الطائفة، في مرحلة من مراحل التاريخ؛ بتطوير أدائها؛ وقرر اليهود اختلاق منظمة سرية علمية، لها مبادىء معلنة ومبادىء أخرى غير معلنة! هل نتلمس آثار المبادىء الماسونية المنبثقة عن الإمساسية اليهودية، في كتاب (أخوان الصفا) أيضاً؟ الكتاب الغامض الذي شَرِبَ منه كل الذين خرجوا على الإسلام الحنيف، إبان العصر العباسي؛ هل تحول جماعة أخوان الصفا في فرنسة؛ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، إلى جماعة الأخ الأكبر! وأتخذوا أنسب وأقرب لفظة فرنسية إلى لفظة (ماسون) وهي (ميزون) وتعني المهندس، أو البنَّاء؛ وقالوا أنَّ ماسون أصلها (ميزون) وهذا خطأ مقصود! لأن الكلمة الآرامية لايمكن أن تكون مأخوذةً من الفرنسية؛ بل العكس هو الصحيح؛ المفروض أن تكون لفظة ميزون مأخوذة من ماسون، وفي القرآن الكريم فإنَّ المس من الشيطان، وهو التخبط! وعدم الإستقرار والنط؛ قال تعالى: ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة:٢٧٥]، قال تعالى: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه: ٩٧]،وهذا الكلام قاله سيدنا موسى لإبليس اللعين عندما تلبس بصورة السامري، فصنع للناس العجل، وأمرهم وزين لهم أن يعبدوه على أنه إله! فقال له موسى في نهاية الحوار: قال تعالى: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه: ٩٧]، لقد أدرك سيدنا موسى كلام الله عز وجل الذي قال فيه: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤-١٨]، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٣٦-٤٣ الحجر]، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [٦٢-٦٥الإسراء]، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [٢٠-٢١سبأ]، قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ
=

رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٧٣ – ٨٥ ص]

هل كان تعدد الفرق الإسلامية، صدى للفِرَق والطوائف التي انفرق عليها اليهود، أو التي انفرق إليها بنو إسرائيل بتأثير وعمل من اليهود، الذين عملوا على تمزيق وتدمير بني إسرائيل العرب، بعد انفلات هؤلاء اليهود من ربقة العبودية للعرب، كيف نفهم الحديث الشريف الذي يقول عن الرسول ﷺ أنه قال في الحديث الصحيح: (انفرقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، انفرقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة) هل أنَّ هذه الفِرَق التي كانت عند اليهود، بالأساس، قد تسللت وانتقلت ودخلت بعقائدها؛ ومعتقداتها وبشواذها؛ وبتطرفها؛ وبانحرافاتها، وبتعدديتها، وبما لديها من وثنيات وعبادة وتقديس لأشخاص، وبما فيها من تجسيدٍ لمطامع وأهواء؛ ومصالح وغايات ومطامح شخصية! ورغبات ودوافع ذاتية، وأهداف كانت تهدف إلى التخفف، والتخفيف من التكاليف التي فرضها، ويفرضها الدين الرباني العربي الحنيف؛ كانت هذه الفرق اليهودية، قد انتقلت إلى العرب (بنو إسرائيل) في فترة من فترات التاريخ، فأحدثت فيهم الفِرَق، والأشعابات، والطوائف، والنحل، وآلت بهم تاريخياً إلى التمزق، والانشطار، والانفساخ، وأصبح لكل طائفة منسلخة عن الإسلام، أصبح لها اعتقاد خاص، خلطة خاصة، من المعتقدات، وصارت هذه المعتقدات تشكل لها مع مرور الزمن، ديناً خاصاً، متميزاً، لايقبل الآخر! ثمَّ إنّ هذا التراث الذي هو مجرد تراث، قد تحول إلى عقيدة راسخة لدى كل طائفة، وهكذا فإنَّ اليهود الذين كانوا سبعين نوعاً، ودخلوا بقضهم وقضيضهم في بني إسرائيل، قد أحدثوا بداية تلك الطوائف في بني إسرائيل؛ عندما دخلوا ديانة بني إسرائيل، والتي كانت الإسلام النقي، فشقوا بني إسرائيل إلى سبعين ملة، وملة واحدة، كانت قد بقيت نقية من تأثير اليهود؛ ثمَّ إنّ اليهوديات، من السبعين ملة، وملة؛ التي تحولت في بني إسرائيل، إلى واحد وسبعين فرقة، قد انتقلوا مرة أخرى إلى النصارى، ودخلوا في دينهم أيضاً، والذي كان الإسلام المُنَقى، فشقوا النصارى إلى واحد وسبعين ملة، وملة واحدة كانت أبعد عن تأثير اليهود؛ فكان مجموع فِرَق النصارى اثنان وسبعون فرقة! ثم إن هذه الآثار من الوثنيات القديمة، والأشكال والنظريات والأفكار المبتدعة الحديثة، والفلسفات والآراء والأهواء، وعبادة وتقديس الأشخاص، وبما فيها من تجسيدٍ لمطامع، ومصالح وغايات ومطامح شخصية! ورغبات ودوافع ذاتية، وأهداف كانت تهدف إلى التخفف، والتخفيف من التكاليف التي فرضها الله سبحانه وتعالى، ويفرضها الدين الرباني العربي الحنيف؛ فهل تحولت هذه الفرق؛ أيضاً بقضها وقضيضها إلى الإسلام، فدخلت الإسلام وإبان العصر العباسي، بدؤوا بتمزيق العرب والإسلام، الإسلام الذي كان في يوم من الأيام عربياً حنيفياً، نقياً، لتتشكل فيه ثلاث وسبعون فرقة؟فشكلت الطوائف الإسلامية الثلاثة والسبعون، وكانت خير خلف لخير سلف؟! إن في القرآن الكريم والحديث الشريف أكبر دليلٍ على أن ديانة اليهود ديانة أرضية، ليست سماوية، وأنها كانت وليدة مجوسية الزردشتية والديانات الوثنية التي كانت منتشرة في شرقي بلاد الفرس وإيران وشمالي الهند؛ وأنَّ اليهود لا علاقة لهم بالمنطقة العربية أبداً لا من قريب ولا من بعيد.

وتجابهها، وتناحرها، مما أدى إلى انفراط العقد الذي كان من المفروض، متابعة وحدته، والالتفاف حوله، كونه العهد الوثيق، بين الله سبحانه وتعالى وجميع الأنام، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ** ﴾ [لقمان: ٢٢]، قال تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ** ﴾ [المائدة: ٧]، وكان من المطلوب الحفاظ عليه والرجوع إليه لا إلى غيره.

# كل مسلم عربي هو مشروع إمام

كل مسلم عربي[1] هو مشروع إمام: وقد أُمِرنا نحن المسلمين (لكل مسلم) أن نقول

---

(١) العروبة جنسية مفتوحة لكل إنسان في العالم، فكل إنسان مؤمن بالله سبحانه وتعالى، حق الإيمان، ويفكر ويتحدث باللسان العربي المبين، فهو عربي. وفي كتاب (عشائر الشام)الأحمد وصفي زكريا الوصف التالي وهو يتحدث عن البداة في البادية فقال: فالرئاسة عندهم أو الإمارة إنما ينالها أهل العصبية والجاه، وإذا تساوت العصبية في جماعة قدموا أكبرهم سنا ولذلك كان لفظ (الشيخ) عندهم يدل على الشيخوخة والرئاسة معاً، وإذا أشكل عليهم الانتخاب لأي سبب عمدوا إلى الاقتراع. كذلك إذا اجتمعت عدة قبائل في محالفة على حرب واحتاجوا إلى من يرأسهم جميعا، فإنهم يقترعون بين أهل الرئاسة فمن خرجت عليه القرعة رأسوه، ذلك هو شأن معظم بدو العرب وأما حضرهم في مكة فالرئاسة فيهم لسادن الكعبة. وكان في كل قبيلة بالجاهلية بيوتات تشتهر بالرئاسة والشرف فتمتاز عن سائر القبيلة وتكون الرئاسة فيها كبيت هاشم بن عبد مناف من قبيلة قريش، وبيت آل حذيفة بن بدر الفزاري من قيس، وبيت آل ذرارة بن عدي من تميم، وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام من شيبان، وبيت بني الريان من بني الحرث بن كعب من اليمن. وقد امتازت هذه البيوتات بالنفوذ على سائر القبيلة. وكان أهل السياسة من رجال المسلمين يلاحظون ذلك في تولية الحكام، والأمير البدوي مع سلطته المطلقة، قلما يستبد في أحكامه، ويغلب أن يستشير بطانته وخاصته على أنه لم يكن ليحتجب عن أحد ولا يمتهن أحداً. يجالس الناس ويخالطهم، رفيعهم ووضيعهم، وهم لا يعرفون ألقاب التفخيم ولا نعوت التمليق فإذا خاطب البدوي أميره ناداه باسمه وطالبه بحقه بعبارات تشف عن عزة النفس وإباء الضيم أو هي أنفة البداوة، على أنهم كانوا يتكلمون على الأسنان، والأمير يخاطب رعاياه بألقاب الوقار كالأب والعم والخال والابن أو ابن الخال على ما تقتضيه الأنساب والأسنان، وظل ذلك شأنهم في صدر الإسلام ينادون الخليفة باسمه ـ أو بأمير المؤمنين ـ ويحاجونه في شؤونه حتى إذا تحضروا، احتجبوا، وتكبروا، فاتسع الفاصل بين المحكوم والحاكم. مناقب العرب في الجاهلية: على أن العرب قلما كانوا يحتاجون إلى حاكم يفصل الخصومة بينهم، ذلك لِما فطروا عليه من المناقب الجميلة، التي كانت تقوم فيهم مقام الحاكم الصارم، وتنزههم عن ارتكاب الدنايا مما تغنيهم عن القضاء، وسيد هذه المناقب «الوفاء» لأنه إذا تأصل في أمة أغناها عن القضاء، والحكومة إنما تقضي بين الذين لايعرفون الوفاء، وكان الوفاء متمكنا في خُلُق العربي، ويزيد تمكناُ فيه كلما بعد عن المدن وأوغل في الصحراء. لأن الغدر والنكث لا يعيشان إِلَّا في القصور الشماء، بين الحدائق الغناء، ونرى «الوفاء» مطبوعاً في أقوال أهل البادية وأشعارهم وأمثالهم يتجلى في عاداتهم وأخلاقهم وفي سائر أعمالهم وهو فيهم سجية وفي سواهم صناعة وتكلف. وحكاية حنظلة الطائي والنعمان بن المنذر تمثل هذه الخلة أحسن تمثيل. فإن حنظلة وعَدَ النعمان بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت فطلب النعمان من يضمنه فضمنه شريط بن عدي، ولم يقدم شريك على ذلك إِلَّا وهو يعتقد صدق البدو لاشتهارهم به وقد وَفَى حنظلة فجاء في الوقت المعين لا جند، يقوده مما حمل النعمان على العفو عنه وقصته مشهورة. وأغرب من ذلك وفاء السموءل =

في في بداية كل صلاة، أن يقول: (وأنا أول المسلمين) كل مسلم يجب أن يعتبر نفسه هو

---

بن عادياء وكان امرؤ القيس الكندي قد استودعه سلاحا وأمتعة تساوي مالاُ كثيراُ وسافر إلى بلاد الروم ومات قبل رجوعه فبعث ملك كندة يطلب الأسلحة والأمتعة المودعة عند السمؤل فلم يسلمها. ولما ألح عليه أجابه: «لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب عليّ»، فجرد الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه، فوقع ابن السموءل أسيراً عند الملك فهدد السموءل بقتل ابنه إن لم يسلم الوديعة فأبى التسليم وقال: «ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ما شئت» فذبح له ولده فصبر السموءل على ما تحمله من الثكل محافظة على الوفاء، ولم يسلم الوديعة إلَّا إلى ورثة امرئ القيس. فمن كانت هذه مناقبهم قلت حاجتهم إلى القوانين واستغنوا عن الجند والضابطة، وخصوصا إذا أضفنا إليها علو الهمة وطيب النفس وقلة احتمال الذل والسماحة والكرم والنزاهة عن الدنيئة، فهذه كلها من مناقب العرب أهل البادية. الجوار: ومن قبيل الوفاء بالعهد وحفظ الذمام أيضاً «الجوار» فإن البدوي يحافظ على جاره محافظته على نفسه. والمقصود بالجوار في الأصل أن يحفظ الرجل على جاره القريب، وهو من قبيل التعاون الطبيعي حتى قيل: «جارك القريب ولا أخوك البعيد» ولكن العرب توسعوا في ذلك حتى اشتقوا منه الإجارة والاستجارة والجوار للحماية على الإطلاق، فإذا خاف أحدهم سوءاُ جاء إلى رجل يحميه ويكفي أن يقول له «أجرني» فأعطاه جائزة الحلل والعنبر فرجع وطريقه على بني عامر فخافهم على ما معه من المال فأتى علقمة بن علاثة فقال له (أجرني) فقال: (قد أجرتك) قال: (من الجن والإنس) قال:(نعم) قال: (ومن الموت) قال (لا) فتركه وأتى عامر بن الطفيل فقال له: (أجرني) قال: (قد أجرتك) قال: (من الإنس والجن) قال: (نعم) قال: (ومن الموت) قال (نعم) قال: (وكيف تجيرني من الموت) قال (إذا مت وأنت جاري بعثت إلى أهلك الديَّة) قال: (الآن علمت أنك تجيرني). وقد يجيء بعضهم ليستجير برجل فلا يجده في بيته فيكفي أن يعقد طرف ثوبه إلى جانب طنب البيت فإذا فعل ذلك صار جاراً، ووجب على المعقود بطنب بيته، وجب عليه للمستجير به، أن يجيره وأن يطلب له (حجارةً للدلالة على قبره)، ميلا في ميل، لا تنشر فيه ماشية، ولا يسلكه راكب ولا ماش، إشارة إلى ما كان عليه من المحافظة على الجوار في حياته. وما زال الجوار مرعيا عند العرب بعد الإسلام إلَّا من خالط الأمم الأخرى في البلاد المفتوحة، على أن تأييد الدولة اقتضى ضعف الجوار، لأن أهل الوجاهة أصبحوا من أهل الدولة، والرجل يومئذ إنما يستجير من حاكم يطلبه فإذا استجار به مظلوم قالوا: (إنما نجير الرجل على عشيرته وأما على سلطانه فلا) خوفاً على مناصبهم. كما أصاب ابن مفرغ لما هجا بني زياد واستجار بالأحنف بن قيس على عبيد الاختصاص بن زياد هو يومئذ أمير البصرة فأبى الأحنف العزل وقال له: (إذا شئت أن أجيرك من بني سعد فعلت) فذهب إلى غيره من وجهاء العرب فأبوا إجارته لنفس هذا السبب. ومن المناقب التي تغني العرب عن الوازع القهري أو القوة الحاكمة (الأريحية) وهي من مقتضيات العصور الجاهلية البدوية، أو ما يجري مجراها من أحوال الفروسية، ومرجع ذلك إلى التفاخر بالشجاعة والكرم وحسن الأحدوثة. وكان للأريحية شان عظيم عند العرب لدقة شعورهم وسرعة تأثرهم، لأنهم أهل خيال وذوو نفوس حساسة يقيمهم البيت من الشعر ويقعدهم، وقد يسمعون الكلمة فتطير لها نفوسهم، وربما بذل العربي حياته في سبيل كلمة يسمعها، ولذلك كثرت عندهم ضروب المفاخرة والمباهلة في المواسم والأندية، مما يرغب في الفضائل، ويغني عن زجر الحكام.(١٣٩-١٤٢)

أول المسلمين، فلا يوجد في الإسلام تفاضل أبداً، ولا في الإيمان.

وفي الإسلام لا يوجد معايير أساساً، ولا موازين خاصة؛ ولا مقاييس يُقاس عليها، أو بموجبها الإيمان؛ قال تعالى:في القرآن الكريم على لسان موسى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٥١]، قال تعالى: ﴿ **قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ** ﴾ [الزمر: ١١-١٢]، ولفظة قل أمرٌ موجه لكل مسلم لله في هذا الكون، وعبر الزمن، كل مسلم مرشح ليكون أول المؤمنين، والله أعلم فالإمامة ليست شهادة ولا هي وثيقة تعطى لأحد بعينه؛ ولا هي لقبٌ اختصاصي، ليمنح للبعض، ويحرم منه آخرون[1]! بل من مزايا المسجد في الإسلام، أن قبلته لا يوجد فيها أي علامة، ولا ينبغي؛ وأحياناً فإن المسلم في صلاته، في المسجد، قد يضع أمامه متاعه وربما وضع حذاءه، وهذا دليلٌ عظيمٌ، ورائعٌ، يوضح بجلاء أنّ صلاة المسلم خالصةً لله تعالى، لا لأيِّ شيء آخر والفرقُ كبيرٌ بين

(١) واحتساء القهوة نغبة بعد نغبة بالفناجين الصغيرة، ثم إن حياة البدوي قد جبلت أيضا وخاصة من الحرية الحقة. والبدوي جلود جلادة البعير، وجسور جسارة، ونشيط كنشاطة الغزال، إلَّا أنه أكثر من هؤلاء جميعاً حريةً واستقلالاً، هذا هو البدوي وهذا هو ما يود أن يحرص عليه، ونفسيته المتعاظمة لا تقبل مطلقاً كل ما يشبه النير إذا حز الرقبة، فالحرية والاستقلال هما من الممتلكات التي يضعها البدوي فوق كل شيء، ويبقى حريصاً على الاحتفاظ بها مدى الحياة، إن عقيدة القضاء والقدر هي المتسلطة على كل شيء لدى البدوي. وكلمات (الله أكبر) و(الله أعلم) و(لن يصيبنا إلَّا ما كتب الله لنا) و(أينما تكونوا يدرككم الموت) وأمثالها هي القواعد التي يعتمد عليها البدوي طول عمره وهذا هو السبب، في أنه لما يتم البدوي حياته القاسية المتشردة وينقلب شيخاً هرماً ترى وجهه الذي كان نشيطاً فعالاً صار يشع صفاءً روحياً تاماً. (انتهى ما قاله الرئيس رينو ورفيقه).(١٧٢-١٧٣) كتاب عشائر الشام، لوصفي زكريا، مصدر سابق.

التوحيد، الدين العربي، توحيد الله سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبودية، إليه خالصة، فطرة الله عز وجل، وبين تعدد الآلهة في الديانات المنحرفة والمنتشرة، أو التي انتشرت في أنحاء العالم القديم، خارج أرض العرب، في بلاد الفرس والروم، والهند والصين، ثم فُرضتْ تأثيراتُها على العرب، في عصورٍ لاحقة؛ وفي ظروفٍ مختلفة؛ كان العرب فيها في أدنى مستوى من الغياب، الغياب البعيد عن الحضور عندما أصبحت الشخصية العربية الحاملة للوعي، الوعي بالذات العربية، عندما صارت هذه الشخصية في حالة تفكك وتحلل وضياع، أو استلاب، فهي من الطبيعي أنها هبطت من القمة إلى أدنى مستوى، ومن الذي سمى الأئمة، كل الأئمة؛ وفي مختلف المجالات؛ ومن الذي منحهم هذه الصفات، أو من الذي خلع عليهم هذه الرتب، والمراتب؟ أو من الذي أعطاهم هذه الدرجات من؟ وكيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ أنّ الوظائف الدنيوية وهي التي قد توكل عادةً إلى بعض الأفراد، غير المحددين، لأي مسلم، قال ﷺ: «**أسمعوا وأطيعوا ولو وليَّ عليكم عبدٌ رأسه زبيبة**» والذين قد تناط بهم مهام محددة لخدمة المسلمين، وتنظيم أمورهم، وصفِّهم، وتوجههم لله سبحانه وتعالى، لاسيما في الصلاة (١)، لأنَّ الله سبحانه وتعالى، لا ينظر إلى الصف الأعوج،

---

(١) حول الفرق بين معنى ومدلول لفظ الصلاة، ومعنى ومدلول لفظة الدعاء، فإنه كانت الصلاة تعني إنشاء الاتصال بين العبد وخالقه، أو الصلة، أو العمل على فتح الخط، والاتصال المباشر، وهي تعني أيضاً، الاتصال والمدد والتمكين والإمداد من الخالق عز وجل إلى العبد، المتصل، ويكون الدعاء من العبد، جزءاً من الصلاة، لا يتجزأ، ولكن مدلول ومفهوم لفظ الصلاة (الصلوة) لايقتصر على معنى الدعاء. بل الصلاة (الصلوة) تعني تحديداً إقامة الاتصال، مع الله عز وجل، في خط مباشر، ودون واسطة، ثم يكون الدعاء جزءاً منها، والله أعلم، ولكنّ قصر معنى ومفهوم الصلاة على الدعاء، قد أعاق التفسير الصحيح، وأدخل الفكر والفهم في دائرة ضيقة ومغلقة، اضمحلت فيها الآراء، وتلاشت بسببها التصورات، وصَغُرَت الأفئدة، وتسمّرت العقول والأفكار، بحيث انزلق البشر عن عظمة المراد، وارتدوا، أو تثّاقلوا إلى الأرض. إن الصلاة في معناها الحقيقي تتطلب بذل الجهود، وعقد العزم، بينما عندما قصر معناها على مجرد الدعاء، صار يمكن أداؤها في كل حين، وبأيسر الجهود؛ بل ويؤديها أي كان!. بحيث صارت الصلاة، عند البعض عبارة عن طقوس، وعادات وتقاليد ومجالس، فهل هذا هو المراد من الصلاة (الصلوة)؟ راجع كتاب الحرب على الإسلام =

قال ﷺ : «**صفوا كما تصف الملائكة في السماء**» ويقال إن الصلاة في جماعة تجوز ولو كانت خلف فاسق[(١)]، وهذا تشديدٌ على ضرورة وحدة الصف، للعرب المؤمنين؛ إن الوظائف والمهام التي قد تُسند للبعض من العرب المسلمين بغرض القيام بأعباء وظيفةٍ دينية[(٢)]، أو دنيوية الغرض منها الإعدادُ والترتيبُ والتنسيقُ وتنظيمُ الصفِ وتوحيدُ الجهودِ؛ جهود المسلمين، لتحقيق الهدف أو الأهداف الجماعية[(٣)] والمشتركة أولاً في العبادة[(١)] والتوجه لله

---

العربي، للمؤلف.

(١) وهذا الحديث ضعيف، أو هو قول مأثور الغرض منه اجتماعي بحت.

(٢) الجدير بالذكر في هذا المقام، هوالقول بأنَّ معظم الانتشار الذي تحقق للإسلام لم يكن بفضل أو بجهود رجال الدين، كما هو الحال مع النصرانية التي تعتمد على الكهنوت، وبعثات التبشير! بينما انتشر، وينتشر الإسلام بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى، ينساب كما ينساب الماء الطهور، أو هو يفشو تلقائياً، وطبيعياً عن طريق الحياة، ونشاط الناس، وتفاعلهم الطبيعي، لأن الإسلام هو الحق المبين، الذي لا بد أن يسود، مهما طال الزمن، والفتوحات الإسلامية إنما كانت لتحطيم الطغاة، وكسر شوكة الجبروت البشري، كان انتشار الإسلام الأوسع، في إندونيسيا، وماليزيا، وجنوب وشرق آسيا عموماً، عن طريق التجارة، وكذلك ينتشر الإسلام اليوم، في أمريكا الشمالية والجنوبية، وفي أوربة، وفي أفريقية الجنوبية، وفي أستراليا، وبالتحديد الذي نشر الإسلام في إندونيسيا، وماليزيا أولاً، كان تاجراً من بلاد الشام. في هذا السياق أذكر، أنَّ أمين الهويدي ذكر في كتابه القيِّم، والذي كان بعنوان (الأمن العربي، صدر في مصر أواخر السبعينيات) قال بأنه، كان ضمن بعثة للأزهر الشريف، ذهبت إلى جنوب السودان، في خمسينيات القرن العشرين، لتعمل على نشر دعوة الإسلام، وفي محاولة لمناهضة ومنافسة البعثات التبشيرية المسيحية الأوربية؛ التي كانت تعمل هناك بنشاط واسع؛ فماذا حصل؟ قال: إنهم عملوا مطولاً مع قبائل إفريقية في جنوب السودان، من الذين كانوا عراة؛ فأقنعوهم بالإسلام، وعلَّموهم أركان الإسلام، وطلبوا منهم أن يلبسوا الثياب؛ لأن الإسلام يوجب الستر، وفي الإسلام لا بد من لبس الثياب؛ ثم أنهم كانوا ينتقلون من قرية إلى قرية، لكن من العجب العجاب أنهم، عندما عادوا إلى هذه القرى، بعد فترة، وجدوهم جميعاً، في هذه القرى، قد تخلوا عن الثياب! وذلك أنَّ البعثات التبشيرية المسيحية كانت تتعقب البعثات الأزهرية، وكانت هذه البعثات المسيحية، تدفع للناس الدولارات، وتقدم المعونات العينية! وتعطيهم الهدايا والألعاب المسلية، وتقدم لهم الخدمات الملموسة والمحسوسة، وكانت تطلب منهم التعري!! في حين كانت جماعة الأزهر الشريف تقدم النصائح القيمة!

(٣) إنَّ المسجد الجامع، وحضور صلاة الجماعة، التي هي لله تعالى، وهي أمورٌ مهمة جداً، إذ كانت الجماعة والإجتماع، في كل وقت صلاة، لتحقيق الاتصال والتواصل مع الآخرين كان من صلب العبادة عند المسلمين العرب، وهو هدفٌ =

تعالى، وثانياً في حياتهم ومعاشهم، ومصالحهم العليا في أوطانهم، والتي يجب أن تكون

---

أساسي ومقصود من تشريع الصلاة الجامعة، كان يجب على المسلمين في العالم وخصوصاً العرب؛ تعميقها، وتنميتها، وتطويرها، نحو الهدف الأساسي الذي شرعها من أجله، الله سبحانه وتعالى، بل يجب المحافظة عليها في أعلى مستويات الوعي، والاستمساك بها كأفضل طريق إلى إقامة وحدة اجتماعية لاتنفصم عراها أبداً، وليس كما يحصل الآن بحيث ما تلبث أن تنتهي الصلاة في المسجد، حتى يلتفت المصلي إلى الخلف قاصداً الباب! وهو لم يعرف خلف من كانت صلاته، ومن هو الذي صلى عن يمينه، ومن الذي صلى عن يساره، وأكثرهم لا يدرك آية واحدة مما تلاه الإمام، إن القضية في صلاة الجماعة ليست قضية خطبة عصماء، ولا هي في جمال القراءة، ولاهي قضية جبـَّة ولا في عمـَّة أو عمامـة، ولا كان فيها أزياء ولا كان فيها طقوس أبداً؛ بالمختصر المفيد، القضية ليست في الشكل بل في المضمون، فكم من مسجدٍ صرفت عليه الملايين، ثم تولاه جاهل، مثله مثل الإناء المزخرف، ولكنه إما فارغ، أو هو مملوء بأشياء غير مجدية، أو غير مفيدة، أو غير مغذية، إن المسجد العربي الرباني، الأصل أن يكون مفعماً بالمعاني، ناضحاً بالقيم النبيلة، مولداً للأخيار، للقمم العالية، مدرسة للبطولة والوطنية، من يدخله إذا كان صغيراً فإنه يكبر، ومن كان ضعيفاً فإنه يقوى، من كان فقيراً فإنه يغنى، ومن كان جاهلاً فإنه يتعلم!

(١) وفي كتاب (صفة صلاة النبي ﷺ) ذكر الحديث التالي: كان معاذ يصلي مع رسول الله ﷺ العشاء «الآخرة» ثمّ يرجع فيصلي بأصحابه، فرجع ذات ليلة فصلى بهم، وصلى (خلفه) فتى من قومه «من بني سلمة يقال له: سليم» فلما طال على الفتى: «انصرف (الفتى) وصلى منفرداً في ناحية المسجد» وخرج وأخذ بخطام بعيره وانطلق، فلما صلى معاذ، ذُكِرَ له ذلك، فقال إن هذا به لنفاق! لأخبرنّ رسولَ الله ﷺ بالذي صنع (الفتى)، وقال الفتى لأخبرن رسول الله بالذي صنع(معاذ) فغدوا على رسول الله ﷺ، فأخبره معاذ بالذي صنع الفتى فقال الفتى: يا رسول الله! إن معاذ يطيل المكث عندك، ثمَّ يرجع فيطيل علينا، فقال رسول الله ﷺ: «أفتانٌ أنت يا معاذ؟ وقال للفتى: كيف تصنع أنت يا ابن أخي! إذا صليت؟» قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ! فقال رسول الله ﷺ «إني ومعاذ حول هاتين، أو نحو ذلك»، قال: فقال الفتى: ولكن سيعلم معاذ إذا قدم القوم، وقد خبروا أنَّ العدو قد أتى، قال: فقدموا فاستشهد الفتى، فقال رسول الله ﷺ: بعد ذلك لمعاذ: «ما فعل خصمي وخصمك؟» قال معاذ: «يا رسول الله صدق اللهُ وكذبتُ؛ استشهد». أخرج البخاري (٢٧٤٣): عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على نفر من اسلم ينتضلون فقال النبي ﷺ: « ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان». قال: فأمسكَ أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: مالكم لا ترمون. قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ: ارموا فأنا معكم كلكم» ابن خزيمة في صحيحه (١٦٣٤) والبيهقي بسند جيد وصحيح أبي داود٧٥٨. وأصل الحديث في الصحيحين، والشاهد في هذا الحديث، بنصه الرائع الذي ينبينا ويُطْلِعُنا عن كَثَب وبجلاءٍ على جو صدر الإسلام بشفافيتة النادرة التي لم يعد لها مثيل ولن تتكرر على مدى الزمان، ويضع أمامنا صورة طبيعية أصيلة عن الدور الحقيقي للإمام الذي يؤم المصلين في المسجد.

أساساً، نابعة من الإيمان بالله تعالى مرصوصةً، منظمةً وقوية. لكنَّ هذه الوظائف، أو المراتب، التي في اللسان العربي المبين، هي عبارة عن وظائف، ومراتب دنيوية بحتة، وإن كانت محترمة؛ فهي ليست مقدسة، وأصحابها، في اللسان العربي المبين، لايملكون مفاتيح الجنة، ولا يملكون تحرير صكوك الغفران!! كما يتوهم أكثر الناس من العرب! وغير العرب! قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[الانعام: ١٦٤]، ففي اللسان العربي لايوجد مناصب دينية مقدسة إطلاقاً، ولا رتب تكفل أو تحجز إلى الجنة؛ وإنما وظائف دنيوية يتشرف بها شاغلوها؛ فعلى العرب أن ينظموا حياتهم، وينسقوا جهودهم، ويرتبوا أمورهم، وفق حاجاتهم الدينية والدنيوية، ومن خلال ماتقتضيه مصالحهم الحياتية والمعاشية، من الخير والصلاح، ومن منظور ما يجب أن يكون عليه الواجب، وفي سبيل تحقيق الأفضل، سعياً ووصولاً إلى الكمال والتكميل الرباني.(١)

(١) وشظف عيش البدوي لا يمحو الناحية المثالية من شخصيته، فكلامه موزون ومعقول في عبارة صريحة وسرعة انطلاقه نحو الهدف، يزخرفه بضرب الأمثال وبالتشبيهات التي تصدر عن روية ومعرفة، وفي السهرات يسمع البدوي ويصغي لما يقصونه عن سير الأبطال والفرسان من أبناء قومه وتترنح أعطافه طربا حينما ينشد أحدهم أمامه أغنية بصوت مطرد الأوزان ترافقه دقات الربابة التي تتلاشى رناتها في الصمت الواسع للمخيم المستغرق في هجوده، والبدوي يقدر قدر الدماثة واللباقة، وهو يهوى السلاح ويحسن استعماله. وإذا كان البدوي رشيق القامة ومتخلق بكل أوصاف جنسه وديني بحسب النزعة، ويصدق أوامره، ويتقبل الزيارات، ويردها، ثم هو إلى ذلك صاحب سلطة وقيادة وعرف حسن القيام بهما، ومن ثم يكل إلى نسائه وأولاده أمر العناية بأعمال البيت وتربية الماشية ورعيها وإسقائها. ولكن إذ كان هو روح أسرته وعماد بيته يعرف وقت هجوم الأعداء كيف يقف وينافح عنهم، ويعرف أن من واجبه خدمة شيخه يوم الغزو. البدوي في حقيقته أقل في المثالية من الكمال، مما يصوره الروائيون والقصاصون، وهو خليط من المحاسن والمساوئ، ولكن مهما كانت مزاياه يظل في نظرنا رجلاً مستحقاً كل الاستحقاق للاحترام والانجذاب والتودد نحوه. وتمتد حياة البدوي الفعلية مدة مديدة إلى أن يشيخ، وتخذله قواه رويداً رويداً ويعلوه الشيب، فينوب عنه ابنه الأكبر في الأعمال. وحينئذٍ يشتري الأب عقالا ضخماً، ويلتزم الانزواء في بيته ويرجع كما كان في عهد الصبا، للعيش بين النساء لا يزار في بيته ولا يخرج منه إِلَّا حين الضرورة، وتنسى العشيرة يوما بعد يوم استشارته في مهام الأمور على أنها تحفظ له كل رعاية =

وفي كتاب التعريفات للجرجاني٧٤٠- ٨١٦ هـ أن الإمام هو: الذي له الرياسة العامة في الدِّين والدنيا جميعاً؛ إنَّ هذا التعريف ينطوي على خطأٍ واسع النطاق! مرده إلى تأثر الجرجاني رحمه الله تعالى، البالغ بالصوفية، والتَّشّيُع؛ فتعريفه هذا بالأساس لم يكن من اللسان العربي المبين، ولا هو منسجمٌ مع فطرة الحكم العربي السليمة والمبينة وكان يقال:(أذنْ ولو ضربوك ولا تؤم الناس ولو شدوك)[1] والجرجاني أخذَ عنه الشوكاني؛ وقد بالغوا في تعظيمه، لاسيما علماء العجم والروم فإنهم جعلوه والسعد التفتنازي، حجة في علومهما، فقد كان الرجل يعرف الفارسية؛ ووضع بعض مؤلفاته بها؛ وجرجان مدينة

---

وحرمة، ويبقى سنين عديدة مثال السلف الصالح ممسكا بدفة الأمور إلى أن يموت كما يموت المصباح المنطفىء. وموتة البدوي كولادته تقع حسب ظروف الحل والترحال. وإذا مات يمزق نساؤه ثيابهن الفوقانية، ويحثين التراب على رؤوسهن، وينتفن شعرهن، ويرفعن أصواتهن بالولولة، ومن علامات الحزن تنزيل أحد أطراف الخيمة، ويتوافد كبراء العشيرة مشرفة على منزل العشيرة ويجعلن اتجاهه نحو مكة، ويحمل ابناؤه نعشه وتتبعهم النساء الباكيات النادبات ويبلغن به الأرض التي طالما دافع عنها في حياته. وهناك يتلون سبع سور من القرآن الكريم، بصوت منخفض، ويغسلونه الغسل الأخير بالرمل، وهذا الرمل الذي غسل جسمه الصغير العبل الأصفر صفرة ذهبية لما كان طفلا يعود لغسل الهيكل العظمي للميت الأسمر اللون. ويضعون على القبر ركام التراب المستخرج من حفرته ويحيطونه بسور مستطيل من الحجارة دون أن ينقشوا عليها أي كلمة أو رسم ثم يستأنف الحي سيره نحو آفاق جديدة وأبعاد سحيقة، ويعود الزمان إلى فعله، ويمحو آثار القبور الرثة ويلاشيها.وتدوس أخفاف الإبل العريضة القبور المجهولة وهي سائرة دون علم ولا معرفة بها ولا بأصحابها، وإذا مات البدوي فمعنى ذلك أن حياة قد انتهت في كل بساطة، كما بدأت ونمت في كل بساطة. ونحن أهل الحضارة والتمدن لا ندرك للحياة معنى ما لم تكن محفوفة برغد العيش في الدور الفخمة والموائد المزخرفة وما لم تكتمل بغشيان المقاهي والمسارح، ولأجل ذلك نعد حياة البدو عديمة الألوان ونعتبرها قاسية شديدة، ونراها كأنها دواعي عذاب الجسم وإرهاقه دون إنقطاع، أو كأنها قشافة وزهادة على غير جدوى. على أن هذه الحياة في عين البدوي هي منتهى القصد وغاية المنى. أليس كل رغد في الحياة هو نسبي؟ أليس الرغد حالة توازن بين الإنسان وبيئته التي يعيش فيها؟ اليست العادة أساس كل شيء والفكرة التي توحيها العادة هي مختلفة في نظر كل منا؟ إذن هذا هو السبب في أن البدو قليلوا الاكتراث بمطالبهم الجسمية طالما مطالبهم الروحية مؤمنة.

(١) وهو قولٌ لبعض العلماء.

عظيمة بين طبرستان وخراسان!)[١].وفي كتاب (نضح الكلام في نصح الإمام) لسلطان العلماء (العز بن عبد السلام) محدِّدات وشروط واضحة للإمامة في الصلاة [٢]:

أولها: الإسلام، فلا تصحُ إمامة الكافر [٣]، الثاني: العقل فلا تصح إمامة الجاهل[٤]، الثالث التمييز، فلا تصح الإمامةُ لعامة، غير مميز[٥]، الرابع: الذكورة، فيجب تحقيق

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني ت: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٢

(٢) عادة تنزه العامة الإمام عند الاقتداء به في الصلاة، لظنهم أن مثل هذا لا يصدر عنه شيء غير صحيح، وهذا وهمٌ من العوام، فالإمامة هي إقامة لصلاة الجماعة التي أقامتها ليس إلَّا؛ وهي فرض كفاية، والمتفق عليه، والمتعارف عليه أن للإمام أفضلية نابعة من اكتراثه؛ ومتابعته للأمور الدينية – راجع نضح الكلام ص ١٢، وفي الحديث الثابت في الصحيحين قال ﷺ «فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» ص،١٣ قال في الروضة الاستئجار لإمامة الصلوات المفروضة باطل وكذا التراويح وسائر النوافل على الأصح، لأنه أساساً فهو يصلي لنفسه؛ ومتى صلى اقتضى به من أراد، وإن لم ينو الإمامة وإن توقف على نيته شيء فهو إحرازه فضيلة الجماعة، وهذه فائدة تختص به، ص١٤، وكان يمنع أخذ الأجرة على القضاء ويجوز إرزاق القاضي والإمام من بيت المال وهذا نابعٌ من الإجماع على ذلك فحسب! ص١٥ والنفقة على الإمام أو القاضي لا تحل لمن لا يحسن وظيفته على التحقيق للفروض والشروط والسنن والآداب.والشروط التي جمعها المتأخر ون، وأهمها الإسلام، والعقل، والتمييز. المصدر نفسه.

(٣) المعلن، وكذا الخفي على الأصح، فلو اقْتُدِى بمن ظُنَّ أنه مسلم ثمّ بانَ أنه كافراً بشكلٍ معلنٍ أو متخفٍ، وجب القضاء قطعاً. في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، لأن الإمامة فيها خطر، فإنه يحفظ على المؤمنين صلاتهم؛ ولذلك يتعين لها الأفضل، علماً، وورعاً، وسناً، ولا ينبغي التعرض لها إلَّا لمن تعينت عليه؛ فنسأل الله سبحانه وتعالى المعونة، قال الشافعي رحمه الله: لا أكره الإقامة إلَّا لأنها ولاية وأنا أكره سائر الولايات.ص٣٣ نضح الكلام، مكتبة الزهراء، القاهرة مرجع سابق.

(٤) فلا تصحُ إمامة من زال عقله بمرضٍ، أو دُوَارُ سُكرٍ، فلو اقتدي بمن ظُنَّ أنه عاقل ثمَّ بان أنه مجنون (فاقد لعقله) وجبت عليه الإعادة؛ (فلو كان له حالة جنون وحالة استقامة، أو حال إسلامٍ وحال ردةٍ، واقتديَّ به، ولم يدر في أي حال، فلا إعادة، ولكن يستحب؛...)، (ولو صُليَّ خلف من يُجهل فلا إعادة)، (ولو صُليَ خلف من أسلم فقال بعد الفراغ: لم أسلم حقيقةً، أو: أسلمت ثم ارتددتُ، فلا إعادة، والله أعلم. انتهى).

(٥) فلا يصحُ لعامة غير مميز، لأنه ليس من أهل العبادات، والمميز هو كما قال – الدميري -: من كان يأكل وحده، ويشرب وحده، ويستنجي وحده (وهذا في أقل ما هو مطلوب).

الذكورة في إمامة الرجال[1] ، الخامس: أن لا يكون محدثاً[2] ، السادس: أن لا يكون جاهلاً[3]، السابع: أن يكون عارفاً بأركان الصلاة، وشروطها وأركانها[4]، الثامن: أن لا يُخِلَّ بشرطٍ من شروطها مع قدرته عليه[5]، التاسع: أن يكون معروفاً[6]، العاشر: أن يكون موفقاً في جهة القبلة، بلا خلاف عليها[7]، الحادي عشر: أن يكون عالماً بما نواه.الثاني عشر: أن لا يكون مرتكباً بدعة يكفر بها.

ويشترط في إمام الجمعة إضافة إلى تلك الشروط، أن يكون بالغاً، حراً، مقيماً، مستوطناً، سمعياً، عارفاً بشروط الجمعة المعروفة. أما في الصفات المستحبة في الإمام فأهمها الفقه والقراءة والورع[8] والسن والنسب والهجرة.

---

(١) فلا يصحُ اقتداء رجلٍ بامرأة، ولا خنثى، فلو اقتضي بمن ظن أنه رجل فبان امرأة، أو خنثى وجبت الإعادة، وأما اقتداء الخنثى بالخنثى فممتنع أيضاً لاحتمال ذكورة المأموم، وأنوثة الإمام.

(٢) الطهارة بالماء الطهور، ودوام النية حكماً، وعدم صرفها وعدم ما ينافيها، لأن المحدث لا تجوز صلاته في نفسه، فكيف تصح إمامته؛ وإن بان أثناء الصلاة أنه أحدث فيجب على المأموم أن ينوي المفارقة في الحال، ويبني. ومكروه الإسراف في الماء، ولو على شاطئ البحر وكذلك الزيادة على ثلاثة، ومن الآداب استقبال القبلة والجلوس في الموضع المناسب.

(٣) لا يعرف القراءة والكتابة، فلو اقتديّ بمن ظنّ أنه قارئ فبان أنه جاهل، كان الأصح أنه لا يصح اقتداء القارئ بالجاهل.

(٤) لأن من كان لا يعرف ذلك، فلا تصح صلاته في نفسه، فكيف تصحُ إمامته؛ أما الشروط فهي: الطهارة عن الحدث والنجس، ستر العورة، واستقبال القبلة، والعلم بدخول الوقت يقيناً، أو ظناً، العلم بفريضة الصلاة ومعرفة أعمالها، والأركان هي: النية، والإحرام، والقيام للقادر، وقراءة الفاتحة، والركوع والطمأنينة فيه، والاعتدال والطمأنينة فيه، والسجود والطمأنينة فيه، والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه، والتشهد والقعود له، والدعاء لله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ فيه، والتسليمة الأولى، وترتيب هذه الأركان، والموالاة فيها، ومقارنة النية للتكبير.

(٥) كالستارة، والاستقبال، فمن عجز عنه كمن صلى عرياناً، أو صلى في شدة الخوف، إلى غير القبلة، صح الاقتداء به حينئذ لأن صلاته صحيحة مغنية عن القضاء.

(٦) فلو رأى رجلين يصليان جماعةً، وشك أيها الإمام، لم يجز الاقتداء بواحدٍ منهما حتى يتبين الإمام.

(٧) فلا يجوز أن يأتم أحدٌ بمن كان يعتقد بطلان توجهه إلى القبلة الصحيحة.

(٨) أما الورع، فليس المراد منه مجرد العدالة؛ بل يزيد عليه من حُسن السيرة، والعفة، وأما السن: فالمعتبرُ سن من قضى في =

الإسلام، فلا يقدم شيخٌ أسلم اليوم على شاب نشأ في الإسلام،ولا على شاب أسلم أمس، أما النسب فقريش ثم العرب بلا خلاف، والأصح أنّ النسب بالكفاءة كالعلماء والصلحاء؛ والعرب مقدَّمون على العجم، وأما الهجرة فالهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام- أرض العرب - فمعتبرة، فإذا اجتمع عدلٌ وفاسق فالعدل أولى بالإمامة، وإن اختص الفاسق بزيادة الفقه وسائر الخصال، بل ويكره الصلاة خلف فاسق، ويقدم الأفقه، والأقرأ على الأورع، في الأصح لاحتياج الصلاة إلى الفقه والقراءة، وفي العقيدة الطحاوية الفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، ولكن كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

# في اللسان العربي المبين لا مكان

في اللسان العربي المبين لا مكان للكهانة، ولا للسدانة، ولا للتأبيب، ولا للرهبنة، ولا للبطركة، ولا لحبر أعظم[1]؛ ولا حجة، ولا باب، ولا داعي بلاغ ولا مأذون مطلق ولا (مأذون محدود) ولا مُكاسر أو (مأذون محصور)؛ ولا (مؤمن بالغ) ولا (مؤمن مستجيب) وليس لديهم أسقف ولا ناقوص ولا كاهن كما للنصارى ولا موبذ كما للمجوس ولا جالوت ولا شيبور ولا قرن كما لليهود. (حيث لا كهانة في الإسلام)، ولا عجلاً، كما هي عادة الهندوس والفرس المجوس قديماً [2]، في بلاد فارس؛ فإن الزردشتية واليهودية ـ كما هو ظاهر ـ قد تقابلتا عند نضوجهما على صعيدٍ واحدٍ.[3] أو عبدة الأوثان والمعددين، كما كانت في روما؛ وقبلها في أثينا، أو كما هي الحال في الديانات الأرضية؛ حيث يقدس فيها، أو عندهم الكاهن؛ أو الحاكم؛ على أنه خليفة للإله على الأرض**!** والرسول ﷺ، **يقول: «لاتتشبهوا باليهود»**[4]، وليس هنالك في اللسان العربي المبين عصمة، لأحدٍ من البشر، أبداً أبداً، بل هو تسلط البعض، وإدعاؤهم بذلك ليس إِلَّا، ولكن عند العرب، وفي اللسان العربي المبين، فإنه لا سبيل إلى تقديس الإمام، أو الوالي، أو

---

(١) الحبر الأعظم: لقب منحه أول مرة إمبراطور روما في القرن الخامس الميلادي إلى أسقف روما، وهذا اللقب يعني بابا العالم المسيحي. (أو راعي العالم المسيحي)

(٢) جاء في كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي بتحقيق محمد الصباح ص٩٨ أن السامري كان من قومٍ يعبدون البقر؛ ولهذا صاغ عجلاً، وفي الصفحة ١٥٦ قال: الشيبور هو البوق عند اليهود.

(٣) بل اليهودية، والزردشتية، وغيرها من العقائد الوثنية، بما فيها اليزيدية الفارسية القديمة، الأصل أنها خرجت من المجوسية؛ المنحرفة أساساً عن ديانة بني إسرائيل القبائل العربية القديمة، الديانة التوحيدية (الإسلام) في الفرع الذي تفرع إلى بلاد فارس والهند. هذا ما أثبتته الدراسات الحديثة جداً. فالقبائل العربية التي نبعت أولاً من البادية العربية قد توزعت في العالم، المؤلف.

(٤) كتاب ثمار القلوب ص٢٨٢ دار البشائر دمشق.

الحاكم أبداً أبداً، وإنما هي عاداتٌ، أو طقوسٌ، ومراسم فرعونية قديمة، من مخلفات عصور الانحطاط، العصور التي تدنى فيها الوعي عند العرب إلى أدنى مستوى. إن الفهم العربي للنص القرآني، يُوحى به للعقل الإعرابي، والوجدان العربي، السليم الحنيف، وهو ينبع منه، من كل مؤمن بالله إيماناً صادقاً، إيماناً حقيقياً، قال تعالى: ﴿ **فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ** ﴾ [الواقعة: ٧٨-٧٩]، فكل عربي معنيٌ بالفهم ومعنيٌ باليقظة والوعي، وهذا الأمر فرض عين وليس فرض كفاية؛ هذا الأمر ليس وقفاً على ماسمي برجال الدين. فليس في الإسلام رجالُ دين، بل إن مفهوم رجال الدين ورد إلى الإسلام مع ما ورد إلى حياة المسلمين، من بدع أهل الكتاب، ففي الإسلام الصحيح كل مسلم ذكراً كان أم أنثى، هو رجل دين؛ لأن مفهوم رجال الدين، مفهومٌ ورد إلى المسلمين من اللاهوت، والكهنوت، وكذلك فمفهوم الشيخ، ليس من أساس الدين الإسلامي، بل هي مرحلة عمرية، ووظيفة عشائرية ليس إِلَّا، وفي الدين الإسلامي أساساً لا يوجد رتب دنيوية أبداً، قال ﷺ «**رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره**» بل ليس في الإسلام إِلَّا عالمٌ أو متعلم، ولا ثالث لهما أبداً. وقد حدد لنا رب العالمين صفة العالم الإيماني، تحديداً دقيقاً لا لبس فيه؛ قال عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهذا يعني أنه كلما ازداد الإنسان خشيةً من الله سبحانه وتعالى، رفعه الله إلى أعلى مراتب العلم وأطلعه، وأوصله المراتب العليا، وليس الأمر، أمر العلم بإطالة الذقون، ولا بلبس المسوح، ولا ينتهي التكليف بمجرد الاستياك بالمسواك، لكنَّ المطلوب هو الفهم والوعي، إن الفهم العربي للنص القرآني يجب أن يكون غاية كل عربي ومسلم إذا وعى، ويجب على كل عربي أن يفهم ويعي، وأن يفتش، ويبحث، وأن يعمل، ويُنتج، ويُفيد؛ وهذا التكليف إلهي، ورباني، أساساً، وهو الأمر المضيّع.

فبالفهم العربي للنص الإلهي، يمتلك الإنسان العربي قوةً هائلة، ويتحول إلى قوة عظيمة حقيقية، إن الفهم العربي للنص الإلهي هو الجوهرة الثمينة والمفقودة والضائعة التي ينبغي على كل عربي مؤمن ولا يزال لديه أدنى إحساس بالانتماء لعروبته ولوطنية العربية المؤمنة، العزيزة والغالية، فعلى كل عربي من هذا المستوى، أن يبدأ بالبحث عن جوهرته المفقودة، وهي الفهم الصحيح، والحقيقي للنص الإلهي، إن إيجاد الفهم الحقيقي كفيلٌ، أيُ كفيل في حل جميع الهموم العربية الداخلية والخارجية، إن الفهم الحقيقي، لن يعني بحالٍ من الأحوال، سلفية الفكر، أو المنطق، أو السلوك، بالمفهوم الشكلاني المعروف، كذلك لن يعني بحالٍ من الأحوال، صوفية الطريق، ولا شيعيِّته المُسَيَّسَةُ، أبداً، وإنما هي دعوى مطلقة، ومفتوحة لكل مؤمن عربي في العالم، عاقل فاهم، مدرك، واعي، يقظ؛ لأن ينظر في كتاب الله سبحانه وتعالى، نظرة عربية بعقل عربي، وفهم عربي، وإدراك عربي، ووعي عربي، مشع، مضيء، معطاء، مبدع، ممتلئ، عنفواناً وعلماً، وذلك كما أمرنا ربُنا عز وجل. قال تعالى في القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢]، وهذا يعني أنَّ فرعون كان قد أذلَّ بني إسرائيل، وحولهم إلى عبيدٍ له، يأتمرون بأمره؛ ويريهم مايرى، ظناً منه أنه يهديهم سبيل الرشاد! قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٣]، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٢٩]،عن طريق الطقوس والمراسم الفرعونية؛ التي ألزمهم بها، هذه الطقوس، والمراسم إن وجدت؛ فهي قادمةٌ من جهة الفرس، والرومان، واليونان، والهند، والصين، وغيرها من الحضارات المُعدِّدة[١]، قال

(١) لاشك أنَّ عبارة (الحضارة الرومانية) التي اعتاد الكثيرون على ترديدها بفضل الدعاية الأوروبية لها ولكنها عبارة =

تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨]، ولفظة إمام، كما أوضحه القرآن الكريم، كانت، خاصة بالأنبياء، والمرسلين مع كتبهم، ورسائلهم السماوية، قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر: ٧٩]، وهؤلاء قوم لوط على الطريق الواضح والمعروف (تعرفونه) قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس: ١٢]، أي في كتاب واضح، ومعروف، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

---

تنطوي على الكثير من الخداع والتضليل والأباطيل، إذ إنَّ الرومان لم يكونوا حضاريين مطلقاً، ولا هم بنوا حضارة بمعنى الحضارة، أبداً بل كانوا مجرد محاربين مهاجمين محتلّين، وكانت إمبراطوريتهم واسعة ولكن بفعل السيطرة وإخضاع الشعوب بالقوة العسكرية وفقط... وهي لم تكن حضارة بناء ولا حضارة قيم ولا حضارة مبادىء أبداً بل إمبراطورية عسكرية مهيمنة على الشعوب وقد أخضعتهم بالقوة! فهي إمبراطورية لا دين لها؛ وكان باني روما مهندس دمشقي!

## قضية كتابة وترجمة وتحقيق الكتب أهم من هامة

الناس يخلطون، وقضية كتابة وترجمة وتحقيق الكتب من أهم الأمور: والحقيقة أنَّ النصر كان حليف المسلمين العرب عندما كان لهم كتابٌ واحد؛ بينما اندحروا وانهزموا وتبددت جهودهم وتبعثرت هممهم وتلاشت عزائمهم عندما تعددت الكتب لديهم، وصار إلههم هواهم وضَّيعوا الهدف الأساسي ؛ فكيف صار الناس، العرب المسلمون، العامة والخاصة، ومع مرور الزمن، يخلطون بين الحافظ المقرئ المجوِّد للقرآن الكريم، وبين العالم المفكر الدارس لكتاب الله بعمق، والمطلع بنطاقٍ واسع على سنة رسول الله ﷺ ، الفاهم الواعي المؤمن الحكيم، الذي يخاف الله سبحانه وتعالى، الخبير المرجع الذي يُرجعُ إليه عند الإشكالات، التي قد تنشأ عادة في سياق الحياة، العالم المطلع الباحث المناط بعلمه الفهم الصحيح والأقرب إلى الحق، الذي يُسمَعُ رأيه ويستفاد من تجربته؛ ويُؤخذُ بحكمته، ويُركن إلى نصحه وإرشاده؛ وكيف صاروا يخلطون، في هذه الأيام، بينه وبين الشخص الذي قد يكون عبارة عن مدقق لغوي ممتاز؛ أو أنه مجرد مصحح في جريدة، أو هو تقنياً مجرد صحافي ناقل للأخبار، أو محرر للنصوص، أو معلم ابتدائي محترم للأطفال، أو مدرس جيد لليافعين، أو غيرها من الأمور المهنية الوظيفية البحتة، كالطبيب والمهندس والمحامي! فمع احترامنا الشديد لهم جميعاً ولجميع الناس، إنما هذه الشهادات المهنية؛ لم تعد تكفي، لتأهيلك، لتجعل منك عالماً علامة! إذا كان لا يوجد لديك هم كبير وشامل، يدعو، أو يدعوك؛ إلى النهوض بالأمة، وإلى تقدُّمها، وإلى رقيها، وإلى تحرير الوطن من أثر الخرافة والتخلف، فالعلم ليس في أن يتحول الإنسان إلى قاموس، أو معجم متنقل! ينشط الذاكرة أو أن يصبح حاويةً للمعلومات، أبداً، بل كان هذا في الماضي، الآن ومن محاسن أو من إيجابيات الأجهزة

الحديثة؛ أنها كشفت أولئك الذين كانوا ولا يزالون يدعون العلم، فقد أصبح الآن أبسط جهاز حاسوب، يمكن أن يُغنينا عن ألوفٍ من دعاة العلم أولئك!! فاليوم وعلى قرص ليزري واحد يمكنك الاطلاع على الكثير من الفتاوى في التاريخ، ويمكنك سماع العديد الخطب العصماء، من العصر الجاهلي إلى الآن! ويمكنك قراءة كتب التاريخ، وكتب التفسير، المفيدة وغير المفيدة![1] ولكن كيف صار الناس العرب والمسلمون، في بلادنا يخلطون بينهم، وبين العلماء الحقيقيين، المفكرين الحقيقيين، والنُّقَّاد المبدعين الحكماء الباحثين المتبصرين، الذين يمتلكون من الله سبحانه وتعالى حساً عالياً بالمسؤولية، ولديهم رؤية هامة، تحمل هماً ليس بهم خاصة؛ بل للوطن وللمجتمع وللأمة بأكملها! وعندهم ولديهم آراء مفيدة،

(١) الحقيقة أن كتب التفسير التي بدأت في مطلع القرن الرابع للهجرة مع ابن جرير الطبري كانت وبالاً على الفهم الصحيح لكلام الله سبحانه وتعالى، وتحويلاً عنه إلى جهة معاكسة تماماً، لأن كلام الله سبحانه وتعالى المنزل إلى عباده، لا يحتاج ولم يكن يحتاج إلى تفسير...! بحيث عملت تلك الكتب على اعوجاج الخطوط التي كانت مستقيمة! إنها كانت محاولات لاستبدال الصح بالخطأ؛ كما كانت قد فعلت من قبل كتب التوراة التي كتبها اليهود بديلاً عن التوراة الحقيقية التي أنزلها رب العالمين وكان فيها كلامه جل جلاله، والأناجيل التي كان قد كتبها الكتبة بديلاً عن كتاب الله سبحانه وتعالى، لقد قامت كتب التفاسير وكتب الحديث بالدور نفسه؛ فعطلت بذلك العقول وقادتها إلى مداخل دخيلة إلى العطالة والسقم، وذلك منذ مطلع القرن الرابع للهجرة، وإبَّان انهيار الحكم الأموي وتسلط الأعاجم، لقد عملوا على استبدال اللسان العربي المبين بما هو غير مبين وغير واضح والمتناقض، وتمموا تلفيقهم بكتب أدعوا أنها صحيحة وهي غير صحيحة البتة!! إنها كتب الناسخ والمنسوخ وكتب أسباب النزول، التي صنعت لإتمام الروايات المصنَّعة في الفيلم الذي أخرجه الطبري! بل كانت تلك الكتب تتمة لمشروعهم الذي كان يهدف لاستبدال الدين الحنيف بآخر غير حنيف؛ فهل كانت هذه المحاولات محاولات مقصودة؟! وكمثال على ذلك فإنَّ سور المعوذات التي كانت في اللسان العربي المبين تهدف إلى تحويل الإنسان من حالة العطالة والسكون والوجوم والاستسلام والانقياد للواقع الذي كان واقع ذل وخنوع وتبعية وشرك وإشراك بالله وتسلط وهيمنة للأقوياء على عباد الله كانت هذه السور الكريمة والعظيمة عبارة عن دعوة للثورة والانقلاب والرفض لكل أشكال الهيمنة والسيطرة والتبعية التي كانت مفروضة من كل الجهات، الداخلية والخارجية؛ فكيف ساقوا المعاني في سور المعوذات إلى الشكل الذي أعادوا فيه الإنسان إلى حالة العطالة والسكون والقبول والتطبيع والرضى بكل أشكال التسلط والهيمنة والتبعية.

وأفكار ضرورية أحياناً للناس لإرشادهم، وإفتائهم في حياتهم، ولدلهم لمن خرج عن طريق الحق، أن يعود إلى الطريق الصحيح؟ نظراً لما لديهم من خبرة وعلم وتجربة! قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٣٠]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧]، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة: ٩٣]. فالإحسان الوارد ذكره في القرآن الكريم، بصيغٍ متعددة، ٥١ مرة، كان يهدف في أكثر الحالات، إلى دفع الناس إلى ضرورة بذل جهودهم في سبيل إيجاد مجتمع إنساني مؤمن، حضوري، وحضاري يتمتع بعلاقات إيمانية راقية، وخلاقة واعية، ويتجلى ذلك من خلال ارتباط، وربط الإيمان، في القرآن الكريم، بالعمل الصالح، فالإيمان وحده لا يكفي؛ بل يجب ربطه بالعمل الصالح. وقد ورد لفظ الصلاح، والعمل الصالح حوالي ٨٢ مرة، فأين سيُمارسُ العمل الصالح؟، ومن سيُشكِّل الطرف الآخر في هذا التعامل؟؛ قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال:١]، وأين سيُمارس المؤمنون اعمالهم الصالحة؟ لابد من حيِّز؛ لا بد من مجموعة بشرية تستوعب أو تتلقى العمل الصالح؛ هذه المجموعة أياً كان شكلها فإنها تُدعى الوطن! لأنه لا بدَّ للإنسان من وطن، وذلك بغضِّ النظر عن ماهية هذا الوطن، فكل إنسان في العالم، في ذهنه، وفي قلبه ووجدانه، وفي عقله معنىً منفرد عن الوطن، يجب أن يكون؛ وهو يفهم الوطن بطريقته الخاصة؛ ما يُمليه عليه إيمانه، قيمه ومبادئه وعيَهُ

وفهمه وثقافته وعلمه ومعرفته، فهل كان وطن العربي المسلم بلا حدود؟ وهل قضية كتابة وترجمة، أو قضية تحقيق الكتب، الدينية، والتاريخية والتراثية العربية، هل هي قضية غير هامة، إلى هذا الحد؟! هل هي بسيطة وسهلة إلى هذه الدرجة؟ أو هل هي مجرد مهنة من المهن العادية؟! وهل هي غير هامة للدين والدنيا وللأمة وللوطن، إلى هذا الحد الذي أصبح فيه كل من هبَّ ودبَّ، يبادر بكل بساطة وجرأة، إلى الإدلاء بدلوه؟ فيعمل في كتابة، أو ترجمة، أو تحقيق الكتب، وتصنيف الكتب والمجلدات؛ التي باتت تُضَخُّ، وتُقدم بسخاءٍ إلى العقل العربي المسلم، وإلى المكتبة العربية الإسلامية، ورقياً، وألكترونياً؟ ولم نعد ندري من هو القائم أو من هم القائمون على تلك المشاريـع، ما إذا كانوا يهوداً أم عـرب؟ (مثلاً المشروع الاستشراقي لجورجي زيدان، مطلع القرن العشرين، وجرجي زيدان[1] هذا كان

---

(١) في كتاب عن جورجي زيدان، بعنوان (جورجي زيدان في الميزان) قام الكاتب بتقديم دراسة ساذجة، شعبية، سطحية، بسيطة، وعاطفية لم يتطرق خلالها، إلى البحث المُعَمَّق عن شخصية جورجي زيدان، واستسلم إلى الدعاية التي قالت أنه لبناني، وهذا غير صحيح أبداً، فالثابت أن جورجي زيدان هذا كان مستشرقاً إنكليزياً عمل كضابط ارتباط في الجيش الإنكليزي، الذي عمل في الحملة على جنوب السودان عام ١٨٨٤م، وصار مستشرقاً، وقد قيل أنه (وفي سنة ١٨٨٥ عاد إلى بيروت من مصر! فانتخب عضواً في مجمع الشرق، وهناك تعلم العبرانية، والسريانية، وأتقنهما وأضاف إليهما بعض اللغات السامية!!!، وقيل أنه في سنة١٨٨٦ زار جورجي زيدان إنكلترة وجال جولة مفيدة في متاحفها ومكتباتها الشهيرة.. وفي شتاء العام نفسه عاد إلى مصر؛ حيث طلب منه أصحاب مجلة (المقتطف) إدارتها، ثم أنشأ مجلة خاصة ١٨٨٨ أسماها (الهلال) وألف كتاب (تاريخ مصر الحديث)! وكان قد ألف أول كتاب ١٨٨٥ بعنوان الفلسفة اللغوية. وله أول رواية وهي المملوك الشارد تُوفي ١٩١٤، له تاريخ مصر الحديث، تارخ التمدن الإسلامي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الماسونية العام، تراجم مشاهير الشرق، التاريخ العام، تاريخ إنكلترا، تاريخ اليونان والرومان، وكتاب أنساب العرب، الفلسفة اللغوية، تاريخ اللغة العربية، علم الفراسة الحديث، طبقات الأمم، عجائب الخلق، وكتاب تاريخ آداب العربية في أربع أجزاء واثنتين وعشرين رواية تدور حول تاريخ العرب من الجاهلية وفي الإسلام، منذ الفتوح إلى العصر الحديث؛ (عن مجموعة تراث الإنسانية، المجلد الثامن، دار الإرشاد الحديثة، القاهرة، بقلم محمد عبد الغني حسن) والمتأمل يستطيع التعرف إلى حجم الخدمة التي قدمها أمثال جرجي =

مستشرقاً إنكليزي الأصل كانت مهمته أولاً أن يعمل كضابط إستخبارات مع الجيش الإنكليزي في جنوب السودان، ثم مكث في مصر أثناء الإحتلال الإنكليزي لمصر؛ ثم ظهر له أصل عربي! وأصبح لبنانياً، وهو ليس لبنانياً، ولا عربياً، بل هو مستشرق إنكليزي، وقد يكون يهودياً، كانت له مهامٌ في بلاد العرب والإسلام، أدَّاها بشكل جيد! وهوالذي أشرف على كتابة التاريخ العربي والإسلامي(١) من جديد مطلع القرن العشرين وتحقيق أكثر

زيدان للعرب المسلمين، هذه الخدمة؛ التي انحصرت أولاً في هدف أساسي وهو تبديد ثقة العرب، بالعرب والإسلام، وثانياً كانت تهدف إلى تحطيم الدولة العثمانية وتمزيقها؛ بداية ما سُميَّ بعصر النهضة، لقد شكلت كتب جرجي زيدان ومقولاته (الهارد) الذي انطلق منه أو انبثق عنه، الوعي الحديث للعرب المسلمين، الوعي المجهض، للمسلمين العرب، الذي كان مقرراً له أن يولد وهو ميت، وبالأحرى شكلت هذه الكتب الإعاقة بالفهم، والإضطراب، والتشويه في الرؤية، عند العرب المسلمين وقد شكلت هذه الكتب بداية النهاية بالنسبة للحلم العربي، الحلم الذي كان من المؤمل له أن يتحقق لو استمر بشكله ووضعه الطبيعي؛ هذا الحلم بالتغيير والنهوض والثورة، الهدف الذي كان يحلم به، وكل عربي يعلم أن نشاطات المستشرقين، نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، كانت مقدمة وتمهيداً (لسايكس بيكو، المؤامرة الإستعمارية الصليبية اليهودية، التي حالت بين العرب وبين تحقيق حلمهم العظيم بالنهوض والتقدم) لقد أسهمت كتابات جورجي زيدان وتلامذته من عرب الجلد والعظم في تأجيج روح الطائفية والفئوية والإقليمية بين العرب المسلمين، لقد بذرت كتابات جورجي زيدان بذور الشر والعداء للعرب المسلمين عند العرب أنفسهم، بمختلف فئاتهم، وقادت بعضهم بعد تجهيلهم للعداء على العرب المسلمين.

قال أحد الكتاب في معرض شرحه للتصورات، أو السيناريوهات السياسية المطروحة، والمتوقعة للمنطقة العربية والمسلمين، إبان الحديث عن العولمة والشرق أوسط الجديد: إننا لو وقفنا، مطلع القرن العشرين، ننظر إلى المنطقة العربية، لما استطعنا أن نتخيل، في ذلك الوقت، أن العرب سينقسمون إلى اثنتين وعشرين دولة، وإلى هذا العدد الهائل من الشراذم والفئات، والكيانات، والأحزاب والتنظيمات المتناحرة؛ المرتبطة والتابعة، والتي تُدار عن بعد؛ وقال: كذلك فإننا لانستطيع، ولن نستطيع في هذه الأيام أن نتصور ما يُراد للعرب المسلمين من تمزيق يقتضي تجزئة المجزأ وتفتيت المفتت، والعرب اليوم هائمون، لا يدرون ما يُفعل بهم، وما يُراد لهم، وكأن الأمر لا يعنيهم!

(١) يقول المؤرخ الأوربي غير اليهودي، أرنولد توينبي: في كتابه القيّم مختصر دراسة التاريخ، في الجزء الثالث، صفحة١٠٤، ما يلي (وإننا لنجد للتقويم المسيحي، وقت كتابة هذه السطور؛ السيادة على جميع العالم؛ ولا ينازعه مكانته سوى منافس خطير! هو التقويم الهجري الإسلامي(...!)، وقبل ذلك كان يقول..ومن قبيل المثال ولادة =

السيد المسيح، فلا يوجد دليل على ولادته بالفعل في السنة الأولى من العصر المسيحي، بل إن عبارة (العصر المسيحي) لم تُتداول وتألفها الأسماع إلَّا منذ القرن السادس الميلادي، وبذلك لا يوجد برهان على تأسيس مدينة روما عام ٧٥٣ ق.م كما هو معروف، أو عن إقامة أول احتفال أوليمبي عام ٧٧٦ ق.م، وهو التاريخ المتواتر وأضعف من ذلك ما يزعمه اليهود، عن خلق الدنيا يوم ٧ أكتوبر سنة ٣٧٦١ ق.م(!)، أو ادعاء المسيحية الأرثوذكسية أنه تعالى قد خلقها يوم أول سبتمبر سنة ٥٥٠٩ ق.م، أو زعم الأسقف الإنكليزي الايرلندي، بأنها قد خلقت الساعة السادسة من ليلة ٢٣ لأكتوبر ٤٠٠٤ ق.م، وما يزال اليهود بعنادهم المعروف، ينسبون تقويمهم رسمياً على أساس تقديرهم بداية الخليقة).أ.هـ والواقع أنه لا وجود لتقويم ميلادي حقيقي، وإنما كان للرومان تقويم بدأه يوليوس قيصر، أخذه عن المصريين، وفي بداية القرن السادس منه، حصل خلاف، واختلاف حول التقويم، فرفع ذلك الخلاف إلى الإمبراطور (غريغور) الذي كان شديد التدين، فأمر في حينه، بتقديم السنة ستة أشهر، من أجل مطابقة وقت جمع الضريبة مع وقت جني المحاصيل وطبيعة المواسم الزراعية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، كما أمر بتبديل تسمية التاريخ الروماني إلى التاريخ المسيحي! ومنذ ذلك الحين، صار يقال بدل ميلاد القيصر ميلاد المسيح، وهكذا صار اسمها السنة الميلادية المسيحية، بدل السنة الرومانية، وكان ما يعرف بالتاريخ الغريغوري. والملفت للنظر في هذا السياق هو أنَّ الشك لدى الأوربيين، وخصوصاً الباحثين منهم؛ كان دائماً يحوم حول الكتب الدينية خاصة التوراة، والإنجيل، عن نسخها المتعددة، والمتباينة، والمتناقضة، في كثيرٍ من الأحيان عن صحتها ومدى مصداقيتها، كونها كانت قبل عصر الكتابة، أي قبل التاريخ المدون، ولكنَّ هذا الشك، لم يطل بحالٍ من الأحوال مقولات سقراط أبداً، ولا كتب أفلاطون الثلاثة!، ولا أعمال أرسطو، ولا حديثهم المبكر عن الديمقراطية!!!، وينظر إلى تاريخ الفلسفة اليونانية عموماً على أنه ماهيات غير قابلة للنقد! وذلك ربطاً باليهودي اسبيينوزا الذي تمت له الدعاية اليهودية غير المباشرة؛ إلى آخر ما هنالك من سلسلة للفلاسفة الذين كان أكثرهم من اليهود، أو أن أكثرهم كانوا قد تفلسفوا بوحي من التوراة اليهودية، والتلمود، والذين عملوا من خلال فلسفاتهم، على مد الجسور، لتعميم قواعد، وأصول الفكر اليهودي في العالم، منذ مطلع القرن الخامس عشر، كما عملوا على تأصيل هذا الأمر، في العقل والفكر والوجدان البشري العالمي لدى الشعوب، ومعروفٌ كيف لاقت تلك الفلسفات الدعم، والدعاية الجمة، من إعلام وإعلان مكثف، لنشرها في أنحاء العالم وعلى مدى قرون من قبل المؤسسات الإعلامية والثقافية اليهودية العالمية، ودوائرها المنتشرة في أنحاء العالم؛ وإعادة التأكيد عليها، وذلك (لتبشيم) معلوماتها و تثبيت مقولاتها، لتصبح غير قابلة للتغيير، أو التبديل، أو التصحيح؛ إنّ الكتابات الأوربية عموماً عن التاريخ القديم، يمكن وصفها على أنها كتابات موسَّعة بشكل غير طبيعي، وهذا أكبر دليلٍ على أنها كانت قد كتبت لاحقاً وحديثاً، أُعدت ورُتبت ونُظمت في أواخر القرن التاسع عشر،،وأنها نسبت إلى الماضي السحيق! وأكبر دليلٍ على ذلك هو أنَّ تاريخ الفلسفة اليونانية خلوٌ تماماً ومطلقاً من ذكرٍ للأنبياء أو المرسلين، فكيف يغفل الحكيم سقراط؛ وتلميذه أفلاطون، وتلميذه أرسطو، وغيرهم من =

الفلاسفة اليونانيين، كيف يغفلون عن ذكر نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، أو إدريس، أو إسحاق، أو يعقوب أو موسى، أو هارون، أو لوط،، أو ذو الكفل، وغيرهم وغيرهم من الأنبياء، ويؤكدون أنَّ سقراط عاش ما بين (٤٥٠-٣٩٩ق.م)، وأنَّ أفلاطون عاش ما بين(٤٢٨-٣٤٧ق.م)، وأنَّ أرسطو عاش ما بين(٣٨٤-٣٢٢ق.م) ويسهبون في تأريخ الفلسفة اليونانية، والتاريخ اليوناني الذي تمّ تفصيله وفق مسطرة الإدعاء اليهودي؛ وعلى مقاس التوراة اليهودية! فهل قرأ أحدٌ كتاب (الجمهورية لأفلاطون) هل لاحظ أحدٌ أن هذا الكتاب لغته الحديثة تؤكد أنه وضع في الثلاثينيات أو الأربعينيات من القرن العشرين! ولعمري فإنَّ المرء لا يستطيع تخيُّل الطريقة التي وضِّبتْ فيها هذه المقولات، وهي مكتوبة بأسلوب ما بعد الحداثة، أو بلغة ما بعد الحداثة، إنّ كتب أفلاطون عبارة عن اختراع يهودي خالص، وفيه الكثير من مقولات الفكر السياسي التي تنتمي للعصور المسيحية الوسطى، وهو يتحدث بشكل غير مباشر عن نظام سياسي أحدثه الإسلام، ولم يكن معروفاً قبل الإسلام أبداً، لأنه كان سلوك الرسول العربي أولاً، ثم انتقل إلى أن أصبح سياسة الملوك والرؤساء وقبل ذلك لم يكن معروفاً أبداً، مثل مقولة (المواطنون سواءً أمام القانون)، فالرسول ﷺ هو أول من قال: «الخلق كلهم عيال الله وأقربهم إلى الله أنفعهم إلى عياله»، ومقولة (يجب العمل على إيجاد وسيلة لمنع وعدم وصول أصحاب الكفاءات المعدومة والماكرين، لمنعهم من الوصول إلى المناصب العامة، ويجب إعداد أفضل الرجال ليكونوا حكاماً وأمراء لمصلحة الجماعة) المذكورة في كتاب (الجمهورية لأفلاطون) هذه المقولات بقضها وقضيضها مسروقة من الفكر السياسي الإسلامي، إنَّ علم السياسة كما هو معروف كان وليد العصر الإسلامي الأول، وقد انبثق أولاً عن سلوك الرسول الأعظم ﷺ، عن إدارته ﷺ، للدولة الأولى التي أقامها للمسلمين، في المدينة، إن السياسة كانت في البداية، علم محاكاة لسلوك الرسول العربي الأمي في تلك الفترة، بينما لم تعرف المجتمعات البشرية سابقاً، ولم تصل إلى هذا المستوى من السلوك السياسي، لقد كانت المجتمعات البشرية، قبل ذلك، مجتمعات بدائية، في شكل وأسلوب حكمها وفي سياساتها! وهناك فرق بين (مدينة الدولة) و(دولة المدينة) إنَّ الرسول ﷺ قد أقام للمسلمين، للأمة، للوطن الموجود، دولة في المدينة، بينما ما كان يحصل قبل ذلك في الدول والممالك والإمبراطوريات المعروفة،هو العكس تماماً، حيث كانت تقوم الدولة ثم يُضم إليها الشعب بالقوة! (الإمبراطوريات) والأمر لا يحتاج إلى براهين، ولا إلى كبير عناء للإثبات.. فتحية عربية للإمام البخاري العربي الأول، لقد كان الإمام البخاري بحق أباً للتاريخ الإنساني عامةً فقبل البخاري، كان التاريخ البشري، عبارة عن أساطير، وحكايات وادعاءات، وخرافات، وأخبار آتية من الماضي لا ضابط لها، ولا يمكن بشكلٍ عام التفريق بين ما هو صادق من تلك الأخبار، وبين ماهو غير صحيح منها، بين ما حدث فعلاً وبين ما لم يحدث، بين ما قيل وبين ما لم يُقال، إن عبقرية الإمام البخاري رحمه الله تعالى تكمن في كونه أول من أشار إلى ضرورة وضع ضوابط وشروط ومقاييس وموازين أو مسطرة، نعرف من خلالها كيف نفرق بين ماحدث فعلاً وبين ما لم يحدث، أو بين ما قيل، وبين ما لم يُقَل، إن هذه الفكرة، غيرت وجه التاريخ والحياة العقلية البشرية، وأثرت تأثيراً بالغاً في الحضارة الإنسانية، =

والفكر البشري، ودفعته نحو الكمال وقبل أن يكتشف البخاري، أو قبل أن يشير البخاري أول مرة إلى ما سميّ علم مصطلح الحديث، وفي ما بعد علم مصطلح التاريخ، كان الفكر البشري يسبح في الأوهام والأساطير، لم يكن الفكر البشري بنّاءً، لم يكن الفكر البشري قادراً على الوقوف، لم يكن هناك ذاكرة بشرية حقيقية، ولم يكن هناك وعيُ أو انتباه، أو يقظة لضرورة التحقق من التاريخ، لأن الوعي والمعرفة والعلم، هو الحامل الحقيقي للذاكرة وبالتالي فإن البخاري هو أول من أشار في العالم، وأول من نبه، وأول وضع شروطاً أو مقياساً أو قاعدةً، لصحة الأخبار الآتية من الماضي؛ وهنا تكمن أهمية عمل وإنجاز الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وفضله على الفكر البشري عامة، الأمر الذي لم يتنبه إليه العرب، ولم يلتفتوا إليه مطلقاً، ولم يتابعوه فيه، إذ كان من المفروض أن يقوم علماء العرب والمسلمين، بمتابعة هذا الإنجاز العلمي للإمام البخاري، وعدم الاكتفاء بتمضية وقتهم وتأمل كتابه الثمين والذي كان قد سماه، ويجب الانتباه إلى اسم الكتاب الأساسي وهو(ما صح عند البخاري من حديث رسول الله ﷺ) وقد صُحفَ اسم الكتاب، فصار يدعى صحيح البخاري! وهذا فيه تجنٍ على مراد الإمام البخاري رحمه الله، إن من المهم بمكان الانتباه إلى اسمه، أو عنوانه الأساسي، الذي وضعه البخاري بنفسه؛ كان البخاري عالماً بحق، وأستاذاً في علمه، ويحترم علمه، ويعمل لله تعالى، لا لمنصبٍ أو لجاهٍ أو لعارض دنيوي، لأن هذا الكتاب النفيس، بالمقاييس العلمية، كان عبارة عن تطبيقات قام بها الإمام البخاري، لتجسيد نظريته العظيمة في التاريخ، بينما كان تاريخ ما قبل التاريخ جزافاً، أو يتخلله الكثير من التجديف أو التزييف ما يعزز ذلك، هو القول بأنَّ الاحتمال واردٌ بأنّ السيد المسيح الذي في القرآن الكريم، هو غير السيد المسيح الذي في إنجيل القديس بولوس، هو أنّ لفظ (المسيح) عربي قديم، وهو آرامي كنعاني، وكان هذا اللفظ يعني (المتنبئ) وكل متنبئ كان يقال له مسيح، ولذلك كانت قبائل بني إسرائيل من العرب العاربة، باستمرار تنتظر مسيحاً؛ أو هي موعودة بمسيح دائماً، ومن هنا جاءت أسطورة (المسيح المنتظر!) وهي أسطورة قديمة، وقديمة جداً، نشأت عند القبائل العربية العاربة، أو بني إسرائيل في بلاد الشام والعراقين، والتي كانت كثيراً ما تأتيها الأنبياء المرسلين من الله سبحانه وتعالى، في شتى البقاع، وباستمرار، فتعودوا على انتظار نبي، أو مسيح. ونشأت هذه الأسطورة بينهم، ثم سرقها اليهود لاحقاً، أبان انفلاتهم من الأسر العربي والعبودية للعرب، نعم سرقوا هذه الأسطورة، مع ماسرقوه من التراث العربي لبني إسرائيل العرب، وادعوه؛ وصاروا ينشرونها! وكذلك أدخلوها إلى عقول عامة المسلمين، بصورٍ شتى، وصار يقال، عند المسلمين عن مجيء مسيحٍ دجال؛ قبل المسيح المنتظر، مع أنّ القرآن الكريم ينفي العودة بعد الموت عن كل الموتى، إلى يوم البعث، اليوم الذي سيبعث فيه الجميع، قال تعالى عن سيدنا يحي: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾[مريم: ٣٤]. إن زمن الآراميين بعيد جداً وهو أبعد بكثير من زمن الاحتلال الروماني والفارسي لأرض العرب، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الاكتشافات الآثارية تثبت، أن كثيراً من الآثار واللقى تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى وجود المسيح في زمن أقدم بكثير من زمن الرومان، كما أشار إلى ذلك، فراس السواح، =

المخطوطات، وهو الذي كتب للعرب تاريخهم من جديد، وأدخل في عقولهم ما كان يريد، من تعميق الخلافات، وزرع بذور الطائفية، وتأجيج نار الحقد بين الفئات العربية، معتمداً على التخلف بالوعي الذي كان يلف المنطقة والذي كان عامَّاً لدى جميع الأطراف في ذلك الوقت؛ ودون أن ينتبه العرب المسلمون، كان المثقفون من كل المستويات يعتدّون بقراءتهم لكتب جرجي زيدان، في التاريخ الإسلامي ويستسلمون لمقالته ولتحقيقاته التاريخية، لقد شكلت مقولات جورجي زيدان (الهارد) بالنسبة لكل المثقفين العرب ولكن هذا (الهارد) كان وظل إلى الآن، يعزف ألحاناً نشاز غير مقبولة، ولا هي منسجمة ولا هي صحيحة ولا هي منطقية، سببت للعرب والمسلمين المآسي، والمحن والخلافات الطائفية والحروب!) فهل كانت مهمة جرجي زيدان هي إغراق العرب المسلمين في المآسي والمحن والأحقاد؟ وإلى متى سيبقى العرب المسلمون، رهينة مقولات جورجي زيدان وأمثاله؟ والكتب التي ربما كان كاتبها، أو مترجمها، أو محققها، لا يدري ما بداخلها، لا يعرف شيئاً عن أهميتها إن كانت

---

في كتابه لغز عشتار، من أنه عثر قرب الرقة، على ضفاف الفرات، على قبرٍ يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد عثر فيه على الصليب، وعلى رقم مكتوبٌ عليها أدعية وقصة للمخلص المسيح، وكذلك قصة مايا مع ابنها بوذا في الهند، ووجود الصليب على باب الهرم في وادي النيل، إن كل هذا ربما كان دليلاً على ما ذهبنا إليه من أن المسيح الذي في القرآن الكريم، ربما كان غير المسيح الذي كان القديس بولوس قد كرز به. إن النصارى العرب الأصلاء، الذين كانوا ولا يزالون، تربطهم بوطنهم رابطة العروبة والإيمان بالله الخالق الرحيم، والتي لا يمكن أن تنفصم أو أن تنحل أبداً، مع المسلمين العرب الأصلاء، الذين يحسون، ويدركون المعنى الحقيقي للعروبة، والذين يؤمنون بالله الخالق الرحيم، إن النصارى والمسلمين العرب بوعيهم على الحقيقة، واتحاد هممهم، بعودتهم للنبع الواحد، يمكن أن يندحر أعداء العرب، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[ المائدة٨٢]، فلماذا لا ينطلق الحوار العربي العربي أولاً؟

هامة! أو عن لزومها إن كانت لازمة، أو عن ضرورتها إن كانت ضرورية دينياً ووطنياً، إلى درجة أن الكتب العظيمة، وتراث الأمة المجيد، قد مُسِخَ وتحول على أيدي أصحاب المصالح، التجار الأميين، غير الواعين لمصالح الأمة الدينية والوطنية الصحيحة، فمُسِخَ وتحول إلى مجرد كتب شعبية تافهة، مغلوطة مغشوشة محشوة بضروب الأهواء الطائفية المدمرة والتي باتت تعرض إلى جانبها وتباع معها كتب الأبراج والحظ والطبخ والتسالي والمتاهات، والكتب الهادرة، والمستهلكة للأوقات والأعمار؛ إن بعض محققي الكتب يغدقون على أنفسهم صفات لا ندري كيف يجرؤ أحدهم على انتحالها، وأكثر الكتب العربية والإسلامية التي تنتشر في هذه الأيام منسوخة، مكررة، أو منتحلة، أو مترجمة، أو هي عملية إعادة جمع للأفكار والمعلومات، في خلطات جديدة؛ لإعادة تقديمها بعناوين وأغلفة ملونة جديدة لشد القارئ؛ طبعاً ليس لنفع القارئ، بل وربما كان الدافع سياسياً تخريبياً معادياً[1]،

(١) هناك عدد هائل من الكتب المترجمة من اللغات الغرْبِيَّة إلى اللغة العربية، وكتبٌ صُنعت، وأعدت، ووضبت، باسماءٍ عربية إسلامية، وهي تحمل في طياتها عداءً سافراً للعروبة والإسلام، ومع ذلك فقد تمَّتْ ترجمتها، وتم طرحُها عبر مؤسسات للنشر عربية، ليتلقفها القارئ العربي على أنها موثوقة! دون أي إشارة إلى مثالبها، دون نقدها، دون الرد عليها، دون بيان حقيقتها للقارئ العربي، كل ذلك كان نتيجة غياب الوعي بالمصلحة الوطنية، ونتيجة غياب روح الإحساس بالمصلحة الوطنية العُليا للأمة، وافتقاد الشعور بسيادة مصلحة الأمة عند كل مواطن مسلم عربي، (بينما كانت المؤسسات الإعلامية في كافة الدول العربية تركز على مصلحة وأمن الحكومات؛) راجع كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد، ت:كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث بيروت.ط١٩٩٥،٥راجع كتاب التناقض في تواريخ وأحداث التوراة إعداد محمد قاسم محمد جامعة قطر١٩٩٢، كذلك فإنَّ الدكتور أبو العلا العفيفي، في تحقيقه لكتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، ا استغرق في عمله الدؤوب هذا أكثر من خمسة وعشرين عاماً، بدأ به ١٩٢٤، وانتهى منه ١٩٤٧، وأنه من أجل تحقيق كتاب واحد لابن عربي، قرأ جميع كتب ابن عربي! التي تُعد أكثر من مئتي كتاب؛ ولكل كتاب عدد من المجلدات، وأنه اطلع ، وقرأ كل ما كتب عن ابن عربي في العالم، سواءً الكتب التي كانت مع ابن عربي، أو تلك التي كانت تنتقد ابن عربي في مختلف اللغات، وأنه رحل وسافر إلى كل الأماكن التي كان قد رحل إليها ابن عربي، من اسبانيا إلى المغرب إلى تونس إلى مصر إلى الحجاز إلى الشام ثم إلى (قونيه) في تركيا، وأنه من أجل ذلك كان
=

قد سافر إلى الهند؛ وأمريكا وباريس ولندن، واسطنبول بحثاً عن المخطوطات، والكتب، ولرؤية الباحثين من مختلف المجالات، والاطلاع على وجهات النظر، كان ابن عربي همه طوال خمس وعشرين عاماً...! وهو من أجل ذلك قام بالاطلاع على الصوفية من ألفها إلى يائها، من منابعها الأولى إلى العصر الحديث، متتبعاً كل متعلقاتها، وكان أبو العلى العفيفي، أساساً دكتوراً في الفلسفة! فخرج على العالم، بعد ذلك بكتاب في غاية الأهمية، محققاً وشارحاً ومعلقاً فيه على كتاب ابن عربي، والحقيقة أن كتابه هذا كان أروع من كتاب ابن عربي ذاته؛ بحيث أنك تفهم منه الصوفية، كل شيء عن الصوفية، وتفهم كتاب ابن عربي، في حين أنك لو قرأت ابن عربي، فربما أنك لن تفهم شيئاً! وكان صبري الأشوح قد استغرق في وضع كتاب (الإعجاز والعبقرية في القراءات القرآنية) صفحاته أقل من ٣٠٠ ولكنه استغرق في صنعه أكثر من عشر سنوات! إنما الحقيقة أنه كان كتاباً غاية في العلم والفائدة، كذلك فقد قرأت بحثاً (حول تفسير البغوي وتاريخ التفسير) ذكر صاحبه أنه استغرق في إعداده أكثر من خمسة عشر عاماً، الحقيقة أنني شعرت بأن الكاتب كان همه وكان يريد في بحثه تقديم الفائدة للقارئ، لذلك كان كتابه كتاباً رائعاً فعلاً.

والآن، وفي هذه الأيام، فإن كتباً كثيرة تطرح في الأسواق العربية في كل يوم، ممهورة باسماء مشهورة، على أنها محققة وموثقة ومعلق عليها، والواقع أنه ذلك، لم يبذل فيها أي جهد! إن تحقيق كتاب كبير مثل كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي) أو (شرح صحيح مسلم للنووي) أو كتاب (تهافت الفلسفة للغزالي) بات لا يستغرق معهم إلَّا بضعة أيام، يشرحون فيه بعض المفردات، على الهامش، ولذلك فإن الكتب التي صنعت قبل ألف سنة، فهي تمر إلى العصر الحديث بكل محتوياتها، بقضها وقضيضها، بما فيها من أحاديث ضعيفة؛ وقصص خرافية وأساطير وروايات توراتية الأصل، وحتى الأشياء غير العلمية فإنها تمر إلى عقول وأفكار الأجيال الحديثة والمعاصرة من العرب المسلمين، على أن كلَّ ما في هذه الكتب أشياء مقدسة؛ صحيحة، لا يأتيها الباطل، وأنه يجب التمسك بها؛ دون نقاش، والحقيقة غير ذلك تماماً لأنه ليس هناك شيء مقدس في الدنيا إلَّا القرآن الكريم، كلام الخالق عز وجل، وأحاديث رسوله الكريم، الأحاديث الصحيحة، ولا شيء غير ذلك. فالدين الصحيح يحضُّ على إعمال العقل والتفكر ويجب عدم قبول تلك الكتب بكل ما فيها، بقضها وقضيضها، بل يجب تنقية التراث العربي العظيم مما لحقه من الأوهام التوراتية، ثم أنّ هذه الكتب يطلع عليها غير المسلمين فيزدادون بعداً عن الحقيقة، ذلك لِما تحتويه بعض تلك الكتب، غير المحققة تحقيقاً علمياً من آثار يهودية الأصل، هذه الكتب يقوم بتحقيقها أشخاص أغرار مبتدئون شعبيون، يتعاملون مع تاريخ الأمة المجيد، مثل ما يتعاملون مع القصص الشعبية! وهم بالأساس غير جديرين بكتابة موضوع إنشاء، أساساً لا نعرف إذا كانوا موثَّقين علمياً؛ لا أحد يعرف عنهم شيئاً، أو اسماء عملت الدعاية على تضخيمها؛ إن الموضوع فيه مصلحة وطنية ودينية عُليا، ويجب أن ترعاه وتراقبه هيئات وطنية ودينية، تقوم على حماية التراث العربي الديني والتاريخي والدفاع عنه، هدفها الحفاظ على التراث المجيد للعرب المسلمين، التراث الذي يجب أن يُصان، وأن صيانته؛ تكون في توعية الناس دائماً، ورفع مستوى الفهم عندهم، وعن طريق فضح وكشف ممارسات أولئك المعادين الذين يعملون على الإساءة للتراث العربي والإسلام. والواقع فقد ظهرت في الآونة الأخيرة، وضمن الخطط والبرامج، التي تعمل على نشر الإسلام الإمريكي، في مقابل الإسلام العربي؛ فإنه =

بغرض الهبوط بالوعي العربي إلى أدنى مستوى، أو كان تجارياً يهدف إلى الربح، والربح فقط، أو كان الهدف للوجاهة وإبراز العلمية للبروز والصدارة، وتحقيق المكاسب والأهداف، الخاصة. والواقع أن المكتبات العربية في هذه الأيام تحفل بآلاف الكتب في مختلف المواضيع، مغفلة، وهي لكتَّاب ومحققين مجهولين لانعرف عنهم شيئاً، أو هي بأسماء عربية إسلامية مستعارة، (مثل المؤلف الذي سمى نفسه أبو موسى الحريري، فشنَّ هجوماً على الإسلام والعرب، بحجة النقد، ثم كشف مؤخراً عن اسمه في بيروت، وإذ لا هو عربي؛ ولا هو مسلم!) وأمثاله كثيرون في دنيا الثقافة والإعلام، والإعلان، ناهيك عن التحول المذهل الذي طرأ على العقل العربي، وعلى اهتماماته(١)، وهمومه الحياتية مطلع الألفية الثالثة.

---

ظهرت بعض العناوين لكتب إسلامية عناوين إسلامية، وأسماء مؤلفين مسلمين في مواضيع مختلفة، في بعض العواصم العربية، ولدى بعض دور النشر العربية؛ وهي ملونة، وأنيقة، وجذابة، ومغرية، ورخيصة الثمن! وقد زينت واجهات المكتبات العربية؛ وهي للكبار والصغار؛ وفيها مواضيع مدروسة؛ بحيث أنها كانت سهلة التناول، مبسطة شعبياً؛ وعُملت لها عالمياً الدعاية اللازمة! الفضائيات، والصحف، والإذاعات الدولية، والوعاظ على المنابر، دون أن يدروا، أنهم قد أسهموا في هذه الدعاية، وهذه الكتب تباع بأرخص من الكلفة؛ والمدهش أن هذه العناوين يباع منها ملايين النسخ، في الدول العربية، في حين أنَّ أفضل الكتب العربية المفيدة في هذه الأيام، لا تحقق مبيعاً يتجاوز ٥٠٠ نسخة سنوياً وذلك على مساحة البلاد العربية قاطبةً.

(١) كتاب الطبخ (الشيف رمزي) طُبع منه، في بيروت، في أثناء الهجوم الأمريكي على العراق، على حد علمي، الطبعة الأولى ٥٠.٠٠٠ نسخة، بيعت جميعها في البلاد العربية، ونفذت خلال الستة أشهر الأولى!!!!!، ثم طبع هذا الكتاب عدداً لا يُحصى من الطبعات بمعدل مئات آلاف النسخ، وإلى الآن لا تزال الطبعات مستمرَّة، وصار له أجزاء وملحقات...وقد شاهدتُ بأم عيني أثناء فترة الهجوم الأمريكي على العراق، شاهدتُ في أحد معارض الكتب العربية، أسرة كبيرة عربية مسلمة، تخرج من باب المعرض وكانت كل سيدة من أفراد هذه الأسرة تحمل نسخة من ذلك الكتاب، ذي الحجم الكبير المميز! (مع أنّ الطباخين المهنيين، والسيدات في البيوت، كلهم قد أعابوا ذلك الكتاب وقالوا أنه ليس عملياً، وإنه كتاب غير مفيد للطباخين والطباخات!) ومع ذلك فقد ضرب رقماً قياسياً في مبيعات الكتب العربية، بينما كتب هامة، تبحث أموراً في غاية الأهمية، وتتعلق بمصير الدين، الوطن، العرب، والإسلام، باتَ يُطبع منها، في أول طبعة، على أكثر تقدير ألف نسخة، فإذا وُزِّع منها في السنة الأولى، خمسمائة نسخة، في كافة أنحاء بلاد العرب والإسلام، عُدَّ هذا الكتاب كتاباً =

........................................................................

ناجحاً (عدد العرب يقرب من ثلاثمائة مليون)! إنَّ هذا الوضع يعكس بوضوح حالة الإنسان العربي مطلع الألفية الثالثة، حالة المواجهة!! والأهم من كل ذلك أن الحرب قد أصبحت تشنُّ من طرف واحد، ولا يوجد من المسلمين العرب الأصلاء، في الوقت الحالي، من يفهم، أو يعي، فيقوم بتفنيد تلك الادعاءات الباطلة، والأساليب الخسيسة المتبعة والتي لاهمّ لها إِلَّا الربح السريع، لا تقف أمامها أي حدود؛ لادينية ولا دنيوية!

فمثلاً تروج الإعلانات في كافة أنحاء العالم للماكياجات، في المجلات الأنيقة، وفي التلفزيونات، وفي اللوحات الكبيرة التي توضع في نقاط إستراتيجية، في الشوارع العامة؛ تعرض نماذج من الكائنات الغريبة، وجوه وأشكال غير مريحة، من الشاذين! والمرضى النفسيين، والبلهاء، والتافهين، ذوي السمات الفاقدة لكل معنى إنساني حقيقي، لا قيَّم، ولا مبادئ، ولا مثل، فقط سمات غرائزية حيوانية، إن الإعلام العالمي يتعمد تعميم هكذا أشكال ليقود الأجيال إلى الحظيرة اليهودية، بعد طمس معالمها الأساسية ثم إلى التهلكة، وإلى المصير السيئ، إلى أدنى مستوى، لكنها تفرض على الناس، ليعتادوا عليها وتركز هذه الإعلانات الخاسرة على القسم السفلي؛ وعلى الدوافع الجنسية لأشباه الذكور، وأشباه الإناث! وتدفع إلى الاستهلاك (ما يؤدي إلى انحطاط الأخلاق والمبادئ والقيم السامية والمثل الرفيعة، ويقود الجيل إلى حالة الدناءة وحالة انعدام النخوة، وتلاشي الشرف عند المواطن، ما يؤدي إلى تتفيه حياته وتدني مستواها؛ واقتراب مستواه من البهائم التي تعيش عادةً وفق متطلبات الغرائز والدوافع) أو حمى الشهوة، أو حمى الاستهلاك المفتوح، الذي يجب أن لا ينتهي الدافع إليه أبداً، ألوف الحاجات، ألوف المواد، ألوف الأجهزة؛ والموديلات والأشكال المختلفة، حتى غدت الإعلانات الاستهلاكية بحراً مالّلجته قرار، هدفه القريب والبعيد؛ هو إغراق المواطن الإنسان، التي لم تعد تحترمه؛ وتحويله من كونه كياناً عظيماً، نفخ فيه الله جل جلاله من روحه إلى مجرد كائن حي، مثله مثل الجرادة، تأكل كل شيء ولا ينتج عنها إِلَّا الخراب! فهل وضع ووظف العرب العظماء العقلاء النبلاء الإختراع الجديد (الأتمتة والأنترنيت) في المكان المناسب من حياتهم وحياة أجيالهم؟ هل تأكدوا أن الأنترنيت ليس سوى جهاز وأداة اتصال وتوصيل المعلومات سريعة جداً وأنه لا يمكن أن يكون بديلاً عن الكتاب والمعلم، وأن الأنترنيت لايمكنه تلقين وتعليم وتربية أحد أبداً؛ بل من أجل اكتساب التربية والأدب والقيم الأخلاقية والنبيلة والسامية، من أجل تلقينها للأبناء وتشريبها للأجيال يجب بذل الجهد الكبير والكثير والثمين خصوصاً في هذه الأيام التي أصبحت فيها تلك الأجهزة أسلحة فتاكة ومدمرة إذا لم ينتبه الشباب العربي إلى وضعها في حياته في المكان المناسب، وهي موظفة الآن من قبل أعداء العرب المسلمين للقضاء عليهم بعد حين قضاءً مبرماً وليصبح وطن العرب والمسلمين وطن عبيد لا وطن أسياد.ولو فكر الإنسان العاقل للحظة، فقط، فإنه سيدرك أن هذه المعروضات، جميع هذه المعروضات، كان الإنسان في السابق، في غنىً عنها، ودليل ذلك هو أنها في حال غيابها فإنَّ الإنسان يستطيع متابعة حياته بشكلٍ أفضل.

## صفات حديثة لم تكن معروفة أيام الرسول ﷺ

لم تكن لفظة (إمام) معروفة في صدر الإسلام، عصر الرسول الأعظم ﷺ، وعصر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولم تألفها الأسماع، إلَّا بعد انصرام كامل العهد الأموي، بزمن طويل؛ فهل كان لكل مصرٍ، أو لكل بلدٍ مسجد جامع، في المدينة، وفي البصرة، أو في الكوفة، أو في الشام، أو في مصر، وهل كان إمامه يعدُ إماماً لذلك البلد أو لتلك الناحية؟ ثم تعددت الأئمة، وتطور الموضوع؟ لقد خرجت هذه اللفظةُ (الإمام) من المسجد أولاً! عندما اتصف بها أول مرة أبو عبد الله، مالك بن أنس، الذي جاءت أسرته من اليمن إلى المدينة، ويقول الرواة أنَّ مالكاً رحمه الله تعالى كان قد مكث في بطن أمه ثلاث سنوات؛ (وأشار الإمام مالك رحمه الله تعالى، بعد تخرجه، وإمامته لمذهبه، إلى إمكانية طول مدة الحمل عن المدة المعتادة، وأفتى أنه قد تطول مدة الحمل إلى ثلاث سنوات)! يقول ابن خلكان: ولد مالك سنة خمس وتسعين، وحُمِلَ به ثلاث سنوات![1] وطلب من أبي حنيفة أن يتولى القضاء فرفض؛ وعذِّبَ في ذلك، (وقيل): لكنه لم ينه تلاميذه عن ذلك؛ وكان أن تولى القضاء أبو يوسف: سنة مئة وسبعين للهجرة عندما تولى الرشيد! بينما توفي أبو حنيفة رحمه الله تعالى سنة خمسين ومائة؛ وكان أبو يوسف في السابعة والثلاثين من عمره، واتجه إلى القضاء بينما تولى الحلقة بعد أبي حنيفة تلميذه زفر، هذا ولم يتصف الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم جميعاً، لم يتصفوا بصفة الإمامة، ولم تجرِ هذه الصفة في عهدهم مطلقاً، ولا في العهد الأموي أبداً، بينما ولِّدت هذه الصفة إبان العصر العباسي وجعل لها أثرٌ رجعيٌ بحيث أدخلت على الكثير من الأدبيات والقصص الديني

(١) كتاب الإمام مالك إمام دار الهجرة، أ، د، حمزة النشرتي وآخرون، مكتبة الزهراء، القاهرة

بفعل التأثير الصوفي والشيعي.

# حول موضوع الإفتاء والفتوى

هناك أسئلة كثيرة تدور حول الإفتاء والفتوى وحول التناقض في الفتاوى، والفرق بين الفتوى والقضاء والحكم العربي وهي أسئلة أساسية وهامة؟؟

فهل كان هناك أساساً، فتوى في الإسلام؟ وهل يحق لأحد بعد الرسول ﷺ، الذي كان ما ينطق عن الهوى، هل يحق لأحد من بعده أن يفتي الناس؟ وهل الفتوى طريقة، أو وظيفة إسلامية حقاً؟ أم أنها انتقلت إلى المسلمين بالعدوى، مثلما انتقلت إليهم أمورٌ كثير من أهل الكتاب؛ هل كان من الأنسب أن نقول استشارة بدل فتوى؟ ومستشار بدل مفتي! على اعتبار أن الفتوى اختصاص الأنبياء؟ هل هي حقاً كانت دخيلةً على الإسلام والمسلمين؟

وهل كانت الفتوى بعديَّة دائماً، وتبريرية، وتبعاً للخلل، والخطأ، والتدني، وغياب الوعي والتخلف والانحطاط وانحسار العقل والمنطق لدى الناس؟ ولماذا نعمل على تكريس الجهل عند الناس والتعمية عليهم وحرمانهم من الوعي وإطالة حالة التخلف عندهم وتشجيعهم عليها، وتغييب وعيهم ومسح أفهامهم؟ وتهبيط مستواهم إلى أدنى الحدود، لماذا لا تتجه الجهود أساسا إلى دفعهم إلى العلم والتعلم، والفهم والإدراك والوعي والحرية؟ لماذا لا نعمل أساسا على رفع مستوى فهمهم ووعيهم بحيث لا يحتاجون ولا يضطرون إلى الفتاوى؟ وهل الفتوى في الإسلام صورة مشوهة عن خلوة الاعتراف عند النصارى؟ وهل قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «**أجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار**»!؟[1] فأين ذهبوا بأمثال هذه الأحاديث الصحيحة؛ التي نهت، وتنهى

(١) لقد وردت لفظة (أفتنا) و(أفتوني) و(تستفتيان) و(فاْستفتهم) في القرآن الكريم عدة مرات وكانت الفتوى في جميع تلك =

عن الإفتاء؟ الذي من شأنه أن يكون جاهزاً لتبرير الأخطاء فقط، أو لتمرير هذه الأخطاء.

المفروض أن تكون الفتوى قبل حدوث المخالفة أو المعصية: ثم هلاَّ كانت الفتوى والفتاوى قبل وقوع المخالفة!؟، أو قبل وقوع المعصية!؟ أو قبل الشروع بها، أو قبل تنفيذها، أو قبل عقد العزم على تنفيذها؟ هلاَّ لجأ المُسْتَفْتِي إلى الاستشارة (استشارة المُسْتَفْتَى) قبل ارتكابه للفعل الخطأ؟ ثمَّ ألا يعلم الناس أن تكرار الخطأ ليس بخطأ، بل هو جريمة، إذا نتج عنها جرم، وكانت تستوجب الحد، أو التعزير إذا كانت جناية، أو جنحة، وكيف احتجوا بالقرآن الكريم، أو كيف لجؤوا إلى الكتاب العربي المبين، لتمرير مرادهم، مع أنّ الآيات الكريمة، لا تمت بصلة إلى ما ادعوه، أو ما احتجوا به، أو ما ذهبوا إليه، لقد أطاحوا بالمعاني العربية، ولووا أعناق الآيات، وأذهبوا معانيها العربية الحقة، فقالوا إنَّ قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [النساء: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ﴾ [النساء:١٧٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]، فقالوا أن هذه الآيات تبرر لهم أخذ دور النبي ﷺ، وتناسوا أنه ﷺ

---

الصيغ، بمعنى الجواب الشافي والمفيد عن السؤال الذي له علاقة بالأحكام، أو الشرع، أو ما هو على علاقة بعالم الغيب؛ أما الاستفتاء فيعني السؤال نفسه عن التشريع، أو مواضيع بعالم الغيب، مثل تعبير المنام، وفي المعجم: ليس الفتى بمعنى الشاب والحَدَث؛ إنما هو بمعنى الكامل الجَزْل من الرجال، وأفتاه في الأمر: أبانه له، ويقال: أفتيت فلاناً رؤيا رآها إذا عبرتها له، وفي الحديث أنّ قوماً تفاتوا إليه أي تحاكموا إليه وارتفعوا إليه بالفتيا وأفتيته في المسألة: إذا أجبته عنها، والفتيا تبيين المشكل من الأحكام، وأصله من الفتى وهو الشاب الحدث السن، الذي شبَّ وقويَ، فكأنه يُقوِّي ما أشكل ببيانه فيشبُّ ويصير فتياً قوياً (هل هو التجديد!) وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً؛ وفي الحديث: الإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك الناس عنه وأفتوك، أي وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوازاً، وعن الهروي: والتفاتي التخاصم، والفتيا، والفُتْوى، والفَتْوى، ما أفتى به الفقيه، الفتح في الفتوى لأهل المدينة، (والمفتي من المكاييل، أوهي اسمٌ للمكيال عند العرب).والله سبحانه وتعالى أعلم..راجع لسان العرب، مادة فتا، للعلامة ابن منظور، دار التراث العربي، بيروت

كان نبياً يوحى إليه، وأنه لا يجوز أخذ دوره، أو القيام بما كان يقوم به من الأعمال أو السلوك المنبثق عن الوحي، والله أعلم، وواضحٌ في الآيات البينات التي لا تحتاج إلى توضيح؛ أنّ مهمة الإفتاء منوطة بأمر الله سبحانه وتعالى، عن طريق النبي، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٢-٥]، وما يُتلى في الكتاب: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، فكيف يتصدى لها المُفْتُون، وكيف يجرؤ إنسان ما على الفتوى والإفتاء لإنسان مثله(١)، في أمور الأحكام الشرعية التي هي من أمر الله ﷻ، إنَّ المشاورة،

(١) الباحثون والمتخصصون في التاريخ، يعرفون أن عصر المأمون العباسي، ومن جاء بعده، كان عصر اضطراباتٍ، وفوضى سياسية، ومحن، وصراعات عقائدية؛ احتدم فيها الجدل، وظهر فيها المتكلمون والمتفلسفون، ومعروفةٌ قضية محنة خلق القرآن، الحملة التي قادها المأمون شخصياً، وأشرف فيها على التحويل القسري للفكر العربي، حيث كان الفكر السياسي العربي يقتضي أن تكون الدولة العربية في خدمة الدين والقرآن؛ أي في خدمة الحق والعدل والناس؛ وبعد عصر المأمون، أصبح الدين والقرآن والناس في خدمة الدول، منذ ذلك الحين، تحول الدين إلى برشامات، لتهدئة الخواطر، وتنويم الضمائر.؛ منذ ذلك الحين بدأت عملية إزالة التركيز من الإسلام، لجعله أكثر إماهةً، ففي عصر الرشيد، الذي كان قد ضُرِبَ اسمه، على الدينار الذي صُكَّ وضُرِبَ في أيامه، في دار صك النقود في تونس، بدلاً، أو عوضاً عن عبارة (لا إله إلَّا الله محمد رسول الله) على ما تذكر كتب الآثار وتاريخ النقود الإسلامية، في عصره تم اختيار وتعيين أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم.. قاضياً للقضاة، والذي على ما يبدو أنه، أُعد له أعداداً، وحكيت عنه الحكايات، وعملت له الدعاية، عن ذكائه الخارق، وقدرته غير المسبوقة، على إيجاد الحلول، وحل المشكلات؛ وإصدار الفتاوى النادرة! وتخليص الخليفة ورجاله من المآزق الشخصية الخطيرة، والمعارضة لأحكام الدين الحنيف، التي كانوا قد وقعوا فيها! بحنكته وذكائه، كان ينشئ أو يلتمس لهم، يلتمس لهم المبررات!، وكتب الفقه زاخرةٌ، بذكر تلك الفتاوى العجيبة، التي أفتاها أبو يوسف لهرون الرشيد، والتي كانت سبباً في تعيينه قاضياً للقضاة، في حين كان الأئمة من قبل يرفضون هذا المنصب، وكان الإمام أبو حنيفة، رحمه الله تعالى، قد عذب بسبب رفضه هذا المنصب من قبل المنصور؛ وتذكر بعض المراجع أنه رضي الله عنه قد توفي ١٥٠ للهجرة بينما تولى الرشيد الخلافة سنة ١٧٠هـ ففي كتاب (أبو حنيفة النعمان) تأليف ثلاثة من الأساتذة الدكاترة! وصفٌ لأبي يوسف، قاضي قضاة الرشيد، يقول الكتاب: ص ١٤٠ (وكان أبو يوسف لفرط ذكائه وتوقد ذهنه!! لاتستعصي أمامه مشكلة ما.. إنها سرعان ما تهون =

أمام نظرته الفاحصة وعقله الفطن) ويعدد الكتاب سقطات الرشيد الشخصية، ورجالاته، التي استطاع أبو يوسف إيجاد الحلول لها عبر الفتاوى!!، الفتاوى المريحة التي أوجدها وبذكاء خارق، غير مسبوق!!، ويقول المثل: إن العقول الكبيرة تدير العقول الصغيرة؛ جاء في مقدمة كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) أنه لما تولى الإمام أبو يوسف القضاء في عهد الرشيد سنة ١٧٠هـ وصار أمر تولية القضاة بيده، كان لا يتولى، ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلى أقصى أعمال أفريقية، لا يتولى أحدٌ عملاً، إلَّا من أشار به أبو يوسف، وكان لا يولي إلَّا من كان على مذهبه، فأطرت العامة إلى تعرف أحكام القضاء وفتاوى أهل الرأي من علماء المذهب!، ولهذا انتشر المذهب الحنفي انتشاراً واسعاً).

في عصر المأمون بدأ إقصاء العرب فعلياً عن الدين والدولة، وبدأ إبعادهم عن تولي شؤون الدين والدنيا، بشكلٍ قصدي مُتَعَمَّد، واعتمد الخلفاء على الموالي، وأخذ يطغى على الدين والدنيا، تسلط الأعاجم، فرس، وترك، ورومان، ويونان، وبدلاً من أن يقوم المترجمون بترجمة القرآن الكريم، وعلومه العربية الفذِّة، والحديث النبوي الشريف، والحكمة العربية البالغة، والشعر العربي الرائع، والقصص والروايات العربية المعبرة، والمليئة بالعبر والمواعظ والأمثال والحكم، وذات الدلالة، إلى اللغات الأخرى، في عصر المأمون، جُلبت الفلسفة الوثنية اليونانية الرومانية، والعقائد والفلسفات الفارسية الهندية، على ضآلة مستواها وضحالة مضامينها وقيمتها، بالنسبة لكلام الله، سبحانه وتعالى، وحديث رسوله الأعظم ﷺ، وكذلك بالنسبة للشعر العربي، الذي كان في الأوج، حكمةً، وبلاغةً، وأقوالاً مأثورة، ومواعظ وعبر لا أعظم ولا أبهى، ولكن ما حصل في عهد المأمون هو ترجمة، الفلسفة الوثنية اليونانية الرومانية؛ والعقائد والفلسفات الفارسية الهندية؛ على عجل؛ إلى اللسان العربي؛ وليس العكس! وأُقحِمَتْ وزُجَّتْ في مواجهة المد الواسع، للدين العربي الحنيف، وكان صراعاً مريراً، فاز به الفقهاء العرب المسلمون، في بعض القضايا الفكرية العقائدية، أهمها قضية خلق القرآن الكريم، كما هو معروف؛ فالقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، وهو قديم، باقٍ، حيٌ لايموت، وبالتالي فهو ليس مخلوقاً! لأن المخلوق لابد أن يموت! ولكن..أيضاً فإنَّ هناك قضايا أخرى أُثيرت في حينه، و دخلت على بعض المدافعين عن الإسلام والقرآن، منها فتنة وقضية تعدد المصاحف؛ وهذه حُسمتْ! لاحقاً وقد انتصرت الحقيقة، وهي أن رسول الله ﷺ، لم يترك هذه الدنيا، إلَّا وقد ترك للمسلمين، من بعده، مصحفاً واحدا محفوظاً مسطوراً في الصدور، صدور الصحابة الكرام، ومسطوراً ومكتوباً في صحائفهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر٩]، ولم يلتحق الرسول الأعظم بالرفيق الأعلى، إلَّا وقد ترك المصحف الشريف في أمثل حال، بحيث كانت كل لفظة منه، وكل حركة وسكون، وسيظل، توقيفياً، ألفاظاً وآيات وسوراً، ثابتةً، شكلاً ومعنىَ، وإلى الأبد.

وهناك قضايا! طُرِحَتْ من قبل الشعوبية؛ وهي لم تزل عالقة، تنخر الفكر العربي، إلى اليوم، وتُعْجِزُ الفهم عن النهوض؛ ألا وهي، و قضية الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول لقد شنت مجموعاتٌ من دهاقنة الأعاجم، روم، وفرس، و يهود، ومجوس، وبعض الجهلة من الأعراب، مجموعاتٌ مترابطةٌ ومتلاحقةٌ، ضمن مؤامرة تاريخية كبرى، وخطيرة؛ إلى درجة أن آثارهم السلبية، لا تزال إلى الوقت الحالي، لا تزال تعوق الفهم الصحيح، أو الوعي الحقيقي

أو الاستشارة أمرٌ آخر! بعيدٌ في طبيعته عن أمر ومدلول مفهوم الفتوى، قال ﷺ «**المستشار مؤتمن**» ولم يقل المفتي مؤتمن؛ وقال ﷺ «**الرائد لا يكذب أهله**» وقال ﷺ «**المؤمن قلبه دليله**» وقال ﷺ «**استفتي قلبك ولو افتاك المفتون**» فكان المطلوب من المؤمن أن يُفعِّل قلبه؛ (عقله) أي على كل مؤمن أن يُعمِل عقله في تذاكر القرآن العظيم، والتفكير في القضايا التي تعترضه، القضايا الشخصية والقضايا الوطنية، والقضايا الدينية العامة، والتفكير

---

للدين الحنيف، والمستشرقون اليهود اليوم يبنون هجومهم الحالي على العرب والإسلام، يبنونه على الثغرات التي أحدثها أولئك الشعوبيون، في وقتٍ وهن فيه العرب، وخارت قِواهم، وأُبعدوا فيه عن زمام الأمور، أمور الدين والدنيا، فما حقيقة ما سميَّ بعلم الناسخ والمنسوخ!!، وما حقيقة الناسخ والمنسوخ؟ وما حقيقة ما سمي (معرفة أسباب النزول)؟ وهل كانت هذه القضايا في صدر الإسلام؟ وهل عرفت في عصر الرسول الأعظم ﷺ ؟، أو في عصر الصحابة الكرام، وكيف دُس كل هذا الدس على الفهم العربي، ومتى تمّ هذا الاختراق الخطير للعقيدة العربية؟ إننا إذا عدنا إلى القرآن الكريم، سنجد في معانيه العربية، أن للآية، ولنسخ الآية، معنى مختلفاً، عمّا ذهب إليه المفسرون؛ لأن آيات الله سبحانه وتعالى كثيرة ومتنوعة، والآية تعني البرهان، والآيات تعني البراهين، لذلك فإن كل المخلوقات في هذا الكون، آيات من الله عز وجل، ودلالة على عظمته سبحانه وتعالى، الشمس والقمر، والأنس والجان، والنباتات، والكتب، والرسالات، والشرائع السماوية العديدة، السابقة والمتلاحقة، التي شمَّلها الله سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم، كل هذا عبارة عن آيات، وهي دلائل تدل عليه سبحانه وتعالى، ويُمْكِن لله عز وجل أن ينسخ أياً منها متى شاء، وأن يستبدلها متى شاء، وينبغي على من يريد الفهم، للآيات التي في القرآن الكريم، أن لا يجتزئ الكلمة الواحدة، والآية الواحدة، لِيَفْهَمَ المعنى، وإنما عليه قراءة القرآن كاملاً، وقراءة السورة كاملةً، ثم التَّفَكُر في معنى الآية، أو المراد من الآية، عند ذلك لن يجد القارئ لآيات الله عز وجل، لن يجد تناقضاً أو تعارضاً ولا ينبغي؛ وبالتالي فكل الآيات التي في القرآن هي من كلام الله عز وجلَّ، الذي لا يحول ولا يزول، وهي عقد واحد، ولها معنىً عظيم، وتستهدف أغراضاً عظيمة محددة، في الإنسان والكون، وهذا هو الفهم العربي لكلام الله عز وجل، لأنّ معنى لفظة آية، في اللسان العربي المبين، البرهان، ولفظ الآيات يعني البراهين، وآياتٌ بينات، تعني البراهين الواضحة الجليّة، الواضحة الدلالة، التي لا تحتاج إلى توضيح؛ فكيف يكلمنا الله تعالى، في القرآن الكريم بكلامٍ، ثم يغيرُ كلامهُ في اليوم التالي؛ حاشا وكلا، بل أخذوا هذا المرض من اليهود) (هذه الفقرة بأكملها منقولة من كتاب الحرب على العرب للمؤلف دار يعرب بدمشق ص٢٥ وما بعدها ٢٠٠٦) وقد سمعت، ورأيت الكثيرين من الرجالات العلماء في الدين، الدعاة، الأفاضل، المشاهير، الذين كانوا يتحاشون الفتوى، ويمتنعون عنها. تورعاً ومخافة من الله سبحانه وتعالى..

وتفعيل العقل فرض عين على كل مسلم، وكل مسلمة، وليس فرض كفاية، ولم يكن وقفاً على البعض دون الباقين، كل مسلم، وكل مسلمة عالم، أو هو مشروع عالم، ولا يعفيك عند الله سبحانه وتعالى، ولا يشفع لك أن يكون فلان قد أفتاك، أو أن يكون فلان قد أصدر لك فتوى، يحلل لك أو يحرم عليك، فإذا كان هو عالم فأنت جاهلٌ إذاً، وهذا إقرارٌ منك بجهلك، هذا مرفوضٌ في الإسلام رفضاً قاطعاً نهائياً.(١) وفي الإسلام إذا كان المفتي لا يستطيع أن يضمن نفسه، فكيف يضمن للآخرين، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١]، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥]، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩]، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعرف: ٢٠١] قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، والأساس أن يسعى كل إنسانٍ في حياته إلى حفظ القرآن الكريم، وإلى التفقه في الدين وإلى تعلم أحكامه، لا أن يُترَك الناس بعيدين عن القرآن؛ وعن العلم بأحكام الدين؛ بذريعة مقولة (الخاصة والعامة) التي اختُرعت في

(١) يعتبر (القات) من أهم الأسباب التي كرست التخلف الإقتصادي في اليمن السعيد؛ ويسبب (التخزين) شلل الحياة في بلاد اليمن عامة، وهو دون شك؛ يعتبر من المخدرات! وأهالي اليمن الكرام في تحليلهم لتعاطي (القات) وتخزينه؛ إنما يعتمدون على فتاوى أكابر العلماء في اليمن، ويقولون عنه أن فيه راحة العلماء؛ فهل كان للإمام محمد بن محمد الشوكاني الصنعاني، المتوفى ١٢٥٠ للهجرة، رحمه الله تعالى، صاحب التصانيف الكثيرة، هل كانت له رسالة سماها (البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر) وأهل اليمن الكرام، يعتمدون على آراء وفتاوى الإمام الشوكاني في تحليل تعاطي القات، الله تعالى أعلم.

العصر العباسي، وتكرست منذ ذلك الزمن، لدى كل الطوائف، حتى وصلت إلينا نحن العرب والمسلمين على أنها مُسَلَّمةٌ من المسلمات؛ أو بديهية من البديهيات بحيث لم يعد أحدٌ، في مطلع الألفية الثالثة، يجرؤ على تجاوزها أو رفضها! قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ويحتجون بهذه الآية الكريمة لتبرير وتمرير الفتاوى العجيبة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وغاب عن بالهم أن هذه الآية الكريمة والعظيمة، إنما تتحدث عن حالة الجهاد، وأوضاع النضال ضد الأعداء، وتقول لنا، أنه في تلك الحالة، وأثناء النفير العام، على الجميع، جميع القبائل، في جميع الأمصار والأقاليم، أن يهبُّوا لنصرة دين الله الحق، وللذود عن الوطن، الأهل والديار، وأن البعض من كل فئة من فئات المؤمنين، أثناء حالة النفير العام، يجب أن لا يترك وأن لا ينسى أمر القرآن الكريم، وتعليمات رسول الله ﷺ، القائد الأعلى للمؤمنين، والالتزام بأوامره ونواهيه، بل على عاتق تلك الفئة، في تلك الحالة فقط، كفرض كفاية هام، وهام جداً، يقع واجب الاتصال والاطلاع على الدين وأحكامه، وإلا فقد يضيع الهدف الأساسي المطلوب تحقيقه أصلاً من الجهاد والنضال، فالمؤمنون لا يقاتلون لمجرد القتال بل يقاتلون جهاداً في سبيل الله سبحانه وتعالى، ودفاعاً عن وطنهم، وطن الإيمان، وزوداً عن حياضه، وكانت الآيات التي سبقتها في سورة التوبة، تهيب بالمؤمنين لينفروا تحقيقاً لذلك الهدف، وأن لا يتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وأن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، وقد وعدهم الله سبحانه وتعالى، أن يجزيهم بأحسن مما كانوا يعملون، ثم قال تعالى في الآية التالية مباشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣]، فكيف ساقوا الآيات على مشروعية فتاويهم الغريبة؟

فهل يجوز أن تكون هنالك فتاوى متناقضة؟ وكيف يمكن للعقل والمنطق، استيعاب التناقض، في الفتاوى التي من المفروض أن تكون منسجمة مع كتاب الله سبحانه وتعالى، في حكمه العربي المبين، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ** ﴾ [ الرعد: ٣٧]. والحكم العربي الذي في القرآن الكريم كان استمراراً للحكم العربي الذي كان في الإنجيل والتوراة وكل الكتب السابقة. وغاب عن بالهم أنّ هنالك فرقاً كبير بين معنى ومدلول لفظة (الفتوى) وبين معنى ومدلول لفظة (القضاء) الذي يعني الحُكْم، وأنَّ القاضي معناه في اللسان العربي المبين القاطع للأمور المُحْكِم لها، وأنَّ القاضي هو الذي يحكم بين الناس، وأصله: القطعُ والفصلُ قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ** ﴾ [ الرعد ٣٧]

## الحكم العربي قديم، وهو من عهد آدم عليه السلام

في الآية الكريمة ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾، تأكيدٌ من الله سبحانه وتعالى، على عباده، أنه إنما أنزلَ من لدنه سبحانه وتعالى، وأنَّ هذا الحكم هو (القرآن الكريم، وهو عربي) وهو الحُكم نفسه الذي كان قد نزل في التوراة الأساسية؛ وهو ذات الحكم الذي كان قد نزل في الإنجيل[1] الأساسي؛ وأنّ هذا الحكمُ ليس حكماً جديداً؛ بل هو ذات الحكم المنزّل سابقاً

---

(١) إن جميع الآيات، في القرآن الكريم والتي نصَّت وأكدت على مفهوم (عرب) كانت قد نزلت في مكة، ما عدا آية الحكم، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧]، لقد نزلت هذه الآية في المدينة، فالأحكام في القرآن الكريم، بطبيعة الحال، كانت قد نزلت في المدينة،.. وفي كتب أسباب النزول، يذكرون عادة أن سبب نزول آية تنص على أنَّ الحكم الذي في القرآن الكريم، حكم عربي، كان ذلك بسبب أن بعض الناس، وخصوصاً من أهل الكتاب، والقرآن الكريم كان وما زال لجميع الناس، فعندما نزلت الأحكام ، كانوا قد أبدوا دهشة واستغراباً، وتناسوا علمهم ومعرفتهم بتلك الأحكام وتساءلوا من أين تأتي تلك الأحكام؟ وبعضهم كان ينافق ويفتري ويقول أنه لم يسمع بهذه الأحكام من قبل! فجاءهم الجواب في القرآن الكريم، في سورة الرعد المدنية، أنَّ جميع الأحكام الواردة في القرآن الكريم هي أحكامٌ عربية، وأنّ القرآن الكريم هو حكمٌ عربي ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ بمعنى أنه هو أيضاً من عنده سبحانه وتعالى، كما كانت الكتب السابقة بمحتوياتها الأساسية!

ولما كان القرآن العظيم لكل الأمم، ولما كان القرآن العظيم للعالمين، لكل زمان ومكان، للماضي والحاضر والمستقبل، فإن الآية الكريمة كانت تعني الروم والفرس واليونان والهند وكل العالم القديم، وهي الآن تعني كل الشعوب في العالم، وكل البشر وإلى يوم يبعثون، فهل كان حكم الرجم لا يزال موجوداً ومذكوراً في الإنجيل؟ (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر)! إذاً فالرجم الذي جاء في الإسلام ليس جديداً، (وهذا يعني أيضاً أنّ الإنجيل كان كتاباً وفيه أحكام)؛ هل كان حكم القتل على القاتل العمد، موجوداً سابقاً في الكتب المنزلة من الله سبحانه وتعالى؟ وقطع يد السارق من الحرز؛ ألم يكن موجوداً في الكتب السابقة؟ ألم تكن أصل هذه الأحكام، وغيرها، وكل الأحكام أصلها إلهياً، ألم يكن معمولاً بها لدى كل الشرائع وفي الدول، والإمبراطوريات والإمارات والقبائل، وحتى القبائل في البوادي؛ فكيف يجحدون كل ذلك؟ ولكن البعض يجحدون الحقيقة الدامغة!

قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم =

على جميع الأنبياء السابقين، من لدن آدم ﷺ، إلى يوم يبعثون، وكان ذات الحكم في جميع الكتب السماوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى، قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل ٣٤]

قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾ [الشعراء: ١٩٦].

قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ [فاطر: ٢٥] (١).

لقد آن الأوان ليفهم الناس في هذا العالم، في جميع أنحاء العالم، أنَّ الله سبحانه وتعالى، واحدٌ لا شريك له، وأن لديه ديناً واحداً، وليس أكثر من دين واحد! كان ولا يزال، وسيبقى، وهو ذات الدين الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على آدم ﷺ، ومن قبل كان هذا الدين ذاته، كان في الملأ الأعلى، مع الملائكة والجان، أقره رب العزة ديناً للسماوات والأرض وما بينهما،قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [أول سورة الرحمن].

---

بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝٣٢﴾ [المائدة: ٣٢]، لكن تلك الأحكام لم تكن لتطبق بشكلٍ صحيحٍ دائماً! (كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الفقير والضعيف قطعوا يده) هكذا قال الرسول العربي ﷺ، لكن الرسول محمد ﷺ قال: «والله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ففي الإسلام لا وساطة ولا هوادة في تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى، إنَّ القرآن الكريم أعاد تنزيل المُنَزَّل من الأحكام، أو أنّ القرآن الكريم جدد تنزيل الأحكام التي كانت قد نزلت سابقاً في الكتب السابقة وعلى جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ ، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

(١) (الزبر) وتعني (السور) بمعنى ألواح، أو صحف، أو كتب، والله تعالى أعلم، وهي لغة عربية قديمة حيث يمكن قلب (ز) إلى (س) و يقال في المدرسة (سَبُّورة) بمعنى اللوح؛ والزبر تعني أيضاً الكتابة على الألواح الحجرية، والله تعالى أعلم. فما معنى لفظة الكتاب، وقد أتت ألفاظ الكتاب في القرآن الكريم بمختلف الصيغ (كتاباً١٢، وكتابك١، وكتابكم١، وكتابنا١، وكتابه٥، وكتابها١، وكتابهم١ وكتابي١، وكتابيه٢).

# جميع الكتب السماوية كانت بلسان عربي مبين

فالقرآن الكريم كان يعلمه رب العالمين لمخلوقاته، قبل خلق الإنسان؛ ولم يُنَزِّل رب العالمين على السماوات والأرض وما بينهما، لم ينزل إلَّا ديناً واحداً[1]، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ لأن (الواو) كما هو معلوم فإنها في اللسان العربي المبين، حرف عطفٍ وتفيد التوالي والتتالي، فالنزول تلوّ النزول، وهذا مدلول لفظة (وكذلك) لتدلنا على التوالي والتتالي؛ والتشابه والتماثل والتطابق، وأنْ ليس فيها تَغَايّر ولا تبديل؛ فهو من مشكاةٍ واحدةٍ، في رسالات وكتب، وصحف، وألواحٍ وزُبُرْ، ثمَّ وصفه الله سبحانه وتعالى وَصَفَ ما نزّلَـهُ من السماء بقوله: ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام:٥٧]، قال تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[القصص: ٧٠]، فمن هاهنا كان الحكمُ عربياً، أو أنّ الحكم اتصف بكونه عربياً، لأنه من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) والغريب أن يُفهم هذا الأمر على نحوٍ آخر، الغريب فعلاً أن يُصر البعض على حرف الكلم عن موضعه، فيقولون بتعدد الأديان السماوية، ويتوهمون وهماً يقصدون الكتب السماوية! لاشك أن الكتب السماوية متعددة، ولكن الدين واحد وهو الإسلام لا غير. قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

# العربي كل ما كان موصولاً بالله سبحانه وتعالى والأعجمي ما كان بخلاف ذلك

إن كل ما هو موصولٌ بالله تعالى فهو عربي[1]، وكل ما هو بخلاف ذلك فهو أعجمي، وهذا ما عنته الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل: ١٠٠-١٠٣]، إنَّ الله سبحانه وتعالى يُعَلِمَنَا أنَّ الكتب السابقة هي آيات كانت من لدن رب العالمين) نزل بها روح القدس بالحق، وقد كانت منذ أن نزلت هذه الكتب للذين آمنوا هدى وبشرى، ولكنها عندما انحرفت، واختلطت فيها الأمور، ما كان من عند الله سبحانه وتعالى، مع ما كان من عند الكتبة؛ فإن هذه الكتب جميعها، لم تعد عربية مبينة، بل لقد أصبحت أعجمية وغير مبينة، وبلسان غير مبين، وكانت الآيات السابقة من السورة نفسها توضح هذا الأمر فقالت، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ أَفَأَمِنَ

---

(١) وبعيداً عن القواميس والمعاجم والتفاسير! التي كان أكثرها من صنع أناس جزاهم الله عنا وعن العرب وعن المسلمين كل خير، فعلى الرغم من أهمية كل تلك الجهود وعظمتها، إلَّا أنَّ كون أكثرهم، الذين اشتغلوا بتلك الأعمال العظيمة والمجالات القيِّمة، كانوا أكثرهم، من غير العرب أساساً، أو أنهم عرب، ولم يشعروا بأهمية التأكيد على الانتماء للعرب، وقدسية هذا الانتماء، فكانت هذه هي الحلقة المفقودة، في تلك الأعمال الجليلة والرائعة والعظيمة، والتي ما من شكٍ في أنّ حضارة العالم، قامت عليها، وأن العرب الذين اشتغلوا في علوم اللغة العربية، والمعاجم، وفي التاريخ العربي والإسلامي، وفي التفاسير عامةً، كانوا قد نحو نحوهم؛ كانوا قد تناسوا وتجاهلوا الحقيقة، والشعور الحقيقي؛ ألا وهو الانتماء للعرب، وأهمية وقدسية هذا الانتماء دينياً.

﴿ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النحل:٤٣-٤٥].

لذلك كان ما يفترونه، عن القرآن الكريم، وهو ما أشكل عليهم، كونهم كفاراً ومشركين، وقولهم أن هذا القرآن الكريم، ما هو إِلَّا كتاب مستوحى من الكتب السماوية السابقة؛ ويحاكي الكتب السابقة، وقولهم أن الرسول (يريد أن يكون هذا القرآن بديلاً عن تلك الكتب؛ إن الله سبحانه وتعالى يعلم كلَّ هذه الخواطر والأفكار والنظريات المفتريات، وهو سبحانه وتعالى يجيب منطقياً على أولئك الذين كان وليهم الشيطان، والقرآن الكريم يرد على جميع من سيوسوس له الشيطان على مر الزمن، وإلى يوم يبعثون، من مثل تلك الوساوس، بقوله تعالى أن لسان الذين يلحدون إليه، أي الذين يُنَمْونَ، أو ينسبون أو يتخيلون أو يتوهمون، أنَّ هذا القرآن المبين الواضح مأخوذ منه! ويجيبهم كيف يأخذ القرآن العربي المبين الواضح من الكتاب الأعجمي غير المبين وغير الواضح؟

وبالتالي فإن قولهم بأن الرسول ﷺ، قد اقتبس القرآن الكريم من الكتب السابقة! قولٌ فيه افتراء على الله سبحانه وتعالى، وهو بعيدٌ عن الحق بعداً كبيراً، لأن الكتب السابقة آيات منسوخة قد نسِّيها الناس بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وقد أبدلها الله سبحانه وتعالى، وأنزل مكانها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال تعالى: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢]، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، التوراة أساساً، معناها الشريعة الربانية، وقد أوحى بها، وأنزلت من الله سبحانه وتعالى على جميع الأنبياء، وقد اشتمل عليها القرآن

الكريم، وكذلك الإنجيل من الله سبحانه وتعالى.

# العربي يعني قويم غير ذي عوج (١)

بينما القرآن الكريم كتابٌ عربي قويم، غير ذي عِوَجٍ، لسانٌ نزل به روح القدس، قال تعالى: ﴿ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ١٠٢]، فهو يحتوي على الحق، وغرضه تثبيت الذين آمنوا على الهدى، وهو بُشرى للمسلمين جميعاً، وليس أعجمياً، ولا يمكن أن يكون أعجمياً؛ لأن في العُجمة انحرافٌ وتقصيرٌ وخلطٌ وخروجٌ وتهويد للحق والصواب والهدى والإيمان. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت: ٤٤]، كذلك فإنَّ هذه الآية الكريمة تصف وتؤكد أن الإلحاد هو العُجمة؛ وتنفي نفياً قاطعاً أن يكون في القرآن الكريم أيٍ من أثار العُجْمَة، ولا يجوز ذلك أبداً، لأنّ القرآن الكريم، الذي هو عربي كامل العُرابة، كتابٌ عزيزٌ، تنزيلٌ من الله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وهو للذين آمنوا هدىً وشفاء، بينما الذين ألحدوا به الذين هم أرادوه أعجمياً، آذانهم مسدودةٌ، وعميقة المجاري، بعيدة، إضافة إلى أنهم، مبنيٌ عليهم جدارٌ كثيفٌ يعمي أبصارهم، ويحجز عنهم الفهم والوعي، وهم غارقون في أوهامهم ودواماتهم في هذه الحياة، فهم لا يسمعون النداء، إنهم يُنادون من مكانٍ بعيد. وكانت الآية الثالثة من السورة نفسها قد أوضحت للعالمين أنّ التفصيل والبيان والعلم، يعني الاتصاف بالعروبة ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣].

---

(١) في البيان والتبيين للجاحظ: أن سيدنا عمر بن الخطاب أوصى للخليفة من بعده (أوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن تأخذ منهم من حوشي أغنيائهم فترد على فقرائهم).

# العُرُب تعني الإنشاء الرباني المنشَّأ بالنشأة الإلهية والبكر تعني الصباح ومنتهى الإبداع

ومن قائل بأن لفظة ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ التي وردت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٦-٣٧]، إنما تعني، المرأة المتحببة إلى الأزواج! أو إلى الرجال!! وهذا من غرائب التفاسير[(١)]؛ الذي عادت فنقلت عنه وأخذت منه أيضاً المعاجم، والقواميس العربية، وهو كلامٌ مردود، غير مقبول على الإطلاق، لأنه لم يكن منسجماً مع سياق الآية الكريمة، في سورة الواقعة أبداً، بل ولا هو من اللسان العربي

(١) تأويل القرآن العظيم أساساً لايحتاج إلى تفسير؛ بل إلى فهم وتيسيرٍ في الفهم، ولايجوز تفسير الألفاظ التي في القرآن الكريم كما نفعل في الترجمة من لغة إلى لغة، إننا في القرآن الكريم لا ننقل من لغةٍ إلى لغة أُخرى! بل علينا البحث عن فهم اللفظة التي تستعصي على عقولنا في البداية، علينا أن نبحث وأن نستدل عن معناها أولاً في مواقع أخرى في القرآن الكريم، وثانياً من خلال تقليب حروفها الأساسية بعد تجريدها من المزيد والملحق والمضاف؛ ولا يجوز أبداً قبول معانٍ غريبة عن القرآن الكريم بدعوة المأثور والمعنعن، مهما ساق عليها المفسرون من عنعنات!! من مثل ادعاء الطبري أنّ معنى (حصوراً) التي وصف فيها ربُّ العالمين نبياً من انبيائه فقال بأنها تعني: العاجز جنسياً، وعديم القدرة على إتيان النساء، ويسوق من أجل ذلك أكثر من خمسين طريقاً لإثبات هذا الخطأ المتعمد وجعله حقيقة، بينما معناها العربي الواضح لفظ الحصور أن الحصور هو مقلوب الهصور والهصور هو من أسماء الأسد العربي، كناية عن القوة والشجاعة والإقدام والسيادة والملك والحكم، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ وكذلك قوله في بيانه لمعنى الوتين في الآية ٤٦ من سورة الحاقة فقد قال: الوتين هو عرق في القلب، وكان هذا وهمٌ من الطبري أبعد الناس عن جوهر المعنى وأغرب بهم، وقد انتقل هذا الوهم إلى باقي المفسرين عبر كل تلك الحِقب، والحقيقة أن لفظ الوتين في اللسان العربي المبين هو مقلوب المتين؛ لأن الميم تقلب واواً عند العرب إذا أُريد التشديد في القوة والشدة والمتانة والتحمُّل، كذلك كان قد قال في السورة نفسها: لأخذنا منه باليمين أي لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، أو لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه، كناية عن الذل والمهانة؛ والحقيقة أن اليمين في اللسان العربي المبين تعني الأمام والقدام والبداية والأول، أي أنه لو تقول علينا (على الله سبحانه وتعالى) لأخذنا منه منذ البداية، لقطعنا عنه منذ البداية كل الأسباب التي أمددناه بها ولتركناه عرضة لكم ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ من البداية ومن الأول والله سبحانه وتعالى أعلم.

المبين في شيء، وهذا التفسير كان من اختراعات وتحريفات وتخريجات وتخريفات واختراقات الشعوبية اليهودية المبكرة، في التاريخ والتي كانت معادية لجوهر الدين الحنيف، نهاية القرن الثالث للهجرة ومطلع القرن الرابع؛ بينما لفظة (عُرُباً) في الآية الكريمة تحديداً كانت تعني وصفاً وتسميةً للإنشاء الرباني، فلفظة الإنشاء إنشاءً تعني التشكيل والتحضير، والصياغة التوضيب، والبناء المشيَّد العالي المرفوع كالشراع، أو كالأعلام، وهي تفيد العلو والارتفاع والنماء المنشَّأ بالنشأة الإلهية، تعني العناية الخاصة، لخاصة الخاصة، والإشراف المباشر، وتحقيق غاية المُراد، واللفظة تفيد منتهى الإبداع، وغاية الخلق، وابتداء الخلق، وتشير إلى جدَّته وجديده، وكونه الأول دائماً، وليس له مثيل، فالله سبحانه وتعالى قد أنشأهم إنشاءً ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ﴾ وقد جعلهم الله سبحانه وتعالى

﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ فالمنشيء والجاعل والخالق المبدع، هو الله سبحانه وتعالى. إن الله سبحانه وتعالى ينسب لذاته إنشاءهن ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ولفظة البكر(١) في المعجم، تعني الصباح، أو حملُ مزايا الصباح، والبكرة الإصباح، وهي تفيد المبادرة باكراً، من النهضة والقوة، والقدرة على المعالجة والتقدم، والباكور المعجل في المجيء من كل شيء، سريع الإدراك، البكر: الكَرْمُ في أول حمله، وهو أول العسل، وهو أطيبه، والبكورة تعجيل التلبية، والبكر: الواحدة من النخيل إذا أدت أداء المجموعة، وبكر كل شيء أوله، والبكر الفتي من كل شيء، وأخيراً البكر من النساء التي لم يقربها رجل، فالعناية الإلهية هي التي أشرفت مباشرة على تحضير وتوضيب (الفرش المرفوعة) التي كنى بها، رب العزة ﷻ، عن

(١) لقد تم في التفاسير حصر الفهم لآيات الله العظيمة بأضيق الحدود، بل لقد سطحوا المفاهيم الربانية وألجموها، إنَّ مراد العناية الإلهية أوسع بكثير مما أوهموا أنفسهم، وأوهموا الناس به، وأبكاراً لا تمت بصلة لموضوع (غشاء البكارة)!.

نساء أهل الجنة، الحوريات التي تنتظر أصحاب اليمين أولئك الصديقين والشهداء والصالحين من المؤمنين، والله تعالى أعلم، ولا حاجة أساساً في القرآن الكريم، لتأكيد القول بأن الحوريات في الجنة هنَّ مخلصات لأزواجهنَّ[1] بل هي أقوالٌ زائدة، وتأويلات غير منطقية، لا تستسيغها الفطرة السليمة، لأنَّ من نافلة القول، أنَّ النساء في الحياة الآخرة، مخلصاتٍ لأزواجهنَّ!!، وهل بقي في الآخرة، في الجنة، هل بقي هناك، أو هل يمكن أن يكون هناك مجالٌ للخيانة؟ حتى يستلزم التأكيد، في القرآن الكريم، على عدم قيام الزوجات بالخيانة!! فيقولون في التفاسير الشعبية إنَّ معنى عرباً أتراباً أي: النساء المخلصات لأزواجهن.

---

(١) إذا كان هذا التفسير هو تلبية لدوافع ورغبات الذكور من المؤمنين، فأين؟ أو كيف تلبى دوافع الإناث من المؤمنات أيضا؟ الواتي لديهن الغيرة؛ واللائي كنَّ يأملن دائماً بأزواجٍ مخلصين أيضاً؛ لا أظن أن الزوجات المؤمنات يقبلنَ من أزواجهنَّ الغدر والخيانة، وأنهن يتخلَّيْنَ عن الغيرة؛ في حين المطلوب منهن فقط الإخلاص! للأسف لا ندري كيف وصل الأمر ليكون بين أيدي الجهلة، وكيف فهموا القرآن الكريم على مَرِّ كل تلك الحِقب، وكيف أفهموه للناس والأجيال؟ قال تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر:٤٧]، فكيف ينسجم ما في القرآن مع ما يدعونه من أوهام؟

# أفهام خاطئة استمرت في التفاسير

كيف يفسرون القرآن الكريم العظيم كتاب رب العالمين جلَّ جلاله، كيف يُفسرونه بهذه السذاجة، بينما لفظة (عُرباً) كانت تعني بوضوح، أنها صفة لكل ما هو من لدن الله سبحانه وتعالى: ألم تكن قرينة اللسان والحكم والقرآن، إنّ كل ما أتى من الله عز وجل، من عالم الغيب، وكل ما هو موجودٌ في علم الغيب فهو يتصف بكونه عربياً، وكل عناصر الجنة ومكوناتها يتصف بأنه عربي، وعن ابن عباس ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: «أحِبُّوا العرب لثلاث، لأني عربي، ولأن القرآن عربي، ولأن لسان أهل الجنة عربي»[1].والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين[2].

---

(١) مجمع الزوائد.

(٢) إنَّ لفظة عربي التي ورد ذكرُها في القرآن الكريم كثيراً، مضافة إلى كتاب الله تعالى، وإلى اللسان المبين، تمييزاً لكلام رب العالمين، وإلى الحكم الرباني الإلهي، صفةً له، وإلى أهل الجنة، في الجنة، وكذلك في الحديث النبوي الشريف، فكيف نُظِرَ إليها، وكيف تمت معالجتها؛ وما هي حقيقةُ هذه اللفظة؟ وما معنى لفظة عرب؟ أليس من المذهل أن يكون العرب أنفسهم، بمختلف أصنافهم، وأشكالهم ومستوياتهم، ممن يقطنون هذه الأرض، التي تدعى الوطن العربي، أو من الذين خرجوا عليه أكثرهم لا يفقهون المعنى الحقيقي للفظة عرب؟... وهم الذين يُلاحَقون ويُحاربون على هذا الأساس؛ وكيف يذهب العرب إلى مواجهة أعدائهم، من غير معرفة أنفسهم أولاً؟؟. فما معنى لفظة عرب؟ إذْ ليس صحيحاً أننا عرب، لأننا نتحدث بالعربية؛ أو لأننا نسكن على الأرض العربية؛ أو لأننا من سلالة الآباء العرب النُجُب؛ كما يزعم ذلك الكثيرون! أبداً بل لأن القضية أبعد من ذلك بكثير، وتحتاج من العرب، من كل عربي، لعملٍ وجهدٍ بالِغَيّن، ولعل المسألة ليست مسألة قومية بحتة، كما ذهب إلى ذلك المفكرون في العصر الحديث، بحيث تم تجاهل الحقيقة العميقة، لمدلول هذه الكلمة، وتم التعامي عن الواقع الإنساني الأساسي، والفطري الحنيف، والطبيعي، ونقلت الأنظار، والاهتمامات إلى سطحية سياسية، ليست صحيحة، ولاهي أساسية، فماذا لو كانت لفظة عرب، لفظة تعني أُس الأُسُس، وجذر الجذور، وأصل كل أصيل، ومداراً لكل طبيعيٍ وفطريٍ صحيحٍ وحقيقي؟

# وجاء في المعجم....

وجاء في المعجم: (أنّ الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وهو الحكيم، وأنَّ له الحكم، والحكَمُ، والحكيُم والحاكمُ من أسماء الله سبحانه وتعالى وهي من تجليات أفعاله عز وجل، والحكم يفيد القدرة والعلم، وإتمام صنع الأشياء، وإتقانها، والحكم القضاء بالعدل والحاكم منقذ الحكم، وحَكَمَ الرجل إذا بلغ النهاية في معناه؛ وتفسير قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود: ١] أي كتابٌ أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثمّ فصلت بالوعد والوعيد، وأحكمه منعه من الفساد، وحَكَمَ: الثقة) انتهى كلام المعجم.

ثمّ إن الله سبحانه وتعالى وصف حكمه بأنه عربي، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّا ﴾ وهذه الآية الكريمة دلالة على الامتداد والاستمرارية والسياق الواحد والخط الواحد منه وإليه سبحانه وتعالى، والصبغة الواحدة والغاية الواحدة والذات الكلية الواحدة، وهذا كله دلالة معنى لفظة (عربي) من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢ ﴾ [الأحقاف:١٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف: ٢]. فكانت لفظة (عربياً) في هذه الآية الكريمة متلازمة مع العقل وهي لزوم العقل، وهذا دليل على ضرورة تلازم العقل مع التَعَرُّب وانه لا عقل إنسانياً بلا (تَعَرُّبٍ حقيقي) الأمر الهام جداً الذي على العالم، كل العالم، أن يفهموه الآن[1].

(١) عندما دخل الجنرال البريطاني (اللنبي) إلى القدس يوم ٩/ ١٢ /١٩١٧م على رأس جيش كبير، تنفيذاً لوعد قطعه =

على نفسه أمام رئيس وزرائه، بأن يقدم له القدس هدية عيد الميلاد في ذلك العام، وتأسيساً لتنفيذ تصريح بلفور الذي صدر قبل خمسة أسابيع من ذلك التاريخ؛ بفرض إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، قال ذلك الجنرال: الآن انتهت الحرب الصليبية، لكن رئيسة وزراء بريطانيا اللاحقة (تاتشر) قالت هي الأخرى في عام ١٩٩٠م، أي بعد ثلاث وسبعين سنة من ذلك التاريخ: (لقد قضينا على الشيوعية وبقي علينا أن نقضي على الإسلام) وهو نفس ما قاله هنري كيسنجر قبلها بأسابيع، وما قاله رئيس وزراء فرنسا الأسبق بعدها بأسابيع في منتصف١٩٩٠م قال: (إن الإسلام هو العدو الأول لفرنسة وللغرب) وما قاله (جباني دي ميكلس)، وزير خارجية إيطاليا في نفس الفترة من إنّ: (المواجهة قد انتهت بين الغرب والشرق، وبدأت الآن المواجهة بين الغرب والإسلام) وما قاله موشيه شارون مستشار رئيس حكومة اليهود الأسبق من أنَّ (المساجد هي الخطر الأكبر على إسرائيل) بل وما قاله شيمون بيريز وزير خارجية العدو بعد ذلك بسنوات (لقد حاربنا العرب أربعين سنة حتى انتصرنا عليهم، لكننا نعود لنقطة الصفر مع بروز الحركات الإسلامية) وهكذا لم تنتهِ الحروب الصليبية كما قال اللنبي في العام ١٩١٧م.

فالقدس تظل محركاً لصراعٍ مصيري شامل لا يوقفه احتلالها، بل يؤججه، ولا تلغيه اتفاقيات إذعانٍ يوقعها هذا الحاكم، أو ذاك، بل توسع مداه، لم تنته الحروب الصليبية، وإن جرى الابتعاد بساحتها الساخنة عن القدس غرباً إلى البوسنة وشرقاً إلى الشيشان، إنها حربٌ مستمرة تثبتها الوقائع على الأرض، والإعلانات الصريحة للقيادات الصليبية المتهودة، ولا تحجبها فتاوى موظفين معممين أو تدبيجات أقلام كتبة سلاطين ومرتزقة حكامٍ محكومين عن رفاهٍ يصنعه سلامٌ بين الغاصب والضحية، وازدهارٍ يعممه تصالح القاتل مع المقتول،

وإذا كانت نهاية القرن العشرين قد حملت معها اضمحلال التطابق بين حدود الفعل وحدود الدول، مع طغيان تأثيرات فوق الدولية والشركات عبر القارية ومؤسسات الغزو الإعلامي، والثقافي والسلوكي، وما خلفها من شبكات منظمة وتشكيلات طغت هيمنتها فلم تعد تحتمل البقاء خفيةً، سريةً، لا في مقاصدها، ولا في مداها، ولا في جذورها اليهودية، وأدواتها المتهودة، المتغلغلة تحت جلود الأمم والتيارات الفكرية، والتنظيمات المختلفة، فإنَّ الانتقال العلني الصريح إلى محاولة تهويد الإسلام والمسلمين، على نمط ما تمَّ إنجازه في معظم الكنائس المسيحية، فكراً، وطقوساً، وبنية، وتفاسير للكتاب المقدس الذي لم ينجُ من التزوير والتحوير، بحيث لم يتردد (شيمون بيريز) مثلاً في الإعلان عبر صحيفة (الفاينننشل تايمز) عن المهمة اليهودية - الصليبية الراهنة بقوله: «علينا أنْ نعلِّم المسلمين كيف يُعيدونَ قراءةَ القرآن» فإنَّ المرحلة المعاصرة من الحرب اليهودية الصليبية تأخذ أبعاداً أكثر اتساعاً وشمولاً من، معركة عسكرية هنا أو مجزرة جماعية هناك!

وقد تبادر إلى ذهننا عندما قرأنا ما قاله بيريز؛ تساؤل عن الكيفية أو الخطة التي ينوي بيريز تنفيذ أوهامه من خلالها، ومن ذا الذي سيمثل تفسير قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ [المائدة: ٨٢] لأهل القرآن الكريم، وهو قولٌ واضحُ صريحٌ، قاطعٌ لايحتمل تأويلات أو تحويرات، فهل سيقف الأمر عند حدود تعميم استجاب به هذا الرئيس العربي، أو ذاك لمطلب (مناحيم بيغن) عندما أصدر تعليماته لبعض الدول =

فما معنى صيغة (عرب ومشتقاتها)؟ وقد وردت في القرآن الكريم في ٢٢آية، ووردت منها (أعراب) في ١٠آيات، فما معنى عرب، ولماذا وصف الله ﷻ بها قرآنه، وحكمه ولسانه وملائكته وأهل جنته والروح الأمين، والمنذرين، وقد أكد لنا ﷻ، على أن اللسان العربي المبين، كان في زبر الأولين، وإنه في أم الكتاب، وكذلك فقد جعل الله ﷻ لفظة (عرب) قرينة العقل، والحكم الإلهي، والعلم، والإبانة، والوعيد الإلهي، والتقوى، والذكر، وأنه غير ذي عوجٍ، دلالة على التفصيل، والهدى والشفاء، فما معنى لفظة (عرب) ولماذا عرب؟ وهي هنا بالتأكيد لا علاقة لها بكل النظريات السياسية المعروفة!

---

العربية والإسلامية.. بوقف إذاعة وتدريس آيات القرآن الكريم، التي تفضح آثام اليهود، وتعري طبائعهم الإجرامية، وتحذر من فتنتهم وضلالهم، جاعلاً من نفسه - والنفس الأمارة بالسوء - سلطة رقابة على كلام الله عز وجل، يسمح ببعضه ويستجيب للتعليمات الصهيونية بمنع تداول بعضه؛ خاصةً وأنَّ حاكمين عربيين آخرين قد لحقا بذلك الرئيس في الاستجابة للطلب اليهودي بحظر تلك الآيات؟ لا تظن أنَّ ما عناه (بيريز) يقف عند ذلك الحد، وإنما يتجاوزه إلى ما هو أدهى، أي إلى تهويد الفكر الإسلامي وسلوك المسلمين، وأسلوب حياتهم واستيعابهم قطعاناً من العبيد بعدما تم استيعاب بعض المتحكمين بهم والقائمين على أمورهم، والملتحقين بهؤلاء من المتحلِّقين حول كل قصعة، المتلونين مع كل حال.[الدكتور خير الدين عبد الرحمن في كتابه (القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين) ص ٢٩٨- ٣٠٠] دمشق دار الجليل ١٩٩٦.

## لفظة عرب في القرآن الكريم ليس المقصود منها اللغة العربية وليس معناها أنّ القرآن الكريم كان قد نزل باللغة العربية كما فهمها الجاهلون!

وليس فهم معنى لفظ (عرب) ولفظ (أعراب) ليس كما ذهب إليه المفسرون الشعوبيون ومن نهج نهجهم؛ فقالوا: أنّ المعنى المقصود في جميع الآيات هو القول بأن القرآن نزل باللغة العربية! إذ لا حاجة أبداً لأن يؤكد لنا الله سبحانه وتعالى، في قرآنه العظيم، مثل هذه المعلومة! فمسخوا بذلك المعنى الإلهي العظيم المراد إلى أدنى مستوى، إن لم نقل بأنهم قد أخرجوه إلى خارج نطاق المعقول والمنطقي والمقبول، لقد شكلت التفاسير حاجزاً بين حقيقة النص الإلهي وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي، وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلى جوهر المعنى العربي للمفردات، والتأويل الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة، لقد عملت التفاسير على إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي، والمؤدي مباشرة إلى عين النص. والواقع أنّ هذه التأويلات لم تكن لتنطلي إِلَّا على من كانوا بعيدين عن جوهر الأمور، وكانوا غير قادرين على الفهم العربي المبين الواضح، أو كانوا بلهاء، إلى درجة السطحية المنتهية، ممن يعتمدون على النقل، والنقل الحرفي حتى لو كان بالأساس عن التوراة أو عن اليهود[١]؛ وهم ليسوا على استعداد لإعمال العقل أبداً أبداً.

(١) كذلك ورد في بعض الكتب التاريخية القديمة أن سيدنا آدم ﷺ، كان قد ابتنى البيت الثاني لله تعالى، وذلك بعد فراغه من بناء البيت الأول لله تعالى... وذلك حتى يرجع إليه أولاده الذين ابتعدوا في الأرض شمالاً... فيرجعون إلى الله سبحانه وتعالى في بيت أقرب إليهم.. لكنَّ الخلط في هذا النص، وفي الكثير من النصوص التي تأخذ عن كتب اليهود كلاماً على عواهنه من غير تمحيص، فهناك فرق كبير بين لفظ (بني إسرائيل) وبين لفظ (اليهود) بنو إسرائيل هم العرب، القبائل العربية القديمة التي كانت أول من أسكنها الله سبحانه وتعالى الأرض المباركة، من ذرية سيدنا آدم، وممن حُملوا مع سيدنا =

نوح، ومن ذرية سيدنا إبراهيم وإسرائيل، الذين كان سيدنا محمد ﷺ، قد بُعث فيهم، وهو آخر الرسل والأنبياء صلى الله عليهم أجمعين، بنو إسرائيل ذكروا في القرآن الكريم واحداً وأربعين مرة، (وإسرائيل منفرداً مرتين) والقرآن الكريم كان يخاطبهم مباشرة؛ منذ البداية، منذ المرحلة المكِّية؛ ومكة لم يكن فيها (يهود) وكان القرآن الكريم يقصُّ على العالمين قصصهم، كأضخم تراث بشري، وأعظم تراث إنساني، على الإطلاق، بخيره وشره؛ على مر الزمن؛ منذ خلق الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم إلى مبعث الرسول محمد ﷺ، إلى يوم يُبعثون حيث نبأهم رب العزَّة بمستقبلهم وحذَّرهم وأنذرهم، بينما اليهود عبارة عن قبيل من البشر كانوا قد دخلوا بلاد العرب قُبَيل الإسلام بفترة ليست بعيدة! كانوا وثنيين تفرعوا عن المجوسية ثمَّ إنهم تظاهروا بالتوحيد عندما كان ذلك لا بدَّ منه لهم، ثمناً لإفلاتهم من الأسر العربي أيام كانوا عبيداً للعرب، ثم للفرس الذين كانوا يوماً ما، على ديانة بني إسرائيل! وكان كسرى سليل إسحاق ابن إبراهيم كابر عن كابر، (راجع كتاب الشاهنامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وديوان جرير، طبعة دار المعارف في القاهرة، وتاريخ الملوك والسلاطين لابن طباطبا، طبعة دار صادر بيروت)

فليس لليهود أي علاقة ببني إسرائيل، لا من قريب ولا من بعيد، إلَّا في كون اليهود أساسا، عبارة عن قبيل من غير العرب، ولا يمتون بصلة إلى العرب، دخلوا بلاد العرب في فترة مشؤومة، من فترات التاريخ، وكانوا أسرى، جيء بهم أسرى وعبيداً ليخدموا بني إسرائيل، أسروا من شمال الصين، من سفوح جبال الهيملايا، ليخدموا بني إسرائيل في بلاد العراقين، (فعندما كانت الطواعين تحصد الناس من رعايا الملوك العرب من بني إسرائيل في كل مرة كان الملوك من العرب في بابل يسارعون إلى تنظيم الحملات، لجلب العبيد والأسرى من السلة البشرية؛ التي كانت، ولاتزال، وكانت مسألة الأسر (أسر القبائل أو العشائر بقضها وقضيضها) عادة تمارس في ذلك الزمان، ذلك أن عرب الموالي الذين يتواجدون في شمال الجزيرة وحلب، أساساً هم عرب كانوا قد أسروا من شمال الحجاز؛ واقتادتهم الجيوش إلى أقصى الشمال؛ من أجل العمل في الأراضي التي سبق وأن هلك عنها أصحابها، ومزارعوها (في الطاعون). وكذلك جلب اليهود من الهيملايا إلى سواد العراقين، جلبهم الملوك من بني إسرائيل العرب، ـ جلبوهم على دفعات ــ وذلك لاستخدامهم في فلاحة الأراضي، التي يُخشى أن تبور، ولا تزال المعابد الوثنية في شمال الصين والهند، هناك تشهد على علاقة اليهود الوثنيين أصلاً، بالوثنية، ولا تزال تلك المعابد تشهد على صلة اليهود بالوثنية، وابن بطوطة في رحلته المشهورة زار تلك البقاع، وحدثنا عن زيارته المثيرة لمعابد السامرة في الصين، عندما تجاوز في رحلته الحدود الهندية، الصينية، وعن عاداتهم وتقاليدهم، والتي تنطبق على عادات اليهود اليوم، في كل شيء، وكل الانطباق، والواقع أن الغجر الذين لا شك أنهم أتوا من الهند، وذلك بدلالة جميع الدراسات التي تحدثت عنهم، بما فيها تلك التي قام بها غجريون، جميعها أشارت إلى أصول الغجر، وأجمعت على أنهم أتوا من سفوح جبال الهيملايا، إن التقارب الشديد بين أشكال الغجر وأشكال اليهود، والتشابه الشديد بين أمراض الغجر وأمراض اليهود، والتطابق الشديد جداً بين عادات الغجر وعادات اليهود، ودينهم الواحد، وعاداتهم الواحدة، وأعيادهم المشتركة، والغجر في جميع دول العالم يحتفلون بعاشوراء، كذكرى لأحد قديسيهم، واليهود بالنسبة لهم هو يومٌ نجَّى به الله موسى من فرعون.

إذ ليس كل منقول صحيحاً أو مقبولاً إذا كان يخالف العقل والمنطق[1] وقد آن الأوان لأولئك الأعراب ليفهموا، لقد آن الأوان لأولئك الأعراب أن يمتلكوا الوعي وأن يعوا الحقيقة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، وهو أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى، وهو الكتاب الذي لا يحتاج إلى تأويل الناس، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[القيامة:١٩]، إنّ القول الذي يقول بأنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقوله تعالى:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ [طه: ١١٣] وقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣] وقوله تعالى: ﴿ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] قال تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ [الشورى: ٧] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا

(١) وهناك مثال هام على ضرورة إعمال العقل في المنقولات، مهما كانت، وكائنٌ من كان ناقلُها، وخصوصاً كتب التفاسير، وكتب الحديث، وكتب التاريخ؛ فكل كتابٍ، ما عدا كتاب الله سبحانه وتعالى، الذي يصدر عنه العلم، والمنطق، والحكمة، كلُ كتابٍ غيره، المفروض أن يخضع للعقل والمنطق.

حدث الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي فقال: كنت مرة في (واشنطن) وهناك قمت بزيارة أكبر المكتبات وشاهدت فيها أهمَّ، وأحدث أطلس في العالم، هذا الأطلس كان مكتوباً في مقدمته أنهُ أشرف على إعداده ٧٢ عالماً من مختلف الاختصاصات، جغرافيا، وطبوغرافيا، ومناخ، وبيئة، وطبيعية، وآثار، وتاريخ، ونبات، وحيوان، وغيرها، وفيه صور فضائية، وطبيعية ملونة، وفيهم أشهر الرسامين العالميين، وقد أعجبت من جماله ورونقه وألوانه الطبيعية الرائعة، لكنني عندما فتحته، وبحثت فيه، عن مدينتي الحبيبة دمشق؛ فلم أجدها! وبعد تمحيص وتفتيش، وجدتها أخيراً على ساحل البحر تحت مدينة بيروت!! وتابع الدكتور النابلسي قائلاً: فإذا كان العالم كله يُشيدُ بهذا الأطلس ويعتبره أصحَ كتاب... إلَّا أنه بالواقع، وعلى الواقع، فهو غير صحيح، وبالتالي فكل حديثٍ، أو خبر يخالف الفطرة السليمة، والعلم المبين، فهو حديثٌ، أو خبر غير صحيح، كائن من كان راويه، أو مصنفه، أو محققه.

﴿ عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣] وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف: ١٢] وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة:٣٦] إن القول الذي يقول بأنَّ المقصود من لفظة (عرب) الواردة في الآيات الكريمة ١٢مرة إنما المراد منه (اللغة العربية) إنَّ مثل هذا القول بات هرطقة وتجديفاً المراد منه بتر المعاني وقص المضامين التي أرادها رب العالمين؛ فلماذا؟ وما الداعي ليؤكد لنا رب العالمين على أنّ الكلام كلام عربي؟! واثنتا عشرة مرة؛ هل هذا الأسلوب من البلاغة في شيء؟ لو صح ما افتروه في التفاسير؟ بل هي قيادة سطحية للتفسير، لا معنى لها، أقحمت فيها الأفهام المغلقة التي لا سبيل إلى فتحِها.

# اليهودية هل هي دين سماوي ؟

جاء في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الصحيح أنّ اليهودية ليست ديناً سماوياً، والمسجد الأقصى وبيت المقدس هو (إيلياء) وليس (أورشليم) كما يدعون! وليس هناك سبي بابلي أبداً، بل هو مجرد وهم وأسطورة، وخرافة توراتية يهودية ليس إلَّا.

**والقرآن الكريم يؤكد أن سيدنا يعقوب كان ابن سيدنا إبراهيم، وليس حفيده.**

إن سيدنا يعقوب في القرآن الكريم كان ابن سيدنا إبراهيم، عليهما وعلى نبينا السلام، وليس حفيده، كما نصت عليه التوراة اليهودية، الأمر الذي كان قد انتقل إلى التفاسير العربية، وبالتالي إلى العقل العربي الذي كان قد بُرْمِجَ، وخلال عصور من الوهم والوهن، بُرْمِجَ بتأثير من تلك التفاسير على أسس غير عربية وغير مبينة. ففي سورة البقرة، وهي أول سورة في القرآن العربي المبين، بعد الفاتحة قال تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾** ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكان الخطاب في الآية الكريمة موجهاً مباشرة إلى سيدنا يعقوب بالذات، لذلك ذُكر اسمه بضمير الكاف (إلهك) إلى جانب إسماعيل وإسحاق، وواضحٌ من الآية الكريمة، أنه في اللسان العربي المبين، وكذلك العرب، كانت تعتبر كل ما علا من الأصول، الأجداد، والأعمام، والأخوة الكبار، فهم من الآباء، بما فيهم الأخ الكبير(١)، وكان سيدنا إسماعيل هو الأخ الأكبر،

(١) ولفظة (أبيه) و(أَبْلَة) التي لا تزال متداولة إلى الآن في بعض اللهجات العربيات، وما هو موجود أيضاً في اللغات العالمية المتفرعة عن اللاتينية، وفي الهند؛ المتفرعة أساساً عن اللسان العربي المبين، ومنه أيضاً ما يستعمل في الأديرة، والكنائس لدى النصارى، فيقولون (أبتي) (وأبونا) و(الأب) و(البابا) من كان يُعتبر راعياً، بمعنى المربي والمرجع، الذي يرجع إليه، أو موئلاً، يُؤخذ منه؛ كل تلك الألفاظ كانت من ذلك القبيل، وهو خير دليل على ذلك؛ إنها أساساً كانت مأخوذة من اللسان العربي المبين، والله تعالى أعلم.

لسيدنا إسحاق ولسيدنا يعقوب أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلاً هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام:٨٤].

كان ذلك (الوَهْبُ) عندما بلغ سيدنا إسماعيل السعي، مع والده إبراهيم ﷺ، يل السعي مع والده أي المعية والملازمة وأي العمل وبذل الجهد، أي كان سيدنا إسماعيل كبيراً، ونلاحظ في هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾ والهاء عائدة إلى سيدنا إبراهيم، وليس إلى سيدنا إسحاق، كما ذكرت بعض التفاسير؛ التي سارت وراء مقولة التوراة اليهودية، أبداً، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود: ٧١]، وهذه البشرى كانت لسيدنا إبراهيم وليست لغيره أبداً؛ ولو كانت لسيدنا إسحاق لنص القرآن العظيم بوضوح وبيان صريح، على أنَّ سيدنا يعقوب ولِدَ لسيدنا إسحاق، وليس لسيدنا إبراهيم! ولكنها كانت آية خاصة لسيدنا إبراهيم تحديداً، قد وُلِدَ له إسحاق ومن بعد إسحاق ولد له يعقوب؛ كان ذلك على الرغم من كونه شيخاً كبيراً.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [يوسف: ٣٨]، وغاب عن بال المفسرين أنَّ اللسان العربي المبين، يعتبر الجد، والعم، والأخ الكبير، يعتبرهم من الآباء أيضاً! والأب تعني الراعي، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقد تأخر لفظُ يعقوبَ عن بنيه أو أضيف لبنيه استثناءً لأن سيدنا يعقوب أيضاً قد فعل مثل ما فعل سيدنا إبراهيم؛ أي كان قد وصى بنيه مثله تماماً، أو كما كان قد وصى إبراهيم بنيه، إنّ سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق لم يكن لهم بنون، أو ذرية من الذكور، لكي يوصوهم، والله تعالى أعلم، أو أنهم صلوات الله عليهم كانت لهم ذرية

محدودة؛ أو أنهم لم يعقبوا من الذكور، والله تعالى أعلم.

لأنَّ القرآن الكريم لم يأتِ على ذكر آل إسماعيل ولا آل إسحاق مطلقاً؛ بينما أكد القرآن الكريم على وجود آل إبراهيم، وآل يعقوب.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [مريم: ٤٩]، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وهنا أيضاً الضمير (الهاء) عائد إلى سيدنا إبراهيم، وليس إلى سيدنا إسحاق، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وهنا أيضاً كان المقصود سيدنا إبراهيم، ولا علاقة لسيدنا إسحاق بموضوع الهبة! والله تعالى أعلم أنَّ الهاء في لفظ ذريته، المفروض أن تعود بحسب القاعدة إلى الأقرب عليها، وهو سيدنا يعقوب، ويُفهم من هذا أن الذرية، ذرية سيدنا إبراهيم، بقيت ممتدة من خلال ذرية سيدنا يعقوب، ومنه من خلال ذرية سيدنا يوسف تحديداً، بينما توقفت امتداداتها في الفروع الأخرى والله أعلم، قال تعالى: ﴿ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾، وهذه الآية تؤكد أن النبوة والكتاب كانت حصراً في ذرية سيدنا يعقوب، وبالتالي فإن سيدنا محمد خاتم النبيين كان ﷺ، من ذرية يعقوب، والله تعالى أعلم.

ولماذا يكون الوعد والبشرى بسيدنا يعقوب، لسيدنا إبراهيم، ثم يقال أن سيدنا يعقوب هو ابن سيدنا إسحاق؟ ومتى تمّ هذا الافتراء على الله؟ وتمشياً مع التوراة.

## هل كان سيدنا يوسف جَدَّاً للرسول الأعظم محمد ﷺ؟
## هل كان سيدنا محمد ﷺ، من ذرية سيدنا يوسف؟

هل كان سيدنا يوسف عليه، وعلى نبينا، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين الصلاة والسلام، جَدَّاً للرسول الأعظم محمد ﷺ؟ هل كان سيدنا محمد ﷺ، هل كان من ذرية سيدنا يوسف؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى ﴿ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، أليس لفظ النبوة، ولفظ الكتاب، في هذه الآية، مستغرقاً للجنس؟ لم يقل نبوة وكتاباً، بل قال النبوة والكتاب، لقد أتى لفظ الكتاب (اللفظ معرفاً) في القرآن الكريم ٢٣٠ مرة، وكان في جميع الآيات، سياقاً واحداً يدل على كتاب الله الكوني الكلي والعلم به والنبوءة عنه، وكان هذا الكتاب الكوني هو القرآن العربي المجيد، أوحى به الله سبحانه وتعالى لأنبيائه عبر العصور، وعلى مراحل كان آخرُها ومسكُ الختام محمداً ﷺ.

والقرآن الكريم يقرر أن جميع هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا ذرية بعضهم من بعض، والآثار التاريخية تقول بأن قريشاً لم تكن في مكة منذ الأزل! بل أتت من العراق أساساً، وتشكلت واستوطنت قرب مكة، ثم زاحمت جرهم أو خزاعة غيرها والله تعالى أعلم، حتى استولت على مكة في فترة من فترات التاريخ، الذي سبق نزول الوحي على رسول الله ﷺ، ويقال أن العماليق وهم قومٌ من حِمْيَر، في اليمن، كانوا أسبق إلى مكة ثم بغوا في البيت، فأخرجهم الله سبحانه وتعالى منه وأبدلهم بجرهم، وهنالك أخبار تقول (أن جرهم كانت أولاً في البيت ثم جاءت العماليق فتولت البيت) (وروى عن ابن الأزرق بالسند المتقدم قال: إن عمر بن الخطاب قال لقريش: إنه كان ولات هذا البيت قبلكم طُسم فاستخفوا بحقه واستحلوا

حرمته فأهلكهم الله، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله تعالى، فلا تتهاونوا به وعظموا حرمته، وجُديث أخو عملاق)[1].

ويقال إن خزاعة حلَّت محل جرهم، ثم إن قريشاً زاحمت خزاعة على مكة وغلبتها عليها، وقد احتلت قريشاً مكة قبل ثلاثمائة، أو أربعمائة سنة من قبل بعثة الرسول الأعظم ﷺ، والله أعلم، ويُذكر أن قريشاً قد تقاطرت إلى مكة، وتقربت من البيت العتيق، وقبل ذلك كانت في العراق أو أن سيدنا إسماعيل قد أتى مع أبيه سيدنا إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، قد أتوا من العراق ولذلك كانوا في مكة يطلقون صفة العريق على كل من تحدر من بلاد العراق، أو كان المقصود من هذه الصفة ذرية سيدنا إبراهيم ﷺ القادمين من العراق الذين اجتباهم الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم.

وقد غاب عن بالهم أيضاً أن معنى لفظ يعقوب في اللسان العربي المبين هو: الأخير، الذي يأتي آخِر واحد، وهو: العاقب الذي يتعقب القافلة، وكأنه متخلفٌ عنها يلحق بها، في آخر لحظة! وأن سيدنا يعقوب كان هِبَةً من الله سبحانه وتعالى، لسيدنا إبراهيم، لا لغيره، وآية له لا لغيره، ومعجزة له لا لغيره، وعندما بُشر بسيدنا إسحاق استغربت زوجته وقالت كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ**

---

(١) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه، قال «أخـذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة، ثم قال ابن الأثير: نعمان بفتح النون الأولى، انتهى.الكامل لأبن الأثير، وعن ابن عباس أنه قال: كان في السفينة ثمانون إنساناً وفيهم جرهم» شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ج١ ص٣٥٦ مكة المكرمة دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ.
يقول ﷺ : «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» قال هـذ ا القول لقومٍ من أسلم بن قصي، وأسلم أخو خزاعة، وهم بنو الحارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر، وهم من سبأبن اشجب بن قحطان ولا صحة عندي في هـذا الحديث لأن اليمن لو كانت من اسماعيل مع أن عدنان كلها من اسماعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء بالنسب لإسماعيل معنى؛ لأن غيرهم من العرب أيضاً أبوهم إسماعيل ولكن الحديث دليلٌ على أن خزاعة من بني صمة أخي مدركة بن إلياس ابن مضر انتهى، وقد اختلف في نسب قحطان المنسوب إليه جرهم، ص٣٥٨ نفس المرجع.

وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧١-٧٣]، إذاً كانت البشرى للمرأة نفسها وهي زوجة سيدنا إبراهيم ﷺ ، هذا ما يُؤكده القرآن الكريم.

وليس ضرورياً أن ننحى منحى التوراة اليهودية بالاعتقاد برواياتها الخرافية، التي تقول بأن سيدنا إبراهيم، كان لديه (زوجتان) سارة وهاجر [1]، إن هذا الاعتقاد، قد سدَّ على العرب المسلمين، والناس جميعاً، سُبُلَ الفهم المنطقي والحقيقي والصحيح لحقيقة الأمور، ومجريات الوقائع التاريخية، فسيدنا إبراهيم بحسب القرآن الكريم، لم يكن له إِلَّا زوجة واحدة؛ وهذه الزوجة بحسب الحديث النبوي الصحيح، كان اسمها **(سارَّة)** وكان الرسول ﷺ يقول عنها: «**أمكم سَارَّةَ**» وكان سيدنا إبراهيم، مع زوجه وأولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وأحفاده منهم كانوا يقيمون عند البيت، أو بقربه، ولذلك كانت بركات الله تعالى عليهم، ولذلك سماهم رب العزة أهل البيت، ولم يقل آل البيت، فمن أين جلبوا فيما بعد الأساطير؟ وكيف أعوجوا الأفهام؟ وألصقوا وألبسوا الترهات.

وبالتالي هل كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله تعالى عليهم، مجهولين في مصر؟ وأي مصر؟ ألم يبلغوا الرسالة، أو النبوة إلى الأمصار؟ ألم تعمم الرسالة التي حملها سيدنا إبراهيم؟ ألم يسمع بها معاصروه؟ يقول سيدنا يوسف ﴿**إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾**﴾ [يوسف: ٣٧]، هل كان لا يزال في تلك الفترة في عصر سيدنا يوسف، القريب جداً من عصر سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب، عليهم الصلاة والسلام، هل كان لايزال هناك قوم كافرون؟ أين هو موقعهم؟

---

(١) راجع كتاب (هاجر حقيقة أم أسطورة) لعبد المجيد همو، دار معد، دمشق ١٩٩٨.

هل كان البلاغ محدداً، والرسالة محصورةً في بقعٍ معينة؟ أين هي؟ هل كانت الدعوة وقفاً على آل إبراهيم، وذرية إسماعيل؛ وذرية إسحاق؛ وآل يعقوب، ألم تكن الدعوة إلى الله تعالى، والبلاغ عامّاً وشاملاً؟ قال سيدنا يوسف ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾؟ وهذا يعني أنه كان في زمن سيدنا يوسف هناك تعدد آلهة! أربابٌ يعبدونها من دون الله تعالى، ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال الملك ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ الملك هنا في سورة يوسف، ليس بالضروري أن يكون هو نفسه العزيز، بل الملك هنا شخص آخر، شخصية ثانية، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦] وكان للمدينة (مصر) أبواب؟ ومصر التي هي وادي النيل الأعلى، ليس لها أبواب! أين هي أبوابها؟ الأبواب تكون للمدينة المحدودة المحددة!.

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ [يوسف: ٧٨] إن سيدنا يوسف أصبح مكان العزيز!؟ وقالوا ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢] وهذا يؤكد أن قريتهم كانت معروفة للجميع ومشهورة وقريبة من المدينة (مصر)، ليست نائية ولا بعيدة بحيث تكون مجهولة لأحد، أو أن مصر كانت قريبة من القرية، يتضح ذلك خصوصاً عندما قال تعالى: ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ وهناك فرق بين القافلة الظاعنة والقافلة السيارة، إن القافلة السيارة هي التي تروح، وتجيء على الطريق باستمرار.

إن القرية التي كان يسكنها ويقطنها سيدنا يعقوب وأولاده كانت تقع على الطريق العابر بين الأمصار، وكانت على هذه الطريق تنقل باستمرار البضائع والأشخاص، وكانت لهذه الطريق عند كل قرية طرقٌ فرعية، بحيث إن العير كانت من كل قرية تنضم

إلى القافلة في ذهابها، وإنَّ العير كانت تفصل عنها في العودة عندما تصل إلى قراها، أي تفترق عن القافلة عند مفارق تلك القرى، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يوسف:٩٤]، إن سيدنا يوسف أصبح في ما بعد ملكاً للأرض؛ بعد أن بدأ موظفاً عند الملك، أو وزيراً للملك، أو مسؤولاً عن الميرا؛ لكنه ولا شك أصبح في النهاية ملكاً للأرض، إن سورة يوسف تؤكد ذلك.

لقد اكتسب سيدنا يوسف، وبمشيئة من الله سبحانه وتعالى، وبالإضافة إلى النبوة والكتاب من الله سبحانه وتعالى، الخبرة والتجارب، وتعلم تدبير أمور المُلك عندما كان في بيت العزيز منذ الصغر، يسمع ويرى (المهارة بالعمل والعلوم الأرضية) وصارت لديه الخبرة، وهذا هو السبب الذي جعل المَلِك، عندما كلمه، يُدركُ تمكُّنَ سيدنا يوسف من إمكانيته وقيادته، وقدرته على إتقان عمل (العزيز - الوزير) فسلمه وأعطاه مكان العزيز، قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [يوسف: ٧٨]، إذاً في تلك اللحظة، لحظة هذا الخطاب كان سيدنا يوسف لايزال وزيراً، أو قائماً بأعمال الوزير ؛ لكنه أصبح في ما بعد ملكاً على الأرض، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] وهذه عن سيدنا يعقوب وآله؛ كذلك فإن الرحلات بين المدينة (مصر) والبادية، والتي كانت (البادية) مقراً ليعقوب عليه السلام، وآل يعقوب، الذين كانوا في لجة البادية، وكانت الرحلات موسمية بين البادية والمدينة أثناء وخلال فترة الجفاف.. سبع سنين عجاف جفاف! ففي تلك المدينة (مصر - لفظة مصر في اللسان العربي المبين تعني المدينة؛ وفي التاريخ نقول أنَّ سيدنا عمر رضي الله عنه، قد مصَّرَ الأمصار أي أنه قسَّمَ أو نظَّمَ الأقاليم في البصرة، والكوفة، وغيرها، وهناك

بصرى الشام معروفة، ومعرة مصرين بلدة قرب حلب، وبصرى وبصير وبصر الحرير كلها قرى في بلاد الشام.

وكان هناك مستودعات مصانع (صوامع) للحبوب، وكانت هذه المدينة ولاشك، وهي تزرع في إقليمها الحب، وأنها كانت واقعة في وسط إقليم يزرع الحب، قال تعالى:﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾** ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩]، فماذا كانوا يعصرون، قال تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا** ﴾ [يوسف: ٣٦] فهل كانوا يعصرون الخمر؟ أم كانوا يعصرون الزيتون، الله تعالى أعلم.

ولكن الخمر لفظة تلائم الملك وهي أنسب للمفرد، بينما غير واردة لتكون متلازمة لحالة الشعب المتلهف من المجاعة؛ لابد أن تكون لفظة (يعصرون) المقصود فيها شيء غير الخمر، شيء يهم الناس، شيءكان يُنتظر بعد مجاعة دامت سبع سنين.

فإذاً في سورة يوسف ماذا يحصدون؟ وماذ يعصرون؟ هل يحصدون القمح أم الشعير؟! إذ لا بد أنه الشعير ؛ لأنَّ القمح (البر) لا يناسب البداة، ولا الحياة في البادية، ولا هم يعتمدون عليه أبداً؛ لأنه لا يمكن تخزينه في البادية، فهو سريع العطب ولا يحتمل ولا يتحمل ظروف البادية، بينما يعتمد البداة إلى اليوم، على الشعير حصراً؛ لأنه يناسب البادية، وإلى الآن فإن أهل البادية، في الحجاز والشام والعراق، يزرعون أطرافها ووديانها، فإذا أكرمهم الله سبحانه وتعالى بالمطر، أعطتهم من الغلال أضعافاً مضاعفة، وإذا كانت سني محل أطعموا الزرع إلى قطعانهم، وهم يعتمدون على الشعير في كل حياتهم، يصنعون منه

الخبز والأكل، الطبخ والحلويات؛ ويُطعمون منه حيواناتهم، ولم يكونوا يعرفون خبز القمح، فقد ذكر أبو هلال العسكري قي كتابه الأوائل أن أول بدعة في الإسلام، كانت أكل العرب لخبز القمح! وأنهم كانوا على عهد رسول الله ﷺ، لا يأكلون إِلَّا خبز الشعير.

وبالتالي فهل كانوا أيضاً يعصرون منتجات النخيل؟ أم الأعناب؟ أم الزيتون؟ أين هو إقليم الشعير، والزيتون معاً؟ هل يوجد في وادي النيل الأعلى أصولٌ لزراعة الزيتون، ومعاصر لعصر الزيتون؟ أو لمنتجات النخيل والأعناب؟ هل كانت مصر التي هي اليوم الإقليم في وادي النيل الأعلى، بلاد زراعة الحنطة (القمح) أساساً؟ هل كان المقصود بالحب والسنابل الخضر واليابسات المذكورة في سورة يوسف حديثٌ عن القمح أم عن الشعير، هل يعتمد البداة على القمح أم يعتمدون في حياتهم على الشعير، لهم ولدوابهم هذا ولم ترد لفظة (القمح) مطلقاً في القرآن الكريم، فليس من الضروري أن نلتزم عند فهمنا لقرآننا المجيد محددات التوراة.

وبالتالي فهل تعتمد بلاد مصر (وادي النيل) على الزراعات البعلية والمعروف، أن مصر هي هبة النيل، وهذا يعني أن إقليم مصر، في وادي النيل، أرضها أرض سقي لا بعل! وبالتالي فإن ماجرى، وما ورد في سورة يوسف من حديثٍ عن المكان وعن الزمان، كموقع وكفترة تاريخية، فإنه لا علاقة له، لا من قريب ولا من بعيد، ببلاد مصر الحالية؛ ولا بالأوابد الآثارية المتواجدة حالياً في وادي النيل، أبداً، الأهرامات والمومياء والمسلات والأقصر وغيرها، إن إطلاق تسمية الحضارة الفرعونية على تلك الآثار الرائعة الموجودة الآن في وادي النيل كان مؤامرة يهودية توراتية هدفت لتطبيق وتلفيق وتزييف واختراع واقع يتناسب وأكاذيب وافتراءات وأضاليل التوراة اليهودية، وقد سبب هذا الأمر إرباكاً وتناقضاً للأفهام وسدَّ كل إمكانية للبحث العلمي المجرد والدقيق والبحث العلمي الذي لم يكن ليتنافى مع

الذكر الحكيم أبداً.

بينما تشير السورة بما لا يدع مجالاً للشك أن الموقع الحقيقي لمجريات الأحداث في السورة سورة يوسف، كان في إقليم زراعة الحب[1]، والزيتون، وفي إقليمٍ كانت تعتمد الزراعة فيه على مياه الأمطار (الزراعات البعلية) لا مياه الأنهار، وهذا الإقليم ولا شك كان ولا يزال محصوراً بين الحجاز وبلاد الشام، بما فيه جنوب العراق؛ إن المدينة المشار إليها كانت تقع على أطراف هذه البادية الشاسعة، بدليل أنه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ فهل كانت هذه المدينة التي وصل إليها سيدنا يوسف ﷺ، هل كانت هي (يثرب) على اعتبار أن القص، والدلالة كانت لسيدنا محمد ﷺ، وبشرى له، على أن ما سيحصل له هو نفس ما حصل لسيدنا يوسف؟ الله تعالى أعلم.

ولكن هل أوحي للرسول محمد ﷺ أنه سيكون هو المكان نفسه؟ وأن عليه أن يهاجر إلى هذا المكان؟ الله تعالى اعلم، وبالتالي هل ما كان قد حصل لسيدنا يوسف من قبل؛ كان في المواقع نفسه؟ لا سيما أن سورة يوسف كانت مكية، وقُبيل الهجرة، وكانت بشرى للرسول ﷺ، وتثبيتاً له، ووحياً وتوجيهاً؟

هل كان هذا التوجيه إلى يثرب، التي أصبحت فيما بعد المدينة، هل رجعت إلى اسمها الأول، هل أوحي للرسول ﷺ، له باسمها الأول؟ والله أعلم، أن الله سبحانه وتعالى، قد

---

(١) وهنا لا بد من التأكيد على أنه ليس بالضروري ان تكون الحبوب المقصودة هنا حبوب القمح؛ لأنَّ حبوب القمح لا تناسب عملياً التخزين سبع سنوات! بل ولا سنة واحدة، ولا بدَّ أن تكون الحبوب حبوب الشعير؛ حيث لا يزال الشعير هو المفضل لدى البدو في الحل والترحال.

وذكر كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري المتوفى مطلع في القرن الرابع الهجري أنَّ أول بدعةٍ في الإسلام كانت عندما بدأ العرب المسلمون ينخلون طحين الشعير، وقال بأنَّ المسلمون الأعراب كان خبزهم من قبل، من الشعير غير المنخول؛ وكثيراً ما يذكر في الأثر أن الرسول ﷺ كان خبزه من الشعير والله تعالى أعلم...

أوحى إلى الرسول العربي محمد ﷺ، في سورة يوسف، التي نزلت بطبيعة الحال في الفترة المكيّة، كانت هذه السورة هي التي أوحت إلى الرسول ﷺ بالجهة التي عليه التوجه إليها (يثرب) وبالطريق؛ والله تعالى أعلم.

وكان ﷺ على يقين من أن المُلك والحكم سيكون للمسلمين، لكنه ﷺ، قد آثر ما عند الله سبحانه وتعالى، لأن الله سبحانه وتعالى قد خيَّره فاختار ما عند الله تعالى، وفي بداية الهجرة كان ﷺ قد وعد، وكله ثقة بالله تعالى (سراقة) بسواري كسرى، ولما كان يحفر مع المسلمين في الخندق، قال ﷺ الله أكبر فتحت المدائن الله أكبر فتحت الشام، كانت هذه كلها إرهاصات لِما سيتم من نعمة من الله سبحانه وتعالى، كانت هذه الإرهاصات واضحة في سورة يوسف، الرسول العربي محمد ﷺ، كان قد فهم ما أوحي إليه، وعمل وفق ما أوحي إليه من الله سبحانه.

فالرسول ﷺ قد ائتمر به قومه، وسيدنا يوسف قد ائتمر به أخوته، سيدنا محمد كان يتيماً فآواه الله سبحانه وتعالى، وكذلك كان سيدنا يوسف طفلاً صغيراً فأنقذه الله سبحانه وتعالى، كان سيدنا محمد مستحيلاً على العقل والمنطق البشري، التصور بأنه سينتصر، وأنه سيكون بدعوته ذكراً للعالمين، وكذلك عندما كان سيدنا يوسف في لجة البادية، طفلاً صغيراً، معزولاً، كان من غير المنطقي التفكير بأنه سيكون ملكاً للأرض، إن الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء ﷻ، يعز من يشاء بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

إن سورة يوسف في القرآن المجيد من الضروري جداً على كل عربي قراءتها والتمعن في دلالتها والتبصُّر في قصِّها؛ لأنها مفتاحٌ من مفاتيح فهم القرآن العظيم، وكشافة بالنور للتاريخ الماضي، وسيدنا يوسف هو واحد من السابقين واللاحقين المتلاحقين، من الأنبياء والرسل العرب الكرام، والذين جميعهم كانوا من العرب، من العرب وقد بعثوا في منطقة واحدة، كانت

واحدة، ثم جعلوها متعددة الأقوام بعد أن اختلفوا

و(أهل البيت) يعني هذا التركيب، ويدل هذا اللفظ، على أنهم، سيدنا إبراهيم وامرأته وأولاده جميعاً، سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب، ثمّ إنّ سيدنا يعقوب، قد أعقب، وصار لديه (آل) في مكان ليس ببعيد عن البيت؛ لأنهم، ولا شك، كانوا يقطنون قرب البيت؛ البيت العتيق، مكة المكرمة، وهو أول بيت وضع للناس قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠]، جاء بكم من البدو يعني ذلك أنهم أخرجوا من لجة البادية ومركزها من وسطها، من حيث لم يكن أحدٌ يمكن أن يتوقع أنهم يمكن أن يخرجوا منها، ولكن الله سبحانه وتعالى قد أخرجهم بمشيئته وبإرادته وبقدرته سبحانه وتعالى، إن هذا الخروج لم يكن من أطراف البادية! بل من لجة البادية، فإذاً أين تقع البادية؟ الأولى والأساسية؟ والحقيقة أن ليس هنالك بادية في العالم، إلّا بادية واحدة؛ ومركزها مكة المكرمة البيت العتيق أول بيت وضع للناس، كان هذا البيت وقد وضع في لجة البادية في وادٍ غير ذي زرع!

وهذا هو معنى لفظ (أهل البيت) وليس لها أي مدلول آخر! قال تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا﴾ [آل عمران: ٩٦]، قال تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هود: ٧٣]، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾[الحج: ٢٦]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤﴾ [الطور:

١-٤]، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال:٥]، وبيتك في هذه الآية تعني بلدتُك، وأهلُك من الأهل والديار، وتعني أن مكة المكرمة، وهي البيت العتيق، كانت بيتاً ومثابةً لكل نبي ولكل مؤمنٍ على مر الزمان، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥، قال تعالى ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]، فهل كان المقصود من البيت المنسوب إلى سيدنا نوح هو السفينة، أم البيت العتيق، لاسيما أن زوجته كانت من الغابرين والتي ضرب لنا الله بها المثل في الخيانة! وكذلك ابنه الذي كان قد غرق، والذي ربما كان وحيداً، فبحسب القرآن العربي المجيد، ليس بالضروري أن يكون عند سيدنا نوح ﷺ، أبناء أكثر من ولد واحد، وبالتأكيد فإنه ﷺ، لم يكن لديه في هذه الحياة ذرية! أبداً وإلا، لورد ذلك في الآيات صراحةً قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء:٣]، قال ذرية من حملنا ولم يقل ذرية نوح، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [مريم:٥٨]، وهنا أيضاً لم يقل (ذرية نوح) بل قال ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ما يقتضي الانتباه لما هو موجود في التفاسير والآثار التي انساقت وراء الأفهام المستوردة أصلاً من التوراة دون تمحيص والله أعلم.

فكيف ساقوا التفسير إلى أن أصبح سيدنا يعقوب ابناً لسيدنا إسحاق، بالشكل الذي يُعاكِسُ مَقولةَ القرآن الكريم الواضحة والصريحة، وهل الله سبحانه وتعالى يعجز عن أن يجعل

سيدنا إبراهيم الشيخ الكبير، ينجب ما يشاء من الأولاد ؛ بل إن الله سبحانه وتعالى سيجعل له الأولاد، لسيدنا إبراهيم، حتى يتعدى الفعل في (وهبنا) سيدنا إسحاق؛ ولماذا يكون (وهبنا) عائداً إلى سيدنا إسحاق، وبياناً، فإنه لا مبرر بلاغياً، على الإطلاق لذكر البشرى بيعقوب، لو كان سيدنا يعقوب ابناً لسيدنا إسحاق! لأنه سيكون في هذه الحالة، من نافلة القول، أو أنه في هذه الحالة، سيكون كلاماً زائداً لا مبرر له، وحاشا وكلا أن يكون في القرآن الكريم كلام زائد؛ والقرآن الكريم فيه قمة البلاغة، ومن الطبيعي أن يكون، أو أن يُرزق سيدنا إسحاق بعد ذلك بالأولاد! فما الداعي في هذه الحالة للبشرى؟ بل كانت البشرى لسيدنا إبراهيم ﷺ، آية له وجائزة له بالذات، فقد أتاه يعقوب على كبر، وبعد إسحاق، هبةً من الله تعالى، إن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على كل شيء، ﷻ والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

# حول لفظة (آل) الواردة في القرآن الكريم ودلالاتها

لقد وردت لفظة (آل) [1] في القرآن الكريم ٢٥ مرة، وبحَسَبِ المُعجم المفهرس

(١) هذا وإن لفظة آل سيادية، تتعلق بالسيادة، وتمتُّ إلى السيادة، وتفيد السيادة، والقيادة، فقال تعالى: ﴿ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ لأنّ فرعون كان ملكاً، سليل ملوك! وربما كان (فرعون) الذي كان في زمن موسى، سليل أنبياء، ولفظ فرعون عربي يعني الملك، والفرع الكبير المقدس! الذي يتفرع من أدنى الشجرة، بدليل اللاحقة النون، وهي دليل القداسة،وهناك عدد كبير من الملوك الفراعنة، مثل النعمان، (وهي النعمون) أيضاً التي تعني المنعم أي الملك، (النُعُم) وهو الفرع الدقيق من أعلى الشجرة؛ واللاحقة (النون) دليل قداسة؛ (وكان الفراعنة، والنعمانات، يدَّعون أنهم من سلالة مقدسة)؛ قال تعالى على لسان فرعون ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرِى فَأَوۡقِدۡ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّى صَرۡحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص: ٣٨]، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر: ٢٩] وهناك عدد كثير من الملوك العرب الذين اتصفوا بمثل هذه الصفات، ولفظة (إيل) كانت تعني الإله عند العرب قديماً، وفي اللسان العربي يُسمي شرحبيل وإسماعيل وإسرائيل وإسرافيل وكلها أسماء تنتمي إلى الإله، قال تعالى: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِى مُؤۡمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة: ٨-١٠]، وكلها صفات عربية قديمة، بحسب الزمان والمكان، مثلما كان ملوك الفرس يتصفون بكسرى، وملوك الروم بقيصر، (إن لفظ كسرى ولفظ قيصر لفظتان عربيتان، وأصلهما عربي واحد، بدلالة حرف القاف وحرف الصاد، وهذه أحرف حلقية، ونطقها وقفٌ على الحنجرة العربية، ومعلومٌ أن الفرس تقلب القاف إلى كاف، والصاد إلى سين، وللفظتين علاقة بلفظة (القصر) وهو البناء المشيِّد المنيع، مقر القيصر الحاكم، و(القصورة) الأسد الملك فهل كان فرعون ملكاً، من ذرية الأنبياء، من ذرية إبراهيم ويعقوب، الذين سبق وأنعم الله عليهم فجعل منهم ومن نسلهم، حكاماً وملوكاً، فمنهم من كان صادقاً، ومنهم من كان ظالماً لنفسه؟ قال تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وهذا اصطفاءٌ من الله سبحانه وتعالى، لقد اصطفاهم رب العالمين وأورثهم الأرض، وجعلهم حكاماً لها، قال تعالى: ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [النساء: ٥٤]،وقال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ =

لألفاظ القرآن الكريم، فإنَّ (آل إبراهيم) وردت مرتين، و(آل لوط) وردت ٤ مرات، و(آل يعقوب) وردت مرتين، و(آل فرعون) وردت ١٣ مرة، و(آل موسى) مرة واحدة، و(آل هارون) مرة واحدة، و(آل داوود) مرة واحدة، و(آل عمران) مرة واحدة أيضاً، والمجموع كان ٢٥ مرة، ولم ترد لفظة (آل) لغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فليس في القرآن الكريم آل نوح؛ ولا آل إسحاق، ولا آل إسماعيل، ولا آل سليمان، ولا آل هود، ولا آل صالح، ولا آل محمد، صلوات الله عليهم أجمعين، مطلقاً، وكانوا جميعهم من الأعراب، أو خرجوا جميعهم من البادية العربية، وانطلقوا وكان سعيهم أولاً من الدائرة العربية التي كانت تشكل العالم القديم، قال تعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣٤]، قال تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٦] «وكانت فيهم الشجرة المباركة» قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣٣]، هذا ولم تشتمل الآية الكريمة على آل يعقوب، لأن مفهوم الاصطفاء لا ينطبق عليهم جميعاً، بل على قسمٍ منهم فقط [(١)] وهذا تأكيدٌ على أن آل

الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥] بينما لفظة أهل مكانية المنشأ، جهوية، نابعة من الملازمة، المساكنة، وفي اللسان: (وفي الحديث الشريف أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته أي حفظة القرآن، والعاملون به، هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان. وفي حديث أبو بكر رضي الله عنه، قال أقول له إذا لقيته، استعملت عليهم خير أهلك، يريد خير المهاجرين، وكانوا يسمون أهل مكة أهل الله تعظيماً لهم كما يقال بيت الله، لأنهم كانوا سكان بيت الله، وأهلٌ لنا أي مثلنا، وأهل المذهب من يدين به، وأهل الإسلام من يدينون به، وأهل الأمر ولاته، وأهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل كل نبيٍ أمته.أهـ

(١) بما أنّ آل يعقوب (أبناءه) لم يكونوا جميعاً من المصطفين الأخيار؛ ولم يشملهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، كان هذا أكبر دليلٍ على أنَّ آل يعقوب ليسوا جميعاً من المصطفين، وهذا يعني أنَّ أبناء سيدنا يعقوب ليسوا الأسباط، الوارد ذكرهم في القرآن الكريم وكانوا أنبياء =

يعقوب، أو أولاد سيدنا يعقوب، ليسوا الأسباط، كما زعمت التوراة اليهودية، وكما تتبعها بعض المفسرين، والله أعلم، بينما كانت تقابلها، في الاتجاه الآخر المعاكس، شجرة فرعون (آل فرعون) المتكبرين التي تشكل الشجرة الملعونة(١) في القرآن الكريم، قال تعالى:

---

وقد أنزل الله عليهم الوحيّ، وإنما الأسباط الوارد ذكرهم في القرآن الكريم، كانوا في ذرية، أو من ذرية سيدنا يوسف؛ أو خرجوا لاحقاً من ذرية سيدنا يوسف، على توالي العصور، وتعاقب الأيام، والله تعالى أعلم، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، قال تعالى: ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، قال تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٤]، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣].

(١) جاء في بعض التفاسير، أن الشجرة الملعونة قي القرآن الكريم، الوارد ذكرها في سورة الإسراء، سورة بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فقالوا أنَّ معناها ﴿ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ وكان هذا وهماً كبيراً، لأن لفظة الشجرة قد وردت في الكتاب العزيز ١٨ مرة، وكانت تدل في كل مرة على مدلول ومعنى متباين مع المعاني الأخرى، والحقيقة أنَّ اللعن هو الطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى، والعياذ بالله الكريم، والذين لعنهم الله تعالى ليس لهم من دون الله نصير أبداً، وهم الذين يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً، ويلعنهم اللاعنون، الذين كفروا بنعمة الله وفضله، والذين أشركوا معه إلهاً آخر، وهم الكافرون والظالمون وأصحاب السبت، والذين ينقضون الميثاق، وإبليس ورهطه، والشياطين وأتباعهم، والعصاة الماكرون، واليهود، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ [المائدة: ٦٤]، والذين يفسدون في الأرض، والذين يؤذون الله ورسوله، والذين غضب الله عليهم، والذين يكتمون ما أنزل من البينات بعد ما بينه الله سبحانه للناس، والكاذبون، والذين كفروا من بني إسرائيل، بعض العرب، والمتكبرين؛ هؤلاء جميعهم شجرة ملعونة في القرآن الكريم، واللهُ سبحانه وتعالى أعلم، ولكنَّ اللعن لا يمكن أن يكون للنباتات، ولا للحيوانات، ولا للجمادات، ولا لجهنم، لأنها مأمورة أصلاً، ولا لشجرة الزقوم، ولا لطعام الأثيم الذي أعد للكافرين، لأنها مخلوقات غير عاقلة وغير مكلفة ولم تكن جاحدة بأمر الله أبداً بل هي منفذة لأمر الله تعالى، فكيف يلعنها الله سبحانه وتعالى، بل حاشا وكلا، بل هي أوهام ساذجة توهمتها عقولٌ غير =

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وكانت الشجرة المباركة شجرة في آل إبراهيم ﷺ، قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، بينما لم يأتِ في القرآن الكريم لفظ (آل آدم) ولا (آل نوح) ولا (آل إسماعيل) ولا (آل إسحاق) ولا لفظ (آل محمد) أبداً، فلماذا؟ وهل آن الأوان لكي تعمل عقول العرب المسلمين، فتفكر في القرآن العربي المجيد، هل ستتوقف العقول العربية الإسلامية عن الأخذ من التفاسير الناقلة عن التوراة اليهودية؟! قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، لم يقل أهل، بل قال آل، ولم يشمل بالاصطفاء آل يعقوب، وهذا بسبب أنه ليس جميع آل يعقوب كانوا أنبياء؛ وبالتالي فإن أبناء سيدنا يعقوب ليسوا الأسباط كما زعمت التوراة اليهودية، بل الأسباط كانوا بالتأكيد غير أبناء سيدنا يعقوب، وهم ليسوا أبناءه مباشرة كما توهمت التوراة اليهودية؛ لكنهم أسباط له؛ قد تفرعوا من سلالة سيدنا يعقوب، بعد مرور الزمان، أي بعد اختلاط أحفاد سيدنا يعقوب، وتزاوجهم مع باقي العرب من بني إسرائيل فخرجت الأسباط، وكان سيدنا يعقوب بالنسبة لهم، جداً أعلى لهم، عن طريق أمهاتهم، أخرج البخاري (٣٢٢٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطةٌ، فدخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا: حبَّةٌ في شعرةٍ**»(١).

---

عاقلة متخلفة، غير عربية، عملت طوال عصور الانحطاط، على فهم القرآن الكريم فهماً أعجمياً بعيداً كل البعد عن حقيقة القرآن كتاب الله العظيم، وفرضته في سطحية مقيتة، والله سبحانه وتعالى عادلٌ، وعدالته مطلقة، وهي بالتأكيد لكل مخلوقاته، فكيف قبلت عقولهم أن الله ﷻ، يمكن أن يلعن شجرة، مجرد شجرة... والله المستعان على ما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

(١) لهذا الحديث الشريف أفهامٌ كثيرة، وآراءٌ متعددة ومتباينةٌ لدى العلماء المسلمين في التاريخ، ويجب التأكيد هنا على أنَّ =

لفظة (حِطَّةٌ) التي جاءت في القرآن الكريم توقيفياً مرفوعةٌ بضمتين، وفي آيتين، في سورتين منفصلتين، وذلك تأكيداً لنا، بما يعني أنها ليس بالضرورة أن تكون تعني، مقولاً للقول، كما قد يتبادر للبعض من الوهلة الأولى، بل يجب إعمال العقل والفكر والمنطق، فربما كانت (حطةٌ) هي مبتدأ أو خبر، والله أعلم، وذلك إذا علمنا أن لفظة (قولوا) عربياً لها أبعادٌ هي أبعد من كونها دالة على الكلام الذي يخرج من الفم، أو ما نحرك به اللسان، والله أعلم، فما المقصود من لفظة (قولوا)؟! في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقوله تعالى﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١]، كذلك فإن من الملاحظ في مطلع هذا الحديث (قيل لبني إسرائيل..) والحقيقة أنه ليس بالضرورة أن يكون القول العربي الذي في اللسان العربي المبين، القرآن الكريم ليس بالضروري أن يكون عاماً في بني إسرائيل، لجميع بني إسرائيل، بل هو للقسم المخاطب من بني إسرائيل، وفي موقعٍ محددٍ، وليس لكل بني إسرائيل؛ في كل المواقع! فبنو إسرائيل، عربياً في القرآن الكريم، مفهوم شاملٌ يشتمل على كل القبائل العديدة المتعددة العربية العاربة، والبائدة في البادية، وهم جذور القبائل العربية قاطبةً بما فيها قريش، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة:٤٠]، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [يونس: ٩٣]، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٩]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الدخان: ٣٠].

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الجاثية: ١٦]، قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الصف: ١٤]،وفي سورة البقرة، يخاطب الله سبحانه وتعالى قريشاً وكافة القبائل العربية معدداً أوضاعهم القديمة! وسلوكهم حِيال رسالات السماء، وأنبياء الله سبحانه وتعالى، وهم في شتى البقاع، في قرى مختلفة، وفي كل موقع كان لهم حال، وتجربة، خاصة، ولم يدخلوا جميعهم في قرية واحدة، كما يتوهم الواهمون بل كانوا منتشرين في الأرض؛ موزعين في البادية والمدن القديمة التي كانت محيطة بالبادية، من اليمن إلى بلاد الشام والعراق، في أعالي دجلة والفرات، وقد جاء لفظ (إسرائيل) مرتين، ولفظ (بني إسرائيل) واحداً وأربعين مرة في القرآن الكريم، وفي جميع الآيات الكريمة كان المقصود فيها العرب البادية، بقبائلها العديدة، وفي سورة البقرة وفي سورة آل عمران، وبعد كل لفظة (وإذ) في خطابه تعالى لبني إسرائيل، يجب أن نعلم أنه كان الخطاب في كل مرة، الخطابُ كان يمكن أن يكون موجهاً لأناس آخرين، أو مجموعة أخرى من بني إسرائيل، فأولئك الذين نجاهم الله من آل فرعون، ليس بالضرورة أن يكونوا هم ذاتهم الذين فرق بهم البحر، وهم ليسوا بالضرورة أن يكونوا نفسهم من ظلموا واتخذوا =

السريانية: قال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله ﷺ: «**تحسن السريانية: إنها تأتيني كتبٌ؟ قال: فتعلمها. فتعلمتها في سبعة عشر يوماً**»[1] أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢) وعبد بن حميد (٢٤٣). وقال: أمرني رسول الله ﷺأن أتعلم له كتاب يهود قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب. قال: فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود

---

العجل، وليس بالضرورة أن يكونوا نفسهم الذين طلبوا أن يروا الله جهرةً! بل يمكن أن يكونوا قوماً آخرين، أو عشيرة أخرى من بني إسرائيل، وفي مكان وزمان مختلف. وكذلك فإن أصحاب السبت والله أعلم كانوا في موقع مختلف وفي زمن مختلف ولكنهم أيضاً كانوا من بني إسرائيل، وكذلك الذين بدلوا القول، لذلك جاء الخطاب للعرب الحاضرين، قريش وغيرها، يُذكِّرهم بماضيهم الواسع النطاق، وبأجدادهم وسلوكهم حِيال آيات الله ورسله، وبما مَنَّ الله عليهم... وأنه تعالى كثيراً ما مَنَّ عليهم والله أعلم.

(١) كل أقلية لديها لغة خاصة أو لهجة سرية يتواصلون بها فيما بينهم! إذا كانت متقوقعة على نفسها، أو متشرذمة في خضم المجتمع الكبير الذي يعيشون فيه، الحديث الشريف هنا يوضح ويثبت ويؤكد لنا، أن اللغة التي كان اليهود يتواصلون بها فيما بينهم، ويتآمرون بها على الآخرين، ويرطنون بها منذ أيام الرسول ﷺ، وفي صدر الإسلام، وإلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، كانت السريانية العربية سرقوها وجعلوا منها لغة سرية يتآمرون بها على غيرهم من الشعوب. وبالتالي فقد أطلقوا عليها اسماً جديداً لتمييزها في العالم، ثم وضعوا لها القواعد، نفس قواعد اللغة العربية تقريباً... بعد أن أضافوا إليها وحوروا بعض الألفاظ فيها!! وقلبوا البعض الآخر! مثل ما فعلوا بـ (لا مساس، اللفظة من القرآن الكريم) وكانت هذه مهمة إبليس في الحياة؛ فأصبحت (سام) معبوداً لليهود؛ ثم شكلت ابناً لنوح يرجع إليه اليهود؛ وصار هناك علم يسمى علم اللغات الساميَّة، وعروس هذه اللغات بالطبع صارت اللغة (العِبْرِيَّة)! مع أن هذه اللغة لم تكن قبلاً ذات قيمة، لا هي لغة أدبٍ، ولا هي لغة حضارةٍ، لم تكن سوى كلام يرطن به اليهود القاطنون (الغيتو) خارج المدن في أوربة، ثم تحول هذا المدلول ليصبح أخيراً دلالة على شعب الله المختار، اليهود أيضاً!. وذلك مثل ما قلبوا لفظة (عيس) لتصبح (يسوع)، وحكيم العربية إلى حاخام! فهل كان لفظ (حام) في لغة اليهود السرية، أو هو رمزٌ أصله، أو هو مقلوب لفظ (ماح) أو (محَّ) وبالتالي فهل كان اليهود يُطلقونه على باقي الشعوب، من غير اليهود، وذلك تعبيراً ودعاءً من اليهود؛ وأملاً منهم في فناء تلك الشعوب ودمارها! راجع من أجل ذلك كتاب ابن قيم الجوزية (هداية الحيارى) لتقرأ أن اليهود، عندما كانوا عبيداً عند الفرس (وكان الفرس، ملوكهم، يُعدون أنفسهم من بني إسرائيل كابر عن كابر؛ حيث كانوا يرسلون في كل عام المحامل والهدايا؛ إلى مكة إلى بيت أبيهم إبراهيم، راجع من أجل ذلك كتاب الفخري لابن طباطبا) كان اليهود في تلك المرحلة (٥٠٠ق.م) كانوا يدعون في صلاتهم لآلهتهم! يدعون على باقي الشعوب من غير اليهود بالبوار والفناء (المحو من الوجود)!

كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم. أحمد (٥/ ١٨٦) وأبو داود (٣٦٤٥) والترمذي (٢٧١٥)؛ ولا علاقة لبني إسرائيل باليهود الغرباء عن العرب والله تعالى أعلم، أخرج البخاري (٢٧٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله**». أخرج البخاري (٢٧٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهود: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله**» أخرج البخاري (٣٢٦٨) عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «**كَانَت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلكَ نبي خلفهُ نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون**». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوا بِبَيعةِ الأوّلِ فالأوّلِ، أعطوهم حقهم، فإنَّ اللهَ سائلهم عمّا استرعاهم**»[1]، أخرج البخاري (١٤٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**أنَّ رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل بأن يُسْلِفَه ألف دينار، فدفعها إليه، فخرج في البحر فلم يجد مركباً، فأخذ خشبةً فنقرها، فأدخلَ فيها ألف دينار، فرمى بها في البحر، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، فإذا بالخشبةِ، فأخذها لأهلِهِ حطباً - فذكر الحديث - فلما نشرها وجد المال**»[2] قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ**﴾ ١٦٣ النساء، والسبط في اللغة الفرع الصغير من الشجرة، أو هي الأغصان الصغيرة في أطراف الشجرة، والسبط هو ابن البنت؛ والحسن والحسين رضيَّ الله تعالى يُقال عنهما أنَّهما سبطا رسول الله ﷺ، أي أنهما حفيدا رسول الله ﷺ من ابنته فاطمة

(١) وواضحٌ من هذا الحديث الشريف أنّ بني إسرائيل، حديثاً صاروا هم العرب، وأنه لا علاقة بين (اليهود) وبين بني إسرائيل العرب، وأنّ العرب قديماً هم نفسهم بنو إسرائيل، وواضحٌ من الحديث أنّ الرسول محمد ﷺ كان استمراراً لسلسلة الأنبياء الذين بعثوا لبني إسرائيل العرب؛ وأنه آخر الأنبياء، في ذات السياق، وأنه لا نبي بعده ﷺ.

(٢) من المؤكد أن ليس المقصود هاهنا اليهود، بل بنو إسرائيل!

رضي الله عنها.

وكمثالٍ عل ذلك فإن ورود لفظ (آل لوط) في القرآن الكريم، أربع مرات، ولفظة (آل) تعني تحديداً وهي دلالة على الأولاد الذكور، والعائلة، والعائلة العربية، حيث تنتقل النسبة، ويحملها الأولاد الذكور، بينما أولاد البنت يحملون اسم ونسبة زوج البنت؛ وهذا دليل قطعي الدلالة، قطعي الثبوت، على أن سيدنا لوط كان له أولاد ذكور أيضاً؛ إضافة إلى أنه كان لديه بنات أيضاً، قال تعالى على لسان سيدنا لوط: ﴿ **يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ** ﴾ [هود:٧٨]، قال تعالى: ﴿ **إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝** ﴾ [الحجر:٥٩]، قال تعالى على لسان أهل القرية: ﴿ **أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ۝** ﴾ [النمل:٥٦]، فهل كان أولاد سيدنا لوط الذكور في تلك المرحلة صغاراً أم أنهم كانوا قليلي العدد ؛ بحيث أنهم كانوا غير قادرين على مدافعة المشركين المعتدين، إنّ التوراة قد بَنَتْ حكايتها على ظاهر الآية ﴿ **هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي** ﴾ لكن التوراة قد كتبها الكتبة، وقد نَسَخَ الله سبحانه وتعالى، التوراة بالقرآن الكريم العظيم، فهل من الضروري بعد ذلك السير وراء وهم التوراة؟ وهذا يؤكد أن القرآن الكريم كان أولاً ؛ وأن ما في أيدي اليهود هو الصورة المشوهة والمزورة والمكتوبة بأيديهم!!

وكذلك فإن الرسول الأعظم ﷺ كان قد نهى النسابين عن إيصال نسبه الشريف إلى سيدنا إسماعيل، فلماذا؟ لماذا نهاهم؟ ولماذا لم ينتهوا؟ بحيث استطاع ابن السائب الكلبي (الذي كان أساسه من يهود) في أواخر العصر الشعوبي العباسي، استطاع تعميم كتابه عن (جمهرة النسب ونسب معد الكبير)[1] الذي حشد فيه ابن الكلبي كل الأخطاء والمقولات

(١) وله أيضاً كتاب (أصنام العرب) في الجاهلية!!!

التوراتية، فملأ به أبصار وأسماع الناس، وحشا أدمغتهم بالأوهام! وقبل هذا الكتاب لم يكن للعرب كتبٌ في الأنساب ولكنه أبهرهم، وأوهمهم بكتابه هذا الذي حشد به كل الأخطاء المكرسة في التوراة فنقلها جميعها إلى الفكر العربي والعقل العربي؛ فهل كان ابن منبه اليهودي القادم من اليمن هو طليعة اليهود الذين بدؤوا المؤامرة؛ والتي ختمها وعمدها الطبري ابن جرير القادم من طبرستان؟ والذي أصبح كتاباه في التفسير والتاريخ يشكلان فعلاً العقل العربي والقلب العربي؛ القلب والعقل الحزين البائس العاجز والمشلول؛ الذي لم يعد يقوى على فعل أي شيء، ومشكلة المشاكل أنَّ الأميين والجهلة من المسلمين أصبحوا مطلع القرن الخامس عشر الهجري أصبحوا مرتبطين بتفسير الطبري وبتاريخ الطبري ارتباطاً وثيقاً، لقد تربى هذا الجيل وكل الأجيال السابقة على مقولات الطبري في التقسير والتاريخ والكارثة أن الناس تعتقد جازمة أن مقولات الطبري مقولات أو نصوص مقدسة لا يمكن نقدها أو معارضتها، إنهم يتوقعون أن تخسف الأرض بمن يفكر في نقد مقولات الطبري أو معارضتها! لقد أصبحت أوهام الطبري وأكاذيبه حقائق يدافع عنها المسلمون بكل ثقة على أنها كلام منَّزل!

والحق يقال فإنه ينبغي العمل على تغيير مقالة الطبري في التفسير والتاريخ الخاطئة أساساً، والسالبة والمجهضة والبعيدة كل البعد عن الحق الصواب؛ والتي أصبحت منذ مطلع القرن الرابع الهجري في القرن والناس لا يدرون أن الطبري كان رأس مؤامرة كبرى على المسلمين وعلى الإسلام الصحيح وأنه كان وقبل ألف سنة قد عمل على إدخال العرب المسلمين فكرهم وحياتهم ومصير جميع أجيالهم في متاهة لا نهاية لها أبداً أعدت لهم للتخلص منهم نهائياً! عن طريق تحييد العقل والفكر والمنطق والمحاكمة لديهم ودفعهم للقناعات الواهمة التي تبنى على ما صار يُدعى بالسند والنقل والعنعنة والمناولة، وإلى ما

هنالك من مسميات لأوهام كان غرضها تشتيت الأفهام وإبعاد العقل والفكر والمنطق عن الحقيقة الواضحة البينة الجلية، وهكذا فقد ساقهم الطبري عن طريق تجهيلهم والتعمية عليهم سوق الغنم في الطريق والتأويل الخاطئ إلى تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان كما عمد إلى تعليقهم وشدهم من رقابهم وذلك إلى حلبة مغلقة يتم فيها الاحتفال بنهايتهم!

وعندما سيعيد العرب المسلمون محاكمة الطبري وفق مسطرة القرآن الكريم بعيداً عن ملابسات التوراة التي كان قد اعتمد عليها الطبري في تفسيره وتاريخه ووثقها؛ عندها سيكتشف العرب المسلمون إلى أي مدى كانوا قد خُدعوا بالإمام ابن جرير الطبري [(١)]،

---

(١) إن القرآن الكريم، يؤكد صراحة أن الذبيح من أبناء سيدنا إبراهيم، كان سيدنا إسماعيل، وليس سيدنا إسحاق، كما أصر على ذلك الطبري في كُتُبِهِ، تمشياً مع ادعاءات توراة اليهود، مخالفاً بذلك النصوص الصريحة في القرآن الكريم: ﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١١ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١١٢ ﴾ [الصافات: ١٠٧-١١٢]، إذاً فإن البشرى بإسحاق عليه السلام كانت بعد الفداء، كذلك فإن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان اسم أبيه (كما صرح القرآن الكريم، آزر، وليس تارح! على ما في التوراة، كما أصرَّ الطبري؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لأبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤ ﴾ [الأنعام: ٧٤]، ومع ذلك فقد غُفرت للطبري، كل تلك المخالفات! لاغرو أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كان ينهى الناس عن ابن إسحاق، صاحب أول كتاب عن السيرة النبوية، الذي قيل عنه (أنه كانت تُعمل له الأشعار، فيضعها في كتب المغازي، فصار فيها فضيحة، عند رواة الأخبار والأشعار، وأخطأ كثيراً من النسب الذي أورده في كتبه وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول!! وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمون)؛ وكذلك الواقدي، صاحب الفتوحات، الذي كان عبارة عن مجرد قصاص، وراوية، وكذا كان تلميذه، وكاتبه ابن سعد، صاحب الطبقات الكبرى، الذي خلط الحابل بالنابل، والغث بالثمين، على رأي بعض العلماء (راجع السيرة النبوية وأوهام المستشرقين)، وابن الكلبي، صاحب كتاب جمهرة النسب، وكتاب نسب معد واليمن الكبير، وكتاب الأصنام؛ لاغرو أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كان ينهى الناس عنهم، متهماً إياهم بالوضع والتحريف، وأخذهم عن التوراة، وعدم الثقة بأقوالهم، قال ابن حجر في كتابه، لسان الميزان، في فصول المقدمة ما نصه: وقال الإمام أحمد: ثلاث كتب ليس لها أصول وهي المغازي والتفسير والملاحم، قلت أنه يضاف إليها كتب الفضائل؛ فهذه الكتب أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذا كانت العمدة في المغازي على مثل الواقدي، وفي التفسير على مثل مقاتل وابن الكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات (اليهوديات)، وأما الفضائل فلا =

وكذلك من العميان الذين تابعوه على منهجه خطوة خطوة في التفسير والتاريخ؛ الذين لم يألوا جهداً في الدين (التفسير) والتاريخ (الرواية) في سبيل تعطيل الفهم الصحيح الفهم الحقيقي[1] وتشويهه لدى العرب المسلمين وإعاقته، بل وفي العمل على إتلاف وتدمير

---

تحصى، (الموضوعات في الفضائل) فكم وضع الرافضة في فضائل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية أ.هـ! ولو أنه رحمه الله،(الإمام أحمد بن حنبل) كان قد أدرك الطبري وأمثاله من المفسرين وكتاب التاريخ، لحمل الناس على محاربة كتبهم، التي لم تكن مجدية أو مفيدة، بله، مثبطة للعزائم، وفعلاً كان الحنابلة يهاجمون الطبري بالحجارة وينهون الناس عن قراءة كتبه، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء

كان الطبري رحمه الله يعمل كتباً، ويعود فيختصرها تسهيلاً لحملها؛ كان رحمه الله يركز على المختلف بين الفقهاء؛ كان غزير الإنتاج، كان يكتب في اليوم أربعين ورقة! ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء، إن هذا عمل النسّاخ؛ ومثل هذا العمل، عمل، من الطبيعي أن تجد فيه الغث والسمين، فهذه كتب عُملت للكمية وليس للنوعية؛ كان عصر الطبري عصر كلام لا عصر فعال. راجع كتاب الحرب على العرب .

(١) في مطلع القرآن العظيم وفي سورة البقرة آية ٢٦ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فكيف فهموا هذه الآية وكيف فسروها؟ وما علاقة لفظة (البعوضة) في هذه الآية التي جاءت اعتراضية وذلك بحسب المدارس النحوية؛ ولم تكن من السياق العام للمقطع الواردة به من سورة البقرة، ومعلومٌ كم حارَ المفسرون عبر تاريخ التفسير! في فهم هذه الآية وكم حاولوا تأويلها... ولكنهم لم يوفقوا أبداً بما فيهم المعاصرون! ذلك أنهم طرقوها بشكلٍ خاطىء بطريقة غير عربية وغير مبينة وغير صحيحة ولذلك كانوا يصلون دائماً إلى نتائج خاطئة غير صحيحة، لقد افترضوا أن الرسول ﷺ قد ضرب للناس مثالاً كلامياً فأورد لهم حديثاً عن البعوضة!! ما أدى إلى ان يستنكر البعض من قومه! مثل هذا المثل! هكذا ورد في أسباب النزول وهذا ما تبنته التفاسير ثم طلع علينا بعض جهابذة المفسرين والمؤلين المعاصرين بالكلام عن أنهم مؤخراً قد اكتشفوا في أوربة بالمجاهر الألكترونية الأوربية الحديثة أن حشرة صغيرة تتربع على ظهر البعوضة بشكلٍ دائم وأن تلك الحشرة بينها وبين البعوضة حالة تعايش؛ فقالوا أنَّ هذا هو تفسير الآية الكريمة، ومشكلة المشاكل أن الخاصة من أهل السنة أخذت تروج إلى مثل هذا الكلام وصار يصدر عنهم وكأنهم هم الذين اكتشفوا بأم عينهم مثل هذا الكلام وصار العامة يقلدون الخاصة وهكذا ضاع وغاب المعنى الأساسي للأية الكريمة التي كانت ذات دلالة قوية ومهمة للوعي البشري وللفهم وللفكر وللغقل الإنساني، والذي كان عليه أن لا يتوقف عن العمل والبحث عن الحقيقة وان لا يركن إلى الترهات والأضاليل غير العلمية وغير الأكيدة.

=

وشل الوعي واليقظة والانتباه لديهم؛ [راجع تفسير ابن كثير وتفسير الجلالين] «بحيث صار من العجب العجاب أن تجد العرب المسلمين بعد الطبري قد حققوا أي نصرٍ أو انتصار على أعدائهم؛ أو أن تتوقع منهم ذلك؛ لأن الطبري وأعوانه كان هدفهم الرئيسي من وراء دس كل تلك السموم، وتشويههم لمعالم الدين العربي الحق الحنيف الرباني، هو شل حركة العقل عند العرب المسلمين وتضليلهم وتضييعهم وإخراجهم خارج نطاق الفعل والتفاعل في الحياة وتحويلهم إلى مطايا بخاتي وبرازين! وقد فعل وقد فعلوا!!!».

ففي حين كانت كل آية في القرآن الكريم هي ثورة، ثورة بكل معنى الكلمة، كان غرضها تثوير الإنسان وتنويره، ورفع مستواه من الدونية إلى العلياء وتحويله من حالة السكون والسلبية وحالة الانحطاط والغياب وحالة التبعية وحالة الانقياد للقوى الغاشمة والقوى المتسلطة والقوى المستعبدة والمهينة والمذلة والجاهلية على اختلاف أشكالها وأجناسها وأنواعها في العالم.... جاء القرآن الكريم بآياته المحكمات لتحويل الإنسان إلى

---

لأن سياق سورة البقرة العام كان خطاباً لـ (بني إسرائيل) الأقوام العربية، كل الأقوام العربية المتصلة من الماضي السحيق في القدم إلى الحاضر إلى المستقبل عبر الزمان والمكان غير المحدود، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى كان يذكر لهم آيات كانوا يعرفونها ويحفظون ذكرياتها عن ظهر قلب، فالعرب كانت تعرف المقصود من الآية الكريمة تماماً لأنها كانت تعيش الآيات التي كانت قد أجريت على يد سيدنا موسى في حق من عاصروه من الأقوام العربية أيام كان فرعون الظالم حاكماً على البلاد العربية وكان كافراً، وكان قومه يؤلهونه عندما أرسل الله سبحانه وتعالى الضفاضع والقمل والبعوض، آيات من الله سحانه وتعالى لتنكب فرعون وآل فرعون إن العرب لايمكن أن تنسى تاريخ سيدنا موسى العربي عليه الصلاة والسلام، والعلاقة بين دعوة سيدنا موسى ودعوة سيدنا محمد ﷺ هي دعوة واحدة ومتصلة وكلتا الرسالتين قد نزلتا على أمة واحدة وهي العرب الذين كانوا هم نفسهم بنو إسرائيل، هذه هي الحقيقة التي بينها القرآن الكريم، وبالتحديد سورة البقرة وخصوصاً الآية أعلاه، فكيف قام المفسرون بالتعمية وكيف لووا أعناق العقول وأدخلوا الأفهام بالمتاهات؟ هذا وإنَّ لفظة البعوضة لا تزال مذكورة في التوراة المزورة أكثر من إحدى عشر مرة! ومشهورٌ في آثار العرب وحكاياتهم أن فرعون والذي كان ملك الملوك متغطرساً ومتكبراً وطاغية وكيف دخلت في أنفه بعوضةً فسببت له ألماً شديداً لا ينتهي فأصبحوا يضربونه على رأسه بالأحذية حتى يهدأ أو يخف عنه الألم فهل لا حظ المفسرون مثل هذه المعارف العربية؟

حالة العنفوان والإباء، إلى الحالة الشماء إلى حالة الحضور ؛ لا الغياب! إلى حالة العلم لا الجهل، إلى حالة يصبح فيها الإنسان نابضاً بالحياة مضيئاً يشعشع، نوره من نور الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾[السجدة: ١٨]، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]،قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[الأنعام:٥٠]؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[الرعد: ١٦] ؟ قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]؟ إن كل آية في القرآن الكريم اساساً تحُمِّل قارئها وسامعها بله المؤمنين بها، حالة فيها انقلابية وثورة وتمرد على الحالات السالبة والمريضة والمتخلفة والجاهلة والمملقة، حالة التعاسة والبؤس والحرمان، الحالة التي فيها ذلٌ وعبودية لغير الله الواحد القهار، فالتوحيد أساساً هو دعوة إلى الجهاد والنضال والكفاح والتحرر من نير الهوان الذي تراكم على الإنسان بمرور السنين وتآمر الفاسدين المشركين الذين كفروا، من شياطين الإنس والجن، تآمرهم على الإنسان فرداً ومجتمعاً ؛ إنَّ الإسلام هو معرفة الله وتوحيده، ومن عَرَفَ الله الأحد الصمد هابه كل شيء، وسقط عنه خوف كل شيء، وقد قيل «إن من عرف الله سبحانه وتعالى صحت عنده المعرفة بالعلم وصح لديه العلمُ بالمعرفة»؛ والإسلام ظاهره وباطنه دعوة مستمرة للتحرر من القيود والأكبال والأغلال والعوائق والمعوقات التي يتوهم الإنسان أنها مؤثرة أو فاعلة بينما هي في حالة الإيمان وهم مجرد وهم، والإسلام يبين لنا أنها غير حقيقية، لكنها تكرست في حياتنا على مر السنين، ومن خلال الإعلام اليهودي السافل فهل كان الطبري وأمثاله من المفسرين المحترمين واعين أو متنبهين إلى هذا الجانب من الدين الحنيف؟ وإلا

فما وظيفة التفسير؟ وما الهدف من وجود التفاسير في حياة الناس هل كان الهدف من وجود وإيجاد التفاسير تقزيم الإنسان وسحقه وحصره وحصر عقله داخل زجاجة بحيث لا يخرج من عنقها أبداً؟!

إنّ الكثير من الأخطاء الشائعة، التي باتت تشكل قناعات راسخة، وبدهيات لدى العرب، على مر العصور، عصور الانحطاط؛ والتي لا تزال تعشش في عقول وأفئدة الطلاب والعلماء، بله عامة العرب المسلمين وهي لا تزال تخرج من أفواههم وأفواه خطبائهم ومازالوا يرفعون بها أصواتهم على المنابر وفي المحافل! كذلك فإن هذه الأخطاء لا تزال تملأ صفحات الكتب والمناهج المدرسية وتلقن إلى الطلاب في الجامعات والمعاهد!! ويتواصون بها كابر عن كابر؛ من الأجداد إلى الأبناء، ويحرصون على نقلها من الشيوخ إلى المريدين! فإنه صار من الواجب الآن تصحيحها في الفكر العربي(١) على أساس مسطرة القرآن العظيم، كتاب الله سبحانه وتعالى الذي لا يُخطئ أبداً، ومهما كلف الثمن

---

(١) إن العربي المعاصر يجهل معنى وجوده ويجهل بالتالي ماهيته، انه يتعثر بين شتى القضايا المزورة التي تلقيها الاميركانية في طريقه، لتحول بينه وبين اكتشاف قضيته الأصلية، فهو لذلك في عماء. وأخيراً إن الحوار مقطوع أيضا بين العرب، فالوحدة الحوارية أو النحن الأصلي منطمس تحت ضروب مختلفة من النحن اللاحق، مرفوعة إلى مرتبة النحن الأصلي، بعضها عالمي، وبعضها إقليمي وبعضها جزئي الخ.

إن العربي المعاصر لم يسترد أبعاده المفقودة منذ عصر الانحطاط الكلاسيكي، ولكن مأساته المعاصرة تقوم في أن أبعادا مزورة زائفة بدأت تنمو على أنقاض الأبعاد الأصلية، والعربي المعاصر بدأ ينسى أبعاده الحقيقية وهو يزهو بأبعاده الزائفة بوقاحة فقد تبنى المسخ مسوخيته.

وأكثر من ذلك: إن الاميركانية، بالإضافة إلى أنها تزرع الأبعاد الكاذبة وتنثر القضايا المزورة لدى العرب وسواهم من الشعوب المغلوبة على أمرها، فإنها تقيم تعارضا بين أبعاد العربي المتكاملة، فهناك تعارض كاذب يتسلى به العرب اليوم قوامه التعارض بين بعد البقاء أو الاشتراكية وبعد الحوار أو الوحدة القومية.

إن العربي اليوم، إذ ينزلق بين مختلف الاتجاهات مسميا حركة الانزلاق هذه مرونة واهتداء وانعطافا الخ.. ليكشف عن مدى التزوير الذي أصاب شخصيته وعن مدى نجاح الاميركانية في التزييف، ان العربي قد نسي وجود القيمة ومنح وجود العيش شكل وجود القيمة وهذا هو لب الاميركانية.

صار من الواجب الخروج وإخراج العرب والمسلمين والعالم من عباءة التوراة اليهودية التي ظلت ولا تزال تلف عقول الناس وأفئدتهم وأجسادهم بغير حق.

وسورة يوسف في القرآن الكريم كانت أساساً تَقُصُّ أثَرَ أمة العرب تحديداً المتصلين، وهي خاصةٌ بالقص عن قدماء العرب كمثالٍ للعالمين، ومبتدأ التعقل، وشهداء للناس، وعلى الناس! وهذه السورة الكريمة على الرغم من سردها لقصص آل يعقوب إلَّا أنها لم تذكر أبداً ولم تتطرق لذكر بني إسرائيل مطلقاً؛ الأمر الذي يجب على الباحثين والمفسرين والمؤرخين تذكره دائماً وعدم نسيانه! وسيدنا يوسف ﷺ، كان أيضاً وقديماً جَدَّاً من أجداد العرب، أبناؤه[1] وسلالته كانوا من آل يعقوب أيضاً، كانوا مبتدأ العرب؛ كمجتمع، الذين كانوا استمراراً لآل إبراهيم الذي كان أول من سمانا المسلمين، قال تعالى: ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾**﴾ [الحج:٧٨]، وصولاً إلى سيدنا زكريا وسيدنا يحيى اللذين كانا ملوكاً أيضاً وأقوياء وسيدين ونبيين مثل

(١) الرواية المحرَّفة في التوراة: فقد أوردت أسماء لأبناء سيدنا يعقوب، وأسماء لأنبياء آخرين، هذه الأسماء برمتها، كانت أسماء غير عربية على الإطلاق، بل هي أعجمية، ولا تَمُتُ إلى اللسان العربي بصلة، أي صلة؛ وهي مفتراة بقضها وقضيضها، ولو كانت عربية لتداولها العرب، بألسنتهم ولتسموا بها، ولأطلقوها على تضاريسهم، التلال والأنهار، وعلى أولادهم أو على قبائلهم وعشائرهم! ولكنها أسماء كانت غريبة عنهم، ومُختلقة، لم تألفها أسماعهم أبداً لأنها أصلاً لم تكن تمتُّ إليهم بصلة أبداً، بل هي أسماءٌ كانت مزورة، أعجميَّة، يهودية، مضافة إلى العرب، مفروضة عليهم منذ أيام الاحتلال الروماني، والاحتلال الفارسي، بحيث تمَّ تكريس هذا التزوير، وهذا الافتراء وإملائه، كذباً، وبهتاناً على العرب وعلى العالم ظلماً وعدواناً والآن يتم فرضه وتعميمه على الثقافة العربية الإسلامية، كثوابت؛ وكقناعات بديلة عن الحق، الحق الذي أوضحه القرآن الكريم بجلاء، الكتاب السماوي، كتاب الله سبحانه وتعالى، فهل سينجح اليهود، والمهوَّدون في تزويرهم للحق؟

ما كان من قبلهم سيدينا داوود وابنه سليمان؛ خلافاً لما ذكر في كتب أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم: ٤-٦]، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧١ ﴾ [آل عمران: ٧١]، فهل نحن مضطرون للذهاب في مذاهب أهل الكتاب؟

# في القرآن الكريم سيدنا يعقوب ليس إسرائيل!

إن آل يعقوب الذين كانوا مبتدأ العرب؛ كمجتمع، وهم استمرار لآل إبراهيم، والذين كانوا بدايةً، أعراباً في البادية العربية، الرحم، التي انبثقوا منها، وعنها أول مرة، أمهم الأولى، فقد خرجوا من البادية أول مرة أيام سيدنا يوسف عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام، الذي آتاهُ الله سبحانه وتعالى الحكم والملك، واختلطوا في ذلك العصر، ذرية سيدنا إبراهيم، من خلال ذرية ابنه الأصغر سيدنا يعقوب، ومن خلال سيدنا يعقوب، كانت ذرية سيدنا يوسف ﷺ، الذي كان أيضاً صغيراً وضعيفاً على الرغم من كون سيدنا يعقوب شيخاً كبيراً، قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)** ﴾ [مريم: ٥٨-٥٩]، فمن ها هنا اختلطت ذرية إبراهيم بذرية إسرائيل، من خلال ذرية يعقوب، من خلال ذرية يوسف الذين اختلطوا في تلك المدن، التي خرجوا إليها من البدو، فحكموها واستمروا حكاماً لها كابراً عن كابر سنين طويلة مشكلين فراعنة ونعمانات، ومن هاهنا جاءت للفراعنة والنعمانات والملوك لاحقاً فكرة القداسة للملك؛ والتقديس للأمراء؛ على اعتبار أنهم كانوا سلالة أنبياء ثم حرفوها، (كما حرفها الفاطميون، الذين ادعوا أولاً أنهم من آل البيت، ثم ادعى الحاكم بأمر الله الفاطمي الألوهية! فحكموا باسم هذا الحق![1] والأمر

(١) الذين حكموا وتحكموا في البلاد العربية، شمالي أفريقية، ووادي النيل، والجزيرة العربية، وبلاد الشام، وامتد نفوذهم، ونفوذ دعاتهم؛ إلى إيران، والهند، وقد دامت سلطتهم، ودام تحكمهم، في البلاد، والعباد، أكثر من ٢١٠ سنوات، منذ بنائهم للجامع الأزهر، إلى سقوط دولتهم، سياسياً، وعسكرياً؛ على يد القائد العربي صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله تعالى، ولكن هل انتهت كل الأشياء التي أُبدعت في عصرهم؟ ونشرها دعاتهم؛ في أنحاء العرب، والمسلمين؟ هل =

واضحٌ تماماً في مطلع سورة مريم قال تعالى على لسان سينا زكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٤ - ٦]، وواضحٌ في هذه الآية الكريمة أنَّ سيدنا ذكريا كان نبياً ملكاً، وأنه كان يفكر في أو كان عليه الصلاة والسلام، كان قلقاً على الملك، ملك آل يعقوب وعلى استمراريته حتى أنه وصل إلى مرحلة أصابه فيها الوهن وشاب فيها رأسه وكانت امرأته عاقراً ولم يأته الولد! فبدأ القلق! والملفت هنا في هذه الآية الكريمة التصوير الرائع عندما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه ﷺ قد خاف الموالي من ورائه وهذا يعني أن ملكه كان مهدداً من بعده بأنَّ الموالي يمكن أن يستولوا على المُلك؟! وهذا يعني أنه كان لديه قلق من انتقال الملك من بعده إلى الموالى في حال عدم وجود ولد له من صلبه شرعيٌ للملك لا يُخْتَلَفُ عليه والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

---

انتهت آثارهم السلبية، عند القضاء عليهم سياسياً وعسكرياً؟

لا شك في أن التمزق، والتشرذم؛ الحالي، الواقع المكرَّس، على الجماعات العربية والإسلامية، لاشك في أنّ فضله! يعود أولاً، إلى العصر الفاطمي، وكذلك فإنَّ الكثير الكثير من العادات، والتقاليد والأفكار الغريبة والمعتقدات الشاذة، كانت قد فرضت في العصر الفاطمي؛ فأين الباحثون العرب، أصحاب المشاريع الثورجية، أين هم من دراسة الآثار السلبية، للعصر الفاطمي؟ والقرمطي، السلبية على العرب والإسلام العربي، حينما كان العرب والمسلمون بين فكي الكماشة الفاطمية القرمطية، هل قام أحدٌ بدراسة آثارهم، على العقيدة، والفكر الإسلامي الحنيف، خلال ٢١٠ سنوات من حكمهم؟ والذين كان دعاتهم يقومون، وعلى قدمٍ وساق، بشن الهجوم على العرب، ويعملون على تقويض العقيدة العربية الحنيفية السمحة، وبعث، ونشر الأفكار الغريبة البديلة؛ وكذلك كان حال القرامطة، والدولة البويهيَّة، والدولة الصفويِّة، والدولة العثمانية الصوفية؛ فهل ستأتي الأبحاث العربية، على دراسة هذه الدول، التي قامت في التاريخ العربي الإسلامي، ودراستها بشكلٍ موضوعي ومفيد؟

فمنذ ذلك الحين، صارت حياة العرب، جعجعة بلا طحن، عبارة عن صوت وصورة؛ دون أي نتيجة؛ وذلك على الصعيد الديني؛ والدنيوي؛ لقد أصبح العرب مثل فقراء اليهود، لا دين ولا دنيا!

والشيء بالشيء يُذكر، فإنَّ سيدنا يحيى ابن سيدنا زكريا كان أيضاً نبياً ملكاً وكان قوياً وقد آتاه اللهُ الحكم صبياً، وكان لديه حنان من الله وزكاة وكان تقياً، وكان باراً بوالديه، إذاً كان سيدنا يحيى نبياً ملكاً وكان نبياً ملكاً قوياً ولم يكن جباراً عصياً وريثاً للملك من آل يعقوب، وقد عاش بسلام ومات بسلام وسيبعث يوم البعث بسلام والله تعالى أعلم، بينما كان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ابنٌ للسيدة مريم وكان مثله كمثل آدم خلقه الله سبحانه وتعالى بكلمة منه ولم يكن له أبٌ ولا آل فبطبيعة الحال لم يكن من آل يعقوب! والله أعلم.

ومما لا شك فيه أنَّ سيدنا إبراهيم ﷺ كان أولاً في مدينة، في مجتمعٍ، وكان فيها معبد؛ وهذا المعبد كان فيه مجموعة من الأصنام، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام:٧٤]، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦]، قال تعالى:﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الأنبياء:٥٨-٦٢].

وهذا دليلٌ قطعي الدلالة، قطعي الثبوت أن سيدنا إبراهيم، وكان (فتى) يعيش أولاً في مجتمع، أو تجمع له ملك، وفيه معبد كبير، وفيه عدة أصنام، وقد غادره دون رجعة عائداً إلى البادية، وداخلاً فيها، قال تعالى على لسان أبيه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم: ٤٦-٤٩]، إذاً كان سيدنا إبراهيم ﷺ متزوجاً وعنده ابن وهو إسماعيل وذلك من قبل أن يعتزل المدينة، وأهل المدينة؛ أو بعد ذلك مباشرة، وقد دخل معه ابنه إسماعيل إلى البادية، عندما دخلها مع أهله، زوجته، مقترباً من موقع البيت العتيق، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨]، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ [الحج: ٢٦].

ففي القرآن الكريم، أساساً، سيدنا يعقوب ليس إسرائيل، وعصر سيدنا يعقوب وعصر سيدنا يوسف لم يكن فيه فرعون، ولم تكن فيه هذه الصفة قد ظهرت، أو عرفت، وسيمر زمن طويل على عصر سيدنا إبراهيم، وعصر سيدنا يعقوب، وسيدنا يوسف، الذي مكَّنَ له رب العالمين في الأرض، له ولذريته ووهبه الملك، ووهبه الحكمة، وأورثها لذريته من بعده الذين أصبحوا الفراعنة في ما بعد لذلك ينبغي أن يمر زمنٌ طويل، حتى تظهر لفظة فرعون، ويعرفها الناس؛ لأن لفظة فرعون هي لفظة كانت ناتجة عن تعاقب الأجيال من بني إسرائيل من ذرية سيدنا يوسف بالذات، دون غيره، وربما من ذرية إخوته، العائلة التي أصبح منها الأسباط والملوك والحكام، الذين صاروا يتصفون منذ ذلك الحين بعلاقة متميزة مع الوحي، والاتصال بالوحي، (الأسباط).

من ههنا بدأت الفرعنة، ومن ههنا بدأ ادعاء الفراعنة بالخصوصية، والألوهية بعد انحرافهم، وبعد ظلمهم لأنفسهم، قال تعالى: ﴿ **رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ** ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

ولا علاقة لليهود ببني إسرائيل مطلقاً، ولفظ إسرائيل ورد في القرآن الكريم ٤٣ مرة وقد تكرر في ١٨ سورة، إلَّا في سورة يوسف، فإنّه، هذه السورة، لم ترد أي ذكرٍ لإسرائيل، أو لبني إسرائيل، وهي السورة التي تعتبر خاصة بالحديث، والقصِّ عن سيدنا يعقوب، وعن آل يعقوب أجداد العرب، قال تعالى في بداية السورة: ﴿ **الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ** ﴿١﴾ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ١-٢]، قال تعالى: ﴿ **وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ** ﴾ [يوسف: ١٠٠].

كذلك فإن هذه السورة لم يرد فيها لفظ إسرائيل مطلقاً، ولم تربط بين سيدنا يعقوب، وإسرائيل أبداً، لأن آل يعقوب جميعاً بما فيهم سيدنا يعقوب ذاته، هم بطبيعة الحال من ذرية سيدنا إبراهيم ولا علاقة في القرآن الكريم بين شخصية سيدنا يعقوب وشخصية إسرائيل، قال تعالى في سورة مريم: ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ** ﴾ [مريم: ٥٨].

إنّ ذرية إبراهيم هي غير ذرية إسرائيل؛ وكانت الواو واو العطف والمغايرة!، فمن أين جاء الربط بين الشخصيتين؟ هل لفقت هذه الروايات في العصر العباسي، ثمَّ دخلت مع ما دخل على العرب؛ من تفاسير وأفهام والتي ما أنزل الله بها من سلطان، ثم حُشِي بها العقل العربي المسلم، المُجهَّل، والمُحتل، والمُغيَّب، والمُسيْطر عليه، وكانت الحقيقة على عكس ما جاء من تحريفٍ في التوراة اليهودية.

# القص في القرآن الكريم، لا يعني الرواية؛ بل يعني الدلالة على الهدف

وكذلك فإنَّ في القرآن الكريم، وفي سورة يوسف تحديداً، التي يمرُّ عليها الناس، العرب المسلمون، على أنها قصةٌ من القصص! بمعنى الرواية؛ وهذا خطأٌ بالغ؛ ويعتقدون أنها إنما وردت في القرآن الكريم لتروى فقط، لمجرد معلومة تاريخية، ويعتقدون أيضاً، وكما ورد في أسباب نزولها! أنها إنما نزلت في مكة لتسلو عن رسول الله محمد ﷺ، على أثر رجوعه أو عودته من الطائف، من عند أخواله، وهو ﷺ، حزينٌ مُدمًّى[1]؛ على حد قول المفسرين[2] وانَّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل عليه سورة يوسف ليخفف عنه حزنه! فقص عليه القصة![3] على أساس أنَّ من سَمِعَ بمصيبةٍ غيره خَفَّتْ عليه مصيبته! أو يقولون أن

---

(١) وهنا تبالغ القصص الشعبية الواهمة والمتوارثة، تبالغ في وصف الإساءة، وتقول أن الرسول ﷺ تعرض للإهانة؛ وحاشا وكلا أن يحصل مثل هذا الأمر لرسول الله ﷺ ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى معه، ومن كان الله معه فكيف يُهان؟ بل عقول الناس في خطر!

(٢) وغاب عن بال المفسرين الذين نقلوا، وكان الطبري إمامهم؛ أمثال ابن كثير الإمام، وجلال الدين السيوطي الإمام أيضاً؛ والذين تصوروا واهمين، أن فهم القرآن الكريم، ممكن في حال تجزيئه وانفراط عقده، وأنّ موضوعه ومُشْكِلَهُ ينحلُ بمجرد محاولة تفسير المفردات؛ وهكذا تحول الموضوع عندهم، إلى أن هناك مفردات على حد زعمهم، في القرآن الكريم، كانت غير عربية، وغير مبينة، وعصيَّة على الفهم، فتصدوا لتلك المهمة، واشتغلوا في مهمة شرح كلام الله، كلام ربّ العالمين، الخالق المبدع المصور، الذي لم يكن يحتاج إلى شُرَّاح، وعندما كان يحصل في أفهامهم أو أوهامهم تناقضات، كانوا يلجؤون إلى ما هو بزعمهم (علما الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول) فتنحلُّ مشكلتهم. فغفر الله لهم.

(٣) ففي مقدمة الشهنامة للفردوسي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، أن الفردوسي لما خاف ذهاب تاريخ الفرس وضياعه، أمام ثقافة الإسلام ومده العظيم، كان قد ألف كتاب الشهنامة وحاول فيه جمع تاريخ الفرس المجوس، وبعد ذلك أقام الفردوسي في بغداد، فلما أقام في بغداد فترة، وعلم أنّ الخليفة العباسي المقتدر بالله، والناس في بغداد، لم يستحسنوا كتابه (الشهنامة) الذي كان في تاريخ ملوك المجوس الكفار! أخذ الفردوسي، وهو في بغداد، أخذ في نظم =

الرسول ﷺ، كان قد سُئل من قِبل أحد اليهود سؤالاً تعجيزياً! وامتحاناً له؛ فاستمهل الرسول ﷺ حتى جاءه الوحي فقص عليه القصة! وتتكرر هذه الصيغة أو هذا الحل أو هذا الجواب يتكرر لدى المفسرين، عند كلامهم عن كل قصة وردت في القرآن الكريم؛ أصحاب الأخدود، وأهل الكهف، وغيرها! وما دروا أنهم بذلك قد أفسدوا المقصود، وأطاحوا بالغرض، وحرفوا المسار...

---

قصة (يوسف وزليخة) فأعجب بها الخليفة، وكذلك أهل بغداد؛ وزادوا في إكرامه! وقبل ذلك، فإنَّ العرب لم تعرف ولم تعترف، بلفظ زليخة، هذا اللفظ التوراتي المصدر اليهودي المنشأ، والذي لم يذكر في القرآن الكريم أبداً، ومنذ ذلك الحين بدأ التطبيع مع الثقافة اليهودية!!

# سورة يوسف ليست رواية عن الماضي، بل هي إشارة، ونبأ ونبوءة، عن المستقبل

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].
إنهم لم يدروا إن سور القرآن المبين لم تكن، مجرد رواية نزلت على الرسول الكريم لتذهب عنه الهم، والحزن، أو لتسليته كما ذكرت ذلك التفاسير، أو كما هو موجودٌ في رؤوس الكثيرين من خاصة العرب المسلمين، بله العامة، وكيف سُطحت المعاني وأذهبت الأهداف لمثل هذه السورة القرآنية المجيدة؟

أما الحقيقة فإن معنى القصُّ، والقصص، في اللسان العربي المبين، شيءٌ أخر، لايدركه إلَّا العربي، الذي يهدف إلى البيان[1]، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ

---

(١) البيان، هو مستوى من الفهم عالٍ جداً، بل هو أعلى مستوى للفهم، وينطوي على استعمال عالٍ، فعَّال للعقل والمنطق، بكل مراحله؛ من ذكاء وذاكرة ووعي وانتباه وفطنة وشعور مرهف، وإعمال وتنشيط لكافة الحواس، من أجل تحقيق أفضل النتائج.

إنَّ البيان نافذتك على العالم، لكنَّ هذه النافذة من طبقتين، واحدة تُفتح على العالم من الداخل، أو يجب أن تعمل على فتحها من داخلك، إلى الداخل، باتجاه الداخل، والطبقة الأخرى تفتح من الداخل، أو يجب أن تعمل على فتحها من داخلك وإلى الخارج، باتجاه الخارج، ولا بد من فتح الطبقتين معاً حتى يتم الاتصال الصحيح مع العالم، الذي لا بد منه هذا الاتصال، لتحقيق الأهداف العظيمة والنبيلة، فالبيان، هو الشيء الأساسي الذي يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية! لكن البيان أساسه من الله سبحانه وتعالى، توفيقٌ منه عز وجل، فإن شاء الله سبحانه وتعالى، فتحت النوافذ، وإلا بقيت مغلقة. وقد ضرب الداعية الإسلامي الدكتور راتب النابلسي مثالاً جيداً لتوضيح معنى لفظة البيان فقال: أحياناً يعتزم أو يقرر إنسان ما السفر إلى بلد معين، في زمنٍ محدد، وعن طريقٍ محددة، ثمّ أنه يُخبَّرُ أو ينمو إلى مسامعه، أن الطريق التي كان ينوي سلوكها، مغلقة ومقطوعة لسبب ما، وأن فيها خطورة بالغة، عند ذلك فإن الإنسان العاقل سوف يتخذ الإجراء المناسب، يُصدِّق الخبر الصادق، فلا يسافر في هذا الطريق، أو يؤجل سفره حتى ينزاح الخطر، وتصبح الطريق آمنة؛ أما الإنسان غير العاقل، فإنه لا يعبأ بالخبر الصادق، وسوف يسافر ملاقياً =

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ١-٢]، لقد ربط الله سبحانه وتعالى العرب بالعقل، فلا عقل دون عرب، والعرب قيادة العقل، أو هي سَوْقَاً إلى العقل، لعلكم تعقلون، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١-٣]، وقصَّ آثارهم يقصها قصاً، وقصصاً، وتقصُّها تتبعها بالليل، وقيل هو تتبع الأثر في أي وقت كان.

والقصُّ الدلالة على الطريق الصحيح، وأحسن القصص أحسن السبل الصحيحة التي تقود إلى اليقين، وكل ذلك سيتحقق بسبب أننا أنزلنا عليك هذا القرآن، ولقد كُنْتَ من قبل أنْ تتبين هذا القرآن في ظلال مبين، وهذا البيان موجه لكل قارئ للقرآن وإلى الأبد، وعبر الزمان والمكان، إلى يوم يُبعثون، وليس للرسول ﷺ فقط.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤﴾ [الكهف: ٦٤] أي رجَعَا من الطريق الذي سبق وأن سلكاه، يقصان الأثر، أي يتبعانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ [القصص: ١١]، فالقصُّ اتباع الأثر، والقصُّ أحسنه

---

المصاعب، أو أنه يرجع بعد المعاينة الحسيَّة، والتجربة الشخصية؛ فهو لا يصدق حتى يرى ولايصدق حتى يعاين، وحتى يُجرب بنفسه؛ فكان الإنسان العاقل، هو الذي يستفيد من البيان، بينما الإنسان غير العاقل، لا يستطيع الاستفادة من البيان، مثله مثل الحيوان، لأن الحيوان لا يمكن أن يفهم الخبر، والخبر مهما كان مهماً فإنه لن يفيده لأنه في جميع الحالات كحيوان تحركه دوافعه وغرائزه وهو سيسلك الطريق التي يندفع بها بدوافعه، وسيتوقف عند الحواجز الطبيعية بشكلٍ طبيعي؛ وهكذا سيستوي الإنسان الذي لا يستفيد من البيان سيستوي مع الحيوان، بل ربما كان أضلُّ سبيلا.

يحصُلُ ويتحقق، بما يُوحِيْهِ اللهُ سبحانه وتعالى من القرآن المبين، الذي أنزله من لدنه من عنده.

وكان هذا القرآن عربياً مبيناً لعل الناس، جميع الناس، يعقلون، إنَّ كون القرآن الكريم عربياً فإنه يتوجب على الناس جميع الناس، من الجنة والناس، أن يعقلوه، فالقصُّ اتباع الأثر، وفيه تتبع الهدف المثال، وفيه تحقيق غاية، وهي تستهدف الوصول، إلى الحالة المبينة الواضحة، الحق، وبإتباع الأثر يتم، أو يقتضي هذا الإتباع الخروج من الغفلة، إن القص يعني ورود الخبر الصحيح، والقصُّ البيان[1]، وهو تصحيح للخبر، الخبر الذي ذكرته التوراة اليهودية بشكلٍ خاطئ، فإن القرآن الكريم أعاد قصَّهُ بالحق للمسلمين المؤمنين، فكيف يعود العرب للاستسلام لمقولة التوراة المزورة الخاطئة التي كتبوها بأيديهم!

لقد كانت الرؤية في سورة يوسف، قد تجسدتْ حقيقةً، وهي نبأ ولكن كان مقصودٌ منها أن هناك هدفاً جليلاً وعظيماً سيتحقق، وغاية عظيمة سيتم الوصول إليها في المستقبل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أتمَّ نعمته على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق وكذلك سوف يجتبيه ليتمَّ نعمته عليه وعلى آل يعقوب، إن ربك عليمٌ حليم.

كان سيدنا يعقوب لا يأمن أولاده الآخرين على يوسف وأخيه، كان سيدنا يعقوب

---

(١) (جاء في لسان العرب، لابن منظور: أن القاصَّ الذي يأتي القصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، وفي الحديث: لا يقصُّ إلَّا أميرٌ أو مأمور أو مُختال، أي لا ينبغي ذلك إلَّا لأمير يَعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا، وأما مأمورٌ بذلك فيكون حكمه حكم الأمير، ولا يقصُّ مكتسباً! أو يكون القاصُّ مختالاً يفعل ذلك تكبراً على الناس، أو مرائياً، يُرائي الناس بقوله وعمله، ولا يكون وعظه وكلامه حقيقة.. ومنه الحديث أن بني إسرائيل لما قصوا هلكوا، وفي روايةٍ أنهم لما هلكوا قصوا! أي اتكلوا على القول، وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم، أو العكس فإنهم لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص) لسان العرب لابن منظور الجزء ١١ دار إحياء التراث العربي.

متزوجاً بأكثر من امرأة؛ لقد كذب إخوة يوسف في موضوع يوسف، كان سيدنا يعقوب يعلم من الله سبحانه وتعالى، حقيقة ما حدث، وما فعله أبناؤه، لكن الله سبحانه وتعالى أوحى له أن لا يصارحهم بحقيقتهم.

قال الذي اشتراه من مصر بسعرٍ بخس؛ ومصر هنا نكرة غير معرَّفة، وبالتالي فإنّ معناها المدينة المركزية، أو البلد، التي تتبع لها مجموعة قرى وبلدات، وليس بالضروري أن تكون مصر وادي النيل، فالاسم في وادي النيل حديث نسبياً! بل هي إحدى المدن الهامة، فيها ملك كان عادلاً، ويحمل هم الناس ويعمل لمصلحتهم، على شريعة ما، وفي هذه المدينة يوجد سوق، تباع فيه البضائع ومن ضمنها العبيد؛ وكان عندهم أربابٌ متفرقون، أو تعدد في الأرباب وكان يوسف طفلاً فقيراً، أعزلاً، يعيش في لجَّةِ البادية البعيدة كثيراً عن تلك المدينة، كان مستحيلاً، ومن غير المنطقي ومن غير المعقول، أن ينتقل طفلٌ من البادية البعيدة ليصبح ملكاً للبلاد، كل البلاد!

لاسيما وأن الملك في تلك الأيام كان يحكم مملكته إما وراثياً، أو بالقوة الهائلة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ٢١] لقد جاء يوسف في مكانة كريمة، وعلى طريق مناسبة، كان ذلك بتقديرٍ من الله سبحانه وتعالى ورعايته، لينضج بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وبأمرٍ منه سبحانه وتعالى ليتعلم تأويل الأحاديث، والله غالب على أمره، والناس لا يعلمون، ولمَّا بلغ أشده وآتاه الله حكماً وعلماً، وكان سيدنا يوسف محسناً، وكان الحكم والعلم جزاء المحسنين.

يقول تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨]، فهل كان

إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، هل كانوا مجهولين في مصر تلك؛ ألم تكن رسالتهم قد وصلت إلى تلك البلد أم أن تلك البلد (مصر) كانت بعيدة جداً عن باديتهم؛ أم أن البلاغ والرسالة التي كانت في آل إبراهيم قد ظلت محصورة في بقعة محددة معينة، إلى أن جاء دور سيدنا يوسف لتنتشر إلى كافة أنحاء العالم في ذلك الزمان(١)، الذي قدر له أن يدخل أولاً بيت الوزير (العزيز) فيطلع على سير العمل، ويكتسب ويتعلم كيف تدار المملكة وكيف تحل الأمور العظام، لقد تربى وتمرس على الحكم من صغره!

وصارت لديه خبرة وهذا هو السبب الذي جعل الملك عندما كلمه، يدرك إمكانية

---

(١) أما الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل صاحب حماه، فقد كاد يقترب في تاريخه من حقيقة ماقلنا من نزع ثقته بالتوراة (اليهودية) وبالتواريخ القديمة لعدم رجوعها لأصلٍ مضبوط، حيث اعتمد على النسخة اليونانية؛ وبرهن على فساد السامرية والعبرانية! ولكنه نهج منهج غيره من المؤرخين وتخبط كما تخبطوا في تقدير المدد والأعمار وفي متابعتها!

وسنورد لك من الآيات الدالة على تحريفها ما فيه مقنع إنشاء الله تعالى، أولاهما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥ ﴾ [البقرة: ٧٥] فقوله ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ يرد دعوى التحريف خطأً ويثبت التحريف العمد زيادة على كل تحريف. ثانياً: قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٨ ﴾ [آل عمران: ٧٨] أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس ما نصه: قوله ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود، كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم يُنزل الله تعالى. أهـ.

قال ابن جرير: «وأصل اللَّي الفتل والقلب. ثالثها: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦] رابعها: في سورة المائدة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [المائدة: ١٥] خامساً قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ فثبوت تحريفهم وكتمانهم ينفي غلبة الظن بصحته» من كتاب أغاليط المؤرخين للدكتور أبو اليسر عابدين، ص ٦٣، مكتبة الغزالي بدمشق ١٩٨٩م

سيدنا يوسف وقدرته على إتقان العمل، نفس عمل العزيز، (لاشك أن النبوة والكتاب والعناية الإلهية كانت هي الأساس) لقد خاطبوه بقولهم يا أيها العزيز، ثم إنه لما كان قد دخل السجن من قبل كان قد عانى وصبر، وكان من المحسنين، وقد هيَّأ الله له الظروف، ثمَّ إنَّ الملك نفسه قد استخلصه في هذه المرة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ٥٦]، فصار وزيراً مسؤولاً عن الميرة أولاً ثم فيما بعد ليخلف الملك وليصبح في النهاية ملكاً للأرض، كل الأرض، كانت هذه مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن الرحلات بين البادية والمدينة (مصر) كانت موسمية، وتعددت وكثرت خلال سني الجفاف؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣] وهو ذكرٌ للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [يوسف: ١٠٩]، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١]، فهل فهم الناس حقيقة المراد من القصص في القرآن الكريم؟ قال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨]، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

وهكذا فإن الدماغ الشعبي وبتأثير بالغ من التفاسير الشعوبية، والعقلية الواردة أساساً من التوراة اليهودية، والتي كانت سائدة قبل الإسلام في بلاد فارس! فوردت إلى العقل العربي المسلم، مع ما ورد إليه، من العقائد الشعوبية إبان انفلات زمام الأمور، إثر

الانقلاب الشعوبي العباسي، وسيطرة الأعاجم منذ ذلك الوقت، على الدين والدنيا، وقد شكل هذا الفهم لآي القرآن الكريم، مع مرور الوقت، تشكيلاً خاطئاً ومنحرفاً وشائعاً، لدى عامة الناس المسلمين والعرب، وُطمسَ على سمعهم، وأبصارهم فما عادوا يستبينون المُراد، واسترسلوا في السطحية، ودخلوا القفص، وأطبق عليهم الفخ؛ وهكذا أصبحوا يدورون في مكانهم، أو يراوحون في نفس المكان دون إحراز أي تقدم يُذكر ومنذ ألف ومئتي سنة![1].

---

(١) أما الماضي فللعرب منه موقفان:

أ - موقف يرى ذلك الماضي مكتفيا بذاته فهو غير محتاج إلى رافد جديد ولذلك فلا حاجة لان يظل مفتوحا لالتقاط ما يأتي به الزمن، على العكس من ذلك: إن جري الزمن في رأي هؤلاء لا يفعل سوى أن يبدد ذلك الماضي أو يطمسه، فالأفضل إذن أن نغلق الماضي وأن نعتبره كاملاً وأن ننقله برمته إلى الحاضر لنجعله يمتد نحو المستقبل. لقد رأينا أن انغلاق الماضي على ذاته ليس سوى تحجر ذلك الماضي وتحجرنا معه وصيرورته ماضيا ميتا معدوم التوتر نحو المستقبل، مقطوع الصلة به، وبذلك ينقلب الماضي حدا وينهار بعد المستقبل لأن المستقبل لا يصنع الا ابتداء من الماضي المفتوح على النمو والصيرورة.

ب- وأما الموقف الثاني فيلعن الماضي ويرى فيه سبب الجمود والتأخر، والحل في رأي أصحاب هذا الموقف أن نقطع الصلة بذلك الماضي وأن نصنع المستقبل دون معطيات سابقة.

لقد رأينا أيضاً أن حذف الماضي يعني حذف المستقبل لان الماضي هو ما نحن عليه، هو ماهيتنا، ونحن نصنع المستقبل بدءاً من هذه الماهية، فإذا حذفنا الماضي فنحن نحذف ما نحن عليه، ونصبح أداة المستقبل للغير، وهكذا نرى الموقفين يؤديان إلى نفس النتيجة وهي انهيار المستقبل. أما بُعد المستقبل فمنهار لدى العربي المعاصر لسببين: السبب الأول: هو أن انهيار بعد البقاء وخضوعه للمصادفة يجعل المستقبل يحذف توقعنا اياه ويغرقنا في الحاضر. إن الشروط السيئة والكوارث المتواصلة تجعل العربي المعاصر يرتمي شيئا فشيئا في اليأس واللامبالاة وبذلك يزداد تمزقا وغوصا في مستنقع الحاضر.

والسبب الثاني هو أن المستقبل حامل القضية وهو موجود بها، والعربي المعاصر لا يملك القضية المشتركة كما نرى، فهو مبلبل بين شتى القضايا المتعارضة، والقضية التي نقصدها هنا هي التحقق العيني للنزوع الاصلي، فليس هناك مضمون واقعي مشترك ينعقد عليه ما يشبه الاجماع، ولذلك نجد العربي المعاصر تمزقه اتجاهات كثيرة وتحول بينه وبين توقع قضية مشتركة يحملها مستقبل واحد.

أما بعد المعرفة فمفقود لدى العربي أيضا، وقد قلنا ان المعرفة هي الرؤية في القضية، والقضية ثمرة الحوار، وكلاهما في =

وغاب عن بالهم أنه في القرآن العظيم، لا ينبغي فهم الآية من القرآن الكريم بمعزلٍ عن موقعها في السورة، ولا عن موقعها في القرآن العظيم ككل، فالقرآن الكريم عقدٌ واحد، وإذا انفرط العقد، لم يعد عقداً، بل مجرد قطعٍ متناثرةٍ، قد تكون ثمينة جداً، وجميلةً جداً، ولكنها لم تعد عقداً، وكذلك فإن السورة الواحدة في القرآن العظيم، كل سورة من القرآن الكريم، عند فهمها، يجب عدم النظر إليها على أنها آيات معزولات عن بعضهم البعض، لأنها تشكل لوحة متكاملة لا انفصام بين أجزائها (آياتها) أبداً فإذا انفصلت أجزاء اللوحة الواحدة وتقطعت، أو حجبت بعض عناصرها عن الأنظار، فإنه لن يعود بالإمكان إطلاقاً فهمها، فهماً صحيحاً، موصلاً، غير ذي عِوَجٍ، أو فهم موضوعها، كلوحة متكاملة، إنها لم تعد في هذه الحالة لوحة أبداً

فالحقيقة أنه لم يكن هناك يهود عرب أبداً، وعبر التاريخ، بل كان اليهود وعلى مر الزمن غرباء عن هذه الأرض العربية، يعملون جواسيس، وأدلَّاء على العرب الموحدين، جلبوا من أقصى الأرض، خداماً للفرس والرومان واليونان، قادوا الحملات ضد العرب الموحدين وهاهم الآن، في العصر الحديث، يقودون الحملات؛ وقد تآمروا مع الصليبية العالمية المهوَّدة، والذين هادوا من الشعوبية الحاقدة، وهم الآن يعدون العدة للقضاء على العرب نهائياً وإزالة شأفتهم وإلغاء ذكرهم، ومسح وجودهم عن الخارطة[1].

---

مستوى واحد هو مستوى المعاني، ونحن نرى وجودنا الحاضر الناقص بدءا من مستوى المعاني، ومادمنا دون هذا المستوى لانهيار بعدي البقاء والمستقبل فنحن بلا رؤيا. نحو حضارة جديدة لأحمد حيدر، مصدر لاحق.

(١) (إن النجاح اليهودي المعاصر في بسط الهيمنة ومد الأذرع الأخطبوطية في معظم أنحاء العالم، والتحكم بالنظام الاقتصادي العالمي، وبالأوضاع السياسية لدولٍ كثيرة كبرى وصغرى، وبالحياة الاجتماعية والثقافية، نشراً للفوضى، والقيم المادية والفردية والإفساد الأخلاقي والإداري، من أجل تحطيم المجتمعات وجعلها سَلِسَةَ الانقياد، مطواعة، بهيمية النزوات، والشهوات، مخدرة العقول، قد جعل الكثير من الأوساط يتساءل عن سر قدرة أربعة عشر مليون يهودي على بسط مثل هذه السيطرة!

=

وتحقيق مثل هذا التحكم الهائل في مقدرات العالم، إنَّ المسألة أكثر تعقيداً من حصرها بمدى انتشار الماسونية وواجهاتها، أو مدى نفوذ اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، والمافيا اليهودية في روسيا؛ وغيرها من البلدان؛ أو السيطرة اليهودية التقليدية على أسواق المال والذهب، أو التغلغل اليهودي في الكنائس الغربية والشرقية... كل هذه عوامل معروفة ولها وجاهتها، إنَّ ما يعيشه العالم اليوم، كان حصيلة تراكماتٍ تاريخيةٍ طويلة ولجهود قرونٍ، لا سنواتٍ معدودة، كما يتوهم الكثيرون من العرب المسلمين؛ وقد تم من خلالها تهويد حضارة مهيمنة بأكملها، وبالتالي فقد تمَّ لهم تهويد مجتمعات كثيرة بوعيها، أو من غير وعي) ص٣٠٠ القوى الفاعلة د.خير الدين عبد الرحمن دار الجليل دمشق ١٩٩٦

## في القرآن الكريم سورة الإسراء هل هي سورة الأعراب؟!

ومثالاً على ذلك، فإن سورة الإسراء، وكان اسمها، توقيفيّاً، سورة بني إسرائيل![1] وهي سورةٌ خاصةٌ بالأعراب، فكيف فُسر الحديث فيها عن (الإسراء)[2]، عندما قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ﴾ [الإسراء: ١-٢].

فهل كان الإسراء في هذه الآية الكريمة، إسراء لسيدنا موسى ﷺ، كما هو واضح في الآية التالية، من نفس السورة، أم كان الإسراءُ (إسراء الرؤيا) التي أراها اللهُ سبحانه وتعالى، لسيدنا محمد ﷺ، والذي عنته، وأكدته الآية (٦٠) من نفس سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾ والذي أكدته سورة النجم أيضاً، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢

---

(١) وأخرج النحاس، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة بني إسرائيل بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، وأخرج البخاري وابن الضريس وابن مردويه عن ابن مسعود قال: في بني إسرائيل والكهف ومريم، إنهنّ من العتاق الأول وهنّ من تلادي، وأخرج أحمد والترمذي وحسنّه والنسائي والحاكم وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ، يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر)

(٢) وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي عمر والشيباني قال: صلى بنا عبد الله الفجر فقرأ السورتين، الآخرة منهما بنو إسرائيل، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء: ١]، أ هـ. عن كتاب الفتح القدير، للإمام الشويكاني، الجزء الثالث ص ٢٥٥، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٤.

وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وقد ورد في الحديث الصحيح تأكيدٌ، على إسراء الرسول محمد ﷺ، والذي كان ليلاً أيضاً؛ مع اختلافٍ بين الرواة، على الطريقة التي تمّ بها الإسراء، وبالجسم والروح، أم بالروح، وعن المكان الذي تمَّ منه الإسراء، ما إذا كان من المسجد أم من بيته، أو بيت أحد الصحابة الكرام (هذا وإن مجيء لفظ (ليلاً) كنائب مفعولٍ مطلق مؤكد لفعل (أسرى) كان وطِوال الزمن، ومنذ البداية، بداية التفاسير، وبداية التأويل، كان مُحيّراً لعقول العلماء، والمفسرين على حدٍ سواء؛ لكون الإسراء بحد ذاتِهِ يعني المسير ليلاً، وربما كان قبيل الصبح، وربما كان يعني الإسراع في المشي ليلاً، والقرآن الكريم قمة البلاغة، فما هي دلالة التأكيد على (ليلاً) في الآية الكريمة؟

ولماذا أسرى بعبده ليلاً؟ كذلك فإن لفظة أسرى، جاءت منتهية بالألف المقصورة، ولكن المسجد الأقصا في القرآن الكريم توقيفياً جاءت بالألف الممدودة فلماذا؟ لماذا لم تأتِ بالألف المقصورة؟ ونحن نكتبها بالألف المقصورة! هل ستعمل العقول العربية على اكتشاف أعماق القرآن الكريم؟

ولكن كيف دمج المفسرون بين إسراء، ورؤية سيدنا محمد، وإسراء ورؤية سيدنا موسى عليهم الصلاة والسلام، وقد قِيل بأن المقصود في الآية الأولى من سورة الإسراء، أنه كان إسراء الرسول محمد ﷺ، هل قام بعض المفسرين، بليِّ عنق الآية! بينما الآية تتحدث بشكل واضحٍ، ومباشر، وبلسانٍ عربيٍ مبين، في هذه السورة (سورة بني إسرائيل) عن سيدنا موسى ﷺ، وعن بني إسرائيل، العرب الأعراب، (قدماء العرب) علماً بأنّ عدة آيات في القرآن الكريم، أكدت، وتحدثت عن إسراء سيدنا موسى ومسيره ليلاً، وأنّ الله سبحانه وتعالى، كان

قد أسرى به (بسيدنا موسى) ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا؛ (الأرض المباركة) فكيف غفل عنها المفسرون؟

وكيف تمّ الخلط، في التفاسير، بين إسراء ورؤية الرسول محمد ﷺ، الذي أكَّدَّتْهُ الآيات الكثيرة، والأحاديث الصحيحة المتواترة، ولكن كيف خلطوا في التفاسير، بين إسراء سيدنا محمد ﷺ، وبين إسراء سيدنا موسى ﷺ، علماً أن السورة (سورة الإسراء) أسمها سورة (بني إسرائيل) دلالة، وإشارة على أنّ الحديث كائن عن أقوامٍ عربية قديمة، قدماء... ليسوا معاصرين، لسيدنا محمد ﷺ، وإن كانوا قد استمروا إلى عصر الرسول الأعظم بأشكالٍ أخرى، وتحت مسمياتٍ أخرى (قبائل عربية حديثة نسبيًّا) وقد ذُكر فيها اسم سيدنا موسى صراحةً، ومنذ البداية، والذي كان قد أسرى، بمشيئة الله سبحانه وتعالى، في الليل أيضاً والذي تشير إليه الآيات الكريمة، في سورٍ أخرى، من القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾** ﴾[القصص: ٢٩-٣٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾** ﴾ [طه: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾** ﴾ [الشعراء: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الدخان: ٢٣-٢٤]، فمتى كانت أحداث هذه الآيات، ألم تكن

في الليل وأثناء المسير ليلاً، أيضاً؟! ألم يكن سيدنا موسى أثناءها يسري ليلاً؟، قال تعالى في مطلع سورة الإسراء، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ﴾ والسؤال هو ألم يجعل الله سبحانه وتعالى، سيدنا موسى يسري ليلاً، وإلى الأرض المباركة أيضاً، وفي أثناء إسرائه، ألم يره، الله سبحانه وتعالى من آياته؟ ألم يتلقَ من الله سبحانه وتعالى، ألم يتلقَ الكتاب؟ ألم يكن ذلك الكتاب هدىً لبني إسرائيل؟ ثمّ ألم يكن أسم السورة الأساسي هو (سورة بني إسرائيل)؟.

إن السورة المباركة تتحدث من بدايتها إلى نهايتها عن بني إسرائيل!، ولكن المفسرين الذين كانوا قد التزموا محددات التوراة؛ كانوا غير قادرين على التصور الصحيح الذي بيّنَه الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين، وهو أنّ سيدنا موسى ﷺ، والذي ولا شك كان في مدين عندما لجأ إليها أولاً، ثم تزوج فيها من إحدى ابنتي الرجل الصالح الشيخ الكبير(ولم يكن هذا الرجل، لم يكن وليس بالضروري أن يكون هو سيدنا شعيب، أبداً لأن سيدنا شعيب ﷺ، صحيحٌ أنه كان في مدين، ولكن في فترةٍ زمنية، بعيدة عن الفترة التي كان قد عاش فيها سيدنا موسى؛ أو التي زار فيها سيدنا موسى (مدين) لاجئاً من (المدائن) والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٩٣ ﴾ [الأعراف: ٩٣]، قال تعالى:﴿

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: ٩٤]، وواضحٌ من سياق هذه الآيات الكريمة، وغيرها من الآيات التي ذكرت قصة (مدين) مع سيدنا شعيب، واضحٌ منها، أن عصر وزمن سيدنا شعيب، كان مختلفاً وبعيداً جداً عن فترة سيدنا موسى عليهم الصلاة والسلام، وأنّ شخصية سيدنا شعيب ﷺ، ومهمته كنبي، مرسل، كانت مختلفةً تماماً عن شخصية ومهمة الشيخ الكبير الطاعن في السن، القاطن مع ابنتيه في (مدين) والذي كان قد التقى به سيدنا موسى، وتزوج إحدى ابنتيه، والله أعلم. ولا نعرف ممن جاء الالتباس، ولا من أين؟

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٢٩-٣٢].

ومن الواضح أنّ أحداث ووقائع هذه الآية كانت قد جرت ليلاً، ومن الواضح أيضاً أنّ مدين، والمدائن، والمدينة ووادي مدين بين المدينة والبصرة في الحجاز ألفاظٌ عربية وأسماء لمدن قريبة من بعضها، و هي مستمدة أسماؤها من بعضها بعض؛ وهذا دليلٌ على قربهم من بعضهم مكانياً، تأكيداً على ارتباطهم، وأنهم يقعون في إقليم واحد، وأنها نبعت وتشكلت أساساً من البادية، وقد تكرر ذكر تلك المدن في القرآن الكريم، وهذا دليلٌ على تكرار الوقائع التي كانت قد حصلت فيهم وتكررت الأحداث في كل واحدة منهم عبر

العصور، وفي أزمان مختلفة؛ ومتباعدة، يتبين لنا ذلك من القراءة المتأنيّة للقرآن الكريم.

إن سيدنا موسى ﷺ، لا بد أنه كان قد غادر مَدْيَن في فترة ما، بعد انقضاء الأجل الذي ضربه، والمتعيِّن لحماه، والد زوجه، وذلك إلى مكة، والله أعلم، ليحجَّ بأهله إلى البيت العتيق، أول بيت وضع للناس، إلى بيت أبيه إبراهيم ﷺ، ومدين تقع اليوم في (الأردن، جنوبي الكرك، إلى الشرق، في البادية؛) لقد حرص سيدنا موسى ﷺ، على الحج إلى مكة قبل العودة إلى المدائن، موطنه الأساسي، والله تعالى أعلم، والمدائن تقع اليوم، في (جنوبي بغداد ١٥٠كم) كان ذلك قبل تكليفه طبعاً؛ قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [القصص: ٢٩-٣٢].لقد حرص سيدنا موسى ﷺ على زيارة البيت العتيق، أول بيت وضع للناس، بيت أبيه إبراهيم؛ وذلك قبل أن يعود إلى موطنه الأساسي، إلى أهله وشيعته في المدائن، قال تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾** ﴾ [الأعراف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾** ﴾ [الشعراء: ٣٦]، قال تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾** ﴾ [الشعراء: ٥٣]، والمدائن اليوم تقع جنوبي بغداد بـ (١٥٠كم) وكانت عاصمة للأكاسرة لعهود طويلة، ولا تزال أثارها قائمة، شاهدة هناك، وهي مجتمع لسبع مدن متجاورات، يقال أنها كانت عاصمة لفرعون، ويعزز هذا القول، ما تقوله الآية

الكريمة في القرآن الكريم، على لسان فرعون، قال تعالى: ﴿ **فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا** ﴾ [القصص:٣٨]، فهل يوجد في بابل، التي تقع أيضاً في العراق وقرب المدائن، هل يوجد برج في بابل،(يدعى برج بابل) هل هو من الطين المشوي؟ قال تعالى: ﴿ **وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ** ﴾ [العنكبوت: ٣٩]، فهل تربط الكثير من الآثار اليوم، بين قارون وهامان، وبين الكثير الكثير من الآثار التي عثر عليها في بلاد العراق وما بين النهرين!

وفي اللهجات المحلية لبلاد ما بين النهرين، هل نتلمس في المفردات المحلية ما يشير إلى هاتين الشخصيتين؟ قال تعالى: ﴿ **وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ** ﴾ [الزخرف: ٥١]، والسؤال أين يقع مجمع الأنهار هذا؟ وهل في منطقة الجيزة قرب القاهرة مجمعٌ للأنهار؟! هل تقع أو هل هناك مدينة تدعى (المدائن) أو مدينة تدعى (مدين) في وادي النيل الأعلى؟؛ [(مع احترامنا وتقديرنا لحضارة وادي النيل العربية الفذة وأوابدها، وآثارها الخالدة وأهراماتها الرائعة)] لكنَّ الموضوع، أو القضية ليست قضية تسويق سياحي؛ بل القضية قضية علمية بحتة، وعلى الحق ينبني الوجود، أو ما يجب أن يكون، ما يؤكده كتاب الله الكوني، القرآن الكريم، والله أعلم.

إن سيدنا موسى ﷺ، كان قد حرص على زيارة مكة المكرمة، ثمّ المسجد الأقصا، وذلك قبل عودته سراً إلى المدائن، وربما لم يكن ينوي العودة إلى المدائن؛ لأنه من الواضح أنه ﷺ كان لا يزال خائفاً من فرعون، وسلطة فرعون، الممتدة من العراق حتى وادي النيل، قال تعالى: ﴿ **أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ** ﴾ إذاً فمصر كانت تابعة لفرعون المقيم في المدائن في العراق، والله أعلم، وهناك من يقول أنّ (مصرَ) المقصود منها (بصرة) أو (بصرى) بعد قلب الباء إلى ميم، مثل (بكة – مكة) لكون القرآن الكريم، من آياته، عند

ذكره للأقوام السابقة يأتي بالمفردات والألفاظ التي كانت مستخدمةً لدى الأقوام السابقة، كذلك يفعل القرآن الكريم، عند ذكره للقبائل والشعوب والمواقع المتفرقة في الأقاليم المتنوعة والمختلفة، وهذا ما يجب الانتباه إليه، وما يجب الاستفادة منه (للباحثين والدارسين، والمتأملين)(١)، إن زيارة سيدنا موسى إلى البيت الحرام، ثم عزمه زيارة المسجد الأقصا، كان هذا إلهاماً من الله سبحانه وتعالى، وكانت هذه الزيارة، أو هذا الحج سنّة الأولين، ثمَّ إن الله سبحانه وتعالى ألهم سيدنا موسى ﷺ، ضرورة أن يُتمَّ الزيارة إلى شعائر الله سبحانه وتعالى،

---

(١) فمثلاً لمعرفة المواقع الحقيقية التي جرت فيها الأحداث، لأيٍ من القصص القرآني يجب الأخذ بعين الاعتبار، ودراسة الألفاظ القرآنية الخاصة بكل قصة، فهي لم تُذكر في القرآن بأشكال مختلفة عبثاً، بل يجب أن نسأل أنفسنا دائماً، لماذا لم يأتِ القرآن الكريم بلهجة قريش فقط؟ علماً أن هذا كان أسهل على قريش، وعلى العرب عامة! وعلى العالم. لأنه من الطبيعي أنّ تعلم لهجة واحدة أسهل وأسرع من تعلم عدد من اللهجات، إنّ تعدد اللهجات وتنوعها في القرآن الكريم، وليس أو لإرضاء غرور بعض الناس، ولا هي لتجميل الأسلوب؛ أو لضرورة السياق، كما يزعم البعض ممن يدرسون القرآن الكريم؛ إنّ لتنوع الألفاظ في القرآن الكريم غرضاً وأهدافاً أوسع بكثير من أفهام البعض ممن قصروها على أنها مجرد إعجاز لفظي؛ أو أنها لمجرد الإبهار، بل هي موجودة، وكل لفظة في موقعها في القرآن الكريم لها وظيفة، لتدل العقل البشري وتأخذه إلى الحق، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

فمثلاً لقد ذكر القرآن لفظة (نخلة) ولم يتركها مغفلةً، ثمّ قال (رطباً) فنعرف من القرآن الكريم أن ولادة سيدنا عيسى بن مريم كانت في فصل تنضج فيه الرطب، في سياق قصة السيدة مريم عليها السلام، كذلك لنسأل أنفسنا إذا اختلف الناس، أين يقع إقليم النخيل؟ كذلك قال تعالى في سورة يوسف لفظة (الجب) وقال تعالى في سورة الحج لفظة (بئر) فأي الأقاليم وأي الشعوب، لا تزال تستخدم لفظة الجب، وأي الأقاليم وأي الشعوب لا تزال تستخدم لفظة بئر؟ هل تستخدم لفظة الجب في بلاد وإقليم وادي النيل، أم في بلاد وإقليم العراق أم في غيرها؟ لدى أيٍ من لهجات الشعوب. كذلك لفظة سكين، كذلك لفظة فرعون ذي الأوتاد، فأين ومن أين أتت ومن الذي لايزال يقول أوتاد؛ والاستبرق، وسجِّين، وحطة، وطلح، وسكارى بمعنى النوم والغفلة، وعضين، ومهطعين، والسَّلِم، و(واصباً، ٥٦ النحل) وغيرها من المفردات، والقرآن الكريم غنيٌ بمثلها، إن القرآن لم يذكرها استعراضاً بل من أجل أن يأتي اليوم الذي يعمل الفكر البشري على استكشافها، فهل آن الأوان يجب على من يريد البحث والتقصي في التاريخ الإنساني وتاريخ علم الاجتماع دراسة ألفاظ القرآن الكريم الذي أوحى به الله عزَّ وجلَّ للعباد، ومتابعتها والتفتيش عنها في لهجات القبائل والشعوب وربطها، ربط الفروع بالأصول، للوصول إلى الحقيقة، لا الاعتماد على كتب ألفها اليهود، واستخرجوها من توراتهم.

وذلك بأنه كان عليه أن يزور البيت الثاني أو المسجد الأقصى والأرض التي باركها الله سبحانه وتعالى، وما يجب التأكيد عليه هو أن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كانوا قد حَجُّوا إلى البيت العتيق، وأنهم جميعاً قد أدوا هذه الفروض، المفروضة من الله عز وجل، بما فيهم سيدنا موسى ﷺ، وسيدنا موسى ﷺ، وعشيرة سيدنا موسى ﷺ، وهم بنو إسرائيل[1]، وهم الأعراب، وهم العرب.

---

(١) في القرآن الكريم، كتابُ ربِّ العالمين، الكتاب العربي المبين، جاء اللفظ (بنو إسرائيل، وبني إسرائيل) بينما في التوراة اليهودية، التي كتبها اليهود بأيديهم، الأعجميَّة المترجمة؛ عن اليونانية، واللاتينية والعبرية؛ وعن غيرها مما يدَّعون! فإنها لم تكن موجودة فيها بالأصل هذه الألفاظ، بل كانت هذه الألفاظ على الشكل التالي: شعب إسرائيل، ورجال إسرائيل بمعنى (الذكور؛) أرض إسرائيل، ومملكة إسرائيل، وغيرها، من الألفاظ التي لم يكن يسمع بها العرب ولا العجم.

وكان الطبري رحمه الله تعالى والمؤرخون العرب المسلمون يقولون: زعمتْ اليهود أن سبياً حصل لهم، وزعمت أي: ادعتْ، وكذبتْ! إلى أن جاء العصر الحديث، وبعد إعادة كتابة وإعداد؛ وترتيب وتوضيب وتنسيق التوراة اليهودية؛ عملت اليهودية العالمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ترجمتها (التوراة اليهودية) بعد إعادة فلترتها وتعديلها وتوضيبها، من العبرية واللاتينية واليونانية، إلى العربية كما هو معروف، فأسندوا هذه المهمة إلى أساطين اللغة العربية مطلع القرن العشرين رواد النهضة العربية! ومعروفة ومشهورة قصة الأديب (فارس الشدياق) الذي أعلن على إثر هذا التكليف إسلامه، فصار اسمه (أحمد فارس الشدياق) رحمه الله تعالى وطبعاً لقد رفضت اليهودية العالمية ترجمته، ولم يعد يُعرف مصيرها.. فقامت اليهودية العالمية بإسناد المهمة مرة أخرى إلى فرسانٍ آخرين من فرسانهم المهودين، البستاني واليازجي، من رواد النهضة العربية، فظهرت التوراة المترجمة إلى العربية، وقد حفلت، بألفاظٍ وتعابير قرآنية سماوية عربية، لم يكن اليهود يعرفونها، قبل هذا التاريخ؛ ولا النصارى في العهدين القديم والحديث؛ وهم أساساً لا يتداولونها فيما بينهم؛ ولا يعترفون عليها أبداً، ولا الشعوب الأوربية الأعجمية كانت تعرفها في لغاتها أو في حياتها! كانت هذه الخطة حصراً للتوراة المعربة، وخاصة لاطلاع العرب، لأن اليهود لا يقرؤون هذه المعربة، ولا يؤمنون بها، ولاتعنيهم، وهم يعرفون أنها معدة خصيصاً للعرب المسلمين! الذين يصفهم اليهود بالغوييم.

وهي ألفاظٌ كانت خاصة باللسان العربي المبين، القرآن الكريم، مثل الكثير الكثير من الألفاظ القرآنية المعروفة التي أخذوها من القرآن الكريم، وطبقوها وأنزلوها في الترجمة العربية للتوراة، للتلبيس على العرب المسلمين و خداعهم، كان هذا العمل الخطير أول المحاولات التي جرت لشد العرب والمسلمين وتقريبهم إلى مواقع اليهود العقائدية،... =

وكما هو واضحٌ في القرآن الكريم، فإنهم كانوا مسلمين لله تعالى، على خطى سيدنا إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان هذا هو السبب الذي جعل فرعون، وذلك من قبل أن يوحى، إلى سيدنا موسى، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كان فرعون قد تسلط على بني إسرائيل، وكان يعمل على قهرهم؛ لأنهم كانوا على خلاف دينه؛ أو كان هو على خلاف الدين الحق، كانوا موحدين لله تعالى، على خطى إبراهيم وإسرائيل وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ ]البقرة: ١٣٣[، المهم والله أعلم، أن سيدنا موسى كان في طريقه إلى المسجد الأقصى، إلى الأرض المباركة، ليتمَّ زيارته لشعائر الله سبحانه وتعالى ومساجده، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي ألهمه أن يسري ليلاً، وفي أثناء إسرائه أراه الله سبحانه وتعالى، آياته، وآتاهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى الكتاب، وكلفه بالذهاب مباشرة إلى فرعون، والله أعلم، وله الأمر كله، والحمد لله رب العالمين.

---

تمهيداً لتطبيعهم، أو تهويدهم، وفُرض عليهم (على العرب المسلمين) الحب من طرف واحد؛ لتحويلهم ولجعلهم في النهاية يقبلون ما هو متناقض تماماً مع جوهر دينهم الإسلامي الحنيف، وفطرتهم السليمة، يقبلونه ويُقْبِلُونَ عليه برغبة شديدة في نهاية القرن العشرين... هذه هي الحقيقة، التي لا يعرفها إِلَّا المدقق بعمق. ثمَّ جاء الباحثون العرب المسلمون المحدثون بهمة ونشاط؛ يتناولون الترجمة المعرَّبة للتوراة اليهودية (العهد القديم) ما رتبته اليهودية العالمية للعقل العربي الساذج والبسيط، ويبنون عليها آراءهم وأبحاثهم وأفكارهم ووجهات نظرهم، وهم لا يعلمون أن هذه التوراة اليهودية، المكتوبة بالعربي لا تعني شيئاً لليهود! إنها فقط معدّة خصيصاً للمسلمين العرب؛ للعقول الهابطة إلى أدنى مستوى!

# في القرآن الكريم
# بنو إسرائيل هم القبائل العربية التي كانت من قبل

إن مكة هي أول بيت وضع للناس، ولا علاقة لليهود ببني إسرائيل أبداً، إنَّ بني إسرائيل كانوا في مكة، وهم جرهم، والعماليق، وطسم، وجديس، وخزاعة، وقريش[1]، وليس بالضروري أن نسير وفق معطيات التوراة اليهودية فنقول ونفسر آيات الله، وما جاء

(١) وفي كتاب شفاء الغرام بأخبار البيت الحرام، فيه ذكر ولاية طسم للبيت الحرام (حدثنا المهدي قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن قتادة قال: إنَّ عمر بن الخطاب قال لقريش إنه كان ولاة هذا البيت قبلكم طسم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله، ثمَّ ورثتهُ بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته، فأهلكهم الله، فلا تهاونوا به وعظموا حرمته. انتهى، وطسم آخو عملاق.أ.هـ. ص ٣٥٦ وفي الكتاب أيضاً عن قول لرسول ﷺ: أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» قال هذا القول لقوم من أسلم بن قصي وأسلم وأخوه خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم من سبأ ابن يشجب بن قحطان، ولا صحة عندي في هذا الحديث لأن اليمن لو كانت من إسماعيل، مع أن عدنان كلهم من إسماعيل بلا شك، لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنى لأن غيرهم من العرب أيضاً أبوهم إسماعيل، ولكن الحديث دليلٌ والله تعالى أعلم، على ان خزاعة من بني الصمة أخي مدركة بن إلياس بن مضر، انتهى. وفي الكتاب المذكور أخبارٌ متضاربة تقول إن مكة المكرمة كانت بلدة آمنةً، وعامرةً، ومركزاً هاماً، وهذا كان في ما مضى من التاريخ السحيق! وأن أهلها كانوا في عزة، وثروة، وكثرة، وذلك في عدة عصور وفي عصور مختلفة! وفيها أن (نبوخذ نصر) الملك البابلي قد غزا مكة وخرب البلاد! بعد أن بغى أهلها وطغوا في البلاد وفسدوا وأظهروا المعاصي! فهل كانت سورة الإسراء تشير إلى بيت الله الحرم عندما هاجمه نبوخذنصر هذا!.

فعن ابن عباس (أنه كان بمكة حيٌ يقال لهم العماليق فكانوا في عزة وكثرة ومنعة وكانت لهم أموال كثيرة من خيل وإبل وماشية، وكانت ترعى بمكة وما حولها من مراعٍ، ونعمان وما حول ذلك، وكانت الخرق عليهم ظلة والأربعة مغدقة والأودية تنسال والعضاة ملتفة والأرض مبقلة فكانوا في عيش رخى، فلم يزل بهم البغي والإسراف على أنفسهم والإلحاد بالظلم وإظهار المعاصي والاضطهاد لمن قاربهم، ولم يُقابلوا ما أوتوا لشكر الله حتى سلبهم الله تعالى ذلك فبغضهم بحبس المطر عنهم وتسليط الجدب عليهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذر سلطه الله عليهم حتى خرجوا من الحرم فكانوا حوله ثم ساقهم الله بالغيث أمامهم ويسوقهم بالجدب حنى ألحقهم بمساقط رؤوس آبائهم وكانوا قوماً عرباً من حمير فلما دخلوا بلاد اليمن تفرقوا وهلكوا فأبدل الله عز وجل الحرم بعدهم بجرهم فكانوا سكانه حتى بغوا فيه واستخفوا بحقه فأهلكهم الله عز وجل جميعاً انتهى ص٣٥٥ المصدر نفسه.

في القرآن الكريم على المعطيات الفاسدة للتوراة، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٧٩]. قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾ [الإسراء: ٤-٦] وهذه الآيات موجهة أساساً وبدايةً للعرب في مكة بيت الله الحرام؛ وليس إلى غيرهم؛ والأرض المقصودة تحديداً هي الأرض المباركة، هي أرض بيت الله الحرام؛ قال تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ ﴾ قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٦ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧]،قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ۝٧١ ﴾ [الأنبياء: ٧١]، قال تعالى: ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وإلا فأين هي الأرض التي باركها رب العالمين؟ وهل كان الكلام في القرآن الكريم عن أرض غير محددة؟ وكان الكلام غير واضح إلى هذا الحد؛ إلى درجة يذهب فيها المفسرون إلى اليهود! إلى توراة اليهود! التي كتبوها بأيديهم، فيستقون منها ومنهم التفسير؟ أو إلى الشعوبية العجماء ربيبة اليهود وسندها الأساسي؛ ولماذا تركوا اللسان العربي المبين؟

ثمَّ كيف تجري جميع الوقائع في مكة، البيت العتيق، أول بيت وضع للناس، أم القرى، فجميع الوقائع تشير إلى ذلك، سيدنا آدم ﷺكان هناك، في مكة، وسيدنا نوح ﷺ قد جرت سفينته إلى الأرض المباركة، إلى مكة، وسيدنا إبراهيم ﷺ، كان هناك في مكة، ألم يسكن هناك من ذريته وتجري هناك وقائع الذبح لسيدنا إسماعيل الذي سكن مكة،

وسيدنا إبراهيم هو الذي رفع قواعده مع سيدنا إسماعيل، وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف كانوا هناك أيضاً وسيدنا موسى ﷺ كان هناك أيضاً وأورثه الله سبحانه وتعالى، والقوم الذين كانوا معه وكانوا يستضعفون، أورثهم مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها، إنها أيضاً مكة المكرمة الأرض المباركة لأنها أول بيت وضع للناس ولا شك، بيت الله سبحانه وتعالى. وبالتالي فإنَّ وقائع سورة بني إسرائيل (الإسراء)[1] لا شك

(١) المفسرون غير العرب، لم يلاحظوا كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، قد نوه لنا في مطلع سورة يوسف، وأكد لنا على أن الكتاب المبين، والقرآن الكريم، قد أنزله رب العالمين عربياً، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى تلازم الكتاب والقرآن العربي مع العقل والتعقل والقصِّ، الذي هو أحسن الطرق الموصلة إلى أحسن وأسمى الغايات، وسورة يوسف تقص للبشرية عن آل يعقوب مثالاً عظيماً يفتح للعقل البشري طاقات فكرية، وقد افتُتِحَتْ السورة المباركة بالإشارة إلى الكتاب، وبالتأكيد على أنه عربي، ولم تشر السورة المباركة أبداً إلى بني إسرائيل أبداً، ولم تسمهم، ولم تذكرهم، ولم تشر إلى الأسباط، ولم تشر إليهم مطلقاً، بل ذكرت سيدنا يعقوب، وسيدنا يوسف، الذي أصبح ملكاً للأرض، كل الأرض، بعد أن كان مجرد طفل صغير يرتع في لجة البادية، وسيدنا يعقوب لم يحرم على نفسه أياً من الطعام، وحدثتنا عن إخوة سيدنا يوسف، في قصٍّ كان فيه هداية للبشرية ودلالة، لكن السورة، لم تربط بين آل يعقوب وبين الأسباط، ولا بين آل يعقوب وبني إسرائيل أبداً. لكن الملفت هو إشارة السورة إلى الترابط بين الكتاب والقرآن على أنه عربي وأنه خاصٌ للعقل، وأنه من أجل التعقل.

بينما أشارت سورة الإسراء (سورة بني إسرائيل) في مطلعها، إلى إسراء الرسول العربي ﷺ وسيدنا موسى، ربطاً مباشراً بين هذه الحادثة، والرسول العربي محمد ﷺ، وبين بني إسرائيل، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصا، بني إسرائيل الذين ليس لهم أن يتخذوا من دون الله وكيلاً، وأشار رب العزة إلى الأرض التي لا يجوز أن يفسد فيها ساكنوها أبداً؛ لأنها بيت الله الحرام الأرض المباركة، وكانت السورة الكريمة في سياقها تشير مباشرة وبوضوح إلى القصِّ في بيان رائع عن بني إسرائيل أجداد وآباء العرب، هدايتهم، أساسهم، تاريخهم المديد الواسع بخيره وشره؛ وعن مستقبلهم وأنبأهم الله سبحانه وتعالى بوضوح؛ بكل الاحتمالات الواردة والممكنة وتحذير الله سبحانه وتعالى لهم من مغبة الفساد في الأرض، ثمَّ ترغيبه لهم ووعده لهم سبحانه وتعالى بالرحمة، إذا هم أحسنوا سعيهم، وشكروا الله على هدايته لهم.

ولكنَّ سورة الإسراء (سورة بني إسرائيل) العرب القدماء ساكني (بكة وأرضها المباركة) وأهل أول بيت وضع للناس بيت الله الحرام، فإنها سورة الإسراء) لم تأتِ على ذكر آل يعقوب مطلقاً، ولم تشر إطلاقاً إليهم، ولا إلى الأسباط، فسورة يوسف التي كانت تتحدث عن الأقوام القديمة، قد طالعتنا في بيان رائع: بأن القرآن عربي مبين، =

أنها كانت في مكة المكرمة ولا يمكن فهمها فهماً صحيحاً ومنطقياً إلَّا إذا كان الفرض أن أحداثها كانت قد جرت في بيت الله الحرام (مكة المكرمة) والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين، والسياق في السورة ككل يدل على ذلك، فمواضع الإفساد الواردة في السورة ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ الأرض أرض مكة المكرمة، أو انطلاقاً من أرض مكة المكرمة، كونها المركز للأرض، أو بلاد العرب، ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ وهي ديار مكة المكرمة، باعتبارها المركز، والديار هي ديار العرب ومقرهم، وأماكن سكناهم، فهم بين المركز، وهو بيت الله الحرام، والمحيط الذي يضم كل بقعة سكن فيها العرب، مواطن العرب وبلادهم؛ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ وهؤلاء بالتأكيد ليسوا اليهود؛ بل القبائل العربية القديمة على أنهم أساس

---

وسورة الإسراء، واسمها سورة بني إسرائيل، والتي نزلت بلا شك على العرب والتي كانت قد طالعتنا بذكر الإسراء، الحادث الجديد الذي حصل في (مكة المكرمة المعاصرة) بين العرب المعاصرين للرسول العربي محمد ﷺ، ربطاً بإسراء سيدنا موسى ورسالة سيدنا موسى ربط السلف مع الخلف وقد خاطبهم الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]. وبعد كل هذا البيان من الله سبحانه وتعالى، يأتي المفسرون – مع تقديرنا لجهودهم – لكنهم خلطوا بين دلالة تركيب، ومدلول (بني إسرائيل) القبائل العربية القديمة، هذه الأقوام التي بادت في البادية فنحولّت لتتشكل منها القبائل العربية الحديثة نسبياً مثل قبيلة قريش، وغيرها، بني إسرائيل الذين كانوا أهل البادية العربية والبيت العتيق، وأهل أم القرى، أول بيت وضع للناس، فخلطوا بينهم وبين لفظ (اليهود) القبيل غير العربي، الغريب عن الأرض العربية، والبعيد عن الدين السماوي بعد الأرض عن السماء، والذي كان قد اخترق العرب وهودهم وشدهم إلى أدنى مستوى، قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤]، فهل سيعمل العقل العربي المسلم على الفهم العربي الصحيح للقرآن المجيد.

الناس، وأنّ الشعوب التي في العالم قد تحدرت أو أنبثقت عنهم.

لكن الذين كانت سكناهم بقرب البيت، بيت الله الحرام المبارك به وحوله، أولئك الذين سكنوا بقربه كانوا على الدوام أقرب إلى الفطرة، وألصق بالميثاق، وأكثر اتصالاً وقدرة على الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وهم مطالبون أولاً بالامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، رب العالمين، ورب البيت ﷻ [1].

---

(١) ومثال ذلك تفسيرهم لسورة ﴿ قريش ﴾ التي كانت معانبها عربيةً واضحةً قبل التفسير فطُمست معانيها تماماً بعد التفسير! عندما أولوها في التفاسير غير العربية والتي كانت جميعها قد بَنَتَ على تفسير الطبري؛ (توفي ٣١٠ للهجرة وأصله فارسي من طبرستان وكان يميل إلى التشيع) لقد أولوا لفظ ﴿قريش ﴾ على أنها قبيلة وهي لم تكن كذلك! بل كان المقصود من الخطاب الرباني سكان البيت وسدنته والقائمون على خدمته؛ فقريش هم مباركون ومشرَّفون بين العرب والعجم؛ ولكنهم عملياً لم يكونوا قبيلة بمعنى القبيلة بين القبائل العربية الكبرى المعروفة! والقبائل العربية لا تُعرفُ لها بداية كما هو معلوم؛ وأغلبها يرجع تكَوُّنها إلى آلاف السنين الغابرة، بينما من سمي بقريش هو الجد الثامن للرسول الأعظم ﷺ، وذلك بحسب جميع المصادر، وعدد قريش قليلٌ جداً بالنسبة للقبائل؛ وقريشٌ كانت كلها سادة كما هو معروق! ولكن قريش هي تلك البيوت المعدودة والعريقة التي كانت في مكة وتقوم على سِدانة البيت العتيق والرفادة والسقاية والتنظيم والإشراف عليه، ورعاية حجاجه وزائريه ومجاوريه؛ هذه هي الزيارة التي لم تكن تنقطع أبداً لا صيفاً ولا شتاءً (الفصول الرئيسية في اللسان العربي المبين الصيف والشتاء) إنها رحلة مستمرة، مستمرة إلى يوم الدين إلى يوم يبعثون، يأتيها الناس من كل فجٍ عميق، فقد كانت الرحلة إليه منذ سيدنا إبراهيم ﷺ لا تنقطع أبداً، من بلاد الشام وماوراءها اليونان والرومان؛ ومن العراق وما وراءها الفرس والهند والصين؛ ومن اليمن والسودان والحبشة ومن وادي النيل وما وراءها من كل أنحاء العالم القديم فضلاً عن القبائل العربية، والمشهور أنه كان في مكة فئة تسمى الأحباش وكان لهم ثقلهم! لقدكان الناس يأتون إلى البيت العتيق ملبين النداء العظيم الخالد «الله أكبر» لقد كانت مكة مدينة دولية إن صح التعبير، وكان فيها جاليات من جميع الأمم وكان فيها سفارات لجميع الدول...! كانت هذه الرحلة للناس جميعاً مستمرةً وعلى الدوام منذ أذَّنَ سيدنا إبراهيم في الحج، وقد ثبت أنه في غابر الأزمان كانت الفرس والروم واليونان أيضاً ترحل إلى البيت العتيق وكانت ترسل إليه المحامل والهدايا تبركاً وعلى أن البيت بيت أبيهم إبراهيم أيضاً، وكان سكان البيت معززين مكرمين لدى كافة شعوب العالم القديم عرباً وعجماً إضاقة إلى تسودهم على القبائل العربية ومنزلتهم الرفيعة لدى العرب قاطبة، قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾ [سورة قريش]، آمنهم من خوف: فمع أن مكة ليس لها قوة =

خاصة تحميها أو تدفع عنها فيما إذا طمع بها الطامعون فإنه ليس بمقدور أهلها عملياً الدفاع عنها أو عن أنفسهم أبداً فلولا وجود البيت، بيت الله الحرام، والآمن الإلهي المفروض من السماء على مكة «البيت العتيق» وما حولها «الأرض المباركة» لما كان بمقدور سكان مكة الدفاع عن مكة أو الصمود في وجه الغزاة والطامعين أبداً، ضد الروم أو الفرس أو ضد أيٍ من القبائل العربية الكبرى، ومعروفة المحاولة التي قام بها أبرهة الحبشي بجيشة الذي قاده من اليمن، وما حصل له في عام الفيل، وقول أبي طالب جد الرسول ﷺ مشهور جداً (للبيت ربٌ يحميه) والواقع فإن مكة دائماً كانت سهلة الاجتياح من كل الجهات لولا حماية الله سبحانه وتعالى، فهي بحماية الله ورعايته جل جلاله، فالله سبحانه وتعالى هو الحامي وهو المطعم، والقرآن الكريم والذي هو أساساً للعالمين ولكل زمانٍ ومكان فإنه، أي القرآن الكريم، لم يكن ليستهدف في خطابه القبيلة! بل خاطب سدنة البيت، ورعاة حرمته والقائمين عليها، بيت الله الحرام، الذين أطعمهم ربهم من جوع وآمنهم من خوف، في حين أنهم لولا وجود البيت أو لولا وجودهم إلى جوار البيت، بيت الله الحرام وقيامهم على سدانته ورعايته وخدمة حجيجه لكانوا في أشد حالات الجوع والعطش حيث لا ماءٌ ولا شجرُ، لا زرعٌ ولا ضرعٌ، وأرض مكة كما هو معروفٌ جبال صلدةٌ وصخورٌ قاسيةٌ، إنَّ أهل مكة لولا وجود بيت الله الحرام وقيامهم على خدمته وخدمة الحجيج والمعتمرين إليه، الرحلة التي لم تكن لتنقطع وهي مستمرة صيفاً وشتاءً، فإنه لولا ذلك لكانوا في أسوأ حالٍ من الجوع والعطش والحرمان من كل شيء؛ لأنَّهم بطبيعة الحال يعيشون في لجة البادية القاسية، فمن أين سيأتيهم الطعام لولا وجود البيت أو وجودهم إلى جانب البيت، بيت الله الحرام؟ ومع ذلك فإن وجودهم إلى جانب البيت وقيامهم على خدمته ورعايته والرفادة فيه؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد شرفهم؛ وتكفل بإطعامهم أفضل أنواع الطعام وأكرمهم فانقادت لهم عواطف الناس وأجلتهم شعوب الأرض؛ ومعروفٌ أن القرشيين ومن قبلهم الجرهميون! كانوا إذا رحلوا إلى البلاد الأخرى يلقون من الحفاوة والتكريم الشيء الكثير بحيث يتلقاهم ويقابلهم الحكام ويجلونهم كثيراً بله العامة من الناس تبركاً بهم، وأكثر من ذلك كانوا إذا تعرضت القوافل للغزو فإذا قال أحدهم انه جرهمي أو قال بأنه قرشي كان يُخلى عنه وعن ماله وعرضه وكل شيء هو له، وذلك لما لسكان البيت من حرمة في نفوس الناس حتى عند اللصوص وقطاع الطرق.

فالذي اطعمهم والذي آمنهم هو الله سبحانه وتعالى وليس البشر! لذلك كان الطعام هنا هو أفخر أنواع الطعام، يأتيهم من كافة أنحاء البلاد المعمورة، وكل الأطراف التي كانت ترحل إلى البيت العتيق صيفاً وشتاءً!كانت ترحل حاملةً معها المحامل والهدايا والطعام إلى مكة المكرمة إلى بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦، قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، لقد أطعمهم الله سبحانه وتعالى من جوع استجابة لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام على أن يؤمنوا وأن يقيموا الصلاة، بينما قد توعد من كفر منهم بعذاب النار وبئس المصير قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ =

إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ ، وهذا لا يمنع من أن بعض أفراد قريش كانت تذهب أحياناً بتجارة إلى اليمن أو إلى الشام والله تعالى أعلم ولكن هذا هو الفهم العربي للنص العربي، فكيف أولوا الرحلة الواحدة لتصبح رحلتين واحدة إلى اليمن وأخرى إلى الشام؟ وقالوا بأن قرشاً كانت ترحل إلى اليمن لتأتي بالعطور والتوابل وإلى بلاد الشام لتجلب الخمور؟!! لمصلحة من كان هذا التأويل؟

## الوعد والتوعد الوارد في سورة الإسراء (سورة بني إسرائيل) هو وعدٌ من الله سبحانه وتعالى للعرب، وليس لليهود!

كيف ساقوا هذه الآيات العظيمة معانيها لليهود؛ وأرادوا إحالتها إلى اليهود؛ أو إحالة الوعد فيها لليهود! هل كان المفسرون وبعضهم كان من أصلٍ يهودي؟ كيف يلعن اللهُ في القرآن الكريم اليهودَ، كلَّ اليهود، ثم يوجه لهم وعداً بأن يجعلهم أكثر نفيراً؟ ثم يقول لهم إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم؟ متى كان اليهود محسنين؟ من الذي أدخل تفسيرات التوراة اليهودية إلى معاني القرآن العظيم؟ فأذهب العرب، والمسلمين في غيابات ومتاهات بعيدة عن الجوهر العربي الأصيل، كيف افترضوا خطأً أن الوقائع المذكورة في مطلع سورة الإسراء أحالوها كلها في تصورات الناس إلى إيلياء (بيت المقدس)؛! ولماذا؟ وما الداعي؟ لماذا إيلياء (بيت المقدس) هل نحن مضطرون إلى متابعة اليهود في مقولاتهم؟ ثمَّ كيف يذهب صاحب الحق الأصيل إلى الاستشهاد بالوثيقة المزورة التي أبرزها الخصم المعادي، والمدعي والمزور!؟ كيف يذهب المسلمون العرب إلى تأييد مقولة التوراة اليهودية، في قولهم، أن المقصود في ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أنها كانت تعني السبي الذي حصل أيام نبوخذ نصر لليهود من القدس إلى بابل!؟ وكان قرآن العرب المسلمين يصرح لهم بعكس ذلك؛ ويصرح لهم بأن هذه التوراة مزورة، وباطلٌ كل ما جاء فيها وبها،فكيف انطلت هذه الحيلة على العرب المسلمين، كيف انجروا تاريخياً إلى مثل هذا المطب، والشرك، والفخ الخطير الخطير على الفهم، والوعي؟.

ثم أيُ خصومةٍ، وأيٌ نزاع بين العرب واليهود؟! إذا كان العرب المسلمون الغافلون، النائمون، يوافقون سلفاً على ما جاء في التوراة اليهودية من تحريف؟

كيف يذهب العرب المسلمون إلى مواجهة خصومهم، وهم مصادقون على جميع وثائقه المزورة، ومعترفون بها! وفوق ذلك يفسرون قرآنهم؛ وفق مقولات اليهود وكتابهم

المشوَّه والمزوَّر، الله سبحانه وتعالى هو الذي يقول ذلك، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩].

## إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم في الآخرة

هذا وقد ذُكِرَتْ عبارة إسرائيل في القرآن الكريم، في (٤٣) آية كريمة، آيتان منها ذكر فيها (إسرائيل) مجرد من لفظة بني، وذكرت عبارة بني إسرائيل (٤١) مرة جميعها كانت تعني الأعراب، البشر العرب، القبائل العاربة، التي كانت أماً أولى، لكل تلك الشعوب التي سبق وانتشرت على سطح الكرة الأرضية، بقضِّهم وقضيضهم، بتجاربهم الفردية والجماعية الاجتماعية، السلبية والإيجابية، خيرها وشرها حلوها ومرها (إن صح التعبير!) الحضارية الضخمة والمتنوعة، في وجودٍ ضاربٍ في القدم، والقرآن الكريم، يرصد لنا هذا الوجود، ويشير إلى سلبياته الكثيرة وإيجابياته القليلة؛ تنبيهاً لنا، ودرساً للناس، في تجربةً كبرى، لعل الناس يستفيدوا من أخطائهم، فلا يقعوا فيها، وسورة الإسراء فيها إعادة تلخيص وتشخيصٍ مكثف، لتلك التجربة الضخمة، الواسعة المميزة، (لقد قام اليهود بسرقة تراث بني إسرائيل الأعراب، وانتحاله وادعائه وتلفيقه وتزويره!) إن هذه السورة، سورة بني إسرائيل، من البداية إلى النهاية، فهي إنما تتحدث عن مسار الزمن العربي، تتحدث عن ما هو مقدرٌ من الله سبحانه وتعالى على العرب، وعن ماهو مرسوم من الله سبحانه وتعالى للعرب، لايحيد، ولن يحيد ما يجب على العرب فهمه، واستيعابه، والتزامه، والعمل بمقتضاه، استسلاماً لمشيئة الله سبحانه وتعالى، وعملاً لا هوادة فيه، ولا كلل، مستمراً متصلاً، محققاً لأوامر الله سبحانه وتعالى، ومنسجماً وملتزماً بإرادته تكليفاً منه سبحانه وتعالى.

فكيف جرت المحاولة لإبطال مفعول آيات الله سبحانه وتعالى، وكيف انحرفت التفاسير منذ وقت مبكر، ولوت، هذه التفاسير عنق الآيات، وأخذت الناس في الاتجاه

الخاطئْ؟

## (بنو إسرائيل)، هو نفس مدلول ولفظ (الأعراب)

إن مدلول لفظ وعبارة (بني إسرائيل) هو نفس مدلول ولفظ (الأعراب) وكلتا اللفظتين في القرآن الكريم تعني، وتدل، وتشير، إلى العرب، (بما تعنيه كلمة العرب في الوقت الحالي) إن للألفاظ الثلاثة مدلولاً واحداً، بينما أطلقا في أزمان مختلفة، أو عصور مختلفة، إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يُعلمنا، لنفكر، فهل نحن مفكرون؟ إنَّ اللفظ الأقدم كان بني إسرائيل، وإسرائيل بالتحليل يعني أسير - إيل، وهو عبد الله، وكذلك فإنّ لفظة عرب بالتحليل تكون (ع ـ رب) والتي تفيد الاعتماد، والتوكل على الرب، أو تفيد الصدور والورود عن الرب، رب العالمين، وهو ما يدعى الفطرة، فطرة الله، إن لفظة عرب، ناتجة عن دمج واندماج عبارة (عبد رب) واللفظ الأحدث كان الأعراب؛ وهو دلالة على الانتساب للرب، السيد الواحد، والاعتماد عليه في كل شيء؛ والاعتقاد بأنَّ كل شيءٍ آتٍ من عنده، ومرتبطٌ به، وكل شيء يضاف إليه، يكون من لدنه، فالقرآن، الكتاب الإلهي الكوني الأساسي عربي، واللسان الأساسي المبين عربي، والحكم الرباني الأساسي عربي، والملائكة عُرُباً، والحصان عربي، والطب الأساسي عربي، والدسم، والسمن الأساسي عربي، والشعر أصله عربي، واللباس الأساسي عربي، والصمغ الأساسي عربي، والمواقيت وإيقاعها الطبيعي الأساسي عربي.

إنّ صفة أو لفظ (عربي) يعني أنه رباني المنشأ من لدن الله سبحانه وتعالى، واللفظ الحديث جداً وهو الأكمل وصولاً، والأوضح نسبة إلى رب العالمين وهو لفظ (العرب) إنّ لفظ (العرب) هو نفس لفظ (بني إسرائيل) سابقاً وإنَّ لفظ (بني إسرائيل) قد أصبح (العرب) لاحقاً، إن العرب هم بنو إسرائيل، الذين عناهم القرآن الكريم في محكم تنزيله،

في كل مرة يذكر فيها (بني إسرائيل) أو (الأعراب) وقد صورهم القرآن الكريم في مختلف أطوارهم، عبر الأعصر؛ وعدد لنا رب العالمين نحلهم واتجاهاتهم ووصف لنا أوضاعهم، في مختلف جوانبها الإيجابية والسلبية، وسورة الإسراء المباركة كانت قد رسمت لنا المسار الكامل للوجود العربي بكل تفصيل وبدقة، فهل من مدكر؟ إن سورة (الإسراء) توقيفياً كانت هي سورة (بني إسرائيل) إنها سورة (العرب) لأنّ بني إسرائيل هم العرب بالذات، ولمن يريد التأكد عليه فقط إعادة قراءة السورة الكريمة، سورة الإسراء، سورة (بني إسرائيل)!

إن ما هو موجودٌ في رؤوس المسلمين الآن أو ما كان قد تكرس في رؤوسهم وعقولهم، منذ الانقلاب الشعوبي العباسي الهدّام، إلى العصر الحديث، من آراءٍ حول فهم النص، أو ما يعشش في عقولهم من تصورات وتفاهمات وتفاسير؛ إنه ينضوي في أكثريته، تحت ما يمكن أن نسميه، الإسلام السياسي؛ أو هو كان نتاجاً للإسلام السياسي. فالشطحات الصوفية، وطرائقها الغريبة والبعيدة؛ والسلفية الالتفاتية الماضوية الشكلانية المتحجرة والتشيع بخطاباته ونحله وطوائفه وصيغه وأشكاله المتعددة، وانبعاثاته وعقائده المختلفة، وما تولد عنه، والاعتزالية الفلسفاتية، بنزعاتها ومواردها الغريبة، الغربية والشرقية، غير الأصيلة، ولا المتأصلة عربياً، ولا هي نبعت من (زمزم العربية) كل هذا وغيره، كان قد نشأ تاريخياً، وهو الآن ينضوي تحت مفهوم الإسلام السياسي، والإسلام الذي لا يزال يعمل وفق عقلية آلية مُحَدَدَةٍ ومُحَدِدَةٍ؛ الأفهام فيه مرسومة مسبقاً، معلومة النتائج محسوبة النهايات.

هذا الإسلام، لا يمثل الإسلام، وهو منذ تكونه الطارئ في الماضي؛ على الإسلام العربي، لم يستطع ولم يقدر، وهو غير قادر حتى الآن، على فهم القرآن الكريم، كتاب الله

سبحانه وتعالى، بله فهمه فهماً صحيحاً، ولا يزال المسلمون إلى الآن في القشور، يراوحون على السطح؛ بالنسبة للقرآن الكريم، لم ينفذوا إلى الجوهر، ولا هم تعمقوا فيه، للأسف الشديد، ولقد عجز هؤلاء جميعاً وحتى الآن عن فهم القرآن الكريم، أو الولوج إلى مضامينه العربية المبينة. فهل سيكون الإسلام الأمريكي مطلع الألفية الثالثة بديلاً عن الإسلام العربي! وهاهي أمريكا، وهاهم اليهود، مطلع الألفية الثالثة، يحلُّون محلهم، ويقومون، وتقوم بدورهم، في فهم القرآن؛ وتفسير القرآن، وإعادة تقديمه للعرب والمسلمين على الشاشات الملونة، وفي المحافل الإعلامية الفضائية العالمية، فتاوى وحكايا ونقاشات بيزنطيَّة ومهاترات، ثمَّ توصيات رقيقة، ضمن مجموعة من الإعلانات الاستهلاكية الماجنة، والبرامج غير الفنية، والأغاني العاطفية الهابطة، في برامج دينية، يقدمها أناس بهيي الطلعة، لهم شخصيات تتميز بأنها مكسورة وعاجزة، مجهضة الجناح، ضعيفة مستأنسة، مخصيّة ناقصة، دائماً يعلوها التهديد، في استوديوهات لا همّ لهم إِلَّا الكلام واستمرار الكلام؛ دفاعٌ وهجوم، بحيث صاروا يشكلون جزءاً من التسلية والتشويق الذي اعتاد عليه الكثيرون من المشاهدين وهواة هذا النوع؛ لإملاء وقت الفراغ، والابتعاد عن شبح الروتين والملل، وإرضاءً لبعض الأذواق، الأمر الذي يذكرنا بلعبة صراع الديكة المحظورة! وصار لهم هواة ومعجبون ومتابعون، وهم يستعملون لهجات ناعمة محببة، أو أصواتاً مشوهة خنثوية نشازاً، أصواتاً لمخصيين، لتكوين صورة مشوهة ميتة عن الإسلام والمسلمين، وليُنَصَّبوا في مابعد، أعلاماً وأمثلةً تُحتذى، للعرب المسلمين، وفي أذهان الأجيال العربية الصاعدة، أو الهابطة؛ رجالات وعلماء للدين الحنيف؛ دين الله، دين السمٰوات والأرض ومابينهما، بطرق وأساليب جديدة، تتقرب من المشاهدين؛ لباقةً وتهذيباً واحتراماً وأزياء، ليس لها مثيل؛ علماء، علماء، علماء، ولم ينسَ مخرجوا تلك البرامج لم ينسوا الذقون واللحى الملونة، والخاضعة (للمكياج)؛ والمخضبة بالحناء والزعفران، ولم ينسوا تحلية وتجميل الأصوات

وتمييزها من خلال (الماكساج) بحيث بات هؤلاء الأشخاص نجوماً مطلوبين مبروكين، يتأثر بهم الناس ويتعاطفون معهم، من خلال أشكالهم، من بين النجوم الفنية والإعلامية، التي باتت تطالعنا بها الشاشات الفضائية في هذه الأيام.

ولكن هل هؤلاء فعلاً من العلماء؟ هل يحق لهم أن يتحدثوا باسم الإسلام، ومن الذي أجاز مثل هؤلاء الأشخاص، الذين لا نعرف عنهم، ولا أحد يعرف عنهم أي شيء، من الذي رشحهم للتحدث في قضايا الإسلام والمسلمين، وعلى الطريقة الأمريكية، (أنت تسأل ونحن نجيب!) (وفتاوى على الهاتف!) فتاوى، وقصص أنبياء، مستمدة، أكثر فصولها من التوراة، توراة اليهود، وهي تقدم بطريقة حديثة مبتكرة، ثم أصبح لكلٍ منهم مجموعة من الكتب، والشرائط المسجلة والسيديات، والمعجبون، وهكذا أصبحت تلك الشخصيات (الإسلامية) تعرض وتباع وتنافس، إلى جانب أحط وأوضع الفنانات العاريات، وهل الإسلام الدين الإلهي، دين السماوات والأرض، وما بينهما، صار يؤخذ، أو يمكن أن يؤخذ، أو بات علينا وعلى الناس أخذه أو فهمه من القصاصين والحكواتية، من على شاشات التلفذة والإنترنت، بدل أن ينطلق كل مسلم، وكل عربي إلى كتاب الله مباشرة، إلى القرآن الكريم، ليحاول هو شخصياً فهمه، وتدبره، واستيعاب الهدي والحكمة التي فيه والاستنارة بنوره، وما المانع؟ ولماذا نتصور، أو نصوِّر الأمرَ دائماً، على أن الجمهور والناس جميعاً، غير قادرين على الفهم، وأنَّ شخصاً واحداً فقط يمكنه الفهم، علماً أن الدين الحنيف لم يكن هكذا، أفكلما طلع علينا شخصٌ أرخى لحيته ولبس عمامة أو دشداشة من خريجي القنوات الفضائية، الذين ليس لهم من مهمة إِلَّا استلاب الإنسان العربي المسلم، والسفر به إلى المجهول، في متاهة لا تنتهي من المهاترات، أو في الكشف عن المعجزات العلمية؛ بهدف كف بصره، وسد أذنه، وإغلاق عقله وفمه، إن لم يكن لقطع

لسانه[١].

(١) وهكذا فإن جولة على المكتبات العربية الإسلامية، في جميع الدول العربية والإسلامية، في هذه الأونة، مطلع الألفية الثالثة؛ يمكن أن تنبينا عن مدى السخف والإنحطاط والتراجع والسقوط المريع والمفرط الذي وصلت إليه الأمور، أمور الدين والدنيا والعلم والأدب والثقافة والفكر. وهكذا غابت عن الطرح المواضيع الأساسية والمهمة، مثل المواضيع التي كانت تؤكد على الفهم العربي الصحيح، لكتاب الله سبحانه وتعالى، والجهاد والنضال والثورة ضد الظلم والطغيان، والتاريخ المجيد للعرب والمسلمين؛ والفتوحات العظيمة، والكتب التي كانت تحضُّ على التقدم والرقي الحضاري؛ وتؤكد على الانتماء للوطن الواحد، وللأمة الواحدة، الكتب التي تحضُّ على الكرامة والشرف والبطولة والعزة والمنعة، هذه المواضيع سُحبت من التداول نهائياً! وحلَّت محلها كتب أخرى، تسوق الأجيال إلى حالة الاستهلاك، والتفلت والانفلات والتهتك، والدعوة للإنغماس في الرذائل والشهوة، يشد الجيل إلى مستوى الحيوانات.

كتب الله سبحانه وتعالى وحده هو أعلم بمضمونها، وأهدافها الأمريكية المنشأ، فأين ذهبت الكتب والمواضيع العظيمة، التي كانت سائدة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، وكانت صاعدة، بالهمة العربية الإسلامية، إلى أعلى مستوى؟ كيف طُويَّت تلك الصفحة المشرقة المُعمقة، التي كانت رائعة، وهبطت بالمشاعر العربية الإسلامية إلى ادنى مستوى؟ لتحّل محلها كتب الإسلام الإمريكي، الإسلام الباهت المسطح المُفرغ، المبطل للإسلام الحقيقي، هذا الإسلام وهذه الكتب التي باتت تُعرض وتباع إلى جانب كتب أنواع الطبخ، و(المكياجات)، و(الجمستيك الصباحي) و(الريجيم) والأبراج، و(لا تحزن)، وغيرها من الكتب التي أودت بالشخصية العربية إلى الحضيض.

وهكذا سحبت من التداول كل الكتب التي كانت تُخِّلق الأبطال وتُذكر بالمجد، وتدلُّ عليه، وحلت محلها مواضيع موَّضَّبةً ومعدة للهبوط بالإنسان العربي المسلم إلى أدنى مستوى، بحيث نتج عنها جيل جديد من الشباب، جيلٌ تقليديٌّ، ناعم الملمس، رقيق الصوت؛ لا علاقة له بالحق أو بالحقيقة، جيلٌ قاموا بتطعيم أصوله على المسوغات والمبررات والواقعية، وحشوه بمضامين تافهة، أصبحت لا تبعد كثيراً عن ما هو موجود في عقلية أولئك اليهود؛ كأنهم جعلوا من الجيل العربي الإسلامي الجديد عبارة عن الوجه الآخر للجيل الأوربي والأمريكي، لكنه الوجه الأسفل! بحيث أصبحوا ينبهرون بأجهزة الاتصالات، ولكنهم لايلوون على شيء، عديمي الوعي، فاقدين لأي أحساس بالانتماء، ليس لديهم شعور وطني، محملين بكل سلبية، وفي روؤسهم مجموعة تناقضات ومغالطات وأخطاء عن مفاهيم الدين والدنيا، إنهم يحملون سمات صوفية وسلفية وشيعية؛ ولكنهم أبعد ما يكونون عن الحقيقة العربية الإسلامية، وهذا الجيل المسكين، لايعلم شيئاً عن ما يُدبر له من تهلكة. وما يُعَدُّ له من مؤامرة. كذلك طُرحت الكتب الخالية من أي مضمون، والخاليةٌ من أي دسم، منزوعٌ منها كلُّ التأثير؛ السياسي والتاريخي؛ كتبٌ الغرض منها التتفيه والتسطيح والتذويب، وإبطال الفاعلية، إنهم يقدمون فيها الإسلام، إسلاماً منزوع الفتيل، مسلوب الإرادة، إسلاماً غربيَّاً، غير الإسلام العربي المبني والمؤسس على الحكم العربي، والقرآن العربي، واللسان العربي المبين، بحيث تحول =

إن القضية ليست في القدرة على الاستعراض، الثقافي والمعلوماتي، أو في غزارة المعلومات والبروز؛ ولا هي في القدرة على الإدهاش، والقدرة على الإثارة وإثارة

---

المؤمنون به حديثاً؛ إلى خِناث، لا ذكور، ولا إناث، أشكالٌ، من ذوات الدم البارد، بلا أعصاب، وهكذا صارت المواضيع في الكتب الإسلامية حالياً تناقش الحب والجنس في الإسلام، أو السحر أو الجن والشياطين، والطب الشعبي، والبصل والثوم والحبة السوداء، والقصص القرآني، الذي صار يُستكمل ويُفسر بكل بساطة من التوراة، من كتاب اليهود، وهكذا فإن الجيل الجديد من الشباب العربي المسلم، لا يعرف من الكتب العربية إلَّا الأذكار، ورياض الصالحين للنووي، والدعاء المستجاب لعبد الجواد؛ وصفوة التفاسير للصابوني؛ ولا تحزن لعائد القرني، وكتب صغيرة عن كيفية إسباغ الوضوء والاستنجاء، وغيره، وكتب لاتنفع الإنسان العربي المسلم، ولا تقدِّمه قيد أنملة إلى الأمام، ولا تجعله يرفع رأسة، ولا بوصة واحدة إلى الأعلى، إن لم نقل أن هذه الكتب تؤدي بالنتيجة إلى شله، وفلجه، كتب تكرس جهله، وتكبل فكره وعقله وتحصر ضميره، وتجعل منه إمعةً يُقلد تقليداً أعمى، فلا يُفكر بالحق؛ ولا بالصح لذاته، إنه يسير ضمن قوانين، وضمن قواعد، وقد اقفل عقله وقلبه، وإحساسه وشعوره، وهو لا يعرف ولا يعلم أن الدين الصحيح على العكس من ذلك تماماً، فالإسلام نورٌ على نور، والإسلام قوة فكرية وعقلية، وهو مددٌ من الله سبحانه وتعالى، لا ينتهي.

وتحول القصُّ القرآني الذي كان الغرض منه الاتباع، تحول على يد الدعاة، وفق الخطة اليهودية الإمريكية، إلى مجرد روايات الغرض منها الامتاع والمؤانسة، وهكذا انتقلت أحوال الكتب إلى الأحوال التي على المنابر! حيث يغرق الوعاظ، من الخطباء الذين بتنا لا نعرف من أين يأتون، ولا كيف يصلون إلى المنابر؛ ولكنهم من أجل الإدهاش، والإبهار يستغرقون في طرح الأحاديث الضعيفة والمدسوسة والموضوعة، ويمعنون في نقاشها، والناس على الأغلب يجهلون، وهم نائمون، أو ساهون، أثناء الخطبة قي يوم الجمعة، لكنَّ حضور الجمعة، فرض مفروض بالنص، لابدَّ منه؛ وهكذا فإنَّ الخطباء الكرام في مساجدنا باتوا لا يكترثون بما يدلون به على المنابر؛ إنهم ضامنون إمتلاء المساجد في كل يوم جمعة، أيّاً كان الحديث، كذلك سرقت صلاة الجمعة فاعليتها، في حياة العرب المسلمين، في أنحاء العالم، وتحولت إلى مجرد تقليد أعمى، لا بد من انجازه، أو طقس من الطقوس الصارمة؛ لابد من تنفيذه يؤديه الناس دون أي فائدة، بينما الحقيقة كانت غير ذلك، فقد كان يوم الجمعة يوم الشحن المعنوي، يوماً ترفع فيه الهمم، وتتحد فيه النوايا، وتقرر فيه الخطط الجماعية للعرب المسلمين، في يوم الجمعة كان العربي المسلم يشعر أنه جزءٌ من الأمة، له ما لها، وعليه ما عليها، أما مجرد الوعظ، والتكريز! فهذا مستجلبٌ من اللاهوت، وهو بالأساس من عادات وطرائق وأساليب أهل الكتاب، التي انتقلت إلى المسجد العربي، بالعدوى، كما تنتقل الأوبئة، أو التي أُفرغت على المسلمين العرب، وصارت ديدناً لهم؛ في حين تعبأ أهل الكتاب غير العرب؛ بالخطط العربية الأصل! وأصبحتْ سلوكاً وديدناً لهم!

الفضول، فهذا كله ليس له علاقة بالعلم، فمتى ستبدأ العقول العربية الحقيقية، بالتحرك؟ ومتى ستبدأ العقول العربية المتأصلة بالفهم والتفكير؟

إن هذا الوضع تماماً هو ما كانت قد أوصت به، وأكدت عليه اللجان الأمريكية، لإعادة تشكيل الإسلام الحديث، إن هذا الوضع تماماً هو ما رسمته أنامل الخبراء اليهود، من أجل إسلامٍ خالي الدسم، منزوع الشوكة، ذلك أنهم ينظرون إلى الإسلام والعرب، على أنهم خصم، يجب أولاً نزع سلاحه، قوته، وقدرته على الوقوف، والمواجهة، وسحب همته، ونشاطه، والإبقاء عليه جثة هامدة في ثلاجة باقية دائماً تحت السيطرة، وهم يضمرون للعرب والإسلام ألد الخِصام. وبالتالي بالنسبة لهم، يجب أن يبقى الخصم ضعيفاً، خائر القوى، متفَّهاً، مكبلاً ومشوهاً، ويعملون على إبطال جميع مؤثراته المحتملة؛ بحيث يستحيل إلى مستحاثات توضع في المتحف الزراعي، كدلالة على التخلف المنتهي، أو كوسائل إيضاح لطلاب قسم التاريخ وعلم الاجتماع والأطفال والمتطفلين من أصحاب الأسئلة التي لاتنتهي، إن الأمر بالنسبة لهم يتطلب إجهاض العرب وإجهاض الإسلام، في خطة محكمة، تنهي أمر العرب والإسلام، إنّ هذا ما يسعى إليه اليهود وأمريكا المهودة، إنّ هذا المجال برمته، ليس له علاقة بالإسلام الحقيقي، الدين السماوي، وهو لا يمت بصلة إلى الإسلام العربي الصحيح، لأنّ الإسلام أساساً هو دين الله ﷻ، دينٌ يدين به الإنسان، من آدم ﷺ، إلى يوم يبعثون، فهذا الدين أساساً ليس له علاقة بالسياسة ولا بالإعلام، أو الإعلان، ويجب أن لا يكون له علاقة بالسياسة، والإعلان والإعلام الحالي أبداً.

لأن هذا الدين السماوي الإلهي لا يمت بصلة للسياسة والإعلام الحالي أبداً فالأساس أن تُستوحى هذه الأمور الحياتية بأكملها من الدين الإلهي، لا أن يكون الدين الرباني أداة لدى أبناء الدنيا، أو وسيلة لتحقيق نجاحاتهم، فالدين الإلهي كان قبل السياسة وأساليبها

وخططها وبرامجها ووسائلها، بينما السياسة والإعلام، في هذه الأيام، تستثمر دين الله، وتستخدمه، وتجعل منه برامج مثيرة، ومسلسلات تاريخية مشوهة، لقد أصبح الدين الحنيف في العصر الحديث وسيلةً مثل كل الوسائل، يستعملها البعض، أو الكثيرون، للوصول إلى أهدافهم الدنيوية، إن الدين العربي الحنيف بريء من هذا الوضع، وهو بريء من هذه الأجهزة، وهو بريء من هذه الحالة، وهو بريء من هؤلاء الأشخاص، مثل ما كانوا في الماضي، وهم بالحقيقة لا يمثلون، ولم يكونوا يمثلون، إلَّا أنفسهم.

إنّ الإسلام العربي الحنيف أصلاً لم يكن يحتاج إلى هذه الأجهزة، أو هذه البرامج[1]، ولا

---

(١) بالأساس هذه البرامج التلفزيونية الدينية والمحاضرات واللقاءات والمقابلات والمناظرات الدينية، والقص والوعظ الإعلامي الديني، إعلامياً عبارة عن أساليب قديمة؛ بدأت في أمريكا، لتحويل الشعور الديني، في أمريكا وأوربة، تهويده، والسيطرة عليه من قبل اليهود، واللوبي اليهودي في أمريكا، وقد نجحوا فعلاً! فمنذ الخمسينيات من القرن العشرين، ومن قبل، اعتاد الجمهور في أمريكا على هكذا ظهور لأحد القساوسة في البرامج التلفزيونية للرد على الأسئلة المحرجة وفي الوقت نفسه لعمل دعاية مكثفة لليهود وتجييش المشاعر ضد العرب والمسلمين، عن طريق عقد المناظرات التلفزيونية مع أشخاص اعتقادهم في النقيض وهكذا كان يستمتع الجمهور من خلال الحوار المثير والديمقراطي، بين رجال الدين المسيحي المهودين الذين يمثلون الكنيسة، وبين المنتقدين من مختلف الاتجاهات وغالباً ما كانت تختتم بجمع التبرعات لليهود! (لقد نقلت هذه الظاهرة الإعلامية الخطيرة إلى الأعلام العربي، ما عدا جمع التبرعات! الذي صار استجداءً، للمنكوبين من العرب المسلمين في أقطار الأرض!) وذلك أن الدين المسيحي المعمول به أساساً، في أمريكا، أو في أوربة، هو عبارة مجموعة من القواعد والقوانين وضعتها الكنيسة ورجالات الكنيسة، طبعاً هذا شيء يمكن أن يكون جيداً، أو مفيداً، في بعض الحالات، إن رجل الدين المسيحي فعلاً، فهو يمثل الكنيسة، ولكن عربياً، هذا غير وارد أساساً، فعربياً لا يوجد رجال دين.

وبالتالي فإن في الدين الإسلامي، كل واحد يمثل نفسه فقط، وهو دائماً يعبر عن نفسه فقط، ولا أحد في الإسلام، يقدر أن يمثل الإسلام، أو أن يتقول عن الإسلام، أو أن يجعل الإسلام يقول؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الإسلام يبرز لوحده من القرآن الكريم، ويعبر عن نفسه، وفقط، ولكنّ ما نراه في الإعلام، في هذه الأيام، من تمريرٍ لفتاوى وغيرها، ولا يمكن أن يعبر عن الدين السماوي العربي الحنيف، أو أن يوصل إلى العلم الحقيقي، إن ما يشاهد في هذه الأيام على القنوات الفضائية والأرضية، لا يعبر بأيِّ حال عن الدين الرباني الصحيح، إنه يعبر وعن نفسه.

إلى هكذا أشخاص، إن الإسلام هو ما هو موجودٌ في القرآن الكريم فقط، الشريعة الإلهية، وهو ليس ولم يكن موجوداً، في أفواه وأمعاء الوعاظ، أو الخطباء أو المنشدين ولاالقصاص ولا الحكواتية، ولا شرائط تسجيلاتهم، إن الإسلام العربي الحنيف موجود فقط ضمن كتاب الله ﷻ، إن القرآن الكريم هو المَعِيْن الأساسي، للدين الحنيف، فعلى كل عربي، حر، واعٍ، مدرك العودة إليه، ليستخرج منه بنفسه، ودون واسطة، فكل عربي بإمكانه العودة إلى القرآن دائماً، ومباشرة، دون وسيط؛ ليستخرج بنفسه، ولنفسه النسغ الكامل، من المصدر الرباني الأساسي مباشرة، دون مساعدة من الآخرين! وهو ليس بحاجة، ولا يحتاج أساساً إلى من يساعدك على فهمه، (إلَّا إذا كنت أنت عاجزاً أو عديم القدرة على الفهم! والواقع يقول إن المريض فقط هو الذي يطبق عليه نظام الحمية، فيقال له، كل من هذا الطعام، أو لا تأكل من هذا الطعام، وصاحب الفكر والعقل السليم، لايحتاج إلى توصيات، وهو ينطلق إلى كتاب الله مباشرة،) فقط حاول.

إنه كتاب الخالق جل وعلا، الله رب العالمين، الأقرب إليك، وهو سبحانه وتعالى، يعرف كل واحد فينا، قال تعالى: ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾** ﴾ [النجم: ٣٢]، وذلك على العكس مما هو حاصلٌ الآن حيث تقزمت الهامات، وخضع الكبار للصغار!

لقد شكلت التفاسير والمفسرون، في كثيرٍ من الأحيان، حجاباً حاجزاً بين حقيقة النص الإلهي، وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعُمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلى جوهر المعنى، المعنى العربي للمفردات، والتأويل العربي الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة المباشرة للآيات الكريمة، لقد عملت التفاسير على إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي

والمؤدي مباشرة إلى عين النص.

# العرب مستهدفون لأنهم عرب ومسلمون

هل سيدرك العرب المسلمون أنهم أصبحوا مستهدفين، لأنهم عرب ومسلمون؟ وأن اليهود والصليبية العالمية المهودة، والذين هادوا من الشعوبية الحاقدة، إنما يشنون الآن ضدهم حرباً وجودية شاملة شعواء، وطاحنة وشرسة، لا هوادة فيها، وعلى كل صعيد، وفي كل المجالات، وأنهم جميعهم كمسلمين عرب سيساقون إلى المذبحة المعدة لهم خصيصاً، وضمن النظام العالمي الجديد.

فكيف سيذهب العرب إلى مجابهة أعدائهم، قبل اكتشافهم وقبل معرفتهم لذاتهم؟ كيف سيذهب العرب لمجابهة اليهود، دون أن يقوموا أو قبل أن يقوموا أولاً، بمحاولة اختراق اليهود؛ أو بمحاولة تفكيك اليهود، لقد قام اليهود باختراق وتفكيك العرب والمسلمين، فعلاً ومنذ قرون.

قد لا يشكل هذا المفهوم (العروبة) سلاحاً أوتوماتيكياً يوجه ضد أعداء العرب والإسلام، ولكن من المؤكد أن فيه ما هو أشد من القنابل النووية، التي ربما كانت انطلاقاتها وانفجاراتها بدايات النهاية! بالنسبة لكل الصف المعادي للعرب والإسلام، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾** ﴾ [الرعد:٣٧] ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾** ﴾ [النحل: ١٠٣]. ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾** ﴾ [طه: ١١٣]. ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾** ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٦] ﴿ **قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾** ﴾ [الزمر: ٢٨]. ﴿

كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت:٣] ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت:٤٤]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى:٧].﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف:٣].﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٢]
﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٦-٣٧]

# لفظة (صلوات) في اللسان العربي المبين ليست جمعاً للفظة (صلوة) والفرق الكبير بينهما![1]

إن لفظة (صَلَوات) التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات، و(صلواتهم) مرة واحدة، فإنها لم تكن جمعاً للفظة (صلوة) التي وردت في القرآن الكريم(مائة) مرة، وبالرسم العثماني، على شكل (صلوة) مع الآلف الخنجرية، والتي تعني الصِلةُ، إنها تعني أولاً الإقبال بالكلية على الله سبحانه وتعالى، وهي تعني ثانياً تأسيس الاتصال مع الله وحده ربّ العالمين ﷻ ثم يأتي الدعاء أثناء الصلاة، أثناء الاتصال، إنّ مفهوم الصلاة في القرآن الكريم أوسع وأكبر بكثير من مفهوم الدعاء، ولا يجوز قصر لفظة الصلاة على معنى الدعاء، فبعد إنشائك للاتصال وإقبالك على الله بالكلية وخشوعك وبذْلِكَ الجهدَ وتقربك من الله سبحانه وتعالى، فإنك ترفع الدعاء[2] لله سبحانه وتعالى وبعد ذلك تتوقع من الله سبحانه وتعالى الإجابة

---

(١) الفقرة بأكملها منقولة عن كتاب الحرب على العرب، للمؤلف.

(٢) المفروض أن يكون الدعاء لله تعالى من كل إنسان عينيّاً أن يدعو كلٌ بذاته لنفسه وللمؤمنين جيعاً، والحصيف من يدعو لوالديه ولمن أسدى له معروفاً ولمن له عليه فضل كما علمنا ربنا جلّ وعلا، وكما كان الرسول ﷺ يدعو وكما الأساس أن يدعو كل إنسان اللهَ خالقه دائماً وبمعرفته وعلى طريقته في كل وقت وأن يلجاء الإنسان كل إنسان بذاته إلى الله سبحانه وتعالى اثناء الصلاة وبعد الصلاة، وبما يراه مناسباً للخير، يجب على كل إنسان مؤمن بالله أن يقوم بالدعاء أصالة عن نفسه ولا يجوز أن يعتمد بذلك على الآخرين! كائناً من كان هؤلاء الآخرين ففي الإسلام الصحيح لا يمكنك أن تتكل على دعاء الآخرين بحيث يقتصر دورك على التأمين فقط، ولفظة (آمين) لفظة عربية وهي أساسها طلبٌ من الله المنان سبحانه وتعالى أن يمنَّ علينا بالإجابة وقد وجدت ومنحها الله للمؤمنين المصلين فقط لتقال فقط خلف الإمام في الصلاة هي واجبة بعد قراءة الإمام في الصلاة الجهرية لسورة الفاتحة والتي هي أصلها دعاءٌ لله سبحانه وتعالى علمه الله لسيدنا آدم ليتوب عليه وطلب إلينا إلى المؤمنين من البشر أن يدعوا به ويؤمِّنوا عليه في صلاتهم إلى إن يرث الله الأرض وما عليها، ولأنه لا صلاة لمؤمن بلا فاتحة، ولكن قولك (آمين) خارج الصلاة الجامعة ليس له أي نتيجة، والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يدعون الله رب العالمين ليغفر للمؤمنين وليس عن المؤمنين أو نيابة عن المؤمنين والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

=

والإلهام والإمداد، ففي الصلاة المفروض أن يكون هناك ذهابٌ وإياب، إرسالٌ واستقبال، توجهٌ بالدعاء إلى الخالق عز وجل، وانتظار وتوقع المدد والإمداد والاتصال منه إليك، عز وجلّ، إنه سبحانه وتعالى قريبٌ، يسمعنا وهو عز وجل، أقرب إلينا من حبل الوريد وهو يجيب المضطر اللاجئ إليه حالاً.

فليست الصلاة في الكتاب العربي المبين، ليست كما فهمها البعض؛ إنها مجرد أداءٍ للفرض؛ أو التكليف، على أنها عبارة عن طقسٍ شكلاني، أشبه برسالة تلقى في البريد ؛ أصبح الناس يؤدونها من طرف واحد، بسرعة، إن الصلاة المكتوبة أساساً هي تأسيس الاتصال، في الوقت المعلوم مع الله سبحانه وتعالى، ودوام هذا الاتصال، فالصلاة صلة دائمة بالله سبحانه وتعالى لا تنتهي، من المفروض أن يتم تتبع الملامح الحقيقية لكيفية الصلاة، وتتبعها من القرآن الكريم أولاً، وليس من أي مصدرٍ ثانٍ؛ وذلك بدءاً من الطهارة، إلى الوضوء، إلى التيمم، إلى الآذان، إلى الإقامة، إلى التوجه، إلى النية، إلى الخشوع، إلى القنوت، إلى القراءة، إلى الدعاء، إلى السجود، إلى الركوع، إلى التسليم، إلى التسبيح دبر كل صلاة، كل هذه الأمور موجودةٌ في القرآن الكريم، وهي قديمة، قال تعالى: ﴿**ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣**﴾ [الأعراف: ٣]، وهناك قول ينسب لأبي حنيفة يقول «إذا صح الحديث فهو مذهبي» والأحق أن يقال ما جاء في

---

ففي الإسلام لا أحد يستطيع أن يكفل لك الجنة أبداً، ولا يوجد في اللسان العربي المبين دعاء بالنيابة وفقط عن الغائب وللغائب وعن الميت وللميِّت وعن المريض والعاجز عن الكلام نهائياً وعن المجنون والجاهل والمعاق الذي لا يدرك؛ فهل أنت منهم؟ لذلك يجب على كل إنسان أن يتعلم الدعاء لله تعالى إذا لم يكن يعرف، وأن لا يعتمد أو أن يتكل على الآخرين، فهذا الوضع غير منطقي في الإسلام؛ لأن الدعاء اتصال مباشر برب العالمين لا تنفع فيه النيابة ولا يمكن أن تسجل مع الحضور وأنت غائب! فالدعاء فرض عين وليس فرض كفاية، إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

القرآن الكريم هو الصحيح، وهو المذهب الوحيد، وكان ابن حنبل رحمه الله تعالى يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدوا أحداً من الأئمة، وخذوا من حيث أخذوا، قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «لا يقلد إِلَّا كل عصبي أو غبي» والحق يقال إن من يقلد دون تفهم، فإنه يقر بصغر عقله أمام العقل الآخر! ويتمسكون بها هو غير صحيح، ولا هو وارد في كتاب الله سبحانه وتعالى فهلاّ كانت هناك أبحاث عن (صفة الصلاة في كتاب الله القرآن الكريم) لأنَّ لفظة صلاة (صلوة) من الخطأ الشائع جمعها على صلوات؛ وذلك مثل الخطأ الذي جمع الشمس على شموس؛ وقرآن على قرائين؛ وجامع على جوامع، وحق على حقوق، والأرض على أراضٍ(١)، كيف يكون ذلك والقرآن الكريم منبع البلاغة، فلفظة صلاة بحد ذاتها، تعني

---

(١) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نلاحظ أن لفظة (أرض) في القرآن الكريم، قد وردت في حالة الرفع ٣٤، وفي حالة النصب ٨٦، وفي حالة الجر٣٣١، و أرضاً٢، أرضكم٣، أرضنا٣، أرضهم١، أرضي١، ولكنها لم تأتِ مجموعة، ولا مرة، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢]، فلماذا لم يجمع لنا الله سبحانه وتعالى، باللفظ، الأرض، على أراضٍ؟ بينما جمع لنا سبحانه وتعالى لفظ السماء فقال سماوات، ولكن على العرب إعمال عقلهم! فهل هناك سبع سماوات وأرض واحدة فيها سبع طبقات؟ الله أعلم.

كذلك قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [يونس: ٣]، وقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٢]،وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧]، وقد جاء لفظ العرش في القرآن الكريم ٢٢مرة، ومرة واحدة عرشه، منسوباً إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يأتِ مجموعاً ولا مرة، وهو عندما يُنسب إلى الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يعني كرسي الملك، الذي يجلس عليه الملك! أو مكان جلوس الملك كما يتوهم أو يتصور البعض؛ والله تعالى أعلم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فما علاقة لفظ الأرض بلفظ العرش؟ الله تعالى أعلم. وما علاقة لفظة (عرش) بلفظة (أرض) هل كانت لفظة عرش تعني الأرض اليابسة؟ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ الله تعالى أعلم. وجغرافياً، ففي الشمال الغربي من إيران يوجد منطقة تُسمى أو =

صيغة مفرد، وصيغة جمع، وجمع الجمع، فصلاتك في يومك صلاة، وصلاتك في دهرك صلاة؛ لأن لفظة صلاة هي تأسيس اتصالٍ، وصلةٌ مع الله سبحانه وتعالى، وهي واحدةٌ، فإما أن تكون أنت متصلٌ في هذه الحياة، مع الله سبحانه وتعالى، أو أنك لا سمح الله، منقطعٌ عنه، والعياذ بالله، ألا ترى أنك إذا فاتك أداءُ الفرض في وقته، فإنك مطالبٌ بأدائه قضاءً، ولا يسقط عنك الأداءُ - في الواجب – مطلقا؛ لأنه لا عذر عن أداء واجب الصلاة إِلَّا بالموت، إن الصلاة علاقة مستمرة مع الله سبحانه وتعالى، لا تنقطع، وإذا انقطعت بعذر فلا يسقط واجب الأداء ولا يؤجل، وليس لها عذرٌ مطلقاً، إِلَّا عن النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يعي، والصغير حتى يكبر، وتركها فترة عمداً، للبالغ الراشد الواعي، ليس له عند الله سبحانه وتعالى أي عذر مقبول، لذلك كان للمريض صلاته، وللمسافر صلاته، وحتى من كان على فراش الموت،إن لا يستطيع أداءها إِلَّا بعيونه، أداها بعيونه، كذلك فهناك صلاة الحرب؛

إذاً فالصلاة هي حبلٌ ممدودٌ مستمرٌ متصلٌ مع الله سبحانه وتعالى، وهذا الاتصال لا يجوز أن ينقطع أبداً، فإذا انقطع! فهو أصلاً لم يعد حبلاً متصلاً، وهو لم يعد حبلاً ممدوداً، وبالتالي لم تعد هناك صلاة أصلاً، فالصلاة هي استمرار الاتصال مع الله سبحانه وتعالى. وهذا هو المعنى العربي الدقيق لمفهوم إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وما ينطبق على الصلاة، ينطبق على الزكاة، والله تعالى أعلم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ**

---

يطلق عليها كرسي سليمان، وهي السليمانية؛ وفي جنوب بلاد الشام يقال عن بلدة بصرى، بصرى كرسي الشام. أو بصرى أسكي شام. فما معنى كرسي؟

﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة: ٤-٥]، مع أنك يمكن أن تقول صلاة[١] الظهر، وصلاة العصر مثلاً، ويمكنك أن تقول أيضاً صلاتي في عمري، وصلاة المسلمين، إنّ الله واحدٌ ﷻ، والطريق إليه واحدة، ليست متعددة، ولا يمكن أن تقول صلوات، وأنت تقصد جمعاً للصلة مع رب العالمين ﷻ، قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فالصلاة الوسطى لدى المسلم المؤمن، هي الصلاة المركزية الأساسية وهي الصلة مع الله وحده جلّ جلاله، الصلاة المفروضة لرب العالمين الصلاة الوسطى المركزية (بما تعنيه من وقوفٍ بين يدي الله سبحانه وتعالى، وأداء الحركات الموصوفة، من سجودٍ وركوعٍ، والدعاء لله تعالى) والتي ستنبع منها باقي الصلوات أو باقي الصلاة! وهي الصِلة الأساسية والمركزية؛ التي يجب على المؤمن أن يحافظ عليها، بشكلٍ خاص، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بإقامتها عند دلوك الشمس، وذلك في الأوقات المحددة، المواعيد، التي تشكل المحطات الرئيسية [٢] للاتصالات الأساسية، التي ستجعل للعباد إمكانية القرب من

(١) والله تعالى أعلم، فإنه كما تعددت القراءات واختلفت وتنوعت، مع اختلاف وتنوع وتعدد الشعوب والقبائل في الأقاليم، والمناخات في أنحاء العالم، زمانياً ومكانياً.وهو كذلك فقد كان شيئاً طبيعياً، ومقبولاً الاختلاف والتنوع الذي حصل في طريقة أداء حركات الصلاة لله تعالى، لدى شعوب المسلمين وقبائلهم في أنحاء العالم، تبعاً لخصائص الزمان والمكان،أيضاً، فقد تعددت الآراء حول الوضوء، وتعددت حول حركات الصلاة، كانت المذاهب تراعي خصائص كل إقليم، سنة من الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم

(٢) الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وسع كرسيه السمٰوات والأرض، والزمن عند الله سبحانه تعالى هو كالمكان بالنسبة للإنسان، والله تعالى أعلم، وذلك في جميع أبعاده، لأن الله سبحانه وتعالى في كل حين، هو مشرف على الزمن كله، الماضي والحاضر والمستقبل، فهو واجب الوجود سبحانه وتعالى، وهذه التقسيمات لمخلوقات الله ﷻ. أما بالنسبة لله تعالى، فالدهر واحد، وهو ﷻ، يراه كاملاً، وفي كل حين، بعلمه جلت قدرته، كما نرى نحن المكان الواحد، ولله المثل الأعلى، من هنا كان تحديد الأوقات الخمسة للصلاة، بمثابة المحطات الأساسية الزمانية المكانية، التي حددها لنا رب العالمين، وأخذ علينا العهد، ومنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الخلق، أخذ عليهم العهد لاستمرارهم بالاتصال مع الله سبحانه وتعالى، وقد شهدوا على أنفسهم بذلك، والصلاة لم تكن أمراً حديثاً، أو جديداً بل أمر بها الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم والأنبياء جميعاً، ومن بعدهم الناس جميعاً، ومن قبلهم الملائكة والجان وجميع المخلوقات، أمم أمثالنا، =

الله، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، فعلى العباد باستمرار إقامة وإنشاء الاتصالات في هذه المواعيد المحددة من الله سبحانه وتعالى، إن هذا الأمر، أمرٌ من الله سبحانه وتعالى، لجميع مخلوقاته، في السماء والأرض وما بينهما،أزليٌ أبدي، لعل الله سبحانه وتعالى يستجيب للدعاء، ويمدُّ صاحب الدعاء أو الاتصال بالعلم والطاقة، وقد ورد في بعض الأثر أن صلاة الجماعة في عهد رسول الله ﷺ، كانت يتم فيها توحيد للطاقات، ولهذا كان يطلب فيها المحاذاة بالمناكب، وتسوية الصفوف ورصِّها، والاستقامة والاعتدال، وشد النحر وتقديمه للأمام، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢][(١)]، وعدم ترك فرجات للشيطان، لأن الله تعالى لاينظر إلى الصف الأعوج، وقال ﷺ: «**ليس للمصلي من صلاته إلَّا ما وعاها**» لذلك فإن المصلين

---

وهي قد صلَّت، وتصلي لله تعالى، تماماً كما نصلي اليوم. ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصلاة قبل بعثة الرسول محمد ﷺ كانت غير هذه الصلاة، بل كانت كذلك تماماً معروفة وبمواعيدها ولكنها كانت مضيَّعة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طـه: ١٤]، قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩] وقولنا الصلاة الإبراهيمية، يعني الصلاة الإسلامية كاملة، وليس فقط ما تروج له العامة، من أن الصلاة الإبراهيمية لفظٌ ينطبق فقط على الدعاء، أبداً، فقولنا الصلاة الإبراهيمية، يعني الصلاة كلها بما فيها الركوع والسجود والقراءة والدعاء، وخير دليلٍ على أن هذا القول هو الصحيح، قول الله عز وجل، للسيدة مريم عليها السلام: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]، إذاً السيدة مريم عليها السلام، كانت تسجد وتركع، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

(١) تذكر التفاسير الشعبية غر المنطقية ولا الدقيقة، أنَّ المقصود بالكوثر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ أنه نهر في الجنة، وهذا لعمري هو من الأخطاء الشائعة، التي حُشِيَتْ بها عقول العرب المسلمين، لأن معنى الكوثر في اللسان العربي المبين، هو الكثير الكثير من كل شي، وهي لكل مؤمن، وعداً من الله سبحانه وتعالى. فإذا كانت الآية مكيَّة، وقد نزلت في بداية الدعوة، وكان المصدقون قلة قليلة، فكيف يخرج الرسول ﷺ، ليقول إن الله قد أعطاني نهراً في الجنة؟! أين العقلاء!

في العهد الأول، كانت تحف صفوفهم الملائكة وكانوا مجابي الدعاء، وكان الله سبحانه وتعالى يصلي عليهم، أي يتصل بهم أيضاً وينصرهم، ويضاعف قواهم، ويزيدهم فلاحاً، فعلى كل مؤمن أن يجعل باقي صِلاته وعلاقاته مع كل الأطراف في هذه الحياة الدنيا، تنبع من علاقته مع الله، تنبع من الصلة الوسطى، أو الصلاة الوسطى، «الصلة المركزية» مع أمر الله سبحانه وتعالى للمؤمن، على ضرورة أن يحرص وأن يحافظ كل مؤمن على باقي الصِلات، أو الصلوات، من مثل ضرورة حِفاظ المؤمن على علاقاته مع الناس جميعاً، أفراد أسرته، وأصدقائه وأبناء بلدته وبيئته ومواطنـيه في وطنه؛ [1] الذي ينتمي إليــه ويحبه.

(١) فاحترام الأمَّة وحب الوطن واجبٌ على كل مسلم عربي؛ معرفته وإدراكه والارتفاع عنده إلى مستوى الأداء والعطاء قال ﷺ: «حب العرب من الإيمان وبغضهم كفر»؛ لأنّ هذا الشعور الأساس أنه هو الحامل للدين للإسلام وهو وعاؤه وإناؤه ومن دونه لا يمكن حمل الدين بل من دونه يصبح الدين مجرد ادعاء؛ وادعاء شكلاني ليس حقيقياً؛ لأنّ الشعور بحب العرب هو بحد ذاته تمسكٌ بالخط الحقيقي الدّال على الله سبحانه وتعالى قال تعالى في محكم تنزيلة ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ وقال تعالى واصفاً ما في الجنة: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ فكان المطلوب دائماً هو التمسك بهذا الخط الأساسي وبناؤه وصيانة واحترام الأمة الوطن الذي سيكون المثال والنموذج لكل الأوطان في العالم وهو الشعور الذي به ومن خلاله سيُقَدَّمُ هذا الدين وسيُحْمَلُ إلى كافة الشعوب والقبائل في العالم ليتعارفوا فأين يذهب الصوفية وأين يذهب السلفية وأين يذهب الشيعة وأين يذهب أصحاب الطوائف وأين سيذهب النصارى من العرب الأعراب أين سيذهب الأعراب بمختلف فئاتهم أولئك المتطوفون المتمذهبون الذين هادوا الخارجون دون أن يدروا عن ملاك الحق وجادة الصواب المبتعدون عن أصل الدين وأصل فكرة التوحيد العربي لذلك فقد جاء في الأثر أنَّ رسول الله ﷺ قال لسلمان الفارسي رضيّ الله تعالى عنه: «يا سلمان لا تبغضني فقال سلمان كيف أبغضك يا رسول الله وأنت رسول الله فقال تبغض العرب فتبغضني»: بل يجب أن يرقى هذا الشعور والشعور الأبوي والشعور بالأبناء والشعور بالأمومة والشعور الأخوي والصداقة والرفقة والزمالة وحب الخير وحب الجمال وحب العدل وحب السلام وحب الكرم والكرامة والشرف والإباء والشهامة والرجولة والشجاعة والإقدام والنخوة والمروءة بل يجب أن ترقى تلك المشاعر البسيطة المحدودة؛ والضيقة والأولية وأن لا تبقى على نطاق الأفراد فقط! بل يجب تنميتها ويجب أن نحافظ عليها وهي تتعاظم لدى العرب الأعراب المسلمين لتنطبق عند اتساعها سامقةً على الأمة كل الأمة كل الناس المجتمعين حتى يصبح أدناهم من العرب المؤمنين يجير عليهم جميعاً سواسية كأسنان المشط وحتى يصبح العرب كل العرب المؤمنين كالجسد الواحد =

إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ذلك ليكون حديث رسول الله ﷺ تنفيذياً لا نظرياً ولا خطابياً تتشدق فيه الأفواه حتى يصبح ويكون كل عربي مؤمن عزيزاً وله قيمة وقيمة عظيمة وله سيادة وسيادته مستمدة من إيمانه بالله الواحد العزيز سبحانه وتعالى لا من أي انتماءٍ آخر وله كرامة وكرامته مستمدة من امتثاله لأمر الله ﷻ من قرآنه الكريم والحديث الصحيح؛ لا لأمرٍ آخر. وهو أي العربي وعبر العصور وعلى طول الزمن عليه امتثال أمر الله سبحانه وتعالى ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح:١٦] وقال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤] مع ملاحظة أنَّ الآية الكريمة الأولى كانت موجهةً وهي تعني بدايةً وتحديدا النصارى من الأعراب ثم أنها تشمل كل من تخلف من الأعراب عن اللحاق بدعوة التوحيد دعوة الحق وهي تعني أنه في يومٍ من الأيام سوف يلتحق الجميع وسيدعون ولا بد من ذلك ولكن متى سيكون هذا الأمر الله تعالى أعلم إلَّا أنه أمرٌ دائم إلى يوم يبعثون وسيبقى ساري المفعول؛ سيدعون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديد يقاتلونهم أو يسلموا وهذا وعد الله وإنَّ الله لا يخلف وعده. بينما الآية الثانية موجهة إلى الذين سارعوا إلى القول أو ادعاء الإيمان والله سبحانه وتعالى أعلم بما في القلوب وكان المطلوب منهم أولاً إطاعة الله ورسوله وأنَّ الله سبحانه وتعالى لن يضيع أجر عامل مهما كان قال تعالى في الآية التالية ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥] فمتى سترقى تلك المشاعر الرائعة التي فُطِرَ عليها الإنسان متى سترقى ومتى ستنمو عند كل عربي لتملأه قيمة ومجداً وسؤدداً ولتصبح عنده حباً للأمة كل الأمة؛ وحباً صادقاً لخدمة الأمة المجموعة للدفاع عنها وللزود عن حياضها وصون كرامتها واحترام كل ما له مساس بسيادتها والتنازل لها عن كل غالٍ في سبيل الله سبحانه وتعالى لاالتنازل عنها! كما يحصل في هذا الزمن زمن اللامبالاة واللاانتماء واللاإنسانية هذا الزمان أصبح فيه الإنسان الأعرابي دون أي معنى ولا أي مضمون زمن الحيوانات الذكية الحيوانات الناطقة الحيوانات الاجتماعية أو زمن اجتماع الحيوانات وقد تم إلهاؤهم بالدمى والألعاب وأجهزة الاتصالات الواسعة التي ليس لها حدود ولم يعد ولن يكون لها حدود والإعلام والإعلان بتقنياته تقنيات الصورة والصوت المُشَتِتْ والمهيمن والمبدد للعقول والدعاية المبهرة للعيون؛ والتي ليس لها نهاية ولن يكون لها نهاية وهيئات المعلوماتية وشبكاتها التي شبكت الحياة الدنيا في هذا الكون والكمبيوتر وبرامجه وأجهزته ومتعلقاته وملحقاته التي صار يتعذر حصرها أو إدراكها أو عدَّها حتى على صانعيها أنفسهم والتي كان وما زال المطلوب منها أولاً وأخيراً إغلاق كل وعي وكل إحساس فطري نبيل إنساني أساسي موجود لدى الإنسان. وخصوصاً عندما شُنَّتْ لها الدعاية الكبرى والكاذبة والتي تم الترويج لها على أوسع نطاق وعلى كل صعيد لما سميّ بحرب المعلومات وهكذا قادوا الناس كما تقاد البهائم =

السوائم إلى المذبحة الكبرى المعدة لهم وللأسف الشديد فعلى مدى العقد الأخير شارك في الإعداد لهذه الحملة وتنفيذها ضحاياها أنفسهم في جميع أنحاء العالم جميع الشعوب والعرب منهم؛ وهم لا يدرون أنّ رأسهم هو المطلوب وأنّ هذه العملية التي انساق إليها الناس جميعاً وهم قطعان كالأنعام بل أضل سبيلاً.

والآن وبعد مرور الوقت ما هي النتائج؟ ما الذي حصل؟ ما الذي جناه الناس من ذلك التطوير والتحديث؟ أما آن الأوان لوقفة وقفة يقفها العقلاء لتقييم المرحلة التي كان أكثرها بالنتيجة عبارة عن عملية سطو في وضح النهار بل هي عملية سلب ونهب عملية تشليح وقطع طريق على الإنسان ليس إلَّا والدليل على ذلك أنه بالنتيجة فإن هذه الثورة لم تجر ولن تجر على الإنسان عموماً بعد مضي الوقت إلَّا الخيبة و المزيد من الخسران فمن المؤكد أنَّ هذه الثورة المعلوماتية لن تجعل للإنسان ذراعاً ثالثاً؛ إذا لم تنبت له ذيلاً ولكن من المؤكد أيضاً وعلى كل حال فإنها حولته إلى شكلٍ آخر غير طبيعي! لا ذكر ولا أنثى؛ شكلٍ كان هو الهدف للوصول إليه في بروتوكولات حكماء اليهود كان من الواجب على البشرية كافةً عدم الانصياع إليه وكان يجب التصدي له وكان لابد من كشفه ولا بد من نزع فتيل الوهم الذي تم تضخيمه لتمرير الحرب على العقل والفكر والحياة الإنسانية للتمويه و للخداع والتضليل والإغراء لأن القضية قضية الإنسان بالأساس ليست قضية معلومات فحسب على الرغم من أهمية المعلومات لمن يعملون! بل وهي أساساً وقبل كل شيء قضية فهم وإدراك ومعرفة ووعي فما فائدة المعلومات إذا كانت خاطئة؛ وما فائدة المعلومات إذا كانت مضلِلة؛ وما فائدة المعلومات أو أساساً ما فائدة الحياة إذا كانت خالية من المشاعر الإنسانية النبيلة المنبثقة أولاً وأخيراً عن الدين الذي هو من عند الله سبحانه وتعالى تقول الإحصاءات الحديثة أنَّ أكثر من ٩٥-٩٨٪ من التجارة البينية العربية والسوق الداخلية العربية عبارة عن تجارة استهلاكية خالية من أي فائدة حقيقية؛ على مستوى الأمن الوطني أو أي جدوى ثابتة وهي بالتالي كناتج قومي = الصفر وهذا يعني أنها حركة في نقطة العطالة! دون أي جدوى أو فائدة وأن الزمن العربي يذهب سُدى ويضيع كما تضيع الثروات العربية! بدءاً من المستوى الوطني ومستوى الأفراد؛ بغض النظر عن حفنة قليلة من المنتفعين! فهل كان من المطلوب الحفاظ على العرب في نقطة العطالة دائماً ووضعهم في ثلاجة تحت درجة الصفر؟

إنَّ هذه التجارة الاستهلاكية التي أصبحت تملأ الحياة العربية عن قصد هذه التجارة أكثر من ٦٠ - ٧٠٪ منها عبارة عن مبادلات بيع وشراء لأجهزة وقطع وملحقات لقطع ترفيهية؛ ووسائط نقل وأجهزة اتصالات وشبكات معلومات وألعاب للكبار والصغار تملأ الأسواق العربية وتفرغ الجيوب العربية وأصلاً كل هذه الأشياء هي مستوردة بقضها وقضيضها من الخارج خارج حدود العرب ولم يكن هنالك حاجة حقيقية لها والواقع أنه بدونها كانت ستستمر الحياة ولكنهم روجوا للمرحلة بالخداع وبأساليب شيطانية وقد ضخمت الدعاية أهميتها في حياة الناس فقالوا: من كان لايعرف كيف يعمل على الكمبيوتر فهو أمي ومتخلف! حتى أصبح الكمبيوتر في كل بيت وفي كثيرٍ من الأحيان دون أي داعٍ وبدون أي فائدة وبدون أي مردود،.وبدون أي جدوى!

إنّ العروبة أساسا هي صلة بالله تعالى: ﴿ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦] تُقوِّم السلوك =

ثم الأمم الأخرى، ثم تحديد المُعادين الأعداء، وكيفية التعامل معهم، والعلاقة مع جميع هذه الأصناف من خلال العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، أو التي يجب أن تنبع من الأساس ومن المركز (هذه العلاقات- ولفظةُ صلوات، في القرآن الكريم أتت في أكثر الأحيان بمعنى الجمع للعلاقات، وهناك تأكيد على المؤمن، أنّ عليه أن لا يكون انعزالياً، وأن عليه أن يبني العلاقات مع المجتمع، وأن يحافظ على هذه العلاقات طيبةً مستمدة من العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، والعلاقة مع الله - والله أعلم- هي (الصلاة الوسطى) أي الصلاة المركزية، وهي العلاقة مع الله وحده ﷻ، وهي مطلق الصلاة المفروضة والنفل،

---

وتضخ الهمم وتؤجج الثورة في النفوس الحرة لتجعل منها ينابيع ثرة وكوثراً مُلهِماً لاينضب تنشط الخيال وتهيئه للإبداع لأنها بطبيعة الحال هي مدد من الله سبحانه وتعالى بل هي في الشعور الوطني حربٌ شاملةٌ على الخمول الخمول الصوفي والخمول السلفي والخمول الشيعي والخمول الطائفي والشعوبي بمختلف أشكاله وصيغه المتخلفة والمهترئة غير الوطنية لأنَّ في الشعور الوطني نهضة شاملة يجب أن تُشعل في النفوس المؤمنة لتضيء الحياة كل الحياة العربية في كل المجالات وعلى كل المستويات والصُعد فلماذا يُحرم العرب بمختلف تشعباتهم من الشعور الوطني ولماذا يُحارب الشعور الوطني لدى العرب بشكل خاص وهنالك إشكال قد تموضع في عقلية الإنسان العربي ونخر حتى عظامه وقد مورس هذا الإشكال المقصود؛ منذ مطلع القرن العشرين على العرب ولا يزال إلى الآن يدمدم ويطحن الجسم العربي من قِبَلِ الدول والأحزاب والتنظيمات السياسية العربية! هذا الإشكال كان لا بد من طرحه بعمق وشمول وبالشكل الحقيقي على كل عربي وهو فرض عين ولا بد من البدء فيه فوراً من قبل كل عربي للبحث عن الحل بكل همة ونشاط دؤوب مهما طال الزمن ومهما كانت النتائج وبالغ ما بلغت التكاليف.

وهذا الإشكال الذي كان قد تأتى من الخلط السياسي الذي تم بين العروبة التي هي الحق الحقيقي الرباني الأزلي الأبدي وبين الدولة الحديثة المفتعلة والنظرية القومية الألمانية والفرنسية المعاصرة؛ وباقي النظريات المتعددة والآراء الكثيرة المنحدرة عنها؛ التي كانت حول هذا الموضوع والتي حاولت أن تكون بديلاً ولكنها كانت بديلاً غير موفق وغير ناجح وغير صحيح وغير مناسب بديلاً فُرِضَ فرضاً وقسراً وجبراً وبالقوة فهل نحن العرب ملزمون على قبوله أم أننا لا نزال أحراراً قادرين على الوصول إلى ما لنا فيه حياة قال تعالى للعرب المؤمنين: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] فهل أضاع العرب المؤمنون الرباط الصحيح؟ هل فقدوا القوة نهائيا؟

وقد وردت لفظة صلوات بمعنى المكان للسجود لله المصلى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج: ٤٠]، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾ التوبة، وفي هذه الآية الكريمة، جاء المعنى أقرب إلى الأسباب والصلة، والتواصل والعلاقات، والله أعلم.

هذا و إن كتابة الألفاظ في المصحف الشريف توقيفية، مثل ترتيب السور والآيات، لها دلالات، ينبغي الكشف عنها من خلال الدراسة والبحث، لأنها لم تُترك لنا عبثاً، بل لنُعمل عقلنا وفكرنا، ولنجهد فكرنا في الكشف عن أسرارها، فلا يجوز كتابة المصحف الشريف إلَّا بالشكل العثماني المعروف، وهذه الكتابة توقيفية، أي بأمرٍ من الرسول الأعظم ﷺ، وما ينطق عن الهوى (أخذ بعض الجهلة مؤخراً بطباعة المصحف الشريف بطريقة الكتابة العادية، جهالة منهم، وحباً للكسب المادي)[1].

ومن ذلك تفسيرهم للآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فكيف فهموها وأفهموها، إذ إن سياق سورة الأعراف يفيدُ بالمعنى وهو أن اللهَ سبحانه وتعالى وملائكته يتصلون الآن بهذا

(١) كان أول مرة طُبِعَ فيها المصحف الشريف، طباعة عادية، فيها خروج عن ما أُثِرَ عن رسول الله ﷺ، وعن ماهو توقيفيٌ عنه ﷺ، كان ذلك على زمن الملك فاروق، في مصر، في أربعينيات القرن العشرين، أو ما سميٍّ طبعة الملك فاروق للمصحف الشريف، حيث كانت هذه الطبعة خارجة عن التوقيف النبوي، وكان عملاً ينطوي على جهالة بحقائق الأمور؛ أو مؤامرة دنيئة، وقد شقت الطريق، ولأول مرة، لمن راودته نفسه بالخروج عن التوقيف النبوي الشريف، وما دروا أنه ما ينطق عن الهوى.

النبي العربي الأمِّي، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يطلب إلى كل مؤمن بالله تعالى أن يتصل بالرسول الأعظم اتصالاً وثيقاً، مباشراً ويداً بيد،عقيدةً وسلوكاً، فكيف أصبح معنى الآية عندهم مختصراً، إلى مجرد كلامٍ يُذكر، وسلام يُرسل؛ إن الله سبحانه وتعالى قد رَحِمَ رسول الله ﷺ، وقد أعطاه الدرجةً الرفيعة، الذي وعده، وهو ﷻ لا ينتظر طلب أحدٍ من مخلوقاته، حتى يفعل ذلك!

# لفظة (أهل) والفرق بينها وبين لفظة (آل) في كتاب الله تعالى (اللسان العربي المبين)

كذلك فإن لفظة أهل في القرآن الكريم، معناها العربي مختلفٌ عن المآخذ التي أُخذت بها، والمناحي التي فُسرت على أساسها، وغاب عن بال المفسرين، القدماء والمحدثين، أنّ لفظةُ أهل(١)، التي في القرآن الكريم هي غير لفظة آل، واللفظتان معناهما غير معنى لفظة

(١) الأصل والصحيح، أن نقول في الصلاة الإبراهيمية، اللهم صلِّ على محمد، و أهل محمد، كما صليت على إبراهيم وأهل إبراهيم، وليس على آل محمد، وآل إبراهيم، وهذا هو اللفظ المنطقي، والذي ينسجم مع المعنى العربي، والمطلوب من الدعاء، وذلك حتى يستقيم المعنى، والله أعلم، فالقرآن الكريم لم يقل آل محمد، ولم يصرح بمثل هذا القول، ولا ينبغي، لأن الرسول ﷺ لم يكن له أولاد ذكور، والقرآن الكريم قمة البلاغة وعينها، وهو عين المنطق، بل قال القرآن الكريم، أهل البيت، وهم المسلمون جميعاً، أتباع نبي الله إبراهيم ﷺ، هو الذي سماهم المسلمين، إلى سيدنا محمد ﷺ، أمته وأتباعه، الذي ختم الله به الدين الحق، من إبراهيم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين، مروراً بجميع الأنبياء والمرسلين، فكل المسلمين العاملين هم أهل البيت، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فإن الصلاة منطقياً تعني الصلة والاتصال، وأنت تطلب وترجو أن يمنّ الله عليك بهذه الصلة، وهذا المدد من الله سبحانه وتعالى، أن يعمَّك وأن يستمر التواصل بين الله سبحانه وتعالى وبين المسلمين جميعاً، الحبل المتصل الطويل، ليصل إليك، أنت المحتاج إلى الله جل جلاله.

لذلك فأنت ترجو أن تكون بالمعيَّة، معيَّة الأنبياء والمرسلين، إن الله سبحانه لا ينتظرك لا أنت، ولا غيرك لتطلب منه الصلاة على الأنبياء صفوة البشر والمقربين إليه، وهل أنت أهلٌ للتوسط بين الله سببحانه وتعالى وأنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين الذين أختارهم، ولكن يمكنك أن تدعو لنفسك، إن الأساس أن يدعو كلٌ لنفسه، قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢٧]، وقولك في الصلاة [اللهمّ صلِّ على محمد، وأهل محمد، (رسالته وأتباع رسالته، إلى يوم الدين) كما صليت على إبراهيم وأهل إبراهيم (رسالته وأتباع رسالته، إلى أن بعث الرسول محمد صلى الله عليهم أجمعين) وبارك على محمد، وأهل محمد كما باركت على إبراهيم وأهل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد،] ولكن العرب تُجري على الاستعمال، لفظ آل في مكان لفظ أهل، وذلك على طول الاستعمال واستمراره ودوامه ورفعاً لمقام الأهل إلى مستوى الآل، من القرب والمعيّة، ولكن سياق المعنى العربي يؤدي إلى حتمية النتيجة.

إذ المطلوب في الدعاء، داخل الصلاة، بقولنا (اللَّهمّ صلِّ) رجاءَ أن يصلي، أي أن يتصل الله سبحانه وتعالى، أن يديم =

ذريّة، ومعانيهم غير معنى لفظة (بني)، وبينهم اختلافٌ بينٌ وواضحٌ، لمن ألقى السمع وهو شهيد، لا يدرك معانيهم إِلَّا بالفهم العربي، وبالفطرة السليمة، الحنيفية السمحة، فأهل القرية ساكنوها، عكس الغرباء، وأهل المكان عكس الغرباء عنه، والأهلي المستأنس عكس الوحشي، والآهل الأنس، والأهل للشيء المستوجب له، والله تعالى هو أهل التقوى وهو أهل المغفرة، وتأهل تزوج، وأهلك الله للخير، أعدك، وأهل الكتاب جماعته المعتقدون به، وأهل البيت قاطنوه، وأهل دار الرجل، القاطنون بها، ومعه، وأهل النار الذين يزجون فيها من الكفار والمشركين، وهي مأواهم، خالدين فيها وبئس المصير، والعياذ بالله، واللهُ سبحانه وتعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وأهل الرجل زوجاته، ثم أولاده، ثم عشيرته، وذلك من مساكنتهم الرجل في البيت والحي والقرية، بحكم توحد الحال، وحصول المشابهة والتماثل، نتيجة المساكنة والاستيطان، والموالاة من الإيمان في العقيدة الواحدة، إلى وحدة المصير؛ واللهجة الواحدة، والسلوك الواحد، والعادات، والتقاليد الواحدة، إلى تماثل الأشكال وألوان البشرة، لا بحكم السلالة أو الذرية؛ وغالباً

---

الاتصال والمدد لأهل محمد، وهم الذين مشوا على نهجه، وفي الطريق التي سلكها ﷺ، إلى يوم يبعثون، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، والمعنى ينطبق على جميع المسلمين، وذلك كما صلى (اتصل) الله سبحانه وتعالى، على أهل سيدنا إبراهيم، وهم من تبعه، وكانوا قد مشوا على نهجه، وآمنوا برسالته من المسلمين السابقين، إلى أن بُعث الرسول الأعظم ﷺ، هذا من جهة أولى، أما من جهة ثانية، فإن لفظ آل محمد لم يرد في القرآن الكريم مطلقاً، ولا ينبغي أن يرد، والسبب أنه ﷺ لم يكن قد عاش له ذرية من الأولاد، لحكمة أرادها رب العزة، سبحانه وتعالى، بينما كان له بنات فقط، ليبين للبشرية أن عمله كان خالصاً لله عز وجل، وأنه كان ﷺ مبعوثاً رحمة للعالمين، وهو خاتم المرسلين، والمسلمون، المؤمنون، الذين يؤمنون ويعملون الصالحات، بعد ذلك، جميعاً هم أولياء لله تعالى.

وهذا هو السبب الذي جعل القرآن الكريم يورد لفظ آل إبراهيم، وآل عمران، وآل يعقوب، وآل موسى، عليهم الصلاة والسلام، وأكد لنا رب العالمين أنه لن ينال عهده الظالمين حتى لو كانوا من آل الأنبياء؛ كذلك ورد لفظ آل فرعون، ولم يقل القرآن قط آل محمد، صلى الله على سيدنا محمد، وإنما قال أهل البيت، وهذه نسبة مكانية جهوية، كناية عن المؤمنين أجمعين، كل من كانت قبلته الكعبة المشرفة والبيت العتيق، وأول بيت وضع للناس، والله أعلم.

ما تأتي كلمة أهل في القرآن الكريم بمعنى أصحاب، وكلُ من متّ إلى الشيء بصلةٍ فهو من أهله. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ النساء ٧٥ وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، قال تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[يوسف: ٢٦]، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧١]، وقال تعالى على لسان نوحٍ عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[هود: ٤٥]، وفي هذه الآية الكريمة مُشكِل للمفسرين الذين لم يدركوا، ولم ينتبهوا إلى معنى لفظة أهل في هذا المقام، وهي في المعنى لا تنطبق على لفظة آل؛ وهي غير لفظة آل.

إن الله سبحانه وتعالى يستعرض لنا، ويُبين لنا، في هذه الآية الكريمة دهشة سيدنا نوح عليه السلام من انكشاف حال ابنه، والذي هو من زوجه ﴿ مِنْ أَهْلِى ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى سبق وطلب منه أن يحمل في السفينة أهله، قال تعالى: ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود: ٤٠]، فظن سيدنا نوحٍ أن جميع أهله ناجون؛ وهنا يحدد اللهُ سبحانه وتعالى لنا ولسيدنا نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أن الأهل الحقيقيون هم المؤمنون، أمّا الكافرون والمشركون والمنافقون فليسوا من أهلك، (من أهل المؤمن) حتى لو كانوا من نسلك، (من نسل المؤمن) ومهما كانت درجة قربهم منك، فإنهم أعمالٌ غير صالحةٍ، إن الصلاحية الوحيدة المؤهلة الوحيدة للنجاة هي الإيمان، والإيمان فقط، فكل مؤمن هو أهلٌ لك، وهو من أهلك، قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣]، ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحجر:٦٧] قال تعالى:

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وهذا فرق واضحٌ وبيِّنٌ، بين معنى لفظ ذريّة، ومعنى لفظ أهل، كذلك هناك فرق بيِّنٌ وواضحٌ بين لفظ أهل وبين لفظ آل، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، لم يقل أهل، بل قال آل، ولم يشمل بالاصطفاء آل يعقوب، وهذا بسبب أنه ليس جميع آل يعقوب المباشرين كانوا أنبياء؛ وبالتالي فإن الأسباط ليسوا أبناء سيدنا يعقوب، وليس بالضروري أن يكونوا هم؛ بل الأسباط كانوا بالتأكيد، ومن خلال قراءة القرآن الكريم، كانوا غير أبناء سيدنا يعقوب المباشرين، وليس بالضروري أن يكونوا كذلك، ولكنهم بالتأكيد كانوا من سلالته وذريته، والله تعالى أعلم، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ [النساء: ١٦٣]، في حين قال تعالى: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وواضح أن الخطاب في هذه الآية الكريمة موجهٌ إلى نساء النبي ﷺ، ومن خلالهم فهو موجه إلى نساء المؤمنين كافةً، ولفظة: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أمرٌ إلهي للنساء المؤمنات في جميع العصور، وليس لوقت محدد، وليس لنساءٍ دون نساء، فكل النساء المؤمنات معنيات بهذا الخطاب، وكلُ امرأةٍ حرة في العالم معنيةٌ في هذا الخطاب؛ وذلك مثلُ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فهذا الخطاب ليس للرسول الكريم فحسب، كما ذهب إلى ذلك أكثر

المفسرين، وإنما (قُلْ) هنا فعل أمر موجه إلى كل مؤمن، في كل زمان وكل مكان، منذ سيدنا آدم إلى يوم يبعثون، لذلك فإن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ هذا الأمر قديم، وقد أُمِرَ به أمر جميعَ الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فأمروا بها أممهم من لدن آدم إلى نوح إلى إبراهيم، إلى سيدنا محمد خاتم المرسلين، وهذا الأمر أمرٌ دائم، لا يتوقف ولا ينتهي على مر الزمن، موجه إلى كل مؤمن، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها، وكذلك فإن كل أمرٍ بالمعروف، وكل نهيٍ عن المنكر في القرآن الكريم أمر عام، ويشمل جميع المسلمين. وقل تعني في اللسان العربي المبين: افعل ونفِّذ ومارس، وكان يقال لملوك اليمن الأقيال لأن أقوالهم تُنَفَّذُ فوراً وتتحول إلى أفعال.

وعليه فإن لفظة (بيوتكن) في الآية الكريمة، تعني بيوت المؤمنين، كل المؤمنين، في كل مكان وفي كل زمان، وإن لفظة (أهل البيت) تعني أهل بيت الله الحرام، وتعني أهل البيت العتيق، وتعني أهل أول بيتٍ وضع للناس، وتعني أهل الكعبة التي جعلها اللهُ البيت الحرام، وجعلها قياماً وقبلةً للناس، الذي جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى، رحمَتَهُ وبركاته على أهله، البيت الذي بوأ اللهُ مكانه لسيدنا إبراهيم، الذي هو قبلة للمسلمين في الأرض، إن معنى أهل البيت تعني جميع المؤمنين المخلصين في كل زمان وفي كل مكان، كل من استقبل في صلاته البيت، بيت الله الحرام، فهو من أهله، كل من شهد أن (لا إله إِلَّا الله محمد رسول الله)[1] ، فهو من أهل البيت، ويريد الله أن يذهب عنهم الرجس، وأن

(١) (لا إله إِلَّا الله محمد رسول الله) شهادة التوحيد العربي الإسلامي، ولا يجوز عند العربي الموحد، أو لا يكتفي العربي الموحد بالوقوف في الشهادة عند لا إله إِلَّا الله، ولا بد من اتباعها بشهادة أنّ محمد رسول الله، لتحديد الهدف من الشهادة، بأن المقصود هو الله الذي لا إله غيره، وهو رب العرش العظيم، بالصفات المحددة لنا في القرآن الكريم، المنزّل على الرسول الأعظم ﷺ، وذلك أن فرقاً كثيرة من المشركين وحتى اليهود، كان لديها إله، وهي تقول: (لا إله إِلَّا الله) ولكنَّ مواصفات الإله عندهم، في تصوراتهم، مختلفة عن الصفات الحقيقية لله عز وجل، الصفات التي يؤمن بها ويعرفها الموحد العربي المسلم، بيقينه فالله سبحانه وتعالى بالنسبة للعربي المؤمن هو رب العالمين، رب العرش العظيم، فاطر السماوات والأرض، لا إله إِلَّا هو الحي القيوم وسع كرسيه السمٰوات والأرض، وهذه الصفات لا =

يطهرهم تطهيراً، كلُ مؤمن قريبٌ من الله، كل مؤمن عزيزٌ على الله تشمله العناية الإلهية، مهما كان نسبه ومهما كان أصله، قال ﷺ: «**رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره**» وقال ﷺ: «**إن الكعبة أهون على الله من دم المسلم**» وقال ﷺ: «**أنا جد كل تقي**» ومن هنا جاء قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**سلمان منا أهل البيت**» والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

هذا وإن لفظة آل سيادية تتعلق بالسيادة، وتمتُّ إلى السيادة، وتفيد السيادة والقيادة فقال تعالى: ﴿ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ لأنّ فرعون كان ملكاً، سليل ملوك! وربما كان (فرعون) الذي كان في زمن موسى، سليل أنبياء، ولفظ فرعون عربي، يعني الملك وهناك عدد كبير من الملوك الفراعنة، مثل النعمان، التي تعني المنعم، أي الملك، وهناك عدد كثير من الملوك العرب، الذين اتصفوا بمثل هذه الصفات، وكلها صفات عربية قديمة، بحسب الزمان والمكان.

مثلما كان ملوك الفرس يتصفون بكسرى، وملوك الروم بقيصر، (إن لفظ كسرى ولفظ قيصر لفظتان عربيتان، وأصلهما عربي واحد، بدلالة حرف القاف وحرف الصاد، وهذه أحرف حلقية، ونطقها وقفٌ على الحنجرة العربية، ومعلومٌ أن الفرس تقلب القاف إلى كاف، والصاد إلى سين، وللفظتين علاقة بلفظة (القصر) وهو البناء المشيِّد المنيع، مقر القيصر الحاكم، و(القصورة) الأسد الملك، فهل كان فرعون ملكاً من ذرية الأنبياء، الذين سبق وأنعم الله عليهم فجعل منهم ومن نسلهم حكاماً وملوكاً، فمنهم من أنعم الله عليهم ومنهم من كان ظالماً لنفسه؟ قال تعالى:

---

يعرفها الآخرون من غير العرب المسلمين، وهي غير الصفات التي لدى المجوس أو اليهود، إن اليهود يؤمنون بإله مختلف؛ إله صمموه على هواهم!

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[آل عمران: ٣٣]، وهذا اصطفاءٌ من الله سبحانه وتعالى، لقد اصطفاهم رب العالمين وأورثهم الأرض، وجعلهم حكاماً لها، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر: ٤٥]، بينما لفظة أهل مكانية المنشأ، جهوية، نابعة من الملازمة والمساكنة.

وفي اللسان: [وفي الحديث الشريف أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، أي حفظة القرآن والعاملون به، وهم أولياء الله والمختصون به، اختصاص أهل الإنسان. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه، قال أقول له إذا لقيته، استعملت عليهم خير أهلك، يريد خير المهاجرين، وكانوا يسمون أهل مكة أهل الله تعظيماً لهم كما يقال بيت الله، لأنهم كانوا سكان بيت الله، وأهلٌ لنا، أي مثلنا، وأهل المذهب من يدين به، وأهل الإسلام من يدينون به، وأهل الأمر ولاته، وأهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل كل نبيٍ أمته].أهـ.

# الروح الوطنية العربية الأساسية المضيَّعة

الروح الوطنية إحساس رائع وعظيم ونبيل وفطري وعفوي وصادق وجميل، وهي جماع الأخلاق الأصيلة والسلوك الرفيع، بل هي الدافع الإنساني الأساسي، تتجلى فيها أرقى حالات فضائل الأعمال، التي أمرنا الشارع، جلا وعلا، بالعمل على تحقيقها وتنفيذها في الواقع المُعاش، إنها من أولويات الإيمان وضرورياته ولوازمه المضيعة في هذه الأيام؛ بل هي انعكاس للإيمان الحقيقي، ومن الدلائل الدَّالة عليه، فلا إيمان صادقاً وحقيقياً، لمن كان فاقداً للحمية الوطنية عن الأهل والديار، النخوة والمروءة والاستعداد والجاهزيَّة المستمرة للعطاء، أو التضحية حميَّة، بحيث كانت الحمية الموجودة في الطبع لدى العربي الحر هي ما يميز، فيما مضى، الإنسان العظيم عن البهيمة، أو أنها كانت تشكل الفرق بين العربي والأعجمي.

إنَّ عَظَمَةَ الإنسان في هذه الحياة تتأتى من كونه أولاً مؤمناً بالله تعالى وبكتابه العزيز وما فيه، ثمَّ في كونه يحمل في فكره ووجدانه وطناً عظيماً شامخاً، والإنسان الذليل هو الذي اضمحلتْ وتلاشتْ في باله الروح الوطنية السامية والعالية، ولاينفينَّ هذه القاعدة، ولا يخرمها، ما يسود، أو ما يطفح به الواقع العربي من أخطاء أو انحرافات، والتي هي بطبيعة الحال كانت ناتجةً وناجمةً عن اضمحلال الشعور الوطني لدى الإنسان العربي المسلم؛ لكنّ الكمال الحقيقي لكل إنسان لا يتحقق إِلَّا بالشعور الوطني، قال تعالى: ﴿ **لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا** ﴾ [البقرة: ٨٣]، قال تعالى: ﴿ **فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ** ﴾ [البقرة: ١٧٨]، قال تعالى: ﴿ **وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥** ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ** ﴾ [الإسراء: ٥٣]، قال

تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٨]، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [فصلت: ٣٣]، قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت: ٣٤]، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهذا أكبر دليلٍ على أن الإحسان هو المعاملة بين الناس، وليس كما ذهبت التفاسير؛ إلى أن الإحسان هو العبادة فقط، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]، قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة: ٩٣]، وكانت الحمية الوطنية، (الأهل والديار) طبعاً من طباع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فهي عندهم الجاهزية الدائمة والاستعداد باستمرار للدفاع والمنافحة عن الأهل والديار، إن العربي الحر الأبي الشجاع الكريم، كان دائماً يتضوع منه العطر، كان نقي السريرة وكان بطبعه يُهَرْهِرُ عن أهله طبعاً، لا تكلفاً...؛ وهذا هو معنى اسم أبو هريرة، رضي الله عنه وأرضاه، فالهَرْهَرَةُ في الرجل حَمِيَّتُهُ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يدافع عن العرب بشدةٍ لا هوادة فيها، وهو رضي الله عنه، عندما أتى إلى المدينة[1] المنورة ليلتحق بالعرب المسلمين، وجد الرسول ﷺ، وقد ذهب في طريقه إلى غزوة اليهود في خيبر، فلم يصبر حتى يعود المسلمون من غزواتهم، بل لحق بالرسول الأعظم والصحابة الكرام، لحق بهم حمية، وقد نقل لنا رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أكثر الأحاديث

(١) [قُدُومُ أَبِي هُرَيْرَةَ (إلى المدينة)]: وَاسْتَخْلَفَ (الرسول ﷺ)عَلَى الْـمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ وَقَدِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ حِينَئِذٍ الْـمَدِينَةَ فَوَافَى سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ فِي صَلَاةِ الصّبْحِ فَسَمِعَهُ يَقْرَأُ فِي الرّكْعَةِ الْأُولَى - كهيعص وَفِي الثّانِيَةِ وَيْلٌ لِلْمُطَفّفِينَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ وَيْلٌ لِأَبِي فُلَانٍ لَهُ مِكْيَالَانِ إذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بِالْوَافِي وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنّاقِصِ فَلَمّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَتَى سِبَاعًا فَزَوّدَهُ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِّ ﷺ وَكَلّمَ الْـمُسْلِمِينَ فَأَشْرَكُوهُ وَأَصْحَابَهُ فِي سُهْمَانِهِمْ]. زاد المعاد ابن قيم الجوزية

التي تحث على حب العرب المسلمين، وأكثر الأحاديث التي تحث على الجهاد[1].

---

(١) من كتاب ابن عساكر في مخطوطه (أربعون حديثاً في الحث على الجهاد)

١- عن أبي هريرة قال: سُئل رسول الله ﷺ، أي الإيمان أفضل؟ قال إيمان بالله عز وجل، قيل ثم ماذا؟ قال ثم الجهاد في سبيل الله عز وجل قيل ثمَّ ماذا قال: حجٌ مبرور. رواه مسلمٌ في صحيحه عن منصور.

٢-عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قلت يارسول الله أي العمل أفضل؟ قال إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله قلت: يارسول الله فأي الرقاب أفضل؟ قال أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمناً قال: فإن لم أجد قال: تعين ضائعاً أو تصنعُ لأخرق قال: فإن لم أستطع قال: تكف أذاك عن الناس فإنها تصدق بها عن نفسك (متفقٌ على صحته) راواه البخاري.

٣- عن عبد الله بن مسعود قال: قلت يارسول الله أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل قال: الجهاد في سبيل الله ولو استزدته لزادني. أخرجه البخاري ومسلم.

٤- حدثنا النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال رجلٌ: ما أبالي لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلَّا أن اسقي الحاج، وقال الآخر لاأبالي أن لاأعمل عملاً بعدُ إلَّا أن أعمر المسجد الحرام، وقال الآخر الجهاد في سبيل الله عز وجل أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر بن الخطاب وقال: لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٩] رواه مسلم في صحيحه.

٥- عن عبد الله بن سلام قال قرأ علينا ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٣] الحديث. أخرجه احمد ٥/ ٤٥٢.

٦- أنَّ الحارث الأشعري قال: أن رسول الله ﷺ قال: أن الله تعالى أمر يحيى بن ذكريا عليهما السلام بخمس كلمات يعمل بهنّ وأن يأمر بني اسرائيل ليعملوا بهنّ، وأنّ عيسى بن مريم عليهما السلام قال قال له: أن الله أمرني بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن. قال عليه الصلاة وانا آمركم بخمس أمرني بهن الله عز وجل: الجماعة، والسمعُ والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة قيل شبر خلع يعني ربقة الإسلام من رأسه) الحديث أخرجه الترمذي وفي مسند أبي يعلى برقم .١٥٧١

٧- عن أبي سعيد قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال رجلٌ جاهد بنفسه وماله، ورجلٌ في شعبٍ يعبد ربه ويدع الناس من شره) رواه البخاري ومسلم.

٨- أن أبا هريرة حدث فقال (جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يعدل الجهاد في سبيل الله قال: لا أجده، قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد في سبيل الله أن تدخل مسجدك فتقوم لا تفتر، وتصوم ولاتفطر؟ قال: لا أستطيع ذلك =

وهذا ما يعنيه أيضاً اسم معاوية، إنه المعاوي عن الأهل والديار، والمدافع عنهم دفاع المستميت المستبسل؛ والمنافح والمطاول في المنافحة، بلا كللٍ ولا ملل؛ وهذه كانت من صفات سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه.

هكذا كان الأوائل عندما كان المسلمون العرب في المقدمة، وقد أدى سحب هذا الجانب من شخصية المسلم العربي، أو تخلي العرب المسلمون عن هذه النخوة، وعن هذه الحمية التي أضاعوها بجهالتهم، مما أدى إلى هذا التراجع المميت؛ (وصار الأمر كأنه انتحار جماعي للعرب المسلمين!) لقد دلَّت الأحداث والحوادث الخطيرة، التي مرت على العرب عبر الزمان والمكان، دلَّت على أن أس الأســس والقوة كل القوة، تكمن في الروح الوطنية والدافع الوطني الذي يجب أن يكون ملازماً للإيمان بالله سبحانه وتعالى كنتيجة واجبة من نتائج الإيمان الصحيح، فإذا ما كانت هذه الروح مفقودة عند أمة من الأمم، فلا حياة لهذه الأمة وركبتها الأمم[1].

---

قال: أبو هريرة إنَّ فرس المجاهد يستن في طوله فيكتب له حسنات). رواه مسلم

٩- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم الدائم الذي لا يفتر صلاة ولا صياماً حتى يرجع) رواه مالك في الموطأ.

١٠- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمن الله عز وجل لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلَّا جهاد في سبيلي والإيمان بي وتصديق برسولي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمدٍ بيده ما من كلم كلم في سبيل الله تعالى إلَّا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفسي بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعةً (فأحملهم ولا يجدون سعة) ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمدٍ بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثمَّ أغزو فأقتل ثمّ أغزو فأقتل» رواه البخاري ومسلم.

(١) سمعت حديثاً نقل إليَّ عن شخصٍ كان مدرباً لفريق الشرطة في كرة القدم، في سبعينيات القرن العشرين، فقال: (كنت مع فريقي في موسكو في عام ١٩٧٦م، من أجل تنفيذ معسكر تدريبي هناك وكانت الحافلة (الباص) تنقلنا يومياً ذهاباً وإياباً بين الفندق والملعب! وفي إحدى المرات، وبينما كان (الباص) يسير بنا في أحد شوارع موسكو، أخذ أعضاء الفريق بحماس وفرح غامر ينشدون داخل =

الباص ويهتفون، وكان هذا دأبنا في سورية بلادنا، في مثل هذه الحالات، ولكن في موسكو كان الأمر مختلفاً، فقد فوجئنا عندما بدأنا بالهتاف والغناء... أن عجوزاً كانت تسير في الطريق قد أشارت بعكازها إلى الباص وطلبت من سائقه الروسي التوقف؛ فما كان منه إِلَّا أن انصاع للأمر؛ وانحاز إلى اليمين وتوقف! ثمَّ أشارت إليه أن افتح الباب، ففتح الباب فوراً، فصعدت إلى الباص وخاطبت السائق وعنفته، وقالت له: ما هذه الضجة التي تنبعث من باصك؟ فقال لها أنا آسف، هؤلاء غرباء؛ وهم فريق لكرة القدم، وهم يعبرون عن فرحهم وسرورهم بزيارتهم لموسكو بهذه الطريقة، وأنا استحييت منهم فلم أطلب منهم التوقف عن الضجيج! فقالت له بالحرف الواحد: استحييت من هؤلاء ولم تستحِ من الشعب الروسي؟!! ثم أخرجت من جيبها دفتراً وسجلت رقم الحافلة ونوعها، ووقت حدوث المخالفة؛ وأخذت معلومات من السائق ووعدته بالعقوبة المناسبة! بعد ذلك قال السائق إنها ستسبب له عقوبة تأديبية ومسلكية، ومساءلة.. ذلك أن الشعب الروسي له حرمة يجب أن تحترم! فأين هي حرمة الشعب العربي؟

# كذلك تمَّ تغُيِّب الإحساس بالعروبة
# ووضع في تصادمٍ مفتعل ومقصود مع الدين، الإسلام

لقد غابَ الإحساس بالعروبة تماما، وغُيِّب الشعور، الشعور بالعروبة، وسحب من التداول بالكليَّة، سحب من الشخصية العربية (النائمة)، وذلك عندما غُسلت أدمغة العرب وطوال عهود بالأفكار غير الصحيحة، البديلة؛ وهكذا فإن العرب ضلُّوا الطريق، وأدخلوا إلى المتاهة، وباتوا في ضياعٍ رهيب، وأقنعوا بالتخلي عن النزعة الوطنية، حيث انفكوا من فُلكها، وتفلتوا من عُقالها، وانفلتوا من محرضاتها الطبيعية الفطرية الهامة والأساسية، وأبعدوا عن التأثر بقيمها الإنسانية البنائية، الكمالية، النبيلة المنشِطة، والمحرِكة والدافعة والمثيرة والجبارة والمطهِرة، بحيث أصبح العرب في مطلع الألف الثالثة، وقد انفرط عقدهم، فلا محيط لهم، يحيطهم سياسياً، ولا سياج يرد عنهم الهجمات، هجمات الأعداء المتربصين، وهم كثر كما هو معلوم، وليس لهم، للعرب، ولا حتى أي شكل من أشكال الحماية أو الرعاية أو السيادة؛ ليس لديهم ما يقيهم، ليس هناك أي كيان يحميهم، ولا حتى مجرد غشاء؛ لم يعد لهم أي كيان، يرد عنهم، أو يقيهم، أو يلجؤون إليه، ولم يعد لديهم أي نظام، بعد أن فتكت بهم الضياعات الصوفيَّة، والجموديات السلفية، وبعد تلاشيهم وتشرذمهم في النزعات الطوائفية التشيعية المهلكة، الماحقة، التي أذهبت العرب إلى كل مهلكة، وحولتهم إلى شرازم، زمامها في الخارج.

الأمر الذي حولهم وحول بلادهم إلى عصفٍ مأكول، ولم يعد لديهم أي نظام، لاعلى أرضهم، ولا في جميع أنحاء المعمورة، ولا أي نظام يقيهم، أو يتقون به، أو يرجعون إليه، أو يدافع عنهم، أو يحميهم، أو يدرؤ عنهم المخاطر المحدقة بهم من كل ناحيةٍ، بقصد إبادتهم وإزالة شأفتهم، أيَّ نظامٍ يشملهم، أو يكونوا رعاياه حقيقةً، أويمثلهم حق التمثيل كعرب

مسلمين؛ أو يمثلونه حق التمثيل كنظام عربي إسلامي؛ فإلى أي دائرة وإلى أي كيان، وإلى أي نظام سينتمي هؤلاء العرب المسلمون؟ إذ لا بد لهم من الانتماء في هذا العصر الحديث، الذي أوجد وصنَّع الحدود بين الشعوب والقبائل وأية هوية سيحمل العرب المسلمون، إذا كان لا بد لهم من حمل هوية؟ هوية واضحة، تبرز معالمهم وتبين عن شخصيتهم العربية الإسلامية بين باقي الأمم والشعوب والقبائل الإسلامية وغير الإسلامية؛ حتى يتعارفوا مع تلك الشعوب بشكل أصيل، كما أمر رب العالمين، وليبين أكرمهم وأتْقاهم عند الله سبحانه وتعالى، وليكونوا جديرين بالاحترام والتقدير؛ في هذا العالم، وفي هذا العصر، كما أمرهم الله سبحانه وتعالى.

هذا العصر الذي من سماته أنه لا يحترم إِلَّا القوة، ولا يقدِّر إِلَّا الذكاء والعلم المعلوماتي؛ العلماني اللاديني، والذي لم يعد يحفل بمكارم الأخلاق، ولا القيم الإنسانية الرفيعة، ولا حتى بالآداب العامة؛ بل هو يعتمد، أو هو يركز، على قانون المنفعة والمصلحة التبريرية (البراغماتية الأمريكانية)، كل سلوكٍ يمكن تبريره، إذْ يمكنك فعل أي شيء! هذا القانون الطاحن، الذي ساد وتحكم في هذا العالم، والذي هو عبارة عن شكل آخر من أشكال الحياة في الغابة الآن، الذي جعل الإنسان في العصر الحديث متهاوياً يُطحن، أو ينطحنُ بين رحى طاحونته فعلاً، سياسة وإعلام وفن ودعاية وإعلان وثورة معلومات؛ الثورة التي أبهرت عيون المنهزمين المستضعفين، وهذا التطور المُذهل في وسائل المواصلات والاتصالات، الذي أسقط في دوَّامته كل تلك الشعوب النائمة، لتبقى نائمة، أفراداً وجماعات؛ ولتبقى تابعة تبعية مطلقة، ومُهَيْمَناً عليها، إنه نظام أعمى البصر والبصيرة.

# حول مفهوم الوطن والوطنية
# على أنها أساساً جانبٌ حيويٌ اجتماعيٌ

قبل أن تكون جانباً سياسياً (الوطنية العربية بلاحدود) ولا تزال المشاعر الوطنية العربية، على الرغم من طبيعة وجودها، لكنها لا تزال غير متبلورة لدى العرب المسلمين، كل العرب المسلمين، في كل أقطارهم، ولا يزال العرب المسلمون إلى هذا الوقت غير مجمعين على مفهومٍ موحدٍ لمعنى الوطنية العربية، ومعنى العروبة، ولو سألنا أي عربي: هل أنت عربي؟ لقال نعم، ولو سألناه ما معنى عرب [(١)]؟ ولماذا أنت عربي؟ وهل يتعارض، كونك عربياً مع كونك مسلماً؟ فإننا سنجد أنّ العرب إلى الآن غير مجمعين، أو غير واعين! ولكن لا بد لهم من الوعي) وأكثرهم لا يزالون ينظرون إلى المفهوم المعنوي للوطن العربي، والمفهوم المعنوي للوطنية العربية بريبة وحذر! [(٢)] مع أنَّ الشعور المعنوي الوطني هو غريزة

---

(١) الدكتور بهجت القبيسي عالم الآثار والتاريخ القديم والمعروف أنه المتخصص بقراءة اللغات القديمة، وله كتاب اللهجات العربيات، وهو مدرس ومحاضر عن الآثار في العديد من الجامعات. سألته عن معنى (عرب) فأجاب قائلاً: لفظة (عرب) في اللهجات العربيات القديمة لاسيما في بلاد مابين النهرين كانت تعني تحديداً الماء، والعربيات هي تلك القوارب التي كانت تجري على سطح الماء، ومنها انتقلت التسمية إلى اليابسة بعد اختراع الدولاب فكانت العربات التي تجرها الدواب في البر، وأردف قائلاً أنه في بلاد العراق قديماً كانت البضائع تُحمل من الشمال إلى الجنوب في الأنهار على العربات أو القربات (القوارب) وهي عبارة عن جذوع الأشجار التي كانت تقطع من الغابات التي كانت متوفرة في الشمال، ففي شمل الموصل كانت جذوع الأشجار تضم إلى بعضها بعض وتوضع في نهر دجلة، وكانوا ينفخون القربات وهي جلود الحيوانات، ينفخونها بالهواء؛ ثم يضعونها تحت تلك العربات، الأمر الذي يساعدها لتطفو على سطح الماء، ثمَّ يضعون المحاصيل والثمار والبضائع وحتى الحجارة؛ فتصل إلى شط العرب والخليج في الجنوب، وهناك كانوا يأخذون الحمولات ويفكون العربات ويستفيدون من الأخشاب والقربات؛ فهل جاء اسم القارب والقوارب من هاهنا؟! وهل جاء اسم القِرَب (ما يطلق على أوعية الفخار التي تملأ بالماء أو الزيت أو اللبن) هل جاءت هذه الألفاظ من ههنا؟

(٢) أخ فاضل مسلم عربي من الصومال الشقيق، لا أعرف اسمه، يبدو أنه مثقف ومطلع؛ لكنه فوجىء بسؤالي له عن =

معنى لفظة عرب؟! ما معنى لفظة عرب؟ كان يبدو أنه مسلم عتيد، لكنه على ما يبدو، ولأول مرة يصادفه مثل هذا السؤال، ما معنى عرب؟ وفوراً اتفقنا أنَّ لا علاقة لموضوع سؤالنا بالأرض، أو بالتاريخ، أو باللغة؛ أو بالعوامل الاقتصادية، أو بالأصل الواحد؛ فالعروبة ليست مسألة عرقية! ولا هي سياسية! فما معنى عرب إذاً؟ وحارَ في الجواب!

لكنه في ختام حديثه قال لي كلاماً أعتقد أنه هامٌ جداً، كلاماً جميلاً وعظيماً، كلاماً كان من المفروض أن يرصَّع بالجواهر النفيسة؛ كلاماً كان من المفروض أن يستقر في عقل، وفي قلب، كل عربي مسلم، من الذين عاشوا أو الذين سيعيشون على الأرض العربية التي هي، كما اتفقنا، أنا وهو، أرضٌ مفتوحةٌ؛ وبلا حدود! فربما تكون مسلماً وعربياً، وأنت تحيا في أي بقعة من أرض الله الواسعة، المهم أنك تؤمن بالله العظيم، وأنك تتحدث مع أهلك باللسان العربي المبين، وأنك تقرأ القرآن الكريم باللسان العربي المبين، وتنتسب إلى العروبة الأمة الحقة، الأمة الأولى.فرأيت أنَّ من واجبي تضمين هذا الكتاب رأي هذا الصديق والأخ، الذي لا أعرف اسمه، ولاعنوانه؛ لذلك قمت بتسجيل كلامه وبيانه ونشره كما قاله تماماً، فقد قال لي وبالحرف: (أنا مسلم عربي، وأنتمي إلى عقيل بن أبي طالب؛ رضيّ الله تعالى عنه، لكنَّ الوطن بالنسبة لي، الأرض، المكان، فهو يستمد قيمته من أنَّ الله سبحانه وتعالى معبودٌ فيه، أو لا، وأنَّ شرع الله يُطبّق فيه أو لا، فكلُّ أرضٍ يُطبق فيها شرع الله تعالى وحكمه، فهي أرضي، وهي وطني وكل أرضٍ لا يُطبق فيها شرع الله تعالى، وحكمه، فهي ليست أرضي؛ ولا هي وطني فأنا غريبٌ في أرضٍ لا يُطبق فيها شرعُ الله سبحانه وتعالى، وأنا لا أُقدِّس العَلَمَ إذا لم يكن أو الراية إذا لم تكن ترفعُ اسم الله سبحانه وتعالى، وأنا أعتبرها مجرد خرقة! وأنا من الصومال فإذا كان قريبي من أسرتي وابن بلدتي كافراً أو ملحداً، أو عدواً لله تعالى، فأنا بريءٌ منه، براءةً تامة، وهو لا يمتُّ إليَّ بأيَّ صلة وإنسانٌ في الصين، أو في أي بقعة في العالم إذا كان مؤمناً بالله سبحانه وتعالى، ويُطبق منهج الله سبحانه وتعالى، وشرعه في حياته فهو أخي وأنا أنتمي إليه بكل جوارحي! القضية بالنسبة لي باختصار هي قضية براءٌ، وانتماء؛ براءٌ من الكفر والإلحاد والشرك، وانتماء إلى المؤمنين الموحدين أينما كانوا وفي أي أرضٍ حلوا).

في حين أنني سابقاً، كنت قد تعرفت إلى أحد الأشخاص، من الكويت الشقيق، كان مليونيراً؛ وكانت له مشاريع وأعمال في ماليزيا والصين، وكان كثير السفر إلى اليابان وأمريكا، وكان مثقفاً وباحثاً؛ وكانت لديه دراسة مقارنة عن أصول الأديان في العالم، وقد سُعِدتُّ بمعوفته فعلاً، كان من أنصار العولمة! قال لي حرفياً أنَّ الوطن بالنسبة له، يكون حيث يجد الأمان، في أي بقعة في العالم؛ وهو يرتاح، أو هو على استعداد دائماً للتفاهم، وإنشاء العلاقات الطيبة مع الناس أينما حلَّ، فهو عندما يكون في ماليزيا، في غرفة أحد فنادقها، تكون ماليزيا هي وطنه، وإذا انتقل إلى الصين، فإن الصين تعتبر وطنه؛ وربما أكثر من الكويت، ذلك أنني كلما وصلت إلى الكويت، إلى حيث أهلي، ووطني الأصلي، إلى حيث ولدتُ وترعرعت ودرستُ، فإنني كلما وصلتُ إلى الكويت، برزت في وجهي المشاكل، وخصوصاً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، حيث أصبحوا في الكويت يدققون في أوراق القادمين، ولما كنت أنا أساساً من (البدون) فإنني ألقى صعوبات جمَّة كلما أردت دخول الكويت.

=

إجتماعية إنسانية أساسية، ودافع اجتماعي إنساني حقيقي، لا يخرج منه الإنسان السوي؛ وذلك قبل أن يصبح المفهوم الوطني نزعة سياسية؛ وقبل أن يتحول إلى مجرد مواد في نصوص دساتير الأحزاب السياسية ومناهجها المرحلية؛ لكن العرب ظنّاً منهم أن الشعور

---

وطني الحبيب! بينما زوجتي وأولادي كويتيين، وهم ينعمون بالحياة الطيبة في الكويت؛ بينما صديقي الأستاذ حسن. مهندس من مصياف، والذي أصبح في الفترة الأخيرة يهتم بدراسة علم الفلك؛ كان مناضلاً سابقاً؛ أنا أعرف أنه أمضى حياته وهو ينافح عن القومية العربية، كنت أظن أنه قمة في العلم والوعي والفهم، ذلك لكثرة ما أعرف وأسمع عن مطالعاته ودراساته وأبحاثه الكثيرة التي يجمعها، ويلقيها عادةً في قاعة المحاضرات في المركز الثقافي في مصياف، لكنني فوجئتُ بتعليقه على المسألة الوطنية العربية، أو أنني صدمتُ فعلاً برده على ماكنت قد أكدته له في السابق؛ عن ضرورة يقظة الروح الوطنية العربية الإسلامية، والإحساس الوطني العربي الإسلامي، والذي أصبح معدوماً في هذه المرحلة! فقال لي حرفياً: (لقد تألمت من كلامك، وحزنتُ كثيراً، لأنك تتحدث فيه عن أشياء قد أصبحت من الماضي؛ وهي الآن تعتبر حالة تخلف وعودة إلى الوراء! فلم يعد لكلمة وطن الآن أي معنى؛ خصوصاً بعد انطلاق الدعوة الواسعة إلى العالمية والعولمة، التي ستمحو؛ وستكتسح في طريقها كل شيء، وأول هذه الأشياء الروح الوطنية لدى الشعوب؛ وما يسمى بالهوية، وستلغي الأوطان والقوميات والأديان وسيصبح الإنسان كل إنسان، في العالم ينتمي إلى العالم كله)!

الواقع لقد أذهلني هذا التحول الذي طرأ على صديقي القديم الأستاذ حسن، فقلت له منذ متى وأنت مقيم في مصياف لم تغادرها؟ فقال حوالي ثلاث سنوات؛ لم أغادرها إلّا مرة أو مرتين إلى دمشق، وأحياناً أنزل إلى حمص، فقلت له ياصديقي أنت إذاً تجلس في مصياف، في الليالي المقمرة تعدُّ النجوم، وتنظِّر على الناس، وتنثر عليهم من أفكارك، التي تجمعها من هنا وهناك؛ من بعض الكتب، والمجلات، ومن صفحات (الأنترنيت) ثم تتقيأها على الناس في المركز الثقافي، وتعطيهم الانطباع بأنك أكثر منهم فهماً ووعياً وعلماً! وأنت لا تدري أن الناس يُقتلون في العراق يومياً، لا لشيء فقط لأنهم عرب ومسلمون، والناس تُسحق على بطاح فلسطين لالشيء فقط لأنهم عرب ومسلمون، والشيء نفسه حصل في لبنان، وفي الجزائر، وهو ما يحصل أو سيحصل في السودان؛ وكذلك في كل أنحاء العالم، العرب المسلمون يلاحقون، لا لشيء إلّا لكونهم عرباً ومسلمين، وليس بالضروري أن يتم الإعلان عن ذلك بوضوح، ولكنَّ الأمور واضحة، ولا تحتاج إلى توضيح؛ إن الإعلان عن الحرب الشاملة على الإرهاب، الحملة التي تفودها أمريكا، وهي كما تعلم، الحمار المُقاد من قبل اليهود، إنَّ هذه الحرب الشاملة حقيقةً، ومهما تعددت الذرائع، إنما هي حقيقةً حربٌ شاملةٌ، تُشنُّ ضد المسلمين العرب، وضد الإسلام العربي وفقط، وها أنت الآن يا صديقي تتمطى، وترفع ياقتك، وتمسد (كرفتتك) وتنادي بإلغاء الشعور الوطني والديني من العرب المسلمين!

ومنذ ذلك الحين لم أعد ألتقي صديقي حسن ولم يعد يأتي إليَّ، ثم سمعت من أصدقائنا المشتركين أنه كان عضواً في الجمعية الكونية، وأنه كان متزمتاً، ومتعصباً لمذهبه السائد في ضيعته.

الوطني العربي، أو الروح الوطنية العربية، أنها تتعارض مع الدين الحنيف، الصحيح؛ أو مع الإنسانية العالمية، أو العولمة الأممية[1]!

---

(١) في (البيان الشيوعي) الذي أصدره (كارل ماركس) عن كمونة باريس عام ١٨٤٨، والذي أعلن قيه الشيوعيون: (أولاً: أن الدين أفيون الشعوب؛ وثانياً: أنّ القومية فكرة برجوازية؛ وثالثاً: أن الأسرة لم تكن من قبل في العصر المشاعي؛ وأنها كانت عبارة عن حلقة من الحلقات الناتجة عن التطور والصراع الطبقي؛ وأنها من آثار المُلْكية الإقطاعية، البرجوازية، الرأسمالية، مثلها مثل الدين والقومية. وبما أنّ الشيوعية كانت تعمل على صراع الطبقات، وإزالة المُلْكية، فإن الشيوعية قد نادت بإلغاء الدين، وإلغاء القومية، ومشاعية المرأة؛ راجع البيان الشيوعي ١٨٤٨. إنّ الشيوعية التي كانت تُقسِر الناس قسْراً على مبادئها، قد انتهت كنظام سياسي عام ١٩٩١، من خلال (البروسترِيكا) والانقلاب على (البروسترِيكا) الفيلم الذي تم عرضه في آب من عام ١٩٩١، في الإتحاد السوفيتي، المَعقِل الأساسي للشيوعية؛ فإنه منذ ذلك الحين، قد بدأ تعميم مبادئ الشيوعية، وفرضها على العالم! بطرق اخرى أكثر حيوية، ولكن في هذه المرة، ليس عن طريق الكرملن، ولاعن طريق مجلس السوفيت الأعلى، وإنما عن طريق الإعلام العالمي المهود، والبنتاغون الأمريكي! في خطط مبتكرة أنيقة وجهنمية، إن ما حدث للفكر الشيوعي، في العقد الأخير من القرن العشرين، حقيقةً، ليس نهاية له، بل البداية، فلقد دخل الفكر الشيوعي عام ١٩٩١، طوراً آخر، وبإسلوبٍ آخر، وعن طريقٍ آخر، أصبحت مبادئها أكثر عموميةً؛ وأكثر اتساعاً، وأكثر شمولاً، وأكثر إنتشاراً، بحيث أن الشوعية التي بدأت كفكر، مع كارل ماركس في عام ١٨٤٨ في كمونة باريس، وكتبه المعروفة عن (المادية والديالكتيك) و (رأس المال) وغيرها، وكنظام وسلطة عالمية، مع (لنين) من خلال الثورة البلشفية التي قامت ١٩١٧، ثم من خلال الأحزاب الشيوعية التي قامت بالانقلابات العسكرية، والثورات المسلحة، واستولت على السلطات في الكثير من الدول في العالم، بما فيها الصين، ودول حلف وارسو، والتي استمرت حتى ١٩٩١. إن الأنظمة والأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء العالم، مع مرور ذلك الوقت، وحدوث كل تلك الأحداث الجسام، ومع تقديمهم لكل تلك الدماء والضحايا والجهود، والأموال! فإن اليهودية العالمية، وأمريكا المهودة، وخلال بضع سنين، وبالأمريكانية (والتي كانت تُعرَّف على أنها هي الوجه الآخر للشيوعية)! قد استطاعوا إنجاز وتحقيق أضعاف مضاعفة من تلك المهام، التي كانت مناطة بالأنظمة الشيوعية، (محاربة الدين، والشعور الوطني، وإلغاء الأسرة، أومشاعية المرأة) وهي انتشار ونشر المبادئ الماركسية على أوسع نطاق! المبادئ التي اتخذت اعتباراً من عام ١٩٩١ طورها الجديد بأساليب جديدة مبتكرة، صارت ملونة؛ وصار لها أشكال أخرى، وصار منها أنواع و(موديلات)؛ بحيث أدخلوها لعبة الديمقراطية؛ ومنحوا المواطنين، في العالم، إمكانية الإختيار فحققوا المراد بأقل الخسائر وأبسط التكاليف وبسرعة مذهلة حققوا السيطرة، تمت لهم الهيمنة، بالصرعات ومن خلال الدعاية الواسعة النطاق، والكلام عن نهاية التاريخ، بدل المشاعية والحديث عن صراع الحضارات بدل صراع الطبقات!! وحرب النجوم، بدل الحروب الأرضية، والكفاح المسلح؛ ثم مسرحية =

فإنهم يكبتون هذا الشعور العميق ويُخفونه ويُغفلونه، بل ويعدمونه، وكان هذا وهماً، وخلطاً كبيراً منتشر بين العرب، سببه الجهل المستفحل وعدم الوضوح، أو كان بسبب ضروب التبعيّة، والتعمية، والتعبئة السلبية التي سبق وأن مورست على العقل العربي، عبر

---

الأبراج في نيويورك، التي مُثلت بشكل جيد، ومثلها مسرحية أنفاق المترو في لندن! ثم إعلانهم الحرب على الإرهاب! أي إعلانهم الحرب على العرب المسلمين، لا غيرهم، وصولاً إلى الشرق الأوسط الجديد؛ وصار المهم عندهم هو انتشار المبادئ التي كانت أساساً هي المبادئ الشيوعية؛ إلغاء الدين، إلغاء الوطن، إلغاء الأسرة، (إلغاء الأخلاق والقيم والمبادئ ولكن في هذه المرة، أو في هذا الطور؛ دون ثورات مسلحة، ولا انقلابات عسكرية؛ بل بواسطة الإعلام وأجهزته؛ وهكذا فإنَّ حادثةً مرتبة مثل الحادثة التي أسهب الإعلام العالمي في نشرها وعرضها وتكرار عرضها؛ وهي حادثة (مونيكا مع قمة الهرم الأمريكي، وكان في حينه الرئيس بل كلنتون) إن افتعال ونشر الأخبار عن مثل تلك القضية لَهِيَ جريمة كانت أشد تأثيراً وسقوطاً على العالم والحضارة البشرية من كل النكبات التي حصلت خلال القرن العشرين، وهي أكبر هولاً من الحربين العالميتين الأولى والثانية، وذلك قياساً على النتائج، إنّ نتائج تأثير خبر الحادثة (مونيكا وهي يهودية كما أُعلن؛ والملاحظ أنهم في حينه قد أعادوا طرح القضية على الملأ، ودون خجل عدة مرات، وهذا بالنسبة لمن يدري يعني الكثير)

إن التحول الذي طرأ على الناس في العالم؛ على الأخلاق، وعلى معايير الأخلاق الإنسانية في هذا العالم في كافة أنحاء العالم، بله القيم والمثل والمبادئ الإنسانية، من حيث التغيير والتبديل؛ اللهمَّ إن لم نقل انعدامها كلياً؛ والمراقبون ولا شك يدركون كيف أنَّ أخبار (مونيكا) التي تابعتها الناس، في مختلف أنحاء العالم، أسهمت في القضاء على البقية الباقية من الأخلاق والشرف عند الكثيرين من الأفراد والشعوب في العالم، خصوصاً الشباب والأطفال؛ ولا نخصُّ بالذكر المسلمين وحدهم، بل لقد كان تأثير مثل هذه المشاريع الأمريكانية الحديثة على كافة أنحاء العالم بما فيها الشعوب الأوربية ذاتها، نعرف ذلك من خلال استفتاء حول الدين والإيمان والأخلاق والشرف والكرامة والمثل العليا والعلم الحقيقي والأدب الجم، إن أي استفتاء تجريه، أو أي إحصاء نجريه بين طلاب وطالبات أي مدرسة إعدادية في العالم، سنجد فيه أن المعايير الأخلاقية قد تغيرت تماماً بعد تلك الأخبار، وهبطت من القمة إلى أدنى مستوى! بحيث أنَّ البنات والأولاد، وصارت بالنسبة لهم كل الأمور سهلة وطبيعية؛ وقد استمروا الأفعال المحرمة شرعاً! وقد تجرؤوا على ارتكاب الكبائر! والمحرمات، والمحظورات، ما دام رئيس أكبر دولة في العالم قد فعلها، فهل عرفتم أيها السادة إلى أي مدى كان تأثير هذه الحادثة المدبرة بالاتفاق مع الرئيس (بل كلنتون) الذي في ما بعد أصبح، يُستقبل ليُحاضر في الدول الإسلامية؟ كلُّ ذلك التغيُّر قد حصل إبان العقد الأخير من القرن العشرين، إن الأمريكانية بأساليبها الجهنمية، تابعت مطلع الألفية الثالثة المهام التي عجزت عن تنفيذها الشيوعية، خلال القرن الماضي، لقد كانت الأمريكانية بكل أدواتها الحديثة، هي الوجه الآخر للشيوعية، وكان الكرملن طبخة من طبخات البيت الأبيض، راجع (الأعمال الكاملة لماو تسي تونغ المجلد الأول) (راجع كتاب في الشعوبية لإسماعيل العرفي)

تاريخ طويل وأثَّرتْ على الفكر والوجدان العربي، والتي خلْخلت العرب عصوراً طويلةً ؛ لأن الشعور الوطني العربي شعورٌ إنساني أساسي طبيعي، منبثقٌ عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالقرآن عربي واللسان عربي والحكم عربي والملائكة عُرب، ولسان أهل الجنة عربي، فالعروبة ليست شيئاً مخترعاً؛ كما هي الدعاوى الإقليمية أو الطائفية أو العرقية، وهي ليست وليدةً للسياسة الاستعمارية؛ أو ناتجةً عنها كما يتوهم الكثيرون، لأن الشعور الوطني العربي رباني أصيل، في الإنسان العربي الأصيل؛ كان من قبل، ويجبُ أن يكون من قَبْلِ النزعةِ القومية المخترعة نظرياً وسياسياً، في أوربة أواسط القرن التاسع عشر، إن الشعور الوطني العربي نابعٌ من الدين الإسلامي الحنيف، وهو والإسلام صنوان، أو وجهان لحقيقة واحدة، كذلك فإن الشعور الوطني العربي هو بوابة الشعور الإنساني الحقيقي، ويجب أن يكون شرطه الأساسي إلى العولمة المزعومة؛ فكيف يدعون العرب إلى التخلي عن الشعور الوطني، في حين أنّ الشعور الوطني شعور طبيعي موجود لدى جميع الناس، كيف يُسلب من العرب المسلمين، ويُؤكد عليه لدى كافة أمم الأرض؟ وهو، أي الشعور الوطني الطبيعي، مختلفٌ عن النزعة القومية التي ابتدعتها النظريات السياسية العنصرية، والتي تفتق عنها العقل اليهودي في أوربة منتصف القرن التاسع عشر، بعواملها المفترضة! عندما حولت المشاعر الإنسانية إلى فلسفة ونظريات سياسية، فقننتها وقعدتها في دساتير وفي مناهج استراتيجية، ومناهج مرحلية؛ والتي حددتها المصالح السياسية؛ لطمس الحق، وكبديل عن الحق، بينما الشعور الوطني العربي نبيل وأصيل، وهو (أي الشعور الوطني) متعلق بالفطرة الربانية السليمة الراقية، والحالة الحضورية السامية والحضارية الرائعة، والفهم العميق والوعي والعلم والتنوُّر للإنسان ولايمكن تصور الدين الحنيف، والذي هو الإسلام الرباني، والإيمان الصحيح بالله سبحانه وتعالى، أن يتجلى في معزلٍ عن الشعور الوطني أبداً، خصوصاً الشعور الوطني العربي الحقيقي.

لأنّ الوطنية الأساس رابطة طبيعية(١) ناجمةٌ عن وجود روابط طبيعية أخرى في الحياة الإنسانية لا يمكن تجاوزها لأنها منبثقة عنها مثل رابطة الأسرة ورابطة العائلة ورابطة العشيرة والقبيلة وشعور الأمومة وشعور البنوة وشعور الأبوة وشعور الأخوة وحب البيئة الخاصة، واحترامها وحب القرابة وحب الصداقة وحتى الحب والحنين إلى البيئة الخصوصية، والافتخار بالأمجاد؛ وبالأبطال والبطولات الحميدة والمجيدة، وكل العلاقات والمشاعر والروابط الإنسانية النبيلة، التي تجعل من الإنسان كياناً اجتماعياً، وتولِّد لديه إحساس إجتماعي، وتدفعه إلى بذل كل الجهود والطاقات لخدمتها، ولتقديم ما يستطيعه المرء المواطن للبناء الإيجابي فيها، والدفاع عنها عند اللزوم، لا هدمها وتحطيمها ؛ والتخلي عنها، عندما يواجهها أول تهديد بل حبها مؤمنة والاعتزاز بها بعد حب الله سبحانه وتعالى، والاعتزاز بدينه وقرآنه المجيد ورسوله الكريم، فالشعور الوطني لا يلغيه الكلام عن الشركات متعددة الجنسيات، والشركات العاملة وراء البحار! كما يفهم ذلك البعض

(١) جاء في دستور(الحزب السوري القومي الاجتماعي ـ الدستور الأسود) الموضوع في عام ١٩٣٤ جاء فيه في ص ٨٢ ما يلي: أدى زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي القسم الآتي: أنا أنطون سعادة أقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي على أني أقف نفسي على أمتي السورية، ووطني سورية، عاملاً لحياتها ورقيها، وعلى أن أكون أميناً للمبادئ التني وضعتُها وأصبحت تُكوِّن قضية الحزب السوري القومي الإجتماعي ولغاية الحزب وأهدافه، وأن أتولى زعامة الحزب السوري القومي الاجتماعي وأستعمل سلطة الزعامة وقوتها وصلاحيتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيته وأن لا أستعمل الزعامة إلَّا من أجل القضية القومية الاجتماعية ومصلحة الأمة، على كل هذا أقسم أنا أنطون سعادة (انطون سعادة، تعاليم ودستور ١٩٤٧) وطبعاً إنّ هذا الكلام لا يحتاج إلى تعليق، ولكننا نذكُرُهُ في هذا الموضع لندلل على مدى السذاجة السياسية التي كانت متداولة في تلك الأيام، في النصف الأول من القرن العشرين، وإلى أي مدى كان الناس غافلين وبسطاء، لاحظ أن الفسم يقول: (وعلى أن أكون أميناً للمبادئ التني وضعتُها وأصبحت تُكوِّن قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي!!! ولغاية الحزب وأهدافه، وأن أتولى زعامة الحزب) فالمبادئ وضعها شخصٌ بعينه!!! ولم تكن نابعة من الفطرة الإنسانية، ولا هي تسعى لتحقيق الحق والعدالة، لم تكن حرباً على الخطأ؛ بل هي مبادئ وضعها، واخترعها.. وأرتآها شخصٌ ما، وأراد تعميمها وتنفيذها وتحقيقها عل الأرض؛ وقاد الناس إلى خدمتها بأساليب مختلفة؛ وكان الناس ينساقون بالعاطفة بكل بساطة.

من المحدودين الفاقدين الذين باتوا لا يملكون أدنى مستويات العزة والشرف.

ولا ينفينَّ هذه الحقيقة ما حصل من أخطاء ومن ممارسات خاطئة في حق الإنسان العربي والوطن العربي، طوال القرن العشرين، ومن طرحٍ خاطئ ومن ممارسات خاطئة لمسألة الوطنية؛ بحيث أنَّ الأحزاب والتنظيمات والسلطات العربية كانت توهم المواطن وتقنعه أنَّ الانتماء لتلك الأحزاب أو لتلك التنظيمات أو لتلك الدول انتماءٌ للوطن! والحقيقة كانت غير ذلك، لأنَّ الأساس أن تكون الأحزاب والتنظيمات والدول في خدمة الوطن، لا أن يُقَدَّمَ المواطنون قرابين في سبيل تلك الأحزاب والتنظيمات والدول، وتم إقناع الناس على أنّ أهداف تلك الأحزاب هي أهداف للوطن؛ إن هذا الإيهام قد تسبب بالإساءة إلى المشاعر والأحاسيس الوطنية الحقيقية لدى العرب المسلمين، الذين أصبحوا بعد أن اكتشفوا حقيقتها وقد فقدوا الثقة بتلك الأحزاب، وتلك التنظيمات، وتلك السلطات وزعاماتها ورجالاتها وقادتها؛ لأن المشاعر والأحاسيس الوطنية تتلازم مع ما نعاينه وما نشاهده وما نلمسه في تجاربنا الخاصة.

كذلك فإن الروح الوطنية الموضوعيّة لا يُلغيها ما نكسبه أحياناً من إمكانيات، أو عندما نتقن بعض اللغات الأخرى لسببٍ من الأسباب؛ (وهكذا جرت الأمور، فمن خلال النفوذ والهيمنة الأوربية الأمريكية الصليبية العالمية المهودة، تمَّتْ عملية قلب وعكس لِما كانَ يجب أن يكون كطبيعة! فبدل أن تبادر شعوب العالم، إلى تعلم اللسان العربي المبين؛ وبدل أن تكون العربية هي لغة الحضارة، على أساس أن العربية هي أم اللغات، وأن اللغات التي في العالم كانت في يومٍ من الأيام مجرد لهجات عربية قديمة؛ صار المطلوب من العرب شيباً وشباناً، وحتى الأطفال صار المطلوب منهم، أن يتحدثوا وأن يرطنوا باللغات الأوربية الحديثة، تحت ذريعة أنها لغات العلم والحداثة؛؛ وهكذا صار المطوب من الجذر أن يشربَ من الفروع

والأغصان؛ وصار المطلوب من المسطرة أن تتعلم الاستقامة من الخطوط العوجاء، إن العربة في هذه الأيام هي التي تجر الحصان!

كذلك فإننا عندما ندرس أو نطلع على أوضاع بعض المجتمعات الأخرى، ونتعرَّف على أحوالها وأخبارها أو عندما يسافر البعض، أو ينتقلوا إلى الأقطار الإسلامية، والأمصار، والبلاد الأخرى في أنحاء العالم، لأي سبب، فيتعايشون أو يذوبون؛ (الانتقال أو الهجرة الاختيارية، أو القسرية من الوطن) أو عندما نشاهد أو نتعرف على أشخاصٍ قد أتوا من بلاد بعيدة، ونعقد معهم صداقات صادقة وحميمة، ونتآخى معهم، أو معرفتنا واطلاعنا على كافة الثقافات، العولمة، والتي هي بالأساس كانت فكرة استعمارية تنطوي على نوايا غير حسنةٍ، وعلى خِداعٍ رهيب واستلابٍ وإلغاء للآخر، والاستغلال لصالح الأقوى، (الانترنيت، زاد الأقوياء قوة والضعفاء ضعفاً، والفائدة الأساسية من الأنترنيت تصبُّ في الدول الغربية، بينما يستهلك الأنترنيت حياة الشباب والأطفال في العالم، بله العرب، وأموالهم) عن طريق الأنترنيت مثلاً.

فندرس ونطلع على كل ما في هذا الكون من قضايا وأحداث؛ ونرى ونسمع عن طريق الإعلام العالمي الوارد بواسطة الأقمار الصناعية؛ (الذي يعتبر بطبيعة الحال إعلاماً ودعايةً وسوقاً لتصريف البضائع، وهو عملية نشرٍ واسعة النطاق لأفكارٍ محددة؛ ولحضارةٍ بعينها، وهو شئنا أم أبينا يشكل أسلوباً هجومياً ضخماً وكبيراً، وواسعاً على مشاعر العرب والمسلمين، وهو عملياً يعمل على إزاحة أشياء من حياتنا، لإحلال أشياء محلها؛ على كل حال فإنه لا قبل للعرب والمسلمين للوقوف في وجهها، وذلك على الرغم من وجود بعض المواقع الإسلامية، ولكن الكم الهائل، أو السيل الجارف؛ يجعل من المواقع العربية والإسلامية، شيئاً لا يكاد يُذكر أمام المواقع الكثيرة المعادية) الإعلام الذي يتضمن كل

هذه الأوضاع، والتجارب، التي تعتبر (هذه الإمكانية) خاصة ولفئة محدودة من الناس، كل هذه الأوضاع الخاصة يجب أن لا تنفي، أوتلغي، أو تتنافى مع الروح الوطنية الخلاّقة، والشعور الوطني المُحَفِّز للمشاعر الإنسانية النبيلة، والبعيدة عن السياسة؛ الشعور الوطني الاجتماعي المحرض على التواصل والتعاون مع المجتمع الذي يحيا به الإنسان، والذي يدفع إلى البذل والعطاء المعنوي والروحي والمادي (الإحسان، هو كل ما ينتج عن الإنسان في الأخذ والعطاء، المعاملات والسلوك) الذي يُشكل، أو تتركز فيه قمة القيم الإنسانية والروابط والعلاقات الإنسانية، فبانعدام الشعور الوطني تنعدم المثالية وتنعدم الأخلاق وينعدم النُبْل وينعدم الشرف؛ يقترب فيها الإنسان من حياة الحيوان، ويعيش في غربة غريبة! تنقطع فيها كل الاتصالات؛ والصِلات؛ على الرغم من توصُّل الإنسان في هذا العصر لأرقى أجهزة الاتصال!

بينما الوطن الذي فيه أناس يحبونه، ويفكرون به ويعملون دائماً على خدمته؛ واحترامه وإعلاء شأنه وصون سيادته، هذا الوطن بمشاعر أهله يمتلك على الدوام قوة رادعة لكل من تسول له نفسه من الطامعين فيه، والإسلام لم يدعونا إلى فك الروابط الطبيعية مطلقاً، وإنما دعانا إلى أسلمتها، وإلى جعلها مؤمنةً، إن الوطنية وعاءً طبيعي وفطري، وإناءٌ هامٌ وضروريٌ للمشاعر والأحاسيس الإنسانية النبيلة والعظيمة، والتي لا بد منها، لا بد للإنسان في أي مكان في العالم، لا بد له من محيطٍ يسعُ نشاطه، ودون وجود الروح والوطنية، ودون وجود المشاعر الوطنية، سيغيب من حياة الإنسان المجال الحيوي، وسيتلاشى عنده الجانب الإنساني، الذي يمكِّنه (يمكن الإنسان) من تحقيق إنسانيته، فلا يمكن تحقيق التدين والإيمان عملياً من الفراغ!

إنما يجب على كل إنسان في العالم مؤمن بالله سبحانه وتعالى، المحافظة على الروابط

الوطنية وتعزيزها وتنميتها وترشيدها وجعلها تنبع من الإيمان، لابترها ونبذها ولا محاربتها وتبديلها! كما فعلت السلفية والصوفية والشيعيَّة والنظريات اللادينية الأممية كالشيوعية والوجودية والقومية السياسية؛ التي نادت بإلغاء الدين وتجاوز الإيمان والقفز على المشاعر الوطنية؛ على أنها من مخلفات الرأسمالية؛ والاستعمار! وكان من السهل عليهم وصف المشاعر الوطنية بالعنصرية و(الشيفونية) لأنه كان من السهل عليهم خداع الناس العرب المسلمين وتوريطهم، عندما كان العرب المسلمون في حالة الجهل والغياب! والمشاعر الوطنية كانت من لوازم الإيمان الصحيح، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وتجدر الإشارة إلى أن جميع الجهود التي يبذلها المصلحون، والوعاظ والعلماء من المفروض أن تحمل التأكيد على المشاعر الوطنية.

إن المشاعر الوطنية كانت من لوازم الدين الصحيح، فإذا كان الدين، والذي هو الإسلام، يتجسد بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، في معاملة الإنسان لأخيه الإنسان، وإذا كان الدين الذي هو الإسلام، يتمثل بعد الايمان بالله سبحانه وتعالى وبكتبه وبرسله والاعتقاد باليوم الآخر، وفي تهذيب النفس والإحسان قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾ [المائدة: ٩٣]، فإن هذا الإيمان يجب أن يتجلى في السلوك الذي يسلكه الإنسان حِيال إخوته في الإنسانية، في حين أن الشعور الوطني هو جماع هذا السلوك وتجليات هذا الإيمان، وهو البيئة المناسبة والتربة الغنية التي سينبت فيها الإنسان المؤمن، والتي ستمكنه من تحقيق إيمانه، كممارسة وكعمل وكإنتاج وكحيوية وكنشاط، فلا يتحقق الإيمان إذا بقي نظرياً، ولا يصبح المؤمن مؤمناً، إلَّا إذا كان منتجاً في إيمانه محسناً، قال تعالى:﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص: ٧٧]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

إن السبب الأساسي لقيام دولة لليهود على بطاح الأرض العربية، في فلسطين العربية، والسبب الأساسي لقيام أمريكا وأوربة المهودين، بإحتلالهم للعراق العربي، وغيره وغيره من النكبات التي عانى ويعاني منها العرب، والفشل الذريع الذي مُنِيَ به العرب المسلمون في أنحاء العالم، سببه الأساسي هو أنَّ العرب المسلمين في أنحاء العالم، قد أضاعوا أو ضيَّعوا من حياتهم المشاعر الوطنية العربية، التي كان من الواجب أن تكون ملازمة للإيمان بالله سبحانه وتعالى عندهم، بل إنَّ السبب في هزيمتهم المعاصرة يكمن في غياب الوعي الوطني الحقيقي، وفي غياب وانعدام الإحساس الوطني الحقيقي، وانفصاله عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهم لايدرون أن الوطنية قاعدة أساسية للإيمان، وأنه لا يمكن تحقيق الإيمان دون تحقيق الوطنية، أو في غياب الإحسان، أو في غياب الفهم عند ولدى العرب المسلمين، للجانب الوطني من حياتهم الإسلامية العربية، وليس السبب في قيام دولة لليهود، كما يتوهمون؛ مؤامرة استعمارية وفقط!

إنّ انجراف بعض العرب في ناعورة الأمركة والتهود[1] حياتياً وسلوكياً، وانخراطهم

---

(١) بل التهود هو حمل المعتقدات الشيطانية اليهودية، والاعتقادُ والعمل بها، وجعلها بديلاً عن الإيمان الحقيقي، والتهود يعني: أن تتصور نفسك، أنك تملك ربَّكَ، وأنَّ ربَّك يسيرُ وفق هواك! لذلك كان اليهود ذوي سلوك شيطاني مريد، إنهم أتباع أهوائهم وشهواتهم، لا يؤمنون بالله تعالى خالق السماوات والأرض، الفعال لما يريد، ولا يؤمنون بالآخرة، ولا بيوم الحساب، واليهود ليس لديهم شريعة سماوية، بل لديهم اعتقاد أرضي؛ صمموه على هواهم، والقناعات الشيطانية هذه أعجبت الأوربيين واستهوتهم، على اعتبار أنها سمحت لهم بالسيطرة والنفوذ على الطبيعة، وعلى عباد الله سبحانه وتعالى، البشر في جميع أنحاء العالم، إنها حققت لهم (لليهود والأوربيين) مكاسب لايريدون التخلي عنها، هكذا تورطت الشعوب الأوربية مع اليهود، لقد بدأ التهود لدى أوربا منذ أن أصبح الكتاب المقدس يضم التوراة اليهودية والإنجيل، فأجبر الإنسان الأوربي والمسيحي في كافة أنحاء العالم على تقديس اليهود، وتقديس التوراة التي كتبها اليهود بأيديهم... ذلك الكتاب اليهودي المقدس! أليست (إسرائيل) التي في التوراة، تعني للأوربيين والأمريكان، في الفكر (الغربي الأمريكاني) الإله المأسور، أو الإله المعتقل، أو الإله المكبل، أو =

في الحضارة الأمريكانية الزائلة وما يبديه البعض من إعجابٍ إزاء جبروت الأمريكان واليهود (أمريكا بإدارة اليهود) إن كل ذلك يجب أن لا يثني المسلمين العرب عن ثقتهم بالله العظيم سبحانه وتعالى، ثم بفكرة العروبة التي ستطلق المارد العربي، والذي سيتكفل بالقضاء على كل المعوقات، ويكسر ويمزق كل السلاسل التي تكبل العرب، وسيقوم بتحطيم كل الموانع التي تقف أمام التقدم العروبي الإسلامي، لكن ذلك مرهون بقيام كل مسلم عربي، أن يربي بداخله العروبة، كقاعدة للإسلام، وأن ينميها، بل يجب على العربي أن يبحث عنها بذاته، أن يستخرجها من أعماقه شجرة وارفة، مثمرة معطاء، فقط يلزمها العناية والرعاية، وأن يقوم بالعناية والرعاية، على كل منا أن يرعى، وأن يعتني بشجرة العروبة المؤمنة، النابعة من أعماقه، وليس كما يجري الآن في الوطن العربي، حيث ينتظر كل واحدٍ من العرب الوطن العربي أن يعطيه فائدة، فإذا لم يحصل شخصياً على الفائدة التي كان يحلم بها، لعن ونبذ ورفض وشتم وأساء، وهو بجهالة قد يخون وقد يعادي الوطن والعروبة، بحجة أن الوطن العربي لم يقدم له شيئاً؛ إنه بجهالته المطبقة لا يعلم أنه بقدر ما يقوم الإنسان على خدمة جماعته، في وطنه، يكون وطنياً حقيقياً؛ وأن مسألة الوطنية واجبٌ معنويٌ وماديٌ على الإنسان الراقي الواعي المتحضر عليه أداءه، وعليه تقديمه وعليه

---

الإله المسيطر عليه، إن هذا كان شيئاً مغرياً بالنسبة للأوربيين، السيطرة على الإله، أو العمل في ظل الإله المسيطر عليه، وفق كينونة وسيرورة، وفي ظل خطة يمكن أن تبعد المخاوف؛ العمل دون خوف، أكسب ويكسب الأوربيين ذوي الطموح الجرأة في تمردهم وفي سيطرتهم على الطبيعة وسيطرتهم على الشعوب الأخرى، إن العمل في ظل (إسرائيل) اليهود، أكسبهم شيئاً لا يريدون التخلي عنه. راجع كتاب موسوعة تاريخ الصهيونيةج ١-٣ / د. عبد الوهاب الميسيري، دار الحسام القاهرة ١٩٨٨. أسرار العقل الصهيوني / د. عبد الوهاب الميسيري/ دار الحسام القاهرة دون تاريخ. والأوربي لن يكون مؤمناً حقيقياً إذا لم يكن يؤمن بالتوراة اليهودية!! فمتى رُبِطَ الإنجيل بالتوراة؟ متى سُمي الكتاب المقدس؟ متى أصبح مسيحيو العالم مجبرين على تقديس التوراة اليهودية؟! بما فيهم المسيحيين العرب؛ متى تمَّ توحيد ما سُمي بالكتاب المقدس؟ والمؤلف من التوراة اليهودية والإنجيل معاً وصارت التوراة اليهودية أولاً؟! فإلى أي مدى تم تهويد أوربا والمسيحية والعالم؟

عطاؤه، ويجب على كل إنسان عربي مسلم فاهم واعٍ متحضر تقيٌ وورع، واجبٌ عليه أن يسأل نفسه في كل يوم، ما الذي قدمه في حياته إلى وطنه؟ ما الفائدة التي أفادها لوطنه؟ ما هو الإنجاز الذي أنجزه لوطنه؟ ويجب أن يعرف كل مسلم عربيٍ أن الوطنية هي عطاءٌ وليس أخذاً تحقيقاً لكماله الإنساني.

وذلك على الرغم من معرفتنا الأكيدة أن النهب والسلب والسرقة هي السائدة في هذه الأيام، وأنَّ السلطات العربية في كثيرٍ من الأحيان هي التي تُنظم بالواقع هذا النهب، ولكن مع ذلك فالحقيقة تقتضي أن تكون الروح الوطنية نبراساً للإنسان العظيم، أما المنحطون، فيتبعون أهواءهم، والحق الحق أقول أن من لايمتلك روحاً وطنية، فهو من الرعاع، في دنياه وفي آخرته، وهو من التافهين الذين لا قيمة لهم أبداً، كائناً من كان؛ كبيراً كان أم صغيراً.

ومن العجيب أن نشاهد في بعض الأحيان المآتم الكبرى، والعزاءات؛ تقام لأشخاصٍ أمضوا حياتهم تافهة خالية من أي قيمة، وكانوا في حياتهم كالحشرات؛ وقد تمتعوا في حياتهم بالثروات وبالملذات وبالجاهات؛ وفي تحقيق شهواتهم، ولكنهم كانوا في حياتهم كالحشرات المؤذية، أمضوا حياتهم لا طعم ولا رائحة، إِلَّا النتن، لم تخرج عنهم أي منفعة للناس؛ بل على العكس؛ ومع ذلك فإنهم عندما يموتون تعلق نعوتهم على الحيطان بالخطوط العريضة! في أنحاء المدينة، وينادى عليهم من على المآذن، ويُصلى عليهم، وترفع جنازاتهم على الأكف، ترافقهم طاقات الزهور، وتقام لهم المآتم واحتفالات التأبين الكبيرة! وكان من المفروض أن يكون معيار الاهتمام بالميت! مدى أهميته في الحياة الوطنية، مدى ما ترك من الأثر (الإحسان) في وطنه، وعلى وطنه، الأثر الإيجابي لا السلبي، والحقيقة أن من لم يكن في حياته مؤمناً بالله سبحانه وتعالى، وقد سعى في حياته بإحسان

لخدمة وطنه؛ تحقيقاً لإيمانه، لجعل هذا الإيمان مثمراً، قال ﷺ: «**وأحبهم إلى الله أنفعهم إلى عياله**» إن من لم يكن في حياته وطنياً عاملاً على خدمة وطنه، فهو عند موته لا يستأهل العزاء أبداً.

قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» إنّ من خوارم الوطنية، أن يكون الإنسان كفوراً أو خواناً أو كذاباً أو مؤذياً أو مرتشياً أو محتالاً، أو أن يكون غير شريف، أوغير كريم، أو أن لا يكون صاحب نخوة، أو أن لا يكون صاحب مروءة ونجدة، أو أن لا يكون شجاعاً، أو أن لا يكون وفياً! أو أن لايكون محسناً، فمن الذي أظهر فتنة الاختلاف بين الدين والإيمان، وبين المشاعر الوطنية العربية، ألم يقل رب العزة ﷻ في القرآن الكريم: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، إن الروح الوطنية تتطلب رجالاً أشداء على الكفار الأعداء، رحماء على الأهل في المجتمع والوطن، إن انحراف وانحطاط وتدني مستوى الوعي والفهم لدى الناس في المجتمع العربي، قد أضعف الروح الوطنية العربية، وقد جعلها في ادنى مستوى، حتى بات الإنسان في الوطن العربي، لشدة ضعف الروح الوطنية العربية، أو انعدامها، يحمل أوساخ نفسه وأوساخ بيته وأوساخ محله، ويلقيها في الخارج، في الشارع، غير مكترث وغير مهتم بالآخرين، وهو لايفكر بأنَّ هذا التصرف دليلٌ على انحطاطٍ ودونية؛ ما بعدها دونية؛ لأن ما يلقيه الإنسان المتخلف من الأوساخ في الخارج، من المؤاكد أنه سيعود عليه – فوق رأسه – أضعافاً!

(الأطفال العرب الذين يذهبون يومياً إلى المدارس، ويعودون منها، ونحن لاندري ما يُقال لهم فيها؛ والأطفال العرب الذين يولدون ويعيشون حياتهم في منازل؛ لا ندري أيضاً ما يقال لهم فيها)! إنّ من المُفترض أن يتمَّ في الأسر العربية والمدارس العربية إنتاج وإعادة إنتاج للإنسان العربي المسلم، بالتربية دينياً والرعاية روحياً وعقلياً وجسدياً ولتنميته وطنياً وصقل

مواهبه وترقيته، والسموَّ به، ووجعله يكتسب الأساليب الصحيحة في العلم العالي والأدب الراقي، إنَّ من المُفترض أن يزداد الطفل العربي في كل يومٍ إيماناً بالله تعالى، وأن يزداد وثوقاً بذاته العربية، وأن يزداد فائدةً، وأن يزداد فهماً، وأن يزداد وعياً وقوةً وبسطةً في العلمِ والأدبِ في كل يوم.

وهذه هي مهمة الأسرة العربية الأصيلة، التي كان أمر ضبطها عند العربي أهم من حكم ولاية، وكان يقال أن الدولة يسوسها اناسٌ كثيرون، أما الأسرة العربية فلا ينبغي أن يسوسها إِلَّا واحد مؤمن بالله الواحد؛ حيث لم يكن يزدان الإنسان بأسرته ولكن الأسرة كانت تزدان بالإنسان، وكان البيت، بيت كل مواطن، يُعتبر حرمة مقدسة لا ينبغي الاعتداء عليها أو هتكها أبداً، فلا شيء أعظم من البيت عند الإنسان العربي المسلم، ينبغي العمل على المحافظة عليه وصونه وصيانته والدفاع عن حرمته والزود عن حِياضه، بكل وسيلة، وكذلك كانت المدرسة العربية الأصيلة، المستمدّة من المسجد، فهل تحولت مهمة الأسرة العربية والمدارس العربية، مع لوثة العولمة إلى مجرد مداجن؛ همها إنتاج البيض المُحسَّن، والفروج المُحسَّن، وذلك لسد حاجة السوق المستهلكة الطاحنة؛ مواكبةً للمواصفات العالمية التي تحددها (الإيزو).

## الوطنية العربية أساساً كانت بلا حدود ؛ لأنها ربانية

ولأنَّ العروبة أساساً عبارة عن مشاعر إنسانية متدفقة من الأعماق، خلَّاقة تصنع الرجال، ويُعرَّفُ الوطن لغةً على أنه المكان الذي ولد فيه، أو أقام فيه الإنسان، إن لهذا المفهوم حقيقةً، من الأبعاد الدينية والحياتية الإنسانية ما هو أبعد من ذلك بكثير؛ لأن مفهوم الوطنية نابعٌ أساساً من توطين النفس على فعل الخيرات؛ وهو صادرٌ أساساً عن الثقة بتأييد الله تعالى، وبنصره، (الثقة بالنفس المؤمنة) فتوطين النفس يعني ملؤها بالثقة بالله سبحانه وتعالى، لأنه من الصعب بمكان، تصور الحياة البشرية المجتمعية الراقية السامية دون مشاعر وطنية خلاّقة مستمدة من الدين الحنيف تحفز الناس على التواصل الإيجابي الفعال مع الآخرين، واستمرارية البذل النابع من الذات الإنسانية وإرادة العطاء في كل ما ينتج عن الإنسان (بإحسان) والانتظام بعضوية الجماعة ثم احترام هذه الجماعة (الآخرين) والعمل على خدمتها.

لأنَّ قوة الوطن، بالحقيقة، هي جماع جهود أبنائه المحسنين؛ فعلى كل واحد من المحسنين، (الإحسان في السلوك هو أرقى مستويات الأخلاق) ممن يعيش على بطاح هذا الوطن، وكل وطن؛ الأساس أنَّ عليه واجباً، يجب تقديمه إلى المجموعة (المجتمع) التي يعيش فيها، فالشعور الوطني شعور حضاري عام لكل الناس في العالم، والإنسان الوطني المؤمن بالله سبحانه وتعالى هو أخٌ حقيقي لكل إنسان مؤمن بالله سبحانه وتعالى، ووطني في أي بقعة في العالم كان، مؤمن ولديه روح وطنية أصيلة ويُحب وطنه، فالروح الوطنية،روح مؤمنة، روح نبيلة وسامية، رفيعة المستوى، خلاقة مبدعة، هي الأولى دائماً، بطلة وشجاعة، روح تدعو إلى التعاون والوفاق والتآخي والتعارف بين الشعوب على أساس الحقوق

الإلهية، ولا تدعو إلى التنابذ والعداء أبداً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣]،وفي هذه الآية الكريمة يقرر لنا الله سبحانه وتعالى أنه جعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف، لم يقل ليندمجوا، قال لتعارفوا والله أعلم. إن تجاور الأسرة في الحي الواحد لا يعني بالضرورة، اندماج هذه الأسر في أسرة كبيرة، بحيث تنفتح أو (تنفلش) الأسر على بعضها بعض، ولكن من المهم تعارف وتفاهم الأسر، وإيجاد علاقات طبيعية وفق الشرع الرباني.

فالروح الوطنية أو الحميَّة الوطنية، المفروض أنها موجودة لدى كل إنسان في العالم بالفطرة، كافرٌ كان أم مؤمناً، بل هي موجودة لدى كل الكائنات الحيّة، حتى الطيور والأسماك؛ إن الروح الوطنية هي مثل كثيرٍ من الأشياء التي قد يمنحها، ويهبها الله سبحانه وتعالى للناس كافة، إمكانية لكل إنسان، يجتهد للحصول عليها، العقل، الذكاء، الثروة، المال، الصحة، القوة، فمن أخذ بها أو استفاد منها في الحياة، ووظفها للوصول إلى الحق فله ذلك، ومن تركها أو تخلى عنها، فقد ينسب إلى الغباء، والجهل، والضعف، أوالكفر، أو بالجحود بما أنعم الله عليه! لذلك فقد نعرف أن الكثير الكثير من شعوب الأرض قد استفادت من الشعور الوطني كمنحة إلهية أودعها الله سبحانه وتعالى في عباده، حيث تجمعت وتعاونت لصد عدوها، وتجمعت وتعاونت لنيل الحرية والتحرر، وتجمعت وتعاونت للثورة وللنهوض والترقي، وعملت مجتمعة لنيل السيادة، فلماذا يُطلب من العرب المسلمين العكس، فيطالبون بالتخلي عن المشاعر الوطنية؟

على العرب المسلمين أن يدركوا هذا الأمر وأن يعوه، فلا ينجرفوا وراء سراب التطبيع، إن خداع اليهود للعرب سيستمر مادام العرب في نومهم مستغرقين؛ على أنّ مجابهة اليهود

ليس أمراً مستحيلاً، في حالة إحساس العرب بالسيادة الوطنية، وبإيمانهم العميق، بانتمائهم للعروبة بعد إيمانهم بالله سبحانه وتعالى، علماً أنه ليس هناك أي تعارض بين الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبين انتمائنا إلى العروبة المنبثقة أساساً عن رب العالمين، بل إن رب العالمين ﷻ، أكد على أمره لنا بالتوحد، وضرورة التوحد العروبي، وقد ربط لنا رب العالمين إسلامنا الصحيح بالعروبة، وقد جعلها ربنا ﷻ المعيار والمسطرة والمقياس والمثال والدليل للإيمان، فوصف بها قرآنه وكتابه ولسانه وحكمه، في إحدى عشرة آية كريمة، وأشار لنا رب العالمين أن العرب نواة الإسلام العالمي وبيضته، وأن العرب حملته ومبلغوه للأمم، فقال تعالى: ﴿ **لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٨]، قال تعالى ﴿ **قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ** ﴾ [الفتح: ١٦] فعلى العربي المؤمن الشريف أينما كان، وفي كافة أنحاء العالم، استنفار همته واستثمار ذكائه وتخليق مواهبه وحشد كل إمكانية لديه لنصرة العروبة، في ذاته أولاً، إيماناً بها بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم ومما لا شك فيه أن الوطن الذي لا تعززه مشاعر أبنائه الأحرار، الأبطال، هو دائماً عرضة للاستباحة، والاجتياح من الأعداء، ويُسلب السيادة في كل حين! كالذي حصل، ويحصل الآن للأرض العربية وللإنسان العربي المسلم في العالم، في فلسطين وفي العراق وفي السودان وفي كل مكان!

فمع معرفة الواقع العربي، بما فيه من تسلط الحكام وسيطرة الاستعمار، وتحكم المصالح لفئات محددة ومحدودة بمصير الشعب العربي، ومع معرفة الأوضاع النكبوية للحياة العربية، على جميع المستويات الفردية والجماعية، ومع معرفة ما يعانيه المواطن العربي البائس حالياً من تكبيل وتنكيلٍ وتحكم بمقدراته وحياته بغية إضعافه وإذلاله، مع كل هذه المعرفة، فإن السبيل الوحيد للخلاص العربي الإسلامي يكمن في يقظة وطنية إسلامية عربية، تتفجر في شخصية كل عربي مسلم، في كافة أنحاء العالم. ومع أنّ بعض العرب قد اختصر الطريق، ويئس من

نهضة العرب المسلمين، فانتقل إلى الخندق المعادي للعرب المسلمين، إلى خندق اليهود، خندق أعداء الإسلام العربي، مبررين لأنفسهم، سلوكهم بمختلف المبررات، إنّ هؤلاء يجب أن لا يفتوا في عضد العرب المؤمنين بالله وبنصر الله.

والعرب المسلمون في هذا الوقت بالذات، الذين يتعرضون فيه الآن لأشرس حرب تستهدف وجودهم؛ هم في أمس الحاجة الآن إلى مثل هذا الشعور، وذلك على الرغم من الإساءة التي تمت إلى هذا المفهوم في العقلية العربية، على الرغم مما حصل لمفهوم الوطنية في الذهنية العربية من محاولات تمييعٍ ومحوٍ وتفريغٍ وإزالة وتحويل وتبديل (في بعض المهرجانات الوطنية كانت العاهرات والدواعر تقوم بإنشاد الأناشيد والقصائد الوطنية!!) على الرغم من كل ذلك، فإنه لا مناص للعرب المسلمين من الدفاع عن عقيدتهم الربَّانية، وعن أنفسهم وعن أهليهم وعن مواطنهم! من اللجوء إلى المفهوم الوطني الأساسي، بعد اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، فالوطنية ليست اختراع حديثاً، أو بدعة جديدة كما يظن البعض من الأغرار، عديمي العلم وعديمي التجربة الحياتية، والذين لم يطلعوا على التاريخ الحقيقي، ولا على تجارب الأمم والشعوب، والذين لا يفقهون، خصوصاً الذين يعتمدون في كتابة التاريخ أو فهمهم للتاريخ على المصادر الأوربية المهودة[1] أو الذين يقرؤون القرآن الكريم بعقلية غير

(١) الحقيقة أن هذا التاريخ الأوربي سواءً التاريخ لما قبل الميلاد؛ أم تاريخ الحروب الصليبية أو التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس روايته غير صحيحة أبداً، وهي مشوهة تماماً في الفكر الأوربي وفيها افتراء، إنه التاريخ المزور، والمعمول وفق المصلحة الأوربية -اليهودية، وضمن البروتوكول والتفاهم، اليهودي - الأوربي، والمؤامرة المعقودة بينهم لطمس الحقيقة، حقيقة الفتح العربي الإسلامي وأسبابه الجوهرية الأساسية، القاضية بنشر الإسلام، الدين الرباني الإلهي، والتوسع فيه، وتعميمه والقضاء على الطغاة والمستبدين في أنحاء العالم، وتحرير الشعوب التي كانت مُقَّيَدَةً وتابعةً التوسع العربي الإسلامي، لم يكن في البداية مزاجياً ولم يكن نابعاً من المصالح والأهواء، كما يتوهمون، بل هو إرادة إلهية، كانت هناك رسالة لدى المسلمين، كان عليهم إيصالها إلى كافة أنحاء العالم، من خلال الجهاد، وهذا هو السبب الذي دفع العرب المسلمين في ذلك الزمان، للذهاب إلى الأندلس متجشمين العناء، ومضحين بأرواحهم لنشر الإسلام أولاً =

ولتعميمه وتبليغ الرسالة. وإلَّا فالبلاد التي كانت بحوزة العرب واسعة جداً ولم يكونوا في بداية الفتح؛ بحاجة إلى أراضٍ جديدة، لقد كانت معهم أراضٍ واسعة شاسعة؛ ولم يكونوا بحاجة إلى أموال ولا إلى مكتسبات مادية كما يتوهمون، لقد كانت عندهم أموال كثيرة، ومكتسبات لا حصر لها، فما الذي دفعهم إلى بلاد الأندلس، للاستشهاد على بطاحها، بعيدين عن الأهل والأصحاب؟ هذه قضية لايستطيع لا أرنولد توينبي، ولا غيره من المؤرخين الأوربيين فهمها، وكيف يفهمون قضية التضحية في سبيل الله؟ وأن المؤمنين يبذلون أرواحهم في سبيل هذا الأمر، وأن هذا الأمر خاصٌ بالمسلمين المعربين. إنَّ من الطبيعي أن تكون الرؤى مختلفةً.. ومتباينة حول التاريخ، بين نظرة العرب المسلمين حملة رسالة التوحيد، ونظرة الأوربيين الصليبيين المهودين؛ من الطبيعي أن يكون الفهمُ مختلفاً، وأن يكون وصف الحقيقة التاريخية مختلفاً أيضاً، بين ما يراه المسلمون من العرب...، وبين ما يراه المهودون من الأوربيين.... ولكن من غير الطبيعي أن يُحْمَلَ العرب المسلمون ويُحمَّلون وجهاتَ نظر أعدائهم، وآراء خصومهم، في العقيدة؛ والقضايا الأساسية التي تمس جوهر عقيدتهم ووجودهم! فهل قامت الإدارة الثقافية في الجامعة العربية في وقتٍ مبكر بترجمة وطباعة العديد من الكتب التي تتبنى الرؤى الأوربية اليهودية للعرب والإسلام؟ فكانت أول من قدّم كتاب (قصة الحضارة، بمجلداته الاثنين والأربعين ١٩٥٢) لليهودي ول ديورانت، وكتاب (مختصر دراسة التاريخ ١٩٦٠) للصليبي المهود، أرنولد توينبي، وكتاب (العرب واليهود في التاريخ ١٩٧٠) لليهودي أحمد سوسة. الذي كرس في كتابه المذكور، والذي أصبح مشهور جداً بعد أن أعلن المؤلف إسلامه، فكرس فيه اليهود، واخترع لهم وجوداً في التاريخ القديم؛ جنباً إلى جنب مع العرب؛ وصدَّر لهم في التاريخ أدواراً حضاريةً، لم يكن أحدٌ من قبل يعرف عنها شيئاً!! افتعلها زوراً وبهتاناً وصورها وغرسها في الذاكرة الحديثة للأجيال العربية الحديثة، فصاروا على يد (أحمد نسيم سوسة) بناة للهرم، ولتدمر، ولجرش، وللحدائق المعلقة في بابل! ففي كتاب أحمد نسيم سوسة هذا تجد أن المؤلف بشكل غير مباشر يجعل من اليهود بناة التاريخ ومؤسسيه؛ فهل هذا صحيح؟ راجع كتاب العرب واليهود في التاريخ لأحمد نسيم سوسة، طبعة وزارة الثقافة العراقية ١٩٦٨) هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الجزيرة الإيبرية لم يكن فيها ولا يهودي واحد؛ وذلك قبل دخول العرب إليها، وأن اليهود قد دخلوها بعد دخول العرب إليها، هاجروا إليها من بغداد؛ لَمَّا عرفوا أن الحكم الإسلامي الأموي هناك مزدهر، ومتسامح ففضلوا العمل في ظل الأمويين، ودخلوا في طاعتهم في الأندلس، وفضلوهم على العباسيين في بغداد، لاسيما بعد اضطراب الوضع في الشرق العربي إبان انحطاط الدولة العباسية، وقيام الدولة البويهية وقدوم المغول والصليبية إلى المنطقة، فكيف يصور المؤرخون المهودون التاريخ ويزورونه وكيف يعيدون كتابته، لمعرفة المزيد راجع (صبح الأعشى في صناعة الانشا) لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ١٤/ وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب. دون تاريخ وفي كتابه (يهود الخزر أو القبيلة الثالثة عشرة) يقول آرثر ليستر: أنه إبان نكبة العرب المسلمين في الأندلس وعقب سقوط دولتهم في نهاية القرن الخامس عشر، تعرض المسلمون في الجزيرة الإيبرية لما سميَّ (بمحاكم التفتيش الوحشية) بما فيها من قتلٍ جماعي وإبادة وحشية، وتعذيب للأسرى، ولمن بقي من الأحياء من العرب المسلمين، على كافة أنحاء الجزيرة مذابح، لم يعرف العالم لها مثيلاً، لا من قبل، ولا من بعد، في غاية القسوة والوحشية، مارسها =

ضدهم المسيحيون الكاثوليك المتشددون. وذلك كان بهدف إعادة المسيحية إلى الجزيرة، وهذا كان قد أقتضى من المسيحيين الكاثوليك المتشددين بإرهابهم، أن يخيروا طائفة اليهود التي كانت متواجدة على أرض الجزيرة بين الدخول في الكاثوليكية أو الخروج من الجزيرة، أو التعرض للقتل والتعذيب، ووجِّه لهم إنذار بهذا الخصوص، وتمت بينهم مفاوضات، ولم يُعرف عن حادثة واحدة تعرض فيها يهودي واحد في الأندلس لمحاكم التفتيش التي تعرض لها جميع العرب المسلمين فقط عرقياً ودينياً، وبكل قسوة ووحشية وبربرية! (لكن الإعلام اليهودي في أوربة قد قلب الحقيقة ولفق وأشاع بأن اليهود فقط، هم الذين تعرضوا لمحاكم التفتيش تلك، وقد استثمر افتراءه فترة طويلة، كما زعم الكاتب اليهودي ديورانت في كتاب قصة الحضارة، والإعلام اليهودي يردد افتراءه ليل نهار وذلك لابتزاز أوربة والشعوب الغربية) ويسوق آرثر لستر في كتابه خبراً يقول فيه: إن اليهود عندما خيَّرهم الكاثوليك وأجبروهم، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر بين الدخول في الكاثوليكية، أو الخروج من الجزيرة الإبيرية، أنهم (أي اليهود) قد بعثوا برسالة إلى حاخامهم الأكبر في أوربة يستشيروه فيها، في أمرهم وأن هذا الحاخام الذي كان قد لأبدى بداية استغرابه من وجود يهود في الأندلس قد أشار عليهم في ذلك الزمن برأي كان من أخطر الأفكار التي أنتجها العقل اليهودي، بحيث تحول هذا الرأي فيما بعد إلى سلاح بيد اليهود في العالم سلاح غير مرئي، خطير وفتّاك، يستعملونه (اليهود) ضد غيرهم من الشعوب، وما يزال هذا السلاح إلى الآن، وسيبقى، لا قدرة للشعوب في كافة أنحاء العالم على صده، أو رده، أو دفعه، أو القضاء عليه. فما هو هذا السلاح الخطير الموجود بحوزة اليهود، وقد سيطر اليهود بواسطته على العالم، في كل المجالات بعد أن كانوا عبارة عن شرذمة منعزلة وقد أصبح العالم كل العالم، منذ ذلك التاريخ تحت سيطرة اليهود؛ وهيمن عليه اليهود منذ ذلك التاريخ عندما أرسل اليهود برسالتهم إلى الحاخام فوجئ بها الحاخام، واستغرب وجود يهود في الأندلس؛ كما قال آرثر لستر، فأشار عليهم الحاخام بأن يستعملوا ذكاءهم، فيحافظون على ثرواتهم ومكتسباتهم وأن لا يضيعوها بغبائهم؛ وقال لهم أنَّ بإمكانهم خداع الكاثوليك فيدخلوا في دينهم في النهار في العلن، وأن يحافظوا على يهوديتهم على دينهم اليهودي في البيت سراً وطلب منهم أن يدخلوا في المسيحية بقوة، وذلك بغية خدمة اليهودية؛ وأنَّ عليهم العمل على نصرة اليهودية، من داخل المسيحية، والعمل على تدمير المسيحية من الداخل راجع كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود العالم) لآرثر ليستر/ ت. أحمد نجيب هاشم،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤، ومنذ ذلك الحين لمعت الفكرة الجهنمية الشيطانية في العقل اليهودي، وبدأ اليهود العمل بها على كافة المسارات المسيحية، والإسلامية، وتقاسموا الأدوار في الجانبين، فدخل قسمٌ من اليهود في المسيحية الكاثوليكية، حتى أصبح البابوات في الفاتيكان كلهم من الحي اليهودي؛ يعملون من فوق من أعلى الهرم على استصدار الفتاوى والقرارات العجيبة التي تخدم اليهود، حتى باتت المسيحية تقدس اليهود وكتابهم التوراة، ودخل القسم الآخر من اليهود إلى الإسلام فحملتهم السفن العثمانية وحدهم دون العرب؛ من شواطئ الأندلس إلى ميناء سالونيك العثماني ودخلوا في خدمة الدولة العثمانية منذ ذلك الحين، وكانت لهم في ظل العثمانيين حظوة على اعتبار أنهم أسلموا على يد السلطان، فهم في حماية السلطان، ودخلوا في الطرق الصوفية؛ وتزوج منهم السلاطين العثمانيون =

عربية.

كما هو معروف. وقد عرفوا بـ(بيهود الدونما) ويقال إنهم كانوا سبب انحطاط وتخلف وانهيار الدولة العثمانية مطلع القرن العشرين، وهناك قسمٌ من هؤلاء اليهود الذين كانوا في الأندلس، قد دخل المغرب ودخل في الإسلام فنال الحماية من إمبراطور المغرب ودخلوا السلك الإسلامي في المغرب منذ ذلك الحين، ويُقال أنّ أسرة كانت بيدها الفتوى في المغرب، منذ القرن الخامس عشر، أن هذه الأسرة في عام ١٩٦٧م وغادرت هذه إلى فلسطين لتنضم إلى اليهود!

# العروبة ليست عرقاً، ولا جنساً مغلقاً، أو مقفلاً، أو قومية محدودة، بل هي شعور رائع بالانتماء الحضاري إلى أمةٍ الأمم

معلوم أنّ العروبة ليست عرقاً، ولا جنساً مغلقاً أو مقفلاً أو قومية محدودة، بل هي شعور رائع بالانتماء الحضاري إلى أمةٍ الأمم، وهذا الشعور ليس وقفاً على جنسٍ معين من البشر، بل يمكن لأي من الناس في العالم الدخول في الأمة العربية، فقط عليه أن يُخلصَ الدين لله الواحد، ويصدِّقَ رسوله الكريم، وأن يُحبَّ العرب، وأن يتحدث على أرضهم بلسانهم، اللسان العربي المبين، فالعروبة جنسية مفتوحة، غير مغلقة، كما هي الحال في القوميات الأخرى، إن العرب المسلمين، ومنذ قرون، يتعرضون لاعتداء اليهود والاستعمار الأوربي، وهم يعيشون كفاحاً وجهاداً مستمراً ضد اليهود والاستعمار الأوربي الأمريكي المهود، بل يجب أن يعيشوا هذه المواجهة بطرق عديدة، مناهضة لليهود وعملاء اليهود والجهاد العربي الإسلامي لا يعني جهاداً بالحرب والقتال فقط، بل إنّ هناك أنواعاً من الجهاد والنضال متعددة يجب على كل عربي مسلم ممارستها، جميعها ضد أعداء الله والعروبة، في كافة الميادين وذلك بالإضافة إلى استمرارية الكفاح المسلح المشروع، ضد أعداء الله سبحانه وتعالى، ثمَّ ضد أعداء الوطن. يجب على كل عربي مسلم تربية أولاده على حب العرب والإخلاص للعروبة المسلمة، وطناً منشوداً هو مركز الإيمان، وأمَّةُ مؤمنة، لا أروع، هي أمة الأمم، وذلك على الرغم من الواقع المرير، وأن اليهود هم مصدر الفساد في العالم، وعلى العربي المسلم أن يعمِّق إيمان أولاده بالله العظيم، سبحانه وتعالى، وانتماءهم إلى العروبة، وإحساسهم بالعروبة، وبالروح الوطنية العربية، وأن يُمَجِّدَ انتماءهم لهذه الأمة العظيمة، ناقلاً إليهم الحقد على أعداء العروبة، وعلى ضرورة الانتقام

من أعداء العروبة انتقاما شديداً، على أنّ العروبة هي مادة الإيمان ومعدنه، وأن يثقوا بالله العظيم، وأن وعده الحق وأن النصر قريب. إن هذا الوضع، الصراع بين العرب المسلمين واليهود، والصليبية المهودة، لن ينتهي أبداً، إنه موضوع عقائدي لدى اليهود، ولن ينتهي إلّا إذا انتهى اليهود من الوجود وإلا إذا خرج اليهود من اليهودية وهذا مستحيل! أو أن يخرج العرب من إسلامهم، وعروبتهم، وهذا مطلق مستحيل، قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾** ﴾ [الفتح: ١٦] لذلك فإن القضية والمعركة بين العرب واليهود، مستمرة ولا يمكن أن تتوقف، أو أن تنتهي.

# دور اليهود في بث الفكر المادي بين البشر[1]

إلى ذلك أخذ اليهود يعملون على رسم صورة لهم في ذهن البشرية والاتصاف بصفة (شعب الله المختار)؛ وعلى بث الفكر المادي العقيم بين البشر، في مختلف بقاع العالم[2]، فنشط

(١) حدثني أحد الأصدقاء عام ٢٠٠٠م وكان دكتوراً في الأدب الإنكليزي، وهو عربي مقيم في (أدنبرا) شمالي بريطانيا فقال: أنه في بلدة قريبة من أدنبرا مكان إقامته، في إنكلترا، يوجد هناك فريق لكرة القدم، مثير للاشمئزاز، ومكروه من الجمهور هناك؛ ولكنه دائماً يربح المباريات، أعضاؤه يسمون أنفسهم فريق العرب! ويكتبون على قمصانهم عبارة (فريق العرب) وهم، لا يوجد فيهم ولا واحد عربي أبداً، بل على العكس تماماً، فإنهم هناك يكرهون العرب كراهية شديدة! فسألته وكيف ذلك؟ كيف يكرهون العرب، ولماذا يكرهون العرب؟ ثم يسمون أبرز فريق لكرة القدم هناك، وأبرز اللاعبين، بالعرب؟ والإنكليز معروفون بعشقهم لكرة القدم؟ فقال نعم فهنالك سر وهو أن أعضاء الفريق دائماً يظهرون في الملعب ويتعمدون التوحش والمشاكل والضرب والشتم بالألفاظ النابية؛ ويتعمدون أيضاً تشويه أشكالهم، وتلويث وجوههم وثيابهم بالطين، ودائماً يتلفظون بالألفاظ النابية، والجمهور يحتقرهم، ويضربهم بالبندورة والبطاطا، ويصدر لهم الأصوات، والإشارات غير المريحة ويشتمهم، وهم يتحملون كل ذلك! إن الجمهور يشتم ـ من خلالهم ـ العرب! ومع ذلك فإنهم يكسبون جميع المباريات، ويتسمون بالعرب! فهل كانت هذه دعاية سبقت العرب إلى بريطانيا، رتبها اليهود من أجل سمعة طيبة للعرب؟ في حين أن القوانين والدساتير في كافة أنحاء أوربة من روسيا، إلى ألمانيا، إلى بريطانيا، إلى فرانسة وإيطاليا واسبانيا والدول الاسكندنافية، وغيرها، إلى أمريكا إلى استراليا، في جميع تلك البلاد هناك تحريم قطعي مشدد عليه بالقانون؛ ينصُّ على أن القانون يعاقب على أي إشارة بالكراهية أو الاحتقار لليهود (الساميين!!) وهذه الحالة فقط يعتبرونها معاداة للإنسانية، تستوجب الملاحقة القانونية!

(٢) وواضح مدى الخلط الواسع، الذي لا شك، أنه كان قد صدر عن مؤرخين أوربيين يهود معروفين بعنصريتهم وتشددهم ضد العرب والإسلام، فهم في رأيهم يعتبرون أنّ العرب، (كانوا مجرد سلالات همجية كانت تسكن الشرق الأدنى!) و في رأيهم أيضاً أنّ (الإسلام كان مجرد رد فعل على البيزنطيين عندما حاولوا بسط نفوذهم أو قوانينهم على الجزيرة العربية) وهذا كله راجعٌ إلى ثقافتهم التوراتية المنبع، التلمودية المصب، مثلهم مثل كل المفكرين الأوربيين، والتي من الواضح، أنهم لم يستطيعوا الخروج منها، على الرغم من ادعائهم الموضوعية والحياد، بينما الحقيقة أنه ليس لليهود، أي علاقة ببني إسرائيل، ولا بسيدنا موسى، ولا بسيدنا عيسى بن مريم، المذكورين في القرآن الكريم، لا من قريب، ولا من بعيد، إلَّا في كون اليهود أساسا، عبارة عن قبيل من غير العرب، ولا يمتُّون بصلة إلى العرب، ولا إلى التوحيد أبداً فهم غير موحدين؛ لهم إله اسمه (يهوا) مختلف تماماً في مواصفاته عن الله رب العالمين، الذي يؤمن به المسلمون! وهم كانوا جزءاً من المجوس، دخلوا بلاد العرب في فترة مشؤومة، من فترات التاريخ، وكانوا أسرى، جيء بهم أسرى وعبيداً ليخدموا العرب من بني =

إسرائيل، أسروا من شمال الهند، غربي الصين، من سفوح جبال الهيملايا، ليخدموا العرب من بني إسرائيل، في بلاد العراق والرافدين. وليس لليهود أي علاقة ببني إسرائيل، (فعندما كانت الطواعين، في سواد العراق، تحصد الناس من رعايا الملوك العرب من بني إسرائيل، في كل مرة، كان الملوك من العرب في بابل يسارعون إلى تنظيم الحملات لجلب العبيد والأسرى من السلَّة البشرية؛ التي كانت، ولا تزال، في شمال الهند والصين، إن جميع الإمبراطوريات القديمة، التي قامت في المنطقة العربية، كانت تعمل على بسط سلطتها إلى الهند، وكانت مسألة الأسر (أسر القبائل أو العشائر بقضها وقضيضها) عادةً كانت تمارس في ذلك الزمان. والتاريخ يروي أنَّ الإسكندر المقدوني، كان قد وصلَ إلى الهند؛ وقد حكمها، وتحكم بها، راجع مقدمة كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع. كذلك فإن عرب الموالي الذين يتواجدون الآن في شمال الجزيرة الفراتية وحلب، أساساً هم من عرب، جزيرة العرب، تقول الروايات أنهم كانوا قد أسروا من شمال الحجاز؛ واقتادتهم الجيوش إلى أقصى الشمال؛ وذلك للعمل في الأراضي التي سبق وأن هلك عنها أصحابها ومزارعوها في الطاعون، (عن كتاب عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا) وكذلك جُلب اليهود من سفوح جبال الهيملايا، إلى سواد العراق، جلبهم الملوك العرب من بني إسرائيل، وذلك لاستخدامهم في فلاحة الأراضي التي كان يُخشى أن تبور، ولا تزال المعابد الوثنية هناك تشهد على علاقة اليهود الوثنيين أصلاً، بالوثنية، ولا تزال تلك المعابد تشهد على صلة اليهود بالوثنية، ذات المنشأ المجوسي؛ وابن بطوطة في رحلته المشهورة، زار تلك البقاع، وحدثنا عن زيارته المثيرة لمعابد السامرة في شمالي وغرب الصين، عندما تجاوز في رحلته الحدود الهندية، الصينية وحدّث عن عاداتهم وتقاليدهم، والتي تنطبق على عادات اليهود اليوم، في كل شيء، وكل الانطباق. والواقع أن الغجر الذين لا شك أنهم أتوا من الهند، وذلك بدلالة جميع الدراسات التي تحدثت عنهم، بما فيها تلك التي قام بها غجريون، جميعها أشارت إلى أصول الغجر، وأجمعت على أنهم، أتوا من سفوح جبال الهيملايا.

إن التقارب الشديد بين أشكال الغجر وأشكال اليهود، والتشابه الشديد بين أمراض الغجر وأمراض اليهود، والتطابق الشديد جداً بين عادات الغجر وعادات اليهود، ودينهم الواحد، وعاداتهم الواحدة، وأعيادهم المشتركة، والغجر في جميع دول العالم يحتفلون بعاشوراء، كذكرى لأحد قديسيهم، وعاشوراء كان بالنسبة لبني إسرائيل من قديم الزمان كان يوماً، نجى به اللهُ موسى من فرعون، واليهود بالنسبة لهم؛ فإنَّ الموضوع صار مختلفاً والغجر واليهود الواحدة إلى المرأة، ونظرتهم الواحدة للعالم والإله الخاص بهم!، واللغة المتشابهة جداً والحالة الاجتماعية الشديدة التطابق، بما فيها الترحال الدائم والشتات الدائم، ومعاناتهم من اللعنة الأبدية، التي تلاحقهم وترافقهم في حلهم وترحالهم، عداءهم للأخر، ومؤامرتهم الدائمة على المجتمعات الأخرى، كل هذا إن دلّ على شيء فعلى أصول مشتركة بين الغجر واليهود، وأن لهم أرومة واحدة، أو أنهم صدروا تاريخياً عن منطقة واحدة، والغجر أصولهم غير عربية حتماً، وهذا دليل أكيد أن اليهود غير عرب وليس هناك يهود عرب ولم يكن في يوم من الأيام هناك يهود عرب! أبداً، وإنما كان هناك فئة من العرب تهودت، في فترة من فترات التاريخ، قبائل من العرب العاربة التي كانت قد تهودت، وقد تشكلت على أرضها دول كانت مهودة، ذات تبعية لم تكن حرة، كانت مفروضة من الخارج، من أثينا أو من روما، أو من بلاد الفرس.

كان اليهود فيها عبارة عن عمال اعتمدت عليهم تلك العواصم للتحكم بالعرب، وذلك لما كان يتصف به اليهود من =

عداء سافر للعرب، لاعتقاد اليهود أن العرب هم الذين أسروهم أو أنهم، هم أول من استعبدهم وأهانهم وجرأ الشعوب على إهانتهم، أو أن العرب هم الذين تسببوا بأسرهم! وجلبهم من بلادهم. لذلك اعتمدت عليهم روما وأثينا والمدائن من قبل، وذلك كما اعتمدت عليهم بريطانيا وفرنسة، وكما تعتمد عليهم أمريكا الآن نتيجة حقدهم الدفين على العرب، بعد أن اعتمدت عليهم جميع تلك الإمبراطوريات السابقة واللاحقة؛ اعتمدت عليهم في حكمها للعرب، وشكل اليهود طوال تلك الحقب موظفين لقبض الضرائب، والنسب، وجواسيس، وأدلاء، وقادة حملات، بلا رحمة، على الموحدين العرب، لم يكن اليهود من الموحدين؛ وقد قاموا بالتنكيل بالعرب، والإساءة إليهم بكل طريقة، لم يدعوا وسيلة تمكنهم من النيل من العرب إلَّا وسلكوها، وفي بعض الحالات كانوا يعينون كحكام للدويلات العربية، التي كانت تنشئها تلك الإمبراطوريات، مثل الدول التي قامت في اليمن في حقبة من حقب التاريخ قبل بعثة الرسول العربي الكريم ﷺ والقرآن الكريم ينبئنا بكثيرٍ من القصص والأحداث التي توضح لنا الكيفية التي تعامل فيها اليهود مع العرب، لاسيما حادثة أصحاب الأخدود، وغيرها، لكن الحقيقة الغائبة كانت دائماً بعيدة، أو أبعدت، والمثل يقول (إنّ الغائبين دائماً مخطئون!) فاليهود، أساساً، لا علاقة لهم بالعرب، لم يكونوا أبداً من النسيج العربي، ولم يكن لهم علاقة أبداً، أيَّ علاقة، بالأرض العربية، وليس لهم في التاريخ العربي القديم، على طول الأرض العربية وعرضها، أيَّ وجودٍ يذكر إطلاقاً، سوى كونهم دخلاء غير مرغوبٍ بهم، متطفلين في ضواحي بعض المدن العربية، يقومون بأدوار الخسة والمؤامرة، على الناس، مما حدا بالرسول العربي الكريم، ﷺ الأمر بجلائهم عن جزيرة العرب، وتوصيته بإجلائهم عن أرض العرب، وأن أخر كلامه ﷺ أن أجلوا اليهود عن أرض العرب، وهو ﷺ ما ينطق عن الهوى، وهو ﷺ، لم يكن ليضع الندى موضع السيف، ولا السيف في موضع الندى، لقد قام اليهود بانتحال شخصية بني إسرائيل، الأقوام العربية البائدة، وقاموا بتشويه التراث الشِفاهي المحكي، لبني إسرائيل العرب، والذي كان موجوداً ودائراً كحكايات، وأساطير لدى القبائل العربية، قاموا بسرقته، وادعائه والانتساب إليه، فاليهود أصلاً قبيل أشبه بالغجر، (النَوَر)، دخل أرض العرب، قبيل ظهور الإسلام ببضع عشرات من السنين، قادمين من شرق آسيا في موجات، عبر أفغانستان وإيران، ثم وصولاً إلى اليمن، ثم شقَّ قسمٌ منهم، متوغلاً إلى داخل الجزيرة العربية، إلى المدينة(يثرب)، فشكلوا حولها ما عُرف بالصياصي، وهي حصون طينية بسيطة، وقصتهم معروفة، إلى أن أجلاهم الرسول ﷺ، بينما أخذ قسم منهم، ممن حلّ في اليمن وتابع طريقه إلى الحبشة، مشكلين هناك ما يُدعى بالفلاشا.ولا أساس حول ما يزعمه اليهود عن ما سمي بالسبي البابلي. إن القضية المزعومة، عن أن سبيا قدً حصل لليهود، من أرض العرب، لهو ادعاء باطل مزعوم، إن القضية المزعومة عن السبي ونبو خذ نصر، على أن ذلك قد حصل من الأرض العربية، وغير ذلك من الكذب والدجل التاريخي المزعوم، تماماً كما فعلوا في الكتابة لتاريخ أوربة الحديث، والحرب العالمية الأولى والثانية، فاسحين المجال واسعاً، لذكر مذابح اليهود المزعومة من قبل النازية، وكان هذا كذباً وباطلاً، ومن أجل ذلك، عملوا أفلاماً في هوليود، التي يديرها أصلاً حاخامات اليهود، وبرامج كثيرة تبث ليلاً نهاراً، في التلفزيونات والإذاعات، والمجلات والجرائد، والصحف، وحديثاً على الانترنيت، برامج لا حصر لها، يعدّها ويبثها الإعلام اليهودي العالمي، إلى أن صارت الحبة قبة، وصار اليهود =

ضحايا الحروب الأوربية؛ وقربان الثورة فيها! تماماً كما حدث التزوير اليهودي للتاريخ القديم، حتى أنَّ اليهود في لندن لا يتوانون عن تزوير أسطورة كأسطورة (كلكامش) القديمة بحيث ضمنوها معطيات توراتية يهودية! فكانت الترجمة عن الإنكليزية قد تضمنت زيادة في النص عن الألمانية!

إن الحديث عما سمي، مخطوطات قمران، أو مخطوطات البحر الميت، كان فيلماً يهودياً مكشوفاً، لا أساس له من الصحة، وهو برمته نكتة، اخترعها اليهود، ودبروا لها السيناريو في الدولة اليهودية، باحتيال ليس له مثيل، فلم يثبت وعلى طول البلاد العربية وعرضها، من قمم جبال طوروس، ومنابع دجلة والفرات، إلى منابع النيل، وجنوب الصحراء العربية الكبرى، ومن المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي وبحر العرب، لم يثبت أبداً، وعلى مدى الأيام وليس هناك أي دليل على علاقة اليهود بالمنطقة العربية لذلك لجأ اليهود إلى اختراع الدليل وإلى افتعال الدليل، فكان سيناريو فيلم مزعوم مضحك، عما سمي مخطوطات قمران والبحر الميت، وربما كانت المخطوطات، إن وجدت، فإنها تبرهن على عكس ما وظِّفَتْ له من الأغراض الإعلامية، بعد تلفيق ترجمة وتشويه أصول، لقد دخلت المفاهيم اليهودية التوراتية إلى كل زاوية في حياتنا إلى حدٍ غير معقول فتغلغلت، وعششت في وعي الكثيرين، ولكن إلى أين؟ فلا بد من إعادة النظر. إن قصص بني إسرائيل، الأعراب، وهم القبائل العربية القديمة، وكل حركتهم يدلنا عليها القرآن الكريم، ويشير على أنها جرت في البقعة الجغرافية، الممتدة بين أواسط بلاد الشام، وإلى الشرق منها إلى أواسط إيران الحالية، إلى الشمال وحتى رؤوس الجبال في السلاسل الشمالية، إن طعام المن والسلوى، الذي ذكر في القرآن الكريم، وكذلك في التوراة، لا يعرف في فلسطين، ولا في بلاد مصر، ولا في وادي النيل أبدا!! بينما هو وإلى الآن، موجود في التراث الشعبي لمناطق الإقليم الشمالي، لبلاد إيران وبلاد العراق، والمعروف بالسليمانية، أو كرسي سليمان! والمن والسلوى هناك، لا يزالون يلتقطونه في المواسم ويجدونه على الشجر على شكل خيوط، (من هنا جاءت فكرة الشرائط الملونة، التي تنزل على شجرة عيد الميلاد، في ذكرى الميلاد، عند اليهود؛ في احتفالات اليهود) وتحت الشجر ككتل الصمغ، (ومنها جاءت لليهود فكرة الهدايا المعلقة في شجرة الميلاد، إنها أساساً المن والسلوى) وهي موجودة في تلك الجبال فقط، (لا يوجد في أي منطقة أخرى في العالم) يصنعون منه الحلوى ذات المذاق الفريد من نوعه.

والشيء بالشيء يذكر، فإنه ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال «أنّ الكمأة من المن» والمقصود بالمن، في اللسان العربي المبين، أي ما يَمُنُّ اللهُ به على عباده، والله سبحانه وتعالى هو المنّان، وسمي المن، لأن الله سبحانه وتعالى أخرجه للناس بدون أن يبذلوا أي جهدٍ لزراعته، فهو يَخْرُجُ من تلقاء نفسه، بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وهذه الكمأة أول ما أخرجتْ لبني إسرائيل العرب، أمهات القبائل العربية، عندما كانوا قد آمنوا بالله وأصبحوا مسلمين موحدين لله سبحانه وتعالى، مسلمين مع سيدنا موسى، قال تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٥٧]، الكمأة هذه غير موجودة ولا تنبت في أي مكان في العالم سوى في بادية الشام، ما بين الشام والعراق، وقد فشلت كل المحاولات لاستنباتها، أو للعثور عليها خارج هذا المكان.

هذا ويوجد في الجهة الشمالية من الخليج العربي (خور) يمتد من البحر (شمال الخليج العربي) ويشق اليابسة، ويبلغ =

اليهود في هذا الاتجاه، نشاطاً واضحاً، مكنهم من السيطرة على جماعاتٍ كثيرة تحت شعارات مادية، ومغالطات فكرية، لم يقم دليل واحد على تأكيد صحتها، وكان من أبرزها فرضية اليهودي شارلز دارون١٨٠٩-١٨٨٢ في كتابه أصل الأنواع الذي ظهر عام١٨٥٩، لقد صادفت فرضية دارون هذه في أوربا حملات واسعة ضدها، وانحسرت أخبار هذه النظرية مراراً وتكراراً، فجددها اليهود وألحوا على فرضها، وجندوا كل طاقاتهم الإعلامية والثقافية على احيائها؛ وركزوا عليها حتى فرضوها فرضاً على الشعوب في العالم، لقد شجّعوا، بكل السبل، كل كاتب في العالم امتدح نظرية دارون، الأمر الذي ولَّدَ واستنبط، خلال القرن العشرين، فرضيات ونظريات مادية جديدة، قلبت الحقائق وقلبت القيم، وصارت القيم تروج بحسب ما تقدم من منفعة للناس [1]، (لم تعد الحقيقة مصدرها الوحي الإلهي، أو التأمل

---

طوله في أيام المد حوالي ٣٠٠كم ويسمى (خور موسى) وتعبره السفن أيام المد وتدخل فيه، فلماذا يدعى (خور موسى) وهل له علاقة بموضوعنا؟ إن المعنى العربي المبين للفظة إسرائيل، هو عبد الله، أو أسير الله، وفي القرآن الكريم ورد لفظ إسرائيل مجرد، بدون لفظ بني مرتين، ويشير القرآن إلى أن إسرائيل كان عبداً صالحاً لله تعالى، وكان إسرائيل عليه السلام، وهو في القرآن الكريم غير سيدنا يعقوب ﷺ، لأن إسرائيل كان يحرم على نفسه في حياته أنواعاً من الطعام، وذلك تقرُّباً من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وما حرمنا على بني إسرائيل من الطعام إِلَّا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) ٩٣ البقرة، ولم يُعرف عن سيدنا يعقوب أنه فعل ذلك، كذلك كان سيدنا يعقوب من ذرية إبراهيم وإسرائيل، كما هو واضح في سورة مريم، وليس من المعقول أن يكون سيدنا يعقوب من ذرية نفسه، وكان رب العالمين في الآيات السابقة، قد عدد مجموعة من الأنبياء من ضمنهم سيدنا يعقوب قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] إن سيدنا يعقوب في القرآن الكريم، هو نبي من أنبياء الله وهو غير إسرائيل، وإسرائيل غير يعقوب، وهذا الخلط بين الشخصيتين وارد من توراة اليهود! وهو إملاء من إملاءات اليهود على الفهم العربي للدين والتاريخ!

(١) يقول فراس السواح في كتابه (الأسطورة والمعنى ص ٢٨١): إنه بسبب الصلة التي يعقدها اللاهوت اليهودي بين الدين (الدين الخاص باليهود)، وتاريخ شعبٍ معين (تاريخ اليهود)، صارت هذه الصلة لدى اليهود قوية، بحيث لم =

أو الحكمة، بل أصبحت فرضية للاختبار، وكذلك الأخلاق، والتي أصبحت بحسب العامل المادي، عبارة عن نتيجة للتطور الاجتماعي وأنها صارت تتأثر بالمحيط وعوامل البيئة وبالتالي أصبحت غير مطلقة، وصار لابد من خضوعها للتطور، ولذلك فإن اليهود في فلسطين، واليهود والجيش الأمريكي في العراق وفي أفغانستان في كل مكان، يعتبرون الأخلاق كالمادة، تصلَّب وتسخَّن وتبرَّد، وبالنسبة لهم فإنهم يعتبرون الإنسان نتاجاً لنشاط الغدد الحيوية! وبالتالي فيمكنهم أن يُجروا عليه كل الاختبارات، هذه هي نتائج البراغماتية، (الفلسفة الأمريكية) التي هي عبارة عن صورة من نصائح التلمود عند اليهود، أو هي وصفة من وصفات ذلك الكتاب اليهودي المقدس!)[1] (أليست (إسرائيل) تعني للأوربيين والأمريكان، في الفكر (الغربي الأمريكاني) الإله المأسور، أو الإله المعتقل، أو الإله المكبل، إن هذا كان شيئاً مغرياً بالنسبة للأوربيين، السيطرة على الإله، أو العمل في ظل الإله المسيطر عليه، وفق كينونة وسيرورة، وفي ظل خطة، يمكن أن تبعد المخاوف؛ (العمل دون خوف)،

يستطع أيٌ من الباحثين التمييز بين الدين لدى اليهود والتاريخ اليهودي؛ ويقول: ولكن إلى أيٍّ حدٍ يمكننا الوثوق بالرواية التوراتية اليهودية؟ وإلى أي حدٍ تكتسب الرواية اليهودية للتوراة مصداقية تاريخية؟! وإلى أي حدٍ نستطيع الوثوق بالمخطط التاريخي العام، (الموزع على العالم بالتصور، وبالتصميم اليهودي، وذلك كما رسمه محررو التوراة اليهود، إنّ ما صار يسمى بالدين اليهودي ما هو إلَّا تاريخ مفترض لشعب معين ويضيف ص ٢٨٢، إنّ الباحثين في الغرب، وخلال الربع الأخير من القرن العشرين، قادتهم الأبحاث إلى الفصل بين الصورة التاريخية لليهود وصورتهم في التوراة اليهودية، وبالتالي قادتهم إلى الفصل بين تشكل عقيدة اليهود وذلك التاريخ المفترض لليهود؛ لذلك فقد تحولت التوراة اليهودية إلى تركة أدبية تاريخية تتطلب هي نفسها التعليل!! ويرى معظم الباحثين أن التوراة اليهودية قد دونت خلال القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد (وهذا ما نصت عليه التوراة اليهودية ذاتها!!) ويضيف إن تاريخ التوراة اليهودية ما هو إلَّا أخيولة تنتمي إلى مجال الفانتازيا أكثر من إنتمائها إلى التاريخ وبالمقابل فإن جميع السجلات الكتابية والآثار للحضارات القديمة لم تورد خبراً واحداً يدعم رواية التوراة اليهودية إطلاقاً ويضيف في ص ٢٨٩، بأن كلمة (يهوا) كانت تطلق على العجل (لدى المجوس)

(١) وليد مدفعي، من الأسطورة إلى التوحيد، دين واحد لا ديانات، دار المختار دمشق ٢٠٠٤.

أكسب ويكسب الأوربيين ذوي الطموح الجرأة في تمردهم وفي سيطرتهم على الطبيعة وسيطرتهم على الشعوب الأخرى، إن العمل في ظل (إسرائيل) اليهود، أكسبهم شيئاً لا يريدون التخلي عنه)[1]. ودائماً كان الغرض منه بالنتيجة، النهب، والسيطرة، الشمال على الجنوب والطغاة الكبار على قليلي الحيلة من الفقراء والمستضعفين في الأرض، هذا النظام الذي بات يسيطر فيه الشيطان على الإنسان، يمسخه ويعلبه[2]، أو هو الإنسان قد تحول في مطلع الألفية الثالثة أو حولوه، إلى مجرد وعاء بلاستيكي، يُملأ بالشهوات، ثم يستنزف دمه من الأصابع! بل خُدِعَ الإنسان في العصر الحديث، والمهوَّد، أو هو بقيادة أمريكا المهودة والصليبية الأوربية المهودة أيضاً، والواقع في فك خطير، بحيث تحول الإنسان في هذا العصر الحديث إلى مجرد مستهلكٍ لموارده، وطاقاته الذاتية، والتي هي بالأساس محدودة، بعد تخلي الإنسان، أو ابتعاده عن أمداده الإلهية؛ أصبح الإنسان يكرر طاقاته الذاتية المحدودة، ولا بد لهذه الطاقة المحدودة من النفاد، وكان الإنسان في هذه الحالة كالقط الذي لَعَقَ الدم عن المبرد، إنه يلعق دم

(١) موسوعة تاريخ الصهيونيةج١-٣/ د. عبد الوهاب المسيري، دار الحسام القاهرة ١٩٨٨.

(٢) كيف صار العرب في مطلع الألفية الثالثة، يتهافتون على لبس بالات الشعوب الأوربية؛ في حين كان فقراؤهم، وحتى ستينيات القرن العشرين يأنفون من شراء الألبسة المستعملة! وكانت أرضهم مركز العالم، وفيها ثلاث أرباع الثروة العالمية، فكيف صار العرب الذين شرفهم الله سبحانه وتعالى بأن ألقى على عاتقهم تبليغ رسالته كيف صاروا ينتظرون الفتات من موائد الشعوب الأوربية؛ وأرضهم كانت تعتبر سلة الغذاء العالمي، كيف صار العرب يرجون فرصةً للعمل، أو منحةً للدراسة في الدول الأوربية؛ في حين كان يجب أن تكون أرضهم موئلاً للعلم والعلماء وقد جعل الله سبحانه وتعالى أرض العرب قبلةً للكون، ومن الذي ركبَ ورتب الحياة العربية بالمقلوب، لتصل إلى ما وصلت إليه من إهانة وذل بالعرب وأجيالهم، في حين كانت منزلة اليهودي، أحط من منزلة الدواب، فكيف قُلِبت الموازين، ألم يقل رب العالمين للأعراب، ويعدهم بالمنزلة والدرجة الرفيعة، والأجرالحسن، والمقام العظيم، ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦].

ذاته، فلا بد أن تكون النهاية وخيمة! وإلَّا فماذا نسمي التحول الخطير الذي طرأ على البنية، بنية الإنسان مؤخراً.

# تراجع خطير في بنية الإنسان

إن اعتماد الإنسان المفرط على التكنولوجية، في مختلف المجالات الحياتية، سبب له تراجعاً خطيراً [1]، بل سبب له انعداما كلياً لقدراته الهائلة، وطاقاته التي في الأساس كانت

(١) في عصر الانحطاط لم تكن المعرفة بسيكولوجيا الإنسان، قد نمت وتوطدت على النحو الذي نجدها عليه اليوم سواء في الغرب أو في الشرق، ولذلك كان أسلوب الحكام والغزاة أسلوباً مباشراً ووحشياً في معاملة الشعوب، فقد كانوا يعمدون إلى سلب الإنسان قوام حياته المادية وتدمير أمنه السياسي والحجر على عقله بشكل مباشر وصريح دون أي تمويه أو تزوير، ولذلك ظل الإنسان في ذلك العصر يشعر بما ينقصه، بماهيته وأبعاده المستلبة، فكان لذلك يجهد في سبيل تعويض تلك الأبعاد بما يماثلها دون أن يثير حفيظة الحكام. حقاً لقد حطم الحكام في ذلك الحين عالم الإنسان الخارجي إذ لم يكونوا يرون سوى ذلك العالم، ونقصد بالعالم الخارجي بعد البقاء بمختلف تقنياته: الأداتية، الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية الخ. ولكن الحكام إذ فعلوا ذلك، فقد دفعوا بالإنسان إلى أن ينقل مملكته إلى داخله، فيقيم عالماً داخلياً قوامه تنمية أبعاد القيمة. كان الفرد معزولاً عن عالم الأشياء، فالأشياء ليست ملكه ولكنها ملك الطاغية، وكان الفرد أيضاً خارجاً بصورة تامة من كل مشاركة فعالة في قضايا الدولة، فهذه أيضاً من شأن الطغاة وليست من شأن الرعية، ولذلك مارس هؤلاء الأفراد فعاليتهم داخل الإنسان، وعاشوا حياة داخلية لم تكن تملك موضوعاً خارج ذاتها، ولم تكن تملك التعبير عن نفسها إلَّا بالإشارات والرموز. لقد عزل الفرد عن الواقع الحي الذي يجعل هناك حياة اجتماعية بالمعنى الصحيح، فما كان منه إلَّا أن أقام عالمه الداخلي على نحو مبالغ فيه. هكذا نجد عصر الانحطاط عصر ازدهار ثقافي، ففيه وضعت المؤلفات الضخمة، ونجد فيه أيضاً تلك النماذج الفذة التي كانت بمثابة شواهد تذكارية للشموخ الإنساني، مثل بعض المتصوفة والشعراء. ونجد فيه جمعيات يسودها الود والصفاء تحاول أن تكثف في ذاتها حوار الجماعة المفقود.

حقا لقد كان عصر الانحطاط عصرا مقوضا من أساسه، ولكن شظاياه كانت ما تزال حية، كان مثل أطلال مدينة عظيمة ذهب رونقها ولكن معالمها الأساسية ما تزال قائمة، تتيح للإنسان أن يعيد صورتها في ذهنه. وأخيرا لم تكن الاميركانية بعبقريتها الهائلة في التزييف قد وجدت بعد، ولذلك فقد تحطم الإنسان دون أن يزور، أما عصرنا فهو عصر الاميركانية، كما رأينا، ولذلك لا يجد الباحث أطلالا ولكنه يجد (ديكورا) ضخما يوحي بأن هناك (حضارة) ولكنه ديكور مزيف أشبه بالديكورات التي تتقنها صناعة السينما فيُخيل إليك أمامها أنك أمام روما أو أثينا القديمتين وأنت في الواقع أمام صفائح من الورق المقوى. ان العرب يسمون عصرهم الحاضر بعصر النهضة الحديثة وهذه التسمية تترك في نفوسهم ارتياحا، فيشعرون) بأنهم تجاوزوا عصر الانحطاط وظلامه وهم يعيشون اليوم في عصر (الأنوار).

عميقة، ولم يكن، وليس لها قرار، فبينما كانت هذه الطاقات، تنبع من الذات الإنسانية، المستمدة من الإلهية، أو كانت همة متوفرة لدى الإنسان، لا حدود لها، موجودة مع كل إنسان، هكذا خدع الإنسان، أو خَدَعَ الإنسان نفسه، الآن وبسبب توفر الأجهزة، الإنسان لم يعد يحتاج إلى الكثير من الطاقات الذاتية الخاصة، هذه الطاقات التي تلاشت شيئاً فشيئاً، وخمدتْ، إن هذا بحد ذاته يعتبر تحولاً، إنه تحول نوعي وهبوط سالب للإنسان، لا يمكن معرفة نتائجه على المدى القريب، ولابد من مضي الوقت، ولكن المستقبل المنظور، والقريب ينذر بأسوأ العواقب! وأغلب الظن أن الإنسان في حينه سيقول: ليت ساعة مندم [1].

لقد لوحظ مؤخراً انخفاضٌ في معدل محيط الجمجمة لدى العديد من الطلاب الجدد والتلاميذ، والمواليد عموماً، مع نهاية القرن العشرين، وبداية الألفية الثالثة، لقد أصبحت الرؤوس أصغر، والقامات أقصر وأضعف؛ وتراجعت حدود البصر، وانعدمت البصيرة عند أكبر نسبة من البشر، من كافة الأعراق، وخصوصاً العرب المسلمين. فإضافة إلى فرط

(١) إن منشأ الصراع بين البشر، كما رأينا هو في نزوع ذوي العطالة إلى تشييء الآخرين، فالذين تخلوا عن أبعادهم يعملون على سلب الآخرين هذه الأبعاد. إن ذوي العطالة، إذ يعملون على حذف الماهية الإنسانية بحذف أبعادها، وفي أساسها الوحدة الحوارية التي ينتمي إليها الفرد، لا يخلصون لسوى عطالتهم التي تدفعهم نحو المزيد من تشييء البشر وردهم موضوعات، وبذلك يعمق الصراع بينهم وبين المنخلعين، لأن أساس الصراع بين البشر هو انخلاع الإنسان الذي يحمله الانخلاع على محاولة تحصيل الماهية وهكذا يصل ذوو العطالة، بحذفهم الإنسان الواقعي المشخص، إلى عكس ما يزعمون؛.عالم الإنسان إذن، عالم مشخص متعدد الألوان بسبب أن للإنسان أبعاداً من جهة، وبسبب أن هذه الأبعاد تأخذ تحققات عينية مختلفة حسب الوحدات الثقافية وحسب العصور من جهة ثانية، وهكذا نصل إلى عالم متجانس من الناحية التقنية يقوم فوقه عالم متمايز من الوحدات الحوارية. ولكن ذوي العطالة يمتلكون بعد البقاء بامتلاكهم التقنية، وهم لا يكفون عن العبث بهذا البعد لدى المستلبين كما رأينا، وذلك من أجل تدمير أبعادهم الأخرى، فأبعاد القيمة لا يمكن أن تبنى إِلَّا فوق تربة ثابتة من بعد البقاء كما نعلم. (من كتاب نحو حضارة جديدة لأحمد حيدر).

نعومة البشرة ورقة اللحم والعظم،عند النسبة الكبيرة من الذكور بشكلٍ عام، فقد لوحظ أيضاً انتشار الخنَّات في أصوات الكثيرين من الذكور في العالم عموماً، وخصوصاً في المنطقة العربية، والتي أصبحت أكثر نشازاً، لقد انتشرت أمراض وآفات جديدة في العالم لم نكن ولم يكن المجتمع البشري يسمع بها، وبالمقابل فإن الانقراض أصبح يقضي ليس على أصناف كثيرة، وعديدة، كانت موجودة في هذه الطبيعة لآلاف السنين الماضية، تسير مع الإنسان، تخدمه ويعيشُ عليها من النباتات والحيوانات وكائنات لا حصر لها، في البيئة التي أعدها الله سبحانه وتعالى لحياة طبيعية للإنسان، والتي أصبحت الآن، تزول بعامل الانقراض، بل وتنقرض معها القيم والمبادئ والمثل العليا، والعادات والتقاليد الإنسانية الأصيلة، فهل سيعني هذا شيئاً للعقلاء؟

# مساعي اليهود لتهويد العالم

كان من أهم ما سعت إليه اليهود والصليبية المهودة، في العصر الحديث، هو تجريد الشعوب من هويتها الوطنية، من أجل أو تمهيداً لاستباحتها لاسيما العرب، وعملت على هذا العامل بشتى الأساليب وساقت وراهنت عليه، من أجل إتمام خطتها ونجاح مساعيها، ساقت إليه كل ما لديها من قوة في العالم، جندتها وحشدتها ووجهتها لإتمام هذه المهمة، فهل نجحت؟ فهل تذكرون أيها السادة، كيف قام المفكرون والفلاسفة والمثقفون والكتاب والصحافيون العرب، كيف اشتركوا جميعهم مندفعين في الترويج للعولمة الجديدة؟ وكيف كانوا يحاولون إقناع الناس بضرورة التخلي عن الروابط القديمة؛ والقيم والمبادئ العليا والأخلاق النبيلة والسامية للالتحاق، أو لإلحاقهم بالعالم الجديد؛ كيف كبروا الصغير وصغّروا الكبير، كيف قلبوا الموازين في أذهان الناس، وعودوهم على الاستهتار بما هو حقيقي، وكيف روَّجوا لما هو زائف وزائل، عالم الكائنات المتماثلة، الذي صوروه، أو قلبوه إلى مفهوم القرية الواحدة؛ بل والغرفة الواحدة، الذي بات يحركه الصراع الاقتصادي فحسب؛ وبالشروط وبالأشكال وبالأساليب الجديدة للعلاقات الاقتصادية! وبالطرق وبالأدوات والمواد الأولية غير المحلية! الأمر الذي يجعل الناس في العالم عبيداً سوداً وبيضاً أرقاء أذلاء، يركعون عند أقدام اليهود، وعبيداً لعبيد اليهود، من المهودين قي العالم.

فمن الذي، في العقدين الأخيرين، كان يروج إلى هذا الأمر؟ من الذي كان متعاوناً مع أمريكا واليهود وأسهم في استدراج الناس في العالم، أفراداً ومجتمعات إلى أن أدخلهم في شرك، أو كمين، يتم فيه القتل الشنيع، بصفته عملاً رحيماً؟ أيها السادة لقد تم، أو هي

محاولة (في ما يروَّج إليه من سياق وسوق وتسويق للعولمة، ليدخل إليها الناس أفواجاً أفواجاً منساقين وبهدوء إلى المقرات المعدة) لإدخال البشرية - في العالم بأثره - إلى حظيرة مغلقة؛ ليتحولوا فيها إلى مجرد فئران تجارب، تحت عدسات مجهر اليهود، تطبق عليهم المشاريع الاستشارية، والخدمات السياحية؛ والاتصالات وفن الإعلان![1] مسيطرٌ عليهم في هيمنة لا تنفك. بحيث أصبحت الجماعات في العالم، تساق كما يساق الغنم، لا يحتاج الراعي إلى بذل الجهد لقيادها، أو العناء لسياستها، بل يعهد بذلك إلى الحمار؛ ويسلط عليها الكلاب، تلمّ شريدها وتدفعها من الخلف، أليست اليهودية الأمريكانية، و الأمريكانية رأس الفكر الغربي؛ هي التي طرحت على العالم بعنجهيتها وبجهالتها، أولاً مبدأ العلمانية والعلمانية الوجودية؛ ثمَّ مبدأ صراع الحضارات؛ والصراع الاقتصادي، والحصار الاقتصادي؛ الأمر الذي أدى ويؤدي إلى خلع البشرية من جذورها الإنسانية، ومن كل الروابط الأساسية، لتسقط، وقد سقطت فعلاً في الحصّالة اليهودية العالمية.

**القرآن الكريم يشير إلى وحدة الدين الحق، ويؤكد على تعدد الشعوب والقبائل**

يشير القرآن الكريم بوضوح، إلى وحدة الدين الحق، وهو يشير أيضاً وبوضوحٍ، إلى وجود تعدد في الشعوبٍ،.. والقبائل،.. وذلك في الخلق والخُلُق، وفي الطبيعة الخلقيةٍ، وفي التركيب الاجتماعي الخلقي، لقد ربط الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الاختلاف أو التباين، الذي هو موجود بين الشعوب، وبين الاختلاف أو التباين الذي هو موجود بين الذكر، والأنثى وذلك ليعلمنا بوضوح.

---

(١) ما هي أهمية الإعلان الحقيقية في الحياة البشرية؟ وما هو دور الإعلان الحقيقي في حياة الناس، ماهي وظيفة الإعلان؟ وما هي أهميته الحقيقية، هل كان الإعلان بأساليبه الجهنمية الشيطانية، التي لا تميز ولا تفرق، هل كان طارئاً وحادثاً ومفتعلاً؟ أم هل هو تطور طبيعي! هل هو مهم فعلاً؟ لماذا يُصر عليه؟.

ولم يقل الله سبحانه وتعالى، خلقناكم شعباً واحداً، ولم يقل خلقناكم قبيلة واحدة، بل قال: ﴿ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾، ولم يقل لتندمجوا، أو لتنصهروا، بل قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٤ ﴾ [الحجرات: ١٣- ١٤].

# الدولة في المدينة، كانت المثال الذي سيحتذى من قِبَلِ المسلمين في العالم

كانت الدولة في المدينة المثال الذي سيحتذى من قِبَلِ المسلمين في العالم ليقيموا على منوالها. والرسول الكريم ﷺ، منذ اللحظة الأولى لهجرته ﷺ قد عمل على تحقيق كيانٍ للمسلمين العِرَاب المؤمنين بالله سبحانه وتعالى، أولاً، ليكونوا في مجتمعهم الجديد، المثال الإسلامي[1] الرباني الذي سيحتذى، عند باقي الشعوب المسلمة، ذلك أنه كان على العرب أولاً تأسيس كيانٍ إسلامي، إنموذجاً يُحتذى، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣][2].

(١) للأسف الشديد فإنَّ الوهن والتراخي والانحراف قد أصاب العرب المسلمين، بعد عصورٍ من الانحطاط، فطرأ على المفاهيم الأساسية في الدين الحنيف، تبديل وتحريف، فبينما كان الإسلام الحنيف عبارة عن مدرسة يدخلها الإنسان العربي لينهض وليرتفع وليرقى وليبقى دائماً في الطليعة، وفي حال نهوضٍ وارتقاء ففي الإسلام لا يوجد توقف، ولا يوجد خمول، ولامكان للخاملين، إنما هناك في الإسلام العربي استمرارية وديمومة في العمل والجهاد! على كل المستويات، والأصعدة، وفي كل المجالات، والاتجاهات، والإنسان مطالبٌ خلال حياته، في كل يوم أن ينجح، وأن يحقق النصر، وأن يستمر في العمل على الارتقاء والنجاح، لتحقيق النصر، وليس مسموحاً في الإسلام العربي التوقف، أو المراوحة في المكان، إن الإسلام العربي بالمفهوم العربي دائماً يرقى بالأنفس والعقول والحياة للدنيا والآخرة، وممنوعٌ فيها المراوحة في المكان. إن العروبة عملٌ مستمر ونضالٌ دائب.

فهل كانت الصوفية أو السلفية أو الشيعة وفيَّةً لهذا الجانب الأساسي من الإسلام العربي؟ وأين هو موضع الطائفيين في باقي الطوائف، الذين كانوا يتكنون بالإسلام، ويتمسحون له؟ والذين وقفوا في الماضي عند نقاط تجمدوا عندها، ودخلوا معها إلى الثلاجة، ولم يعد بمقدورهم، بعددهم وعدتهم عمل أي شيء سوى الكلام. بل لقد أصبحوا مثل الكثبان الرملية، يخضعون للرياح والأعاصير العاتية، وأسلموا كلياً، على الرغم من حجمهم الواسع نظرياً لكن بالواقع فإنَّ مصيرهم كله قد أصبح في يد الاستعمار، يتحركون وفق عصا (المايسترو) الاستعمارية.

(٢) أمة وسطاً؛ أي: أو مجموعة مركزية تتجه إليها الأنفس وتشرئب إليها الأفئدة. وتقتدي بها باقي الأمم والشهيد القدوة والمثال الذي سيحتذى، والله تعالى أعلم.

**الشهيدُ المتقدم وهو الذي يقتحم أولاً**

وهو الذي يجرئ القوم على التقدم، فكيف عالج كتَّاب السيرة النبوية والمفسرون المفاهيم الإسلامية الأساسية؟

أن الشهيد في اللسان العربي المبين هوالثائر المناضل وهو الذي يجرئ القوم على التقدم، وهو من يُشهد له على السبق في الجهاد والكفاح، والشهيد من يبذل سعيه في السبق والجري، والشهيدُ هو الذي يسبق إلى الحرب، ويضرب لقومه، للمؤمنين بنفسه المثال، شجاعةً وبسالةً، متحملاً كل النتائج، مضحيّاً بنفسه، بحياته، بغية حثهم على التقدم وتحقيق النصر، والشهيد من استشهد في سبيل الله تعالى، أو من قُتِلَ مُجاهداً في سبيل الله تعالى، فالإسلام بطبيعته ثورةٌ، وثورةٌ مستمرة، وحرقة وتوقٌ للحرية وانطلاقٌ لتحقيقها، فمن الذي جعل من الإسلام مجرد ركام يتلبد على قلوب الصوفية والسلفية والشيعة؟

نعم لقد عمل الرسول العربي الأمي ﷺ، على تأسيس هذا الكيان العربي الإسلامي النموذج، الحيوي المشرئب نضارة وسمواً ليُحتذى عند باقي الشعوب، فيقتدون به، منبعاً للسياسة الربانيَّة، كان ذلك إبان الهجرة المباركة مباشرةً، ولكن من هو الذي قرأ القرآن الكريم ففقهه حقاً، وحقاً فقهه، أو هو وعاه وفهمه، أو تأمل السيرة النبوية النضالية الجهادية فوعاها.

كذلك فعل كتَّاب السيرة النبوية المعظمة عندما قام معظمهم بتجريد تلك السيرة من فقهها وفهمها العربي الثوري المبين؛ فصاغوها صياغة أعجمية جامدة وميِّتة؛ غير مبينة وغير أساسية وغير أمينة وغير مؤثرة إلَّا سلبياً وعبر العصور؛ وغير ما كانت عليه، إنَّ كتاب السيرة النبوية الشريفة كتبوها بما يُناسب أهواءهم وأذواقهم ومراميهم وأهدافهم،

المعلنة والباطنية[1] فقاموا بتفصيل سيرة كانت خلواً من كل ما يوجب على الإنسان القيام

(١) وكذلك تم افتراء وتزوير ما سميّ بالصحيفة! (أو الاتفاق أو الموادعة) التي قِيل بأن الرسول ﷺ، قد وقعها مع أهالي المدينة، بما فيهم اليهود؟؛ عند وصوله إلى المدينة، إن هذا الإدعاء باطل حتماً، وهو غير صحيح مطلقاً، لأن الرسول الأعظم، ﷺ، والذي كان متصلاً مع الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ وهو النبيُّ، والرسولُ من الله سبحانه وتعالى، وكان معه القرآن الكريم، وهو دستور الكون ودستور العالمين، وبالتالي فهو لم يكن بحاجة لأن يكتِب لليهود كتاباً آخر؛ لينظِّم معهم العلاقة، إنّ علاقة الرسول ﷺ مع كل الأطراف كان ناظمها كتابٌ من الله سبحانه وتعالى، لا كتاب بين الرسول وبين اليهود! فالرسول الذي كان مؤيداً من الله سبحانه وتعالى، لم يكن ﷺ، يحتاج لتأييد اليهود أبداً... وإلَّا لما كان رسولاً؛ ولما كان نبياً مؤيداً، إن الكلام عن موادعة أو صحيفة أو اتفاق بين الرسول الأعظم وغيره ممن كان في المدينة وهو كلام مُفترى، وفيه نظر. كذلك فهو غير منطقي، ولا ينسجم مع طبيعة الأمور، ويتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم تماماً لقد ذمَّ القرآن الكريم اليهود في ثمانية مواضع في السور الأوائل من القرآن العظيم، إن القرآن الكريم لم يذكر اليهود بخير أبداً، بل لعنهم وسخط الله عليهم والقرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وليس كما يتوهم الناس الجهلاء من أنه نزل بحسب الطلب!

والحقيقة أن أهل المدينة المنورة الأنصار كانوا جميعاً موعودين وكانوا ينتظرون نبياً، لقد كانت المدينة «يثرب» قاعدة الأنبياء السابقين جميعاً. كان سكان المدينة الأنصار على موعد مع ظهور النبي، إن انتظار ظهور النبي كان لسكان المدينة العرب الأنصار وليس لليهود كما تروج السِّير الشعبية والشعوبية! والله تعالى أعلم.

فالرسول الأعظم ﷺ، والذي كان عند دخوله إلى المدينة قد أرخى زمام ناقته، لا يثنيها به، كان لا يمر بدار في المدينة، من دور الأنصار إلَّا قالوا: هلمَّ يا رسول الله إلى العدد والعدَّة والمنعة، فيقول ﷺ: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، كذلك فإن الرسول الأعظم كان قد سماها المدينة، وكان اسمها (يثرب) ومعنى كل هذا، أن الرسول الأعظم كان، لآمر الناهي في المدينة، وكان سكان المدينة جميعُهم خاضعين لسلطته، ولا حاجة لأن يكتب ﷺ، كتاب موادعة لأيٍ من الأطراف، والإسلام الذي كان قد سبق في دخوله إلى المدينة، سبق وصول الرسول إليها بعشر سنين.. كان مجتمع المدينة قد مهيّأً لوصول الرسول الأعظم، وكان وعد الله الحق، وقد تفشَّى الإسلام في المدينة كلها، تمهيداً لوصول الرسول الأعظم ﷺ، ناهيك عن أنّ اليهود لم يكونوا طرفاً مؤثراً في المدينة أصلاً، فاليهود ليسوا من سكان المدينة أصلاً، وقد جاؤوا من قبل اليمن قبل مبعث الرسول ﷺ بحوالي مائة وخمسين سنة، قدموا من اليمن، وسكنوا أطراف المدينة في القرى ولم يكن مسموحاً لهم السكن في المدينة بين العرب، وهناك فرق شاسع بين مفهوم اليهود وبين مفهوم (الذين هادوا) من العرب، ومعروفٌ موقف أهل المدينة عندما سأل الرسول ﷺ الأنصار عن موضوع أن يعطوا بعض القبائل الأخرى من العرب قسماً من ثمار المدينة، لضمان عدم اعتدائهم على المدينة أو لضمان وقوفهم على الحياد، وكان أهل المدينة في حينه، في موقفٍ صعب أثناء الحصار في الخندق والأحزاب؛ فأجاب =

به أو التحرك إليه وباتجاهه؛ لقد باتت تدخل العقول وتخرج منها دون أي هدف؛ فقط كانت تُحشى بها الذاكرة؛ تلك الذاكرة العاجزة المجهضة والتي لا تقوى على الوقوف بله النهوض والتوجه ؛ بهدف شلِّها تماماً ومنعها من الحركة، لقد كتبوها لتكون أقرب إلى الرواية أو المسرحية التي تجعل هذا الإنسان وهو يستعرض أو يستمتع! وعلى مرِّ الزمان!! جعلته يسلو وينسى فقط... أو يستمتع ويأسف على ما مضى فقط، فيصرف حياته في السرد والاستماع إلى السرد، ويدور ويدور ويكرر الاستماع غير المنتج؛ وغير الإيجابي؛ بل السلبي المثبط للعزائم والهمم والعادم، والمُغِّيب في المتاهات وعدم الجدوى، إنَّ كتَّاب السيرة النبوية وكتَّاب المغازي بدءاً من ابن إسحاق إلى ابن هشام إلى الواقدي إلى ابن سعد إلى ابن كثير الدمشقي؛ إلى البلاذري الفاطمي؛ وإلى معظم تلك الكتابات التي كانت عبارة عن طبخات طبخت في العصر الانحطاطي الشعوبي العباسي التي كتبت فيه، ثم أُعيد تحضيرها وإنتاجها وتوضيبها في الفترة التي كانت وبإمتياز، شيعية فارسية محضة، أو صوفية شعوبية رومية محضة، وذلك من البرامكة إلى البويهيين، إلى الفاطميين، إلى القرامطة، إلى السلاجقة، إلى الصوفيين العثمانيين، بحيث إنهم فيما كتبو من سردٍ قد استكملوا فيه صناعة الرواية المناسبة التي كان قد بدأها المفسرون الذين كتبوا في تفسيراتهم

---

سعد بن معاذ رضي الله عنه، رسول الله ﷺ إن كان هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى، فقال ﷺ: «بل هو شيءُ أصنعه لكم لأدرأ عنكم»، فقال زعيم الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه، قوله المشهور: لا والله لا نعطيهم شيئاً، لقد كانوا من قبل لا يأخذون منا شيئاً، أو قال نواة تمرة، أبعد ما أعزنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله! فكيف ينسجم هذا الكلام مع خبر الصحيفة أو ماسميٍّ بدستور المدينة، التي أبرزها اليهود في خرا سان زمن البويهيين، مدعين أنهم وجدوها في غمدٍ لسيف أحد صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين. الحقيقة أنَّ الإيمان كان قد تفشى في المدينة المنورة منذ بداية الدعوة في مكة، وقبل وصول الرسول ﷺ إلى المدينة بفترة طويلة، كان سكان المدينة جميعهم قد دخلوا في الإسلام؛ بينما بقي البعض من المنافقين لَمَّا يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهؤلاء القليل كانوا ثلاثة أقسام.

للقرآن العربي المبين أشياء كثيرة ما عدا الفهم الصحيح، الفهم الذي كان يوصل مباشرة إلى الحقيقة المبينة للنص العربي، والفهم العربي الذي لم يكن يحتاج اساساً إلى تفسير أبداً، والحق أن التفاسير والسير وكتب التاريخ والفقه برمتها كانت وبالاً على الفهم العربي الصحيح. لقد كان المسلمون عامة بخير قبل تدوين تلك الكتب، التي أعاقت المسلمين العرب عن الهدف الذي كان واضحاً قبل كتابة السِيَر وقبل كتابة التفاسير؛ والذين كانوا بغنىً عن كل تلك الكتب التي أضنتهم وأعاقت وصولهم وسدَّت أمامهم كل سبيل إلى الفهم والتعقل، ودمرت، على مر الزمن، الرؤيا الصحيحة والواضحة عندهم، أو التي كانت واضحة قبل التفاسير وقبل السير وقبل نشوء المذاهب وقبل نشوء المعتقدات والأيديولوجيات الشيعية والصوفية والسلفية وتفرعاتهم وطوائفهم ونحلهم التي هي جميعها، (عِلَلُها)، كما كانت في ابتعادها بنسبٍ متفاوتة عن الأساس العربي المبين للنص الإلهي ؛ وغاب عن بالهم أن الإسلام ليس عقيدةً خاصةً تُعتقد، ولا هو مُعتقداً[1] وليس

---

(١) إن لفظة (عقيدة) لفظة غير إسلامية أساساً! ولا هي عربية ولم تنزل من السماء أبداً وهي دخيلة على الإسلام، إلى دين الله سبحانه وتعالى، ولم ينص عليها القرآن المجيد مطلقاُ؛ ولا حديث رسول الله ﷺ أبداً، وقد طبقت على الإسلام تطبيقاُ تعسفياً؛ فقالوا بمفهوم العقيدة الإسلامية، ظلماً وعدواناً وذلك نظيراً للعقيدة المسيحية؛ والعقيدة اليهودية والعقيدة الإمامية، وكذلك العقائد في باقي الأديان الأرضية والطائفية، وكذا كانت المعتقدات السياسية (الأيديولوجيات) ذات المنشأ التعصبي الملي أو العرقي أو الإقليمي أو المصالحي، وكل هذه الأوهام كانت بعيدة عن دين الإسلام الحنيف العربي المبين والذي أساساً هو رحمة للعالمين، فمن الذي ألبس الإسلام، الدين الرباني، تلك الأزياء العقائدية المعَّقدة الخاصة والضيقة! والألوان والضجة الصاخبة والطقوس المليئة بالأوهام!؟

ومن غريب تأثير مفهوم (العقيدة) على الإنسان أنها تجعل هذا الإنسان مقلداً تقليداً أعمى، غير واعي، فهي تطمس عقله.

وفي لقاءٍ لي مع أحد الإعلاميين الجزائريين البارزين سألته إذا كان عربياً؟! فقال لا أنا مسلم، فقلت له ولكن ماذا تعني لفظة عرب في رأيك؟ فأجاب إجابات عديدة ومختلفة أتى فيها على آراء جميع الفلاسفة والمفكرين الغربيين من روسو إلى نيتشة إلى ماركس إلى سارتر، وذكر كل الفلسفات القديمة بدءاً من التوراة اليهودية إلى الفلسفات اليهودية الحديثة! واستعرضها جميعاً!! ولكنه لم يذكر القرآن أبداً ولم يعول عليه مطلقاً! مع أن لفظة عرب قد نصَّ عليها القرآن بمختلف =

مذهباً خاصاً يُتخذ أو يتمذهب فيه الإنسان، وليس أفكاراً أو رؤىً تُشرع من أهواء الناس أو من مصالحهم أو عواطفهم أبداً أبداً (لقد شكلت التفاسير عند أهل المذاهب بديلاً عن القرآن العربي الواضح والمبين لكي يتثنى لهم تمرير أغراضهم) بل الإسلام دين الله عزَّ وجل الدين الذي ارتضاه لعباده منذ خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وإلى يوم يُبعثون فسيبقى الإسلام دين الله الحق الذي لا إله غيره، وعلى العباد الإيمان به كما نزل عربياً مبيناً؛ بجميع كتبه وبجميع أنبيائه من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين، غير ذي عِوَج؛ وعلى البشر جميعاً حمل هذا الدين المبين الواضح وتجسيده حياتياً عطاءً لا ينتهي عطاءً بلا حدود في كل اتجاه وعلى كل صعيد، في كل زمان وفي كل مكان، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ [النساء: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ [الأنعام: ١٦١]، فالمسلم الأساس أنه سِراج منير، فلقد كان عليه الصلاة والسلام خُلُقُهُ القرآن ﷺ، وكذلك كان صحابته الكرام

---

الصيِّغ ٢٢ مرة، فقلت له أيها المسلم العتيد أنت تتحدث بعقلٍ يهودي دون أن تدري!

كذلك كان سؤالي لأحد المناضلين الفلسطينيين الأشاوس الذين كانوا قد أمضوا ستة عشر عاماً في سجون الاحتلال! وكان ذا لحية؛ سألته: هل أنت عربي وماذا تعني لفظة عرب في رأيك؟ كان أول شيءٍ نطق به هو يقول اسبيونوزا !؟ ومط لفظة اسبيونوزا (ومعروفٌ أنَّ (اسبيونوزا) فيلسوف يهودي يروج له اليهود على أنه كان مناهضاً لليهودية ومعروفٌ أن اليهود كانوا إذا أرادوا الترويج لبضاعة يهودية وأرادوا محاربة القيم والمبادىء العربية الإسلامية كانوا يجعلونها أو كانوا ينشرونها على أنها من شخصٍ منفصلٍ عن اليهود، وأنَّ اليهود غير راضين عنه، أو أن هذا الشخص هو معادٍ لليهود وبذلك كانوا يضعون السم في الدسم، كان هذا الأسلوف يسري بما فيه كالنار في الهشيم كانوا يزرعون كل ما يريدون إيصاله وغرسه في الرؤوس الحزينة الرؤوس الفارغة، والتي كان اليهود يعملون على ملئها بنظريات ومقالات، مثل نظريات ومقالات اليهودي (سبيونوزا) وداروين وفرويد وانشتاين وديورانت وغيرهم كثر، فكان جواب صديقي المناضل العتيد على طريقة اللهجة الغزاوية! الذي كان يفتخر بأنه من غزة هشام! وأنه مسلم عربي، عندها خطر لي سؤال وَدَدتُ لو أنني سألته وسمُّ اليهود يجري في عروقهم؟ كيف يقاومون وقد حُشيت عقولهم بالنظريات التوراتية والأفكار التلمودية والصور والشخصيات اليهودية كيف؟ ولكنني للأسف لم أستطع أن أسأل أحداً مثل هذا السؤال!

المهاجرين والأنصار وكل التابعين بإحسان، القرآن العربي المبين، فكيف آلت السيرة النبوية على يد ابن اسحاق وابن سعد وصولاً إلى عبقريات العقاد والذي أضاف إلى الركام ركام فتحولت السيرة إلى مجرد رواية أشبه بسيرة عنتر وأبي زيد الهلالي؛ غير مثمرة وغير فاعلة وغير منتجة فهي، هذه الروايات بإسلوبها الميت، وخلال خمسة عشر قرناً، خلال كل تلك المسافة التي فصلتنا عن العصر الأموي فإن السيرة لم تنتج عملياً إلَّا الهباب، ولم تعطى لأجيال العرب المسلمين إلَّا الخمول والتواكل، والنزاع والاختلاف والتخاصم والافتراق والعداء بين الفرقاء المفترقين والذين أساسهم جميعاً عرب موحدون! وقد آن الأوان للعرب المسلمين لأن يعيدوا النظر في الأسلوب الذي كتبت فيه تلك السِيَر والذي لم يكن ذا جدوى أبداً وخلال ثلاثة عشر قرناً[1]، في حين أن السيرة النبوية المعظمة المفروض أن

(١) ومثل ذلك إنه عندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلافة المسلمين شكل مباشرة مجلساً لأهل الحل والعقد من الذين بقوا أحياء من أهل بدر، الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، امتثالاً للنص القرآني الذي وعدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر والفتح القريب.. وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب يؤثرهم ويتفاءل بهم في كل شيء ويستشيرهم ويجعل منهم الأمراء والقادة في كل مكانٍ وزمانٍ يتواجدون به؛ وخصوصاً في المعارك والمواجهات مع الأعداء، ولذلك فإن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بأن يكون سيدنا أبا عبيدة بن الجراح هو الأمير قي معركة اليرموك وليس سيدنا خالد بن الوليد لأن سيدنا أبا عبيدة بن الجراح كان بدرياً وخالد بن الوليد لم يكن بدرياً.. رضي الله عنهم أجمعين، فكيف رويت السير وتناقلتها الأجيال بعنعناتها! وفيها أن سيدنا عمر بن الخطاب كان حاقداً على سيدنا خالد بن الوليد وأن هذا الحقد كان من زمن الجاهلية وصوروا للأجيال أن سيدنا عمر قد جرد سيدنا خالد من منصبه حقداً عليه وعملوا للقصة ذيولاً طويلة وتخيلات لا تنتهي؟ وأيضاً فإنَّ ما صار يُدعى بقصة (فدك) فإنها برمتها مختلقة مع ما لها من ذيول وتخرصات وتخيلات كلها موضوعة وموظفة لتخدم منهاجاً شعوبياً محدداً ومرصوداً كان قصده التشويه والإساءة، وكانت القصة من أساسها مختلقة لا وجود لها على الإطلاق، مثل ما روجوا لقضيةٍ كانت مختلقة ومفتعلة أيضاً وجيروا لها آيات القرآن الكريم عندما أرادوا تعليل أو اختلاق أسباب لنزول الآيات... الأمر الذي لم يكن مطلوباً ولا مفيداً إلَّا للحاقدين الشعوبيين ونسوا أو تناسوا أن القرآن العظيم هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي في اللوح المحفوظ! وهي القضية أو الكذبة التاريخية التي أرادوا بها الإساءة إلى ذات الرسول الأعظم ﷺ وحياته وصحابته الكرام.. القصة التي اختلقوها عن السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة الرسول الأعظم ﷺ بقصد إلحاق الأذى برسالة الإسلام وثلمها وخرمها وتشويهها وتلطيخ صورتها النقية الطاهرة المضيئة، وقالوا بأنَّ سورة براءة نزلت بخصوص تلك الحادثة التي لم =

تكون مشعلاً يُشعِّل ويُشَغِّل ويحرك ويُنير ويدفع ويثّور(١) وينوِّر ويفعِّل مخلوقات الله في

تحدث أصلاً ولاحصلت أساساً إلَّا في عقول أولئك الخونة الغادرين الذين تعمدوا الإساءة لمجد الرسالة الربانية الطاهرة والدليل هو أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٣٧]، فكيف تتصورون أن تكون العصمة من الناس التي تكفل بها الله سبحانه وتعالى لنبييه، ألم تكن عامة وشاملة؟ هل سيسمح رب العالمين لتجري مقاديره جلَّ جلاله بإتجاه تشويه صورة نبيه ورسوله وصحابته الكرام عبر التاريخ؛ الذين وعدهم رب العالمين بالحسنيين، وكان قد غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، آلا ساء ما يتخيلون وساء مايفترون، فهذه المفتريات التي وضعت في العصر الفاطمي والبويهي والصفوي والعثماني، قد دخلت في عصور الانحطاط كتب ومناهج الجهلة من أهل الشيعة والسنة أيضاً؛ وهي مفتراة من أساسها والله المستعان.

وذلك تماماً كما دخلت عليهم الكثير الكثير من القصص والأساطير القديمة التي افتراها اليهود لإفشال الإسلام وإجهاض مسيرته وتدمير مستواه العظيم، وباتوا يعتقدون بها جازمين، وهي غير صحيحة بالمطلق ولم تحدث أبداً، من مثل قصة شق الصدر التي كان أصلها اسطورة قديمة موجودة في كتب الأساطير والآلهة القديمة، وهي قصة خاصة بالمتخلفين والمعوقين ولم يكن الإسلام المتقدم، إسلام الفكر والعقل إسلام الحضور الراقي للقيم العليا، هذا الإسلام العربي الذي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الأساطير التي هي من لوازم التخلف الحسي وحالة الجهل الذهني والنفسي والضياع المدمر للعقل البشري. والتي ليس لها مبرر أبداً فالدين الراقي والإيمان الراقي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الترهات أبداً، ولكنها من لوازم الجهل والجاهلين! للأسف الشديد والغريب أن الوعَّاظ وعلماء العامة يؤكدون عليها ويتشدقون بها من على المنابر وفي المجالس دون وعي لما تسببه مثل هذه الروايات على عقول الأجيال، ما يؤدي إلى شلل العقول وتلف الأفكار والعجز الكامل والعقم، والعامة من الناس لا تدرك أن هذه الروايات أصلها موجود في أساطير ما قبل التاريخ وقصصها الوثنية! كذلك القصص التي اخترعوها عن أن الرسول ﷺ قد تعرض للسحر أو للتسمم، كل ذلك كان افتراء بافتراء كان قد وضعه الوضاعون وقد تشربها الجهلة من أهل السنة الذين لم يكونوا ليدركوا؛ فأدخلوها في كتبهم وأصَّلوا لها جهالة منهم وكان من المفروض أن يرفضوها بقضها وقضيضها ومن الأساس لأنها لا تنسجم مع الإسلام الصحيح دين الله سبحانه وتعالى وخاتمة رسالاته سبحانه وتعالى، ولكن الجاهل يفعل بنفسه أكثر من ما يفعله عدوه به، إن الجاهل أقدر على الإضرار بنفسه وهو أخطر على نفسه من عدوه!.

(١) الأساس أن تكون الثورات الحقيقية في الحياة الإنسانية هي ثورات الأنبياء والمرسلين والمبعوثين من الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين لينقدوا الواقع السالب الخَرِب في العالم الآسن المعتاد، ويقلبوه ويغيروه للأفضل؛ وليبنوا للناس مناهج ثورية فذة ترفض العبوديِّة والذل والهوان وتعشق الحرية إلى الله الواحد القهّار ليعلموا الناس الخير، فكيف صوَّروا وأبدلوا للناس وأفهموهم أن الفلاسفة اليهود مثل ماركس ولينين وكاسترو وغيفارا يمكن أن يحلوا محل الأنبياء؟ =

العالم إيجابياً إلى الأمام والأعلى، فهل كانت السِّير التقليدية مصممة تصميماً ومفصلة تفصيلاً على مقاسنا، لتجعلنا خاملين مرددين، نشتهر بالبلادة الفكرية؟ فهل نجحوا بذلك وإلى حدٍ بعيد؟ ولنا أن نتأمل الصوفية والسلفية والشيعة بمختلف أشكالهم.

وكذلك كانت التفاسير العديدة والمتعددة التي لا تزال على حالها كما انتجها لنا وكما صممها لنا وكما فصلها لنا (ابن منبه) و(ابن الكلبي) و(ابن جرير الطبري) أولئك اليهود القادمون من اليمن وطبرستان؛ فكانت تأويلاتهم وتفاسيرهم قيوداً تقيد حركتنا وكمامات تكمم فيها عقولنا في حين حجروا على الأفهام العربية الحرة (والمعروف أنه كانت هنالك وحتى نهاية القرن الثالث الهجري مئات الآراء والأفكار والنظريات والأفهام والتأويلات والشروحات ووجهات النظر العربية كلها تم الحجر عليها وتم محوها وتم تشويهها وتم تبديدها وإضاعتها بشكلٍ قصديٍ ومتعمد لصالح تفسير الطبري ولتتسود آراء بعينها كانت أعجميَّة شعوبية خاطئة وغير صحيحة، حلَّت محل الأصل العربي الصحيح ولم يعلموا أنه عندما يحضر الأصيل في يومٍ من الأيام فسيبطل حتماً عمل الوكيل ؛ وذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا هو الحكم الإلهي، ومصممه القدر الذي لا مناص منه، ولاحول فكانت تلك التفاسير وتلك السير قوالب على مقاسنا مصممة لنا خصيصاً!

---

كيف صوروا لهم وأقنعوهم أن مثل هؤلاء يمكن أن يكونوا بديلاً عن أنبياء الله وأن فلسفاتهم العقيمة يمكن أن تكون بديلاً عن رسالات الله سبحانه وتعالى؟ بلى فكل كلمة في القرآن المجيد الأساس أنها ثورة وثورة عارمة ولكن من الذي قرأ القرآن قراءة عربية؟

# القرآن الكريم يؤكد على وجود المشاعر الطبيعية والفطرية لدى الإنسان

ألم يؤكد القرآن الكريم على المشاعر الفطرية للإنسان؟ ألم يخاطب الله سبحانه وتعالى، المشاعر الفطرية لدى الإنسان؟ وكان من هذه المشاعر حب الأفراد لذوي أرحامهم، إن الناس الذين يفتقدون إلى هذا الحب الفطري وأشباهه من المشاعر والعواطف، نحو ذوي الأفضال والأيدي البيضاء، إن الذين يفتقدون إلى هذه المشاعر وأمثالها يعتبرون مرضى.. وأحياناً فهم يَحْمِلونَ من الحقد ما هو مدمر فعلاً. لأنَّ الافتقاد للمشاعر الإنسانية (حب الأب لأولاده وحب الأم لأطفالها وحب الأطفال لآبائهم وحب الأصدقاء والزملاء، والناس جميعاً، بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وبرهم أحياءً كانوا، أو أمواتاً؛ وود الأقرباء من الأصول، والفروع في العشيرة، صلتهم صلة رحمهم وبرهم، وحب البلدة، أو البيئة القريبة (الوطن الصغير، أو القريب) التي ترعرع بها الإنسان، وتأثروالتأثير بها؛ بمعطياتها العديدة، ومزاياها الخاصة، والعمل على خدمتها؛ وصيانتها، وحب الخير والتزمت له؛ حب العدل والأنصاف والانتصار له؛ حب الجمال والنظافة، والتعصب لها، كل ذلك يُعد من الإيمان، إذا افتقد الإنسان إليه يُعد فساداً للفطرة، وهو الصمم، والعمى في البصيرة، وقد قِيل أنَّ من لم يخشع قلبه عند سماعه للقرآن العظيم، من لم يخشع قلبه لذكر الله تعالى، من لم يخشع قلبه للجنازة، فهذا يعني أنه لا قلب له، وعليه أن يبحث لنفسه عن قلب!

إنَّ مثل هذا الإنسان يُعد فاقداً للشعور فاقداً للإحساس؛ لأي شعور؛ ولأي إحساس؛ وهو الحقيقة، غير قادر على الإحساس بالانتماء، إنّ مثل هذا الإنسان غير جدير بالحياة، وسط الجماعة، فهو قتيل أنانيته، محرومٌ من الفضيلة، مطرودٌ من نعمة الخيرية، الأمر الذي أكد عليه، وعلى ضرورة تحقيقه، في القرآن الكريم، رب العزة ﷻ، وقد ربط لنا

الله سبحانه وتعالى، في مُحكم تنزيله، الإيمان بالله سبحانه وتعالى، بالعمل الصالح.

يحدث هذا الإنسلاب غالباً لأولئك الذين يعشقون أنفسهم، ويعبدون أهواءهم، الذين ليس لديهم انتماء عن هذا الأمر تتحدث سورة (محمد) قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٣]، فالاجتماع والمؤانسة يعتبر من أرقى صور الأخلاق، وأكثرها فطريةً، وقد تبين أن الخير كل الخير فيما انشرح به وله، صدر الإنسان، وأنَّ الشر كل الشر فيما يحاك في قلبه.

# العروبة كيانٌ إسلاميٌّ، مؤمنٌ، رائد، ونموذج يُحتذى للأمم الأخرى

الحرب في العالم تجري الآن على الإسلام العربي فقط[1].

(١) على أثر انهيار الإتحاد السوفيتي السابق، أعلن الجنرال (جوهر دوداييف) قيام دولة الشيشان عام ١٩٩١ وذلك أسوة بباقي شعوب الاتحاد السوفيتي التي بادرت فعلاً إلى إقامة دولها المستقلة، ولكن أمريكا والاتحاد الأوربي الذي كان قد قدم يد العون (للتوانيا) و(الأرمن) وغيرها فإنهم على العكس من ذلك تماماً قاموا بتحريض روسيا على قمع الشيشان، وثائر شعوب القفقاس، ووقفوا في وجه طموحاتهم لنيل الحرية والاستقلال عن روسيا، أواخر القرن العشرين، ففرضت روسيا الحصار عليهم ١٩٩١، ثم شنت عليهم حرباً غاشمة١٩٩٤، وقامت قواتها بتدمير العاصمة (غروزني) والمدن الشيشانية الأخرى فوق رؤوس آلاف المدنيين العزَّل، وذلك على مرآى ومسمع من العالم، وكان القادة الروس عام ١٩٩٤ يستمرون في تنفيذ وصايا القيصر الروسي (نيكولا الثاني١٨٤٠م) والتي كُشف عنها النقاب وهي تقول:(بأمر من سيد العالم، فإن قيصرنا السامي يأمر بتصفية هذا المرض، الذي يسمى الإسلام، يجب حرق قراهم، وإجهاض نسائهم الحاملات، وإبادة كل الرجال القادرين على حمل السلاح) لذلك فقد كانت عمليات الإبادة الجماعية، والمقابر الجماعية، وسياسة الأرض المحروقة، كانت هي السياسة التي استعملتها واتبعتها بشدة القوات الروسية في قمع الشعب المسلم في الشيشان!

كانت القوات الروسية تقوم بسحق المقاومة سحقاً، بحيث انقلبت البلاد خلال فترة وجيزة، إلى جحيمٍ عن طريق عمليات التدمير الشامل لكل المنشآت، بدون استثناء؛ وحرَّموا ومنعوا المساعدات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة والصليب الأحمر؛ أو أي شكلٍ من أشكال المساعدات، أو مدَّ يدِ العون بشكلٍ كامل، منعوها من الوصول إلى الإقليم أثناء وبعد المعارك الطاحنة؛ بما فيها محاولة رئيس وزراء ماليزيا (مهاتير محمد) الذي أعلن وقتها، عن رغبته في أن يكون وسيطاً دولياً لحل المشكلة، بين روسيا والشيشان، وقامت هناك عمليات إعدام جماعية، و وكذلك عمليات التطهير العرقي، للألوف المؤلفة من السكان، ولم تتوانَ القوات الروسية عن قصف سيارات الإسعاف والمشافي، وعن تدمير أماكن العبادة، وضرب القرى، والأحياء الشعبية بشكلٍ عشوائي في المدن الشيشانية، ومورست عليهم شتى صنوف التعذيب والإضطهاد في المعتقلات إضافة إلى الاغتيالات التعسفية، وسلب وحرق القرى والبيوت والمزارع، وتم استخدام الأسلحة المحرمة دولياً، بغية إرهاب الناس وإخضاع السكان، كما حصل في المسألة الأفخاذية تماماً، الأمم المتحدة اعتبرت أن المسألة الشيشانية شأن روسي داخلي! لذلك لم تتدخل، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة الأمريكية؛ والاتحاد الأوربي؛ لقد صمتت أمريكا صمتاً كاملاً على ما كان يحصل في القفقاس، في حينه، وبالمقابل صمتت روسيا على ما حصل في أفغانستان والعراق ولبنان لاحقاً، وقبل ذلك وبعد ذلك، في الأراضي المحتلة =

إنَّ الدين الحق، والذي هو الإسلام، والمتمثل بالقرآن الكريم، يؤكد ويثبت، ماكانت

(فلسطين)، كذلك صمتت أمريكا على ما حصل في يوغسلافيا من المذابح التي قام بها الصرب للمسلمين، مدعومين من روسيا ظاهرياً بالرجال والعتاد؛ ومن الدول الأوربية الصليبية باطنياً، ومن أمريكا المهودة، إعداداً خفياً، وترتيباً، وتهيئة للأجواء، لتتم عملية ذبح المسلمين ذبح النعاج، في مشهدٍ علني واضح متفق عليه، وعلى مرأى ومسمع من العالم، كل العالم، ولكن دون ان يحزن عليهم أحد، أو يعلن أحدٌ عليهم الحداد!

كذلك كان الأمر منذ أن قامت قوات القيصر الروسي في عام ١٨٥٦ باحتلال القفقاس مما أدى إلى عقد معاهدة باريس والتي اتفقت فيها دول الحلفاء وكافة الفرقاء في ذلك الوقت، على التزام الصمت تجاه ما قامت به القوات الروسية في القفقاس في ذلك الحين، من عمليات قتلٍ وتدمير للمسلمين هناك، وعندما جوبه المندوب الإنكليزي إلى تلك المفاوضات، في برلمان بلاده اثناء نقاش المعاهدة، لِما أبداه من تسامح وتساهل في الاتفاق مع روسيا، أجاب إجابة تاريخية كان من المفروض على العرب الأعراب عدم نسيانها، بل وكان عليهم وضعها كالحلق في آذانهم، لو كانوا يفقهون؛ أو يعلمون؛ أو لو كانوا حاضرين؛ أو لو كانوا متواجدين؛ أو لو كانوا واعين لما يجري، أو لِما أعدَّ، أو لما كان يُعد لهم من نهايات! فقد قال المندوب البريطاني إذ ذاك: إنه لا يمكن أن نكون مسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم! وهو يشير بذلك إلى الموقف التركي إذ ذاك، الذي سكت على قيام روسيا بإحتلال القفقاس ولم يحرك ساكناً ١٨٥٦م كان هذا كلام المندوب الإنكليزي إلى اتفاقية باريس إذ ذاك والتي وقِّعِتْ بين الدول المتحالفة وروسيا. وفي عام ١٩٤٤م تعرضت شعوب الشيشان والأنغوش وقبل ذلك التتار(وهي المناطق الإسلامية القريبة من روسية) في القفقاس تعرضت إلى أكبر عملية نفيٍ واقتلاع جماعيٍ عرفته البشرية، حيث نقلوا وهجروا جماعياً إلى المناطق الشمالية من الإتحاد السوفيتي.

كذلك تم اغتيال الرئيس الشيشاني الذي كان قد عمل على تحرير افخاذيا ١٩٩٣م وذلك أثناء إجرائه مكالمة هاتفية مع وسيط دولي في جنوب البلاد عام ١٩٩٦ كانت روسيا تتهم شعوب المسلمين في القفقاس بالأصولية والإرهاب، لذلك ففي عام١٩٩٧ أعلن الرئيس الشيشاني أصلان مسخادوف، أن بلاده أصبحت، ومنذ الآن جمهورية إسلامية، وباتت تُحكم وفق الشريعة الإسلامية والدين الحنيف، وهدد بأنه سيعلن أنّ اللغة العربية ستكون، أو أنها يمكن أن تكون اللغة الرسمية في البلاد، إذا استمر التآمر على المسلمين، من قبل روسيا المدعومة بمواقف الدول الصليبية المهودة في العالم! فهل سمع نداءه أحدٌ من العرب؟ هل أثَّر قراره الجريء على أحدٍ من العرب؟ هل كان لصوته صدى؛ أي صدى من قبل أحدٍ من العرب الغائبين فلو كان قد أعلن عن رغبته في جعل اللغة الصينية لغة رسمية في القفقاس؛ لنهضت الصين بأجمعها لنجدته؛ لو أعلن عن رغبته في جعل اللغة الفرنسية لنهضت فرنسة كاملة لنجدته؛ لكنه أعلن سيجعل اللغة العربية لغة القرآن العظيم، لغة لبلاده فلم يشعر به أحدٌ من العرب، ولم يستجب لندائه أحدٌ من العرب ولم يتفاعل مع إعلانه أحدٌ من العرب لماذا؟

عليه، العادات[1] والتقاليد الفطرية، العربية الأصيلة، والأعراف، والتقاليد، والقواعد

(١) في كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي وصفٌ دقيق لأعياد اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وحتى لصلاتهم من الواضح جداً أنَّ (المقريزي) أنه كان خبيراً في شؤون اليهود؛ إلى درجة كبيرة... ولكنه في وصفه للصلاة عند اليهود، يصور، الصلاة الإسلامية؛ الصلاة القديمة للعرب قبل بعثة الرسول ﷺ، إن هذه الصلاة صلاة بني إسرائيل، وليست صلاة اليهود، فصلاة اليهود معروفة اليوم، و صلاة اليهود فيما مضى كان فيها بكاء، وصياح، ولطم، وتصديةً، ونواح؛ ودعاء بالبوار على الأمم الأخرى، من غير اليهود، وصلاة اليهود ليس فيها خشوع، ولاتضرع، بل فيها كلام والتفات، وحركات بدون قيود مفروضة؛(عن كتاب هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية، بدون تاريخ دار مكتبة الحياة بيروت). وكانت بدون وضوء أصلاً؛ ثم إن اليهود الذين احتكُّوا بالمسلمين، تعلموا الوضوء من المسلمين وأدخلوه على صلاة اليهود كان هذا الأمر أيام استلم أحد حاخامات لليهود يهودي من المنطقة العربية، واستمر ذلك على عهد ولده ثمَّ لما آل الأمر إلى أشخاصٍ آخرين رجعوا عن الوضوء قبل الصلاة عندهم! وصلاتهم لم يعد فيها لاركوع ولا سجود وإنما يقرأ عليهم الحاخام فقراتٌ من التوراة باللغة العبرية وهم في حالة لم يَعُد فيها جميع الحاضرين، يكترثون لما يقول، فليس لديهم خشوع ولا تضرعٌ، إنهم لا يخشون إلههم (يهوا)! وهي موضَّحة في كتاب (العبادات في الأديان السماوية)عبد الرزاق رحيم صلال الموجي دار الأوائل دمشق ٢٠٠١.كذلك كانت أعياد اليهود أعياداً وثنية الأساس وليست ربانية أبداً هذه الأعياد التي كانت أساساً عربية ربانية، ثمَّ إن اليهود حرَّفوها فصارت عندهم عيد الفطير بدل عيد الفطر وهكذا! والدليل هو قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥]، لقد فرض الصيام صيام شهر رمضان،على المؤمنين المسلمين، من قديم ولعله من أيام آدم عليه السلام، وكان في نهاية شهر رمضان، عيد لدى المؤمنين المسلمين، وهذا الأمر قديم من قبل البعثة النبوية المحمدية، مثله مثل الصلاة التي كانت قديمة، والحج أيضاً كان قديماً من أيام سيدنا إبراهيم، وربما من قبل، والله أعلم، وكذلك الزكاة التي كانت قديمة جداً. أيضاً، كانت كل هذه الفروض قد فرضها الله تعالى على عباده منذ الأزل، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ١-٥]، وهذه الآيات تشمل جميع من آمنوا السابقين، الذين كانوا يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة =

الفطرية العربية المتعارف عليها في الحياة العربية، والقوانين المقوِّمة لسلوك ومنفعة ومصلحة الجماعة العربية، وبالتالي الإنسانية كافة، والتي كانت دائماً وأساساً منبثقة عن إيمان العرب الربانيين بالحق والعدل والخير والسلام، والذي كان أساسه عندهم،الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبالتالي فهي كانت دائماً، مستمدة من الدين الحنيف، إنّ العروبة كيانٌ إسلاميٌ مؤمنٌ رائد، ونموذج يُحتذى للأمم الأخرى، الأساس أنَّ الله سبحانه وتعالى قد كلفهم، وقد هيأهم، وقد أعدهم لهذا الغرض، لا شك في ذلك أبداً، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[البقرة: ١٤٣]، لذلك فإنَّ اليهود والصليبية المهودة، في جميع أنحاء العالم، يعرفون ويدركون هذا الأمر تماماً، حتى أنَّ (توني بلير) رئيس وزراء بريطانيا صرح وقال بأنه ليس ضد الإسلام؛ ولا هو ضد المسلمين؛ ولكنه أكد على مخاوفه من الإسلام العربي أن يجتاح بريطانيا! وقال بأنه يريد إسلاماً ينسجم مع أوربة؛ وتحديداً مع بريطانيا! وهذا ما سبق وأعلنه رئيس وزراء فرنسة منذ سنين، إبان تأزم المشكلة في فرنسة مع المهاجرين العرب والمسلمين، قال بالحرف الواحد: إن الإسلام هو الدين الثاني في فرنسة، وبالتالي فهو ليس ضد الإسلام، ولا هو ضد المسلمين، ولكنه طالب المسلمين في فرنسة أن يكونوا فرنسيين؛ حضارة وولاءً، وأعلن صراحةً عدم قبول الإسلام العربي، ولا بأي شكلٍ من الأشكال وهذا هو

---

وكانوا ينفقون مما آتاهم الله من فضله أي كانوا يؤتون الزكاة، فالصلاة والزكاة فروضٌ قديمةٌ، ومن سيؤمنون إلى يوم يبعثون،وكذلك صيام شهر رمضان كان قديماً، فحرفه اليهود عن موضعه؛ واشتغلوا بالتخفيف منه، والتخفف، كما اشتغلوا بالتخفف من كافة الفروض الأخرى، وقاموا بتحوير مفهوم الصيام عن حقيقته، وتدرجوا في ذلك حتى أصبح عند النصارى مجرد التوقف، أو الامتناع عن أكل الدسم ويتشددون في ذلك، ويكتفون به! ثم إن المفكرين العرب المسلمين، العلماء؛ صاروا يتصورون الحقيقة مقلوبة! وباتوا يتحدثون عن أنواع الصيام؛ وكأن الله سبحانه وتعالى قد فرض أشكالاً متعددة من الصيام... كيف يفعل ذلك وهو ﷻ، واحد، وكان دينه واحداً، أليس الدين عند الله الإسلام؟ بلى والله

تماماً ما كان قد أوضحه الرئيس الأمريكي، للشعب الأمريكي وللعالم في خطاباته العديدة، إبان إعلانه الحرب على الإسلام، أو على الإرهاب كما سماها.

كذلك دُفِعَتْ الأمور في الحياة العربية منذ مطلع القرن العشرين باتجاه إفشال وتفشيل وإجهاض وتجهيض أي محاولة للنهوض بين العرب، وتولت العمل على تحقيق هذه المهمة، مهمة الإجهاض الدول والحكومات والأحزاب والتنظيمات المصطنعة، والتي كانت قد ورثت الاحتلالات لأجزاء الأراضي العربية، وكذلك المؤسسات، والجمعيات الكثيرة، الموالية والمعارضة الدينية والعلمانية التي تشكلت هنا، وهناك على بطاح أرض العرب، في جميع الأقاليم العربية، جميعهم أسهموا في المشروع الرهيب حيث أبقي على العرب مكبلين، يرسفون في قيود الجهل والتخلف والأمراض المستعصية والفقر والحمق والمشكلات المفتوحة؛ وعلى البؤس والحرمان المستديم.

كل ذلك عملوا على تكريسه في حياة العرب ليظل العرب قرناً كاملاً من الزمان صامدون في مذلة وهوان، تذبح أبناؤهم، وتستحيا نساؤهم! والعرب مستبسلون ويقدمون التضحيات وهم صابرون؛ يتلقون الضربات المؤلمة والموجعة، والقاسمة للظهر ببلاهة، ودون أن يفكروا بالرد الصحيح، وهم إلى الآن لم يجمعوا رأيهم، ولم يقرروا ضرورة القيام أو ضرورة التماسك والتوحد، ليدفعوا عن أنفسهم الظلم، بل وأعد العربي أخيراً لتُّقبيِّل يد جلاده وقاتله ومغتصب حقه؛ وفعلاً وعلى امتداد القرن العشرين، كانت قد برزت دعاوى مختلفة[1] ومتباينة لتصورات، ونظريات سياسية، ملأت وجدان الناس

(١) كذلك ظهر مؤخرا في مصر كتاب (زبور داوود) الذين ادعوا اكتشافه، والذي عثر عليه صدفة! في مقبرة (المضل) في مدينة بني سويف، في مصر العربية؛ ثم بعد أبحاث ودراسات علمية استغرقت عدة سنوات؛؛ أكد الدكتور الفلاني، صحة الكتاب وقيمته؛؛ وهو مكتوبٌ على الرق (جلد الغزال)!، وعُملتْ وفي حينه كل الإجراءات الإعلامية والصحافية المطلوبة، التي من شأنها تكريس الكذبة الكبيرة، والتي ستجعل من الكذبة حقيقةً ثابتة، ويعزف ناشرو =

وأخذتهم كلَّ مأخذ، وأذهبتهم في شتى التيارات، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ومن أعلى قمة إلى أدنى المستويات، إن جاز التعبير، فلم تكد تتفكك الإمبراطورية العثمانية، حتى أسف عليها كثيرون، على رغم مما كانوا قد عانوه منها، ولكن فعلاً لقد أسف عليها الكثيرون، حتى من الذين كانوا قد ثاروا عليها، وذلك لِما عاينوه، فيما بعد، من الويلات، جراء الاستعمار الأوربي الحديث، فولدت على الساحة العربية نظريات، وجلبت نظريات؛ سياسية دينية وفلسفات برمتها، كانت عبارة عن ردود أفعالٍ على ما حصل إبان انهيار الدولة العليَّة العثمانية،. وكما هو معلوم فقد برزت الدعوة إلى القومية العربية، أول ما برزت محاكاة، لما هو مطروح في أوربا العلمانية؛ وكان النصارى من العرب إذ ذاك، في طليعة الداعين إلى إقامة الدولة العربية! وما إن تمت عملية هدم الإمبراطورية العلية العثمانية، حتى تحول أكثرهم إلى أنصار ومؤيدين وداعمين للإقليمية والفئوية[1]، لقد

ذلك الكتاب على المسائل نفسها؛ إنهم يكرسون جهودهم لتضليل العقل البشري، لتعميم الخرافة، ولا أظن أنّ هذه الأساليب يمكن أن تنطلي على العاقلين الأطفال؛ لكنهم يأملون أن تنطلي على شعوب العالم المتحضر والعرب، إنّ كلَ ما يوردونه في هذه الكتب المُدَّعاة، والملفقةُ بطريقة غير ذكية؛ مكشوف تماماً، كما حصل في كتاب إنجيل برنابا الملفق! إن هذه المشاريع تتوافق مع ما في توراة اليهود، وتكرس مقولاتها وتتناقض تناقضاً كاملاً، مع ما ورد في كتاب الله القرآن الكريم، ويصدِّرون هذه الافتراءات بأسماءٍ مشهورةٍ، كتاب، أو باحثين مصنَّعين، خصيصاً لهذا الغرض! ونستطيع أن نضيف إلى هذه الكتب، كتاباً آخر مشهور وجرت أو افتُعلت حوله الضجة نفسها؛ وذلك في منتصف الثمانينيات وهو كتاب (أو ما سميّ مخطوطات قمران والبحر الميت).

(١) المرحوم (أوسكار توما) كان صاحب وجه بشوش، كان دائم الابتسام من أثرياء منطقة باب توما؛ بدمشق (قلب العروبة النابض!) وكنا نعمل في ورشاته الصناعية أثناء العطلة الصيفية، عام ١٩٧٤م، كان خالاً لصديقي منصور توما وصديقي هذا لا أزال أحترمه، كان صديقي (منصور توما) عربياً مسيحياً، محباً للعرب بشدة، مدافعاً عنهم، كان يؤمن بالقومية العربية، ويحلم بالوحدة العربية. فالسيد (أوسكار توما) خال صديقي، كان يحب النقاش الفكري والسياسي؛ وكنت أشعر عند نقاشي معه أنه يحب الاستماع لآرائي، على الرغم من صغر سني، في تلك الأيام، وسنه الكبير، كان يقول بطريقة محببة (حتى أنت يا بروتس!) وفي ليلة من ليالي أواخر صيف ١٩٧٤، كنت أجلس عنده في محله الصناعي الكبير، منطقة السادات، برفقة صديقي منصور توما، وحينها كنت المسلم الوحيد، ودار نقاش بينه، =

وبين ابن أخته عن العروبة وضرورة الانتماء للعروبة، وكان صديقي منصور يدافع عن العروبة بكل إخلاص واندفاع، كان يحاول أن يثبت لخاله؛ وعلى حد تعبيره، أن العروبة، أو الدعوة إلى الوحدة العربية، كانت بريئة من مقولات، وسلوكيات المتخلفين والمتزمتين من المسلمين؛ أو من رجال الدين الإسلامي!

كان منصور يحاول انتزاع شهادات مني على صحة حديثه، كان يلتفت إليَّ، ويقول لي أليس كذلك؟ كوني عربياً مسلماً؛ (على أساس، وشهد شاهدٌ من أهله!) وكان منصور صديقي منفعلاً، يرفع صوته ليرد على خاله الذي انفعل عليه بدوره! ثمَّ ما لبث فجأةً أن قام الخال واقفاً بقامته المديدة ومدَّ يده على طولها باتجاهي مشيراً إليَّ! صارخاً في وجه ابن أخته منصور؛ قائلاً: ماذا تقول! عروبة؛ أنت لا تعرف شيئاً! أنت لا تفهم شيئاً! إنَّ هؤلاء (وهو يشير إليَّ طبعاً - بالنسبة له في تلك اللحظة- فأنا كنت أمثل أمامه جميع العرب المسلمين؛) قال صارخاً بأعلى صوته: إذا وافقنا على كلامك فإنَّ هؤلاء سيبتلعوننا! ثم أنه زاد من حدة الخطاب، فصاح بنا: هيا اخرجوا من المحل، وطردني! (حدث هذا في قلب العروبة النابض) طبعاً أنا خرجت، وكنت بائساً وحزيناً ومنزعجاً جداً جداً مملوءاً بالغيظ؛ ما كنت أتوقع لنفسي أن ألقى، أو أن أتلقى مثل هذه التجربة، الطرد!

والواقع أنني في تلك الليلة لم أستطع النوم، من شدة الأسف على ما لقيته في ذلك الموقف السخيف! وفي صباح اليوم التالي، وجدت نفسي أسير يملؤني الحزن، أفكر في ما جرى بالأمس، متثاقلاً مهموماً، وذلك في حارة العازرية، منطقة باب توما، ثمَّ أنني انحنيت لأشرب من سبيل الماء، أول الحارة، وما كدت أرفع رأسي عن الماء، حتى وقعت عيني فجأة، على صورةٍ صغيرةٍ (لأوسكار توما)!!! كانت ورقة نعوته ملصقة فوق سبيل الماء، أذكر أنني في تلك اللحظة قد حملقت فيها طويلاً، وأطلت النظر والتأمل، لقد مات أوسكار توما، لقد زال سبب حزني الشديد.

وقد غاصت تلك الحادثة في اللاشعور عندي، وكدت أنساها مع مرور الزمن، ولكن في صيف عام ٢٠٠١م، في فترة الحصار على العراق، وفترة التحضير لغزو العراق، زارني في مكتبي شخص محترم، كان في الستينيات من عمره، وكان يلبس طقماً من الجنز، لا أعرف أسمه، كان ركيك العبارة، سألني أولاً عن كتاب كان يبحث عنه، وبعد ذلك مباشرة سألني عن معنى كلمة (عرب) فقال ما معنى عرب؟ وما معنى يعرب؟ فقلت له بكل طيبة قلب: العرب هم أمة من الأمم، ويعرب هو جد العرب؛ فقال لا لا هذه مجرد خرافات، وقد آن الأوان لضحدها.

ففي الغرب لا يعترفون على هذا الكلام مطلقاً؛ لأنه كلام خيالي، ويجب التخلص منه؛ ويجب معرفة الحقيقة؛ فقلت مندهشاً وما هي الحقيقة برأيك؟ فقال: إن مفهوم عرب ومفهوم العروبة عبارة عن ألفاظ، مجرد ألفاظ، كانت وليدة الاستعمار، مثل لفظ الأردن، ولبنان، وسورية، والسعودية، اخترعها الاستعمار، (سايكس بيكو) وصرنا نتمسك بها؛!

فقلت له: وما هي الحقيقة في رأيك؟ فقال الحقيقة هي أنَّ هذه المنطقة كانت تُعرف منذ القديم ببلاد الأشوريين، وبلاد الكنعانيين، ولا شيء غير ذلك، وستعود كذلك، ويجب أن تعود كذلك، وهناك؛ في أوربة ينظرون إلينا بشكل مختلف تماماً، إننا مجموعة من الأقوام المتنافرة ذوي أصول متعددة،!!

فقلت له: وأنت هل أنت عربي؟ فقال: أنا لا لا لست عربياً، أنا آشوري؛ أصلاً كنت من الحسكة، وأنا مقيم الآن في =

السويد منذ ثلاثين سنة، والآن أنا أزور سورية، زيارة سياحية؛ وسأعود إلى السويد، ومستقبلاً سأقيم بقية حياتي في اسبانيا، وذهب ولم يعد، ثم بعد أقل من أسبوع من هذه الحادثة، صدفةً، ومن غير ميعاد، دخل إلى مكتبي رجلٌ في العقد التاسع من عمره، كان بطيء الحركة، يلبس شورت جنز؛ ويضع (برنيطة)على طريقة السائح الأوربي؛ وفقط سألني عن اسمي، فأجبته، فقال هل أنت مدير هذا المكتب؟ فقلت بكل تواضع نعم؛ فقال: ولكن ما معنى يعرب؟ فقلت منشدهاً ومستغرباً، يعرب هو: جد العرب، والعرب أمة..، فقاطعني بحزم وإصرار واضح، قائلاً: لا لا هذه أوهامكم، فلا يوجد شيء اسمه عرب، عرب عاربة، وعرب مستعربة؛ بل هي أساطيرٌ تعشش في رؤوسكم، أنتم لا غير! فقلت له وأنت ألست عربياً؟ فقال لا أبداً، فقلت له فمن أين أنت؟ فقال: أنا من مصر، فقلت له مع ذلك أهلاً وسهلاً، فأنت قبطيٌ إذاً! فقال نعم. وكيف عرفت!

كان صديقي في المدرسة مسيحياً عربياً ولكنه في درس التاريخ، كان يستنكر القول، إذا سمع عبارة (الاستعمار الفرنسي) أو (الاحتلال الفرنسي) وكان يطالب بأن نقول الانتداب الفرنسي! وكان يكرر القول: أن العثمانيين قد احتلوا البلاد العربية، واستعمروها وكانوا سبب دمار الشعب العربي، فكيف نوحد آراء الأخوة العرب والأشقاء، سألت هذا السؤال لنفسي منذ ثلاثين سنة.

وبعد، فإنَّ السؤال المهم، أو الذي أصبح مهماً، والذي صرت أسأله لنفسي دائماً وهو: هل جاء ميشيل عفلق عام ١٩٢٨م بعد رحلته إلى باريس بفكرة القومية العربية العلمانية، هل جاء بها لخدمة العرب المسلمين فقط؟ أو هل استطاع ميشيل عفلق، بفكرته العلمانية إقناع مسيحي عربي واحد، أو تحويله، أو حرفه عن مساره الطائفي المحدود، وفَلَكِهِ الطائفي الضيق، والمرتبط بخيوط وتعقيدات، كانت دائماً عصيِّة على الفهم، وغير قابلة للاختراق، وغير قابلة للذوبان، والحل؟ إنَّ ميشيل عفلق لم يستطع ومع مرور الوقت الطويل؛ إخراج مسيحي واحد من المسيحيين العرب، من قوقعته؛ ولم يستطع دمجه دمجاً حقيقياً! في فكرة القومية العربية العلمانية، التي استوردها لنا طازجة من فرنسة، وبالتالي فهل كانت مهمة ميشيل عفلق، فقط هي العمل مع المسلمين العرب؟ هل كان ميشيل عفلق موجَّهاً بشكل أساسي للمسلمين العرب؟ بدأ ميشيل عفلق بالعمل على الساحة العربية عام ١٩٢٨م، بعد عودته من بعثة ذهب بها إلى باريس، برفقة صلاح الدين البيطار، وكانا مدرسين في مدرسة جودت الهاشمي، أيام الاحتلال الفرنسي إلى سورية (١٩٢٠-١٩٤٦م)

فهل كانت طروحاته عن العروبة العلمانية خاطئة خطأ مقصوداً؟ هل كان ذلك مقصوداً لتشويه حقيقة الفكرة، التي هي الإسلام العربي الصحيح بعينه؟ وكان كتاب العرب ودستورهم الحقيقي، ودون مواربة، هو القرآن الكريم؟ لماذا يتم تصوير هذه المسألة، للمسيحيين العرب على أنها الشر المستطير! هل عمل ميشيل عفلق في ظل الاحتلال الفرنسي، هل عمل على تضليل العرب بطرح العروبة، أو فكرة العروبة، طرحاً خاطئاً؟ النصارى العرب لا يعلمون أنَّ القرآن العربي الكريم، يجب أن يكون كتابهم، بل هو كتابهم الحقيقي، لأنه بالأساس كان يستهدفهم، كونهم أعراباً، أعراباً متخلفين عن الدعوة إلى الحق، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ =

صبت الأفكار والنظريات صباً، وكانت بمختلف أشكالها عن، أو هي أشبه بألبسة وأحذية متنوعة مستعملة، جاهزة، أحياناً تفصيل؛ وطلب من العرب الدخول بها! ومنذ ذلك الحين، وعلى امتداد القرن العشرين، لم يخرج منها مفكر واحد؛ ولا متنوِّر واحد بحيث يطلب من العرب أن يفكروا! أو يحثهم على التفكير، أو أن يُعملوا عقولهم، ودائماً كانت الأمور تجري بالعكس، فتوضع العربة أمام الحصان؛ لا أحد يفهم شيئاً، ولا أحد يفقه شيئاً، ولا أحد يلاحظ شيئاً، فقط المُنَظِّر، وفقط الزعيم، هو وحده الذي سيفكر ويخطط عن الملايين من العرب، وباسمهم؛ والله أعلم من أيٍّ من المصادر أُملِيتْ عليه تلك الأفكار، أومن أيٍّ من الجهات كان يستوحي تلك النظريات التي فُرضت وسُوِّقت على الساحة العربية، وفي الشارع العربي، أشاعتها وعممتها بالترغيب والترهيب وأحياناً بالقوة، كل هذا جرى في القرن العشرين، تعمية للناس العرب، وصرفاً لهم عن حقيقتهم، وتبديداً لطاقتهم، وهدراً ومضيعة لعمرهم، وقتلاً لوقتهم، وتصفيةً لزمانهم، وإتلافاً لأموالهم، ونهباً لثرواتهم.

---

أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦] وهذا يعني أنهم، أولاً وأخيراً، سينضمون إلى الدعوة العربية عاجلاً أم آجلاً، النصارى العرب الأصلاء، الذين كانوا، ولايزالون، تربطهم بوطنهم رابطة العروبة، والإيمان بالله الخالق الرحيم، والتي لا يمكن أن تنفصم، أو أن تنحل أبداً، مع المسلمين العرب الأصلاء، الذين يحسون ويدركون المعنى الحقيقي للعروبة، والذين يؤمنون بالله الخالق الرحيم، النصارى والمسلمون العرب بوعيهم الحقيقة، واتحاد هممهم، وبنبذهم لقضايا وأحداث، وأفكار تاريخية معروفة، كانت قد سادت في فترة من الفترات، بفعل التخلف والانحطاط الشديد، إنهم بعودتهم للنبع الواحد، للإيمان الحقيقي، يمكن أن يندحر أعداء العرب، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢]، فلماذا لا ينطلق الحوار العربي العربي أولاً؟

## وذهب النضال العربي طوال القرن العشرين هباءً منثورا!

ذهب ذلك النضال ذهب هباءاً منثورا ونسف نسفاً، وكأنه لم يكن؛ وهكذا ذهب القرن العشرون دون أن يكون قد حصل فيه للعرب المسلمين أي إنجاز يذكر، بل على العكس لقد خسر العرب فيه منجزاتهم؛ وأضاعوا فيه وجودهم، ومستقبلهم، لقد تراجع فيه العرب و تقدم فيه أعداؤهم، وصار واضحاً أنَّ تلك النظريات السياسية، على اختلاف أنواعها ومواردها ومقاصدها، كانت عبارة عن طبخات طبخت خارج نطاق العرب، وخارج نطاق المسلمين، في عواصم غربية غير عربية، وقد وزعت وانتشرت في دنيا العرب المسلمين، وذلك لإرباك العرب والمسلمين، وإدخالهم في المتاهة أكبر فترة ممكنة من الزمان، أو لعزلهم عزلاً تاماً إضافياً، بغية إجهاض نشاطهم، وإبقائهم في حالة العطالة والسكون ولقرون، متخلفين لايتقدمون ولا بوصة واحدة إلى الأمام، في أي مجال من مجالات النشاط الإنساني، من مشرقهم إلى مغربهم، ومن شمالهم إلى جنوبهم كان العرب المسلمون مستهدفين.

وهكذا كانت أكثر الحركات الإسلامية تناصب الفكرة العربية العداء؛ بجهالة تامة وحمق شديد، يريدون إقامة، أو إعادة إقامة، مملكة، أو ملك سليمان ﷺ، وقد تناسوا الحقيقة، وهي أن ملك سليمان لا ينبغي لأحد! وهو لم يعد ينبغي لأحد؛ قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ** ﴾ [ص: ٣٥]، وعلى الرغم من أنّ الناس، من العرب المسلمين، أكثرهم لم يكونوا مسرورين من الدولة العلية العثمانية، فإن الخطاب الديني الإسلامي المتملك للنفوس العربية أساساً، والعامة دائماً على مذهب الإمام؛ لذلك وعندما أُدخلت السياسة إلى الدين الإسلامي؛ أو أدخل الدين الإسلامي، من خلال

رجالاته الذين أقحموا في السياسة، في مستهل القرن العشرين، فإنه عند ذلك، لم يعد للمنطق ولا للمعقول ولا للصحيح ولا للواجب ولا للحقيقة ولا لطبيعة الأمور في الوجود الإنساني ولا لهموم الإنسان ولا لقضاياه الذاتية ولا لطبيعة معاناته، ولا لمشاكله الهامة؛ أبداً لا شيء من هذه الأمور كان مهماً، بقدر أهمية كلام الإمام، أو الشيخ فلان ابن فلان.

وهكذا قام البعض بإلهاب المشاعر (العاطفة الدينية) مشاعر العامة، عندما نظَّرَ لتصورات وهمية[١]، غير منطقية، ولا هي من أساس الدين العربي الحنيف، فأدخلوا العرب المسلمين منذ ذلك الحين في سراديب مظلمة، انعدمت فيها الرؤية، وعزَّ فيها للعرب المسلمين الخلاص، بحيث أدخل فيها العرب إلى المصيدة الكبرى، وتم غمسهم بالغِراء، وتم تسميرهم بالمسامير، متاهةٌ ليس لها أول ولا آخر، وصوروا للناس العرب المسلمين، صورة وطن وهمي، ومستحيل! وطن لن يشمل البقعة التي كانت الدولة العثمانية قائمة عليها، ولا حتى الدولة الأموية؛ إنهم طرحوا أفكاراً، كانت أوسع من ذلك بكثير، فقالوا بدعوة إقامة وطن إسلامي يشتمل على كل المسلمين في العالم! وهذه كانت من أبرز النظريات التي سادت على الساحة العربية في القرن العشرين، ولا تزال تلك الأحلام الخيالية؛ التي لم يأمر بها الدين الحنيف، ولا نص عليها القرآن العربي المبين، لم تزل في عقول الكثيرين من العرب المسلمين.

الأمر الذي جعل العرب وخلال عصور، يدورون حول نفسهم دون جدوى، إنهم

---

(١) المقصود هنا، كل الجماعات والأحزاب والتنظيمات والشخصيات التي تزعمت العرب المسلمين، خلال القرن العشرين، الدينية سلفية وصوفية وشيعية مختلفة بما فيهم الخطباء، والوعاظ، والمدرسون، ممن كان لهم أثر في حياة العرب المسلمين، خلال تلك الفترة.

لا يعلمون بأن القرآن الكريم العربي المبين لم ينص، ولم يؤكد، ولم يطلب من المؤمنين، فعل ذلك أبداً بل أكد القرآن الكريم العربي المبين على نصرة المظلوم، وإقامة حدود الله سبحانه وتعالى، وإقامة العدل، والتآخي في الإسلام، وهذه الأمور لم تكن تتطلب التوهم في إقامة دولة وهمية تضم الكرة الأرضية! وهكذا فإن الدعاة ساقوا الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والمواقف والأحداث التاريخية بطريقة خدمت ما طرحوه من الأوهام. ولكن الحق، لم يكن كما توهموا، فالإسلام، الدين الرباني، لم يكن ليلغي الأوطان؛ والروابط الإنسانية الطبيعية، مثل الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة الروابط التي أوجدها رب العالمين، عز وجل، بل الدين الحنيف، دعى إلى أسلمتها، والله سبحانه وتعالى، طلب إلى الناس أجمعين أن لا يعبدوا الشيطان، وطلب إلى الناس أجمعين أن يُخلصوا لله الدين، ولو كره الكافرون.

ولكنّ الله سبحانه وتعالى، لم يطلب إلينا تحطيم الأوطان، أو إلغاء ما هو موجود في الوجود، في طبيعة الوجود، إن الدعوة إلى التوحيد لن تكون بحالٍ من الأحوال دعوة لاستئصال الأنف أو العين أو الأذن من الإنسان، بحجة الدين، بل إنَّ هذا الدين، الذي يدعو إلى الاستئصال، دين أشخاص، دين رجالات الدين، وليس دين الله سبحانه وتعالى، لأنَّ استئصال حب الوطن من المُهج، مجرد اعتقاد خاطئ، إنهم أشخاص واهمون، ويجب التأكيد على أنَّ الدين الحق، هو ما كان من الله سبحانه وتعالى، ومن الله وحده، ما نزل في قرآنه العربي المجيد، وليس الدين ما تأوله الأشخاص، في بعض مراحل التاريخ، ولا يتطلب الدين الإسلامي، الدين العربي الحق، لا يتطلب لإقامته، بالضرورة، إمبراطورية

واسعة ولا خليفة هو نائب لله عز وجل على الأرض[1] ولا حاكم يُعْبَدُ من رعيته؛ كما كان

(١) إنَّ المفهوم العربي البيِّن، والمبين لمعنى لفظ (الخليفة) في النظام الإسلامي، يتجلى في كون (الخليفة) أولاً عبارة عن قاضٍ يقضي، ويشرف هو، أو من ينوب عنه، على قيام العدالة بين الناس، في سائر أنحاء سلطته، نيابة عن المسلمين؛ وهو يعمل على رفع الظلم عنهم؛ وذلك بمقتضى أحكام كتاب الله الكريم، وثانياً، كونه الخليفة، يقوم بواجب الحسبة، (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي هو أساساً، واجب مفروض على كل مسلم ومسلمة القيام به) هذا الواجب الملقى على عاتقه، كخليفة للمسلمين، ونيابة عن كل مسلم؛ ذلك بسعيه الدائم لتغيير المنكر، وحثه الناس على رفع المستوى - مستوى الأداء - (حضورياً)، لتعميم الخير، وأمره لهم بالمعروف، والعمل على شيوعه بين الناس. وكذلك كان المحتسب، بدايةً، عبارة عن وكيل للخليفة، أو للأمير(صاحب الأمر)، لتحقيق هذه المهمة، أو هو مندوب الأمير، الذي كان يعمل بشكلٍ من الأشكال، على تحقيق الازدهار في الاقتصاد والأخلاق عموماً، وفي جميع أنحاء الولاية، أو الدولة. إنَّ حاجة الناس، في المجتمع العربي الإسلامي، كانت دائماً ماسةً، إلى تطبيق هذا المبدأ، ولكنَّ تطبيقه أخذ يتضاءل يوماً بعد يوم! وذلك عندما اضطرَّت الجماعة العربية الإسلامية إلى الدخول في إطار، أو في شكل، أو في نظام الدولة الأوربية الحديثة؛ فصار العرب، لا هم استطاعوا تطبيق النظام الأوربي، ولا هم استطاعوا تطبيق النظام الأساسي العربي؛ إنَّ وظيفة المحتسب كانت تعتمد على مبدأ مراقبة الأخلاق والسلوك ومختلف الأعمال، التي قد تبدو في نظر الإسلام، منكراً يحتاج إلى تغيير؛ (الجنح، والمخالفات الجزائية، والتجارية، وغيرها) وتطبيق ما يرسمه الحكم العربي، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧] إنَّ المحتسب، أو الخليفة (مضافاً إليه مهمة القيادة، والإدارة للدولة، وكون الخليفة رأس الدولة العربية الإسلامية) كانت وظيفته الأساسية هي ضمان احترام شرع الله سبحانه وتعالى، وتحقيقه في كل ما يتصل بالمعاملات الصناعية وتجارة السوق، والآداب العامة والسلوك؛ في جميع أنحاء الدولة، داخلياً وخارجياً؛ وكان له أعوان. فوظيفة المحتسب كانت وظيفة الخليفة الكبرى، ومهمته الأولى، وقد انطلقت أساساً هذه الوظيفة مع وظيفة الخلافة، من المسجد الكبير! وكان الولاة، أو الأمراء مندوبين للخليفة، في كافة المدن (الاحتساب كأساس للوظيفة!) وكان لهم بدورهم مندوبين في البلدان والبلدات، ويخضع له (للمحتسب) مكتب الموازين، والمكاييل، الذي كان يحتكر حق بيعها للجمهور، وكان يجب أن تحمل شارته، وذلك لضمان عدم التلاعب بها، بينما كانت وظيفة المحتسب، تطبيق المصلحة العامة في المدن والبلدات، وكان لوظيفته طابع تاريخي؛ وأمر تعيين المحتسب ملحق بالقاضي مباشرة، ومن مهامه فرض النظام، على التجمعات. كانت مهمة المحتسب تعطى لأناسٍ مثقفين وأذكياء، ومن يُعطى وظيفة الحسبة، يجب أن يكون قد مارس القضاء سابقاً، ويجب أن يزور السوق بنفسه؛ وذلك لكشف الغش بين الصناع والتجار في السوق، وعنده خبرة عن حيلهم، وفي الأوزان الصحيحة والمكاييل والوسائل التي يستعملونها، من أجل إخفاء، أو احتكار البضاعة؛ وحيلهم المستخدمة في الصفقات، كان يتسم باللِّين من غير ضعف، والشدة من غير عنف، حتى لا ترجى لكثرة تيقظه غفلة؛ ولا تؤمن على ذي منكر سطوته، كانت لدى =

الحاكم بأمر الله الفاطمي! ولا أمير، يأمر فيطاع، ولا والٍ يدَّعي أنه قد عينه الله عز وجل، أو يقال عنه وليُّ الله سبحانه وتعالى، حاشا وكلا، إنّ الإسلام هو الحكم العربي الحق، أساساً، دينٌ، وشرعٌ لله تعالى، والمطلوب إقامته، والمطلوب انتشاره في العالم، ومتى ما أقيم وانتشر تحقق المراد وهذا التحقق قد يتم بطريقة سلمية وقد يتطلب الجهاد أي قد يطَّر المسلمون إلى المجابهة، وفي جميع الحالات قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧].

إن الإسلام الدين الرباني الحنيف، لم يكن ليدعو إطلاقا إلى صهر الكيانات الوطنية، الإنسانية، في كيانٍ واحد كما يتوهم الواهمون، بل كان الرسول ﷺ، وهو الرسول المرسل من الله سبحانه وتعالى، أول ما فعله، أنه فقد بلَّغ الرسالة إلى كل إقليم، بواسطة الرسل وبواسطة الرسالة، فإذا قبلوا الرسالة، قبلوا الإسلام، وأقاموا حدود الله، أبقى كلَّ حاكم في مكانه؛ أو اختار لهم منهم حاكماً مؤمناً عادلاً، يقيم فيهم، ويحكم فيهم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، ثمَّ أرسل لهم قاضياً، ورجلاً يعلمهم القرآن الكريم.

وفي أقصى الاحتمالات، كان ﷺ يأخذ من الذين دخلوا في دين الله الفائض من زكاة أموالهم، من مختلف الأقاليم، لترد على المحتاجين في مختلف مناطق البلاد الأخرى، لأنّ المسلمين متكافلون، ومتضامنون، ويجير بعضهم بعضاً، وقد أخذ ﷺ الجزية ممن تخلف من الأعراب عن الدعوة إلى الإسلام، كونهم جزءاً من المجتمع الأعرابي، وهم بطبيعة الحال غير

---

المحتسب، غيرة (وطنية) على مجتمع العرب المسلمين، ومصالح العرب المسلمين. راجع كتاب (آداب الحسبة) للفقيه أبي عبد الله السقطي الأندلسي، ت.د. حسن الزين ١٩٨٧ دار الفكر الحديث بيروت،ولابن تيمية كتاب الحسبة في الإسلام.

مكلفين بحمايته، أو الدفاع عنه؛ ولا يؤخذ منهم زكاة عن أموالهم، فكانت الجزية ضريبة البدل، وعندما كانت تناط بهم مهام الدفاع عن الوطن، عند اللزوم ، كانت ترفع عنهم الجزية، والأمثلة كثيرة في صدر الإسلام، فقد كان الإسلام يعمل في نظام تكاملٍ بين الكيانات، والأوطان والولايات الإسلامية، اليمن والبحرين والحجاز، ثمَّ استمر هذا النظام الرائع إلى العصر الأموي، ثمَ تحول في العصر العباسي، بحيث صار النظام الإسلامي كله في أدنى مستوى، من جميع النواحي، ومنذ ذلك التاريخ خرج العقل العربي الإسلامي، خارج مقره وإلى الآن لم يعد.

قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣]، وهذا دليل أن في القرآن الكريم تأكيداً، وتوطيداً للكيانات الإنسانية الطبيعية الأساسية، ونجدُ من الإسلام حرصاً وحرصاً شديداً على قيام الأسرة وتدعيمها وكذلك العائلة والعشيرة فالإسلام أبقى على القبيلة ولم يلغها؛ بل دعى إلى أسلمتها، إنّ الإسلام لم يلغِ خلق الله! قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦].

وواهمٌ كل من كان يعتقد أنَّ الإسلام يمكن أن يُلغي أياً من الكيانات الإنسانية الطبيعية، التي تحقق للإنسان إنسانيته، وتكون البيئة المناسبة لنموه نمواً طبيعياً، لا النمو القسري، الاصطناعي، الافتراضي، التخيلي، الوهمي، الذي لا ينبني على أسس منطقية

تسعد الإنسان وتؤمن له الأمان والارتياح الأمين الطبيعي والطمأنينة، من جميع أبعاده الحياتية، لا الأمان الزائف، وبالتالي فإن الإسلام لم يهدف أساساً، إلى إقامة الإمبراطوريات التوسعية التي ليس لها حدود، أبداً، وليس هذا هدفه ولم يكن، لكن الإسلام دعى إلى كيانات إنسانية إسلامية يسود فيها أمر الله سبحانه وتعالى، ما جاء في كتابه المجيد، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣].

إن الإسلام يتطلب مجتمعاً فيه أماناً وطمأنينة، يترعرع فيه المسلمون، في مختلف أنحاء العالم، ليحققوا من خلاله سعيهم لما أمروا به، ولينتهوا عمّا نهوا عنه، الإسلام لم ينهِ، أو يحطم الأسرة، ولم يحطم العائلة، وهو لم ينهِ أو يحطم القرية، ولم ينهِ أو يحطم المدينة، ولم ينهِ أو يحطم الأقاليم على رؤوس أصحابها، كما يتوهم الواهمون، أبداً، الإسلام العربي لم ينهِ ولم يحطم أيّاً من الكيانات الطبيعية الإنسانية، بل عززها وأصلحها وأكد على تربيتها وأسْلمتها وإخضاعها لحكم الله، لا إلغائها ولا تجاوزها! ونؤكد، أن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين ﷻ، وهو الشريعة الأساسية الباقية على الأرض إلى يوم يبعثون، وذلك بعد أن التحق الرسول الأعظم ﷺ بالرفيق الأعلى، وهذا القرآن المجيد هو القرآن العربي، وليس أي كتابٍ آخر، وهو نسخة عمَّا هو في اللوح المحفوظ، القرآن العربي، والكتاب العربي، والحكم العربي المبين، إنه يطالبنا بإقامة حكم الله والسعي الدائم، لإقامة حدود الله سبحانه وتعالى، وعلينا نحن المسلمين إدراك هذه المسألة، وفهمها بشكلٍ صحيح لا لبس فيه، (عربي مبين).

إنّ إقامة حدود الله وتبليغ رسالته، رسالة الإسلام، وحتى مجابهة المشركين والكفار، لم

يكن يتطلب إلغاء الأوطان، أو المشاعر الوطنية، الكيانات الإنسانية المسلمة، فكيف وصل البعض من المنظِّرين الإسلاميين، الذين أوصلوا المسلمين العرب إلى الطرق المسدودة، وبالتالي كيف أوصلوا المسلمين العرب إلى هكذا تصدع، وإلى هكذا انهيار، وإلى هكذا هاوية، ليس لها قرار إلَّا أن يتغمدهم الله سبحانه وتعالى برحمته، حتى أنّ الأمر أصبح خطيراً، وخطيراً جداً.... بحيث وصل الإنسان العربي المسلم إلى حالة من الجهالة، والتجهيل لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، تمت تعميته، وتم إبعاده عن مشاعره وعن ما يحركه عن وجدانه عن عواطفه النبيلة لقد، تم تحويل الإنسان العربي المسلم إلى مجرد (تنبل)، كائن حي ولكن لا يشعر بإنسانيته، تسيره غرائزه، ومصالحه الآتية، وهو بلا قيم، بلا مبادئ، لا مبالٍ، بلا موقف، إنسان لاإنساني، غير منتمٍ إلى أي شيء؛ ويتمسح ببعض الشعائر الدينية، وهو بذلك يعتمد في فهمه، على أولئك المتفيقهين، ممن تصدروا الأمور في ما يشبه الدين، حيث لا كرامة ولا سيادة، ولا حرية للعرب المسلمين، بحيث صارت تلوى أعناق المفاهيم الأساسية، في الآيات وتم لف وتعقيد هذه المفاهيم، وتمت الإساءة إليها[1]، حتى أصبح العربي المسلم، في هذا العصر الحديث، ضد العرب!

لقد تعددت في الحياة العربية المعاصرة الأطروحات والتصورات والنظريات

---

(١) مثلاً في التفسير العربي، المبين، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ، ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ ، ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ لاتعني وليس المقصود به اللغة العربية، كما زعم، ويزعم الزاعمون، إن أخذ التفسير في هكذا سياق، سيعتبر لياً مستغرباً وقسرياً للمعنى الحقيقي للآيات الكريمة، إذ لا مبرر أبداً في سياق المعاني المتعددة، فإنه لا مبرر للقول بأنَّ هذا الكلام عربي، أو التاكيد على ذلك، ولماذا، يفعل التنزيل العزيز ذلك، أو يؤكد عليه، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم: ٩٧]، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الدخان: ٥٨].

السياسية عن الوطن المنشود، أو الشكل المطلوب للكيان الهدف، من قيل الحركات والأحزاب العديدة ومنها التنظيمات والحركات والشخصيات الإسلامية في القرن المنصرم من حياة العرب المسلمين، وكانت المشكلة هي أن هذه الأطروحات، وهذه النظريات، وهذه التصورات بقيت شكلانية وسياسية؛ تناقش شكل الحكم ونوع السلطة، وكان عليها أن تشتغل وتبذل الجهود السلمية من أجل تفكيك الكيانات الطائفية، غير الطبيعية، في الوطن العربي[1]، كان من المفروض أن يتم العمل على إقامة حوار فكري واسع النطاق،

(١) اشتعلت الحرب الطائفية في لبنان منذ نيسان عام ١٩٧٥، وامتدت الآن فشملت العراق، ١٩٩١وهي على ما يبدو تعتزم المرور على كل بقعة عربية وإسلامية! فهل آن الأوان للعرب المسلمين لكي يمتلكوا ويتملكوا الوعي والفهم؟ هل آن الأوان لتنضُج العقيدة العربية الصحيحة؟ فيتجاوز العرب المسلمون بها كل الأشكال الطائفية البغيضة، والمدمرة التي لا تبقي ولا تذر؛ ولكن من أين طلعت علينا هذه الأوهام الطائفية، وكيف وصلت إلى الحد الذي تعمى فيه الأبصار والأفئدة، وتحوِّل الناس في كثيرٍ من الأحيان، كبيرهم وصغيرهم، على الرغم من انتشار الحضارة الحديثة، تحولهم إلى حالة بهيمية، يصبحون فيها غير قادرين على التمييز!

أواخر عام ١٩٧٨ كنت متواجداً مع قوات الردع العربية في منطقة (ظهر الوحش) القريبة من (عاليه) الجبال المشرفة على بيروت، من الشرق والجنوب، في حينه كانت الحرب مستعرة في لبنان بين الطوائف، وكان القصف في بيروت متبادلاً يومياً بينهم، وتعرفت بحكم عملي هناك ضمن قوات الردع على المرحوم أبو خالد الغلاييني ابن المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني المعروف، صاحب كتاب (جامع الدروس العربية) الشهير، كانت أسرته إبان اشتعال الحرب الطائفية في لبنان، قد هُجِّرَتْ من قبل (الكتائب) من منزلها في عين الرمانة، ولجأت إلى (عاليه) عند الدروز؛ فأكرموهم وأعطوهم منزلاً جميلاً في المدخل الشرقي لعاليه خلف بناء البريد.

وعندما كنت في زيارتهم في إحدى تلك الأيام، كنت جالساً مع المرحوم أبو خالد الغلاييني صاحب البيت، وكُنا نتحدث، كانت ابنته، رضا (رِتَّا) تتحدث معي عن الوحدة العربية، وقضية فلسطين، وعن المؤامرة الكبرى المطبقة على العرب! كانت ابنته على ما بدا لي مثقفة ذات اتجاه ناصري، كانت أم خالد تجلس في الناحية الأخرى من (الصالون) ومعها مجموعة من النسوة، من الجارات في عاليه اللائي كنَّ يلبسن الزي الدرزي المعروف، كانت أم خالد والنسوة يدخن النرجيلة مع القهوة وهنّ يتحدثن بأحاديثهنَّ الخاصة لكنها كانت مسموعة!

قالت المرأة ذات اللباس الدرزي التقليدي لأم خالد: (البارحة ظلَّ ابني يبكي طوال الليل وما نيَّمنا أبداً حتى قلت له هلَّق بيجي الكتائبي بياكلك، حتى سكت!!!!) (الكتائب: كانت حزباً وقوة للمسيحيين في لبنان) وبقيت هذه الجملة =

محفورة في بالي وذاكرتي، ولا أعرف السبب؛ ثم لَمَّا انتقل مَقَرُّ عملي، مطلع ١٩٧٩ بإتجاه بيروت، في الجمهور قرب (اليرزة) تلة الرياض؛ لازلت أذكر كيف كانت الطلقات المدفعية والصاروخية المتبادلة يومياً بين قوات الكتائب اللبنانية، وبين الحزب التقدمي الاشتراكي؛ (حزب وقوة للدروز في لبنان) عندما كانت القذائف تسقط على الأحراش، على السفوح الغربيَّة لجبال عاليه وبحمدون، كانت تُشْعِل حرائق هائلة تستمر أسابيع، في دوائر من النيران تتسع وتتسع، وهي تأكل الأشجار والنباتات وكل شيء، وليس هناك من البشر من يفكر في إخمادها؛ أو يستطيع أن يفكر في إخمادها! إلى أن تنطفئ من تلقاء نفسها، بفعل العوامل الطبيعية، وربما استمرت أسابيع؛ كُنَّا وقتها على تلة الرياض، في مركز لدائرة معادية، بحيث أنَّ القصفَ كان ينهمر على موقعنا يومياً ومن كل اتجاه، كنت أنا أرصد القصف الأتي إلينا من الشمال من خلف بيت مري، ومن الشرق من الكحالة، وعاريًّا، الضيعتين الجميلتين الرابضتين في السفح الغربي، في حضن الجبل، وفي يومٍ من تلك الأيام التي كانت عصيبة علينا، بحيث منعتنا من رؤية دمشق فترة طويلة؛ قال لي صديقي (مطانيوس. خ.) هل تود الذهاب إلى الشام الآن؟ قلت نعم أتمنى ذلك، فقال: إذاً جهز نفسك وتعالى فوراً لتذهب معي الآن وتأتي غداً باكراً.

وخلال خمس دقائق صعدت إلى المقعد الخلفي من السيارة اللبنانية الحمراء، والتي كانت تنتظر أمام حاجز الجمهور مع سائق لبناني لا أعرفه؛ بينما ركب صديقي مطانيوس إلى جانب السائق، وانطلقت بنا السيارة بسرعة باتجاه الشام، وعند مفرق عاريّا فوجئتُ.. أن السيارة قد دخلت إلى مفرق عاريا، فجمد الدم في عروقي، وأيقنت أنني تعرضت إلى عملية استدراج، واعتقدتُ للوهلة الأولى أنّ ما جرى كان مؤامرة بين صديقي مطانيوس وهذا الشخص الكتائبي، وفهمت أنَّ الاثنين كانا من الموارنة؛ فأيقنت أن ما حدث كان خطة، أو كميناً لأسري؛ كان السائق يتحدث بعنفوان مع صديقي مطانيوس وكان يقول له: (نحن ليس لدينا أي مشكلة مع الجيش السوري، نحن فقط نريد إخراج الفلسطينيين من لبنان، الفلسطينيون بالنسبة لنا وسخ ويجب علينا أن نزيله! وكان صديقي مطانيوس يفتح فمه ليقول ها ها، وأنا لم أنبس ببنت شفه، في تلك اللحظة لم يعد يخرج الكلام من فمي، وكانت السيارة تنساب كالأفعى في طريق عاريا المتلوي بين أحراش الصنوبريات والخرنوب والبلوط، ثم استعدتُ رباطة جأشي وبدأت التفكير بالخلاص من تلك الورطة، وقررت عدم الكلام وعدم الإفصاح عن اسمي لأنني كنت أعزل من السلاح؛ لكن السيارة توقفت عند أول بيت في تلك البلدة، وفهمت من صديقي مطانيوس الطيِّب، أننا هنا فقط لتبديل السيارة؛ وأننا سنتابع رحلتنا إلى الشام حالاً، فهدأ روعي!

طلب إلينا الشخص الآخر الجلوس على كراسي القش الصغيرة، أمام ذلك البيت الريفي، ريثما ينهي بعض الأمور في المنزل، ثم خرجت زوجته من البيت وكانت تحمل طفلاً تهدهده، وقالت وهي تخاطب زوجها الذي فاجأها في حضوره معنا، وعلى ما يبدو أنه كان غائباً لفترة عن البيت طويلة، قالت له أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ تتركني وحدي هنا مع هذا الولد! البارحة طول الليل لم يسكت، إنه لا ينام ولا يُنَيِّمنا! البارحة لو لم أقل له: بتسكت ولا هلق بيجي الدرزي بياكلك ما كان سكت!!! ثمَّ شربنا القهوة وتابعنا الرحلة إلى الشام؛ كلاماً بقي يدور في خلدي وبقيتُ أذكره وسأذكره ما حييت، كشاهد ثمين جداً =

يجب أن يبقى ماثلاً أمام كل من أراد أن يفهم الظاهرة الطائفية فهماً عميقاً، وفهماً شاملاً، بغية تحليلها، لخرقها واختراقها بهدف تمزيقها، وتمزيق الأوهام.

إنَّ الطائفية أوهامٌ تملأ النفوس، وتحولها إلى شرسة وحاقدة ضد الآخر، دون مبرر، تعصبٌ أعمى متبادل، قطيعي حيواني، مرض يستشري ويَعُمُّ، ويتحول خلال فترة قصيرة إلى حُمَّه عامة، وفجأة تصبح الجماعة الواحدة والأفراد غير عقلانيين، وبدل أن يتجه العداء للعدو الحقيقي، يتحول إلى عداءٍ بين الأخوة والأشقاء، وهكذا يسيرون على غير هدى، على طريقة الفعل ورد الفعل! تسيرهم الشائعات، والأخطاء التاريخيَّة، والخرافات، التي وصلت إليهم مع حليب الأمهات، في عصور طويلة طويلة، من الجهل والتخلف والانحطاط.

إضافة إلى المصالح الاستعمارية للصليبية المهودة، والدول الغربية المهودة، واليهود، التي تلاقت مع مصالح المتنفذين المحليين، والمتاجرين بمصير واقوات العباد، من الذين انفصلوا عن الحق والواجب، ودخلوا في مؤامرة على العرب والعروبة، وتلاقت مصالحهم مع مصالح الاستعمار، فاتبعوا سياسة فرِّق تسد، جميعهم كانوا يعملون على تأجيج الحقد بين فئات المجتمع الواحد، وجميعهم عملوا على إذكاء نار الفتنة، وتنفيذ المخططات، وأتقنوا الأدوار، قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢]، أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادته، الذين ضعفاؤهم هم تبعٌ لهم؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةًۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القصص: ٤١]، أي من تبعهم فهو في النار يوم القيامة والله أعلم.

حتى أننا كنا نلحظ، أثناء سني الحرب، في لبنان، والآن في العراق، أن المثقفين، والتقدميين والثوريين ودعاة الحضارة ومن يلبسون الأزياء الباريسية، ويتحدثون، ونصف مفرداتهم في لبنان بالفرنسية، وفي العراق بالإنكليزية؛ هؤلاء كانوا في طليعة الممارسين للنزعة الطائفية البغيضة، وتحت فلسفة براغماتية تبريرية أمريكانية مكشوفة، كانوا يمارسون التدمير والتخريب والتمزيق والعداء للعرب والإسلام، ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر قديماً: وما أنا إِلَّا من غزية إن غوت غويتُ وإن ترشد غزية أرشد. كان القتل على الهوية، وعلى اللهجة، وعلى المناطقية، في الكرنتينا وفي الميناء، وفي عين الرمانة، وفي الشياح ودوار المطار، والفياضيَّة وأمام الصياد! هل تكرر السيناريو ذاته في بغداد والمدن العراقية؟!

ولذلك كان من الطبيعي والطبيعي جداً، عند اندلاع الحرب الطائفية في لبنان أن تسمع عن المفكر والفيلسوف، الذي من المفروض، أنه إنساني عالمي، مثل ميخائيل نعيمة، وشاعر كبير دوى شعره في الآفاق، على أساس أنه وطني وعربي، مثل سعيد عقل، أن تسمع عنهم في ذلك الوقت تعليقات وآراء طائفية بحتة، وبالمثل كان ما حدث قي العراق، فإنَّ كبار المثقفين والأدباء والشعراء والسياسيين في العراق مارسوا للأسف الشديد تحيزاً وسلوكاً طائفياً يندى له الجبين، مدفوعين ومسيرين بالمصالح وبالوعود الأمريكية!

يهدف إلى تفكيك تلك الطوائف العربية، بمختلف أشكالها وتباين أسباب نشوئها تاريخياً، لكنها عربية وكان يجب العمل على تفكيكها وإعادة صياغتها في البوتقة العربية الواحدة، بدل تكريس الواقع النشاز والحجر والإبقاء والمحافظة عليه كما هي، دون محاولة السعي لتحقيق أي هدف؛ بإتجاه إزالة الطائفية، وذلك مراعاةً للمشاعر المتبادلة؟ ما جعل المسألة تورث السقم، وقد وصلت إلى الطريق المسدود، وفعلاً كما قال المثل: من عاش مدارياً مات سقيماً!

## الحركات الثورية العربية لم تسعَ إلى تغيير حقيقي!

لم تكن تلك الحركات الثورية، لتسعى إلى التغيير الحقيقي للواقع العربي الإسلامي لِما هم عليه العرب المسلمون من تخلفٍ منتشر وجهلٍ مستديم وأمراض مستعصية وأخطاء لا حصر لها، في جميع المجالات، من الانحرافات العقائدية، والفكرية التي لحقت بالدين العربي الحنيف، والتشوهات التاريخية التي لحقت بالفكر العربي والحياة العربية(١) حيث كان من المفروض، ومن المطلوب، أن تعمل تلك الحركات الإسلامية ورجالاتها، منذ مطلع القرن العشرين إلى الآن على نهضةٍ وصحوةٍ إسلامية عربية، عقائدية فكرية وتاريخية، جوهرية حقيقية شاملة، بحيث يُصار مثلاً إلى إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، وإلى تصحيح الأفهام السقيمة والأوهام الضالة، والإفتراءات والأكاذيب والأخطاء القاتلة، التي دسها اليهود، والشعوبيات المختلفة، وضموها إلى التفاسير والمفتريات والقصص المختلقة التي دُسّتْ على التاريخ العربي، للإساءة إليه، والأحاديث الموضوعة والضعيفة والعمل على إخراجها من التداول، وهي كثيرة، وكذلك فقد كان الأولى أن تقوم تلك الجماعات، مفكروها، بالتصدي لما تم من دسٍ وافتراء خطير على التاريخ العربي المجيد، إن من جهة الحوادث والوقائع، أو من جهة ما تمَّ من إساءة إلى شخصياته النبيلة، والرائعة التي عملت الشعوبية، سواء الشعوبيات العرقية، أو الشعوبيات الطائفية فيما مضى، على إدخالها ودسها إلى العقل العربي الإسلامي، الأمر الذي أربك الحياة العربية طوال عصور، كان من المفروض أن تحاول تلك الحركات الإسلامية، نزع الفتيل، أو فك العقدة عن تلك النحل والطوائف، التي كانت أساساً من العرب المسلمين، أو من العرب الذين تخلفوا عن الإسلام، التي

(١) وأن يشتغل المفكرون الإسلاميون على نفض، وإماطة الأذى والحيف والظلم، الذي لحق بالحقيقة العربية الإسلامية، في جميع المجالات وعلى كافة الصُعُد.

تشرذمت أو تشرنقت وتقوقعت على نفسها، لم تحاول تلك الحركات، السلفية شكلاً، أو الصوفية أو الشيعية مضموناً تحاول وعلى مدى القرن العشرين لم تحاول التصدي أبداً، لا ثورياً، ولا إصلاحياً، لأي من الأخطاء الشائعة، الفكرية والاجتماعية، ولم تدعُ ولم تعمل على تغيير جوهري، لما هم عليه العرب المسلمون من أوضاع وأحوال، والتي كانت غاية في الانحراف، والانحراف المزمن، المكرس انحرافاً عقائدياً وفكرياً فقط، هذه الحركات طرحت الأهداف، وكانت تهدف إلى قيام سلطة ودولة إسلامية عالمية، ولها أمير واحد؛ تجاوزوا فيها الأوطان، وكل الكيانات، وأول هذه الكيانات التي كان عليهم العمل على هدمها وتحطيمها، العرب!

إن من كان يدعو إلى تجاوز حقيقة وجود الأوطان، أو من كان يدعوا إلى هدم الكيانات الطبيعية وتجاهلها، هذا المدعي بالتأكيد هو غافلٌ عن حقيقة الشريعة، وعن الدين الحنيف، لأنَّ الدعوة لتجاوز الوطن، هي دعوة لتجاوز الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة، وعلى العكس تماماً فإننا نجد أنّ الإسلام قد أكد على صلة الرحم، وحذّر من قطعها كما أكد أيضاً على الرحمة والمودة، وأكد على التآخي والتعارف والتقارب بين الناس والشعوب، وأزال التفاضل بين الناس، وأزال التفاضل بين القبائل، وأزال التفاضل بين الشعوب، وبين العرب والعجم، وكذلك فإنَّ القرآن الكريم، لم يدعُ أبداَ إلى تشكيل إمبراطوريات واسعة تشمل الكرة الأرضية، والقرآن الكريم أبداً لم يقسم العالم إلى دارين، دار حرب ودار سلام، إن هذا التصور تصور خاطئ، وهو وهمٌ لا يزال يعشش في رؤوس وعقول بعض الناس، ممن أخطؤوا قراءة القرآن الكريم، وظلموا في تفسير آياته الكريمة، إنهم قرؤوه، قراءة غير عربية! وبلسان غير مبين، ومرد ذلك إلى الجهل والتجهيل، وهذا غير صحيحٍ إطلاقاً.

فمنذ مطلع القرن العشرين وربما من قبل، طُرِحَتْ على العرب المؤمنين المسألة الوطنية

(القوميّة العربية)، وذلك على شكل حزمة من الشعارات الجوفاء، التي طلب من العرب المؤمنين ترديدها بصوت عالٍ؛ وكذلك كتابتها على الحيطان بخطوطٍ عريضة، وعلى اليافطات؛ لترفع في المناسبات العامة، وفي ذكرى تأسيس الأحزاب والتنظيمات والمنظمات المحلية، وفي ذكرى استلام الأنظمة العربية والتنظيمات والأحزاب والحكومات والسلطات المحلية لسدة الحكم، واعتلائها للعروش وتسنمها وتسلمها لزمام أمور العرب؛ العرب المسلمين البائسين، كشعارات وفقط!

كان الغرض منها التعمية والتجهيل، وقلب الحقيقة في العقول والنفوس، عقول ونفوس العرب أنفسهم، الذين لم يكونوا وطوال القرن العشرين يلوون على أي شيء، حيث كان الغرض من المرحلة بأكملها، إطالة وتطويل حالة الفوضى، والتخبط والضياع لدى العرب، وعملياً بقي الإنسان العربي وطوال القرن العشرين محروماً من اليقظة الحقيقية، وتم تصنيعه بيقظة خُلَّبيَّة وهمية كاذبة صار الإنسان العربي يتقيأ الشعارات الوطنية ممجوجة، وعملياً كانت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ! وعملياً كانت الأمور تسير بعكس الاتجاه الصحيح، بحيث أصبح العرب المسلمون يرفضون تلك الشعارات ومضامينها معها، وتحولت المواجهة التي كان من المفروض أن تنشب بين العربي المؤمن من جهة، وأعداء الله وأعداء العرب في الجهة المقابلة؛ لتتحول هذه المواجهة إلى حربٍ شعواء وضروس وطاحنة واقعة الآن بين الإنسان العربي وذاته.

إن الإنسان العربي المؤمن الآن يخوض حرباً ضد كيانه المنشود، ضد وطنه، فما معنى وطن؟ ولماذا يُحس الإنسان العربي بتعارضٍ بين الروح الوطنية العربية، وحقيقة الدين الإسلامي؟ هل هناك تعارض حقيقي؟ أم أنَّ هنالك وهماً قد توهمه الإنسان العربي المؤمن! طوال القرن العشرين، أو هو وصل إلى هذا الوهم بسبب الممارسات التي مورست عليه

وبحقه قصداً وعمداً بحيث أبعد عن الفاعلية والتفعيل طوال القرن العشرين، وأبعد عن اليقظة وأبعد عن الحضور! وأرسل، وخلال القرن العشرين، إلى مهاوي من الضياع والتشتت والتجهيل إرسالاً لا رجعة له.

## الأحزاب والتنظيمات الشيوعية المحلية، والجماعات، التنظيمات الإسلامية، والأهداف المشتركة!

ناضل الشيوعيون المحليون في كافة الأقطار العربية، وطوال القرن العشرين، ناضلوا، وبذلوا أقصى جهدهم فكرياً وسياسياً، وفي كافة الأقطار العربية، وخصوصاً في العراق وسوريا ولبنان بما فيها المنظمات الفلسطينية الماركسية، التي كانت ترفع صوراً لتشي غيفارا، مع ما رفعت من شعارات وأهداف، ناضلوا بكل طاقتهم، ناضلوا لمواجهة أي شعور وطني عربي حقيقي في مهده.

وفي المقابل عملوا أقصى ما في وسعهم سياسياً وفكرياً وثقافياً، لقد عملوا على تحطيم وفرملة وإيقاف وتجميد أية دوافع قد تبدو وطنية للعرب أو عند العرب باتجاه الوحدة الوطنية العربية أو التَوَحد الحقيقي للعرب وطوال القرن العشرين.

لقد حاربوا المشاعر الوطنية العربية الحقيقية في مهدها، وقبل تكونها؛ ولا غرو في ذلك فالعقيدة الشيوعية تتخطى الحواجز والكيانات كلها[1] بما فيها الوطنية العربية! (ليس كلها فالأحزاب الشيوعية العالمية، في جميع أنحاء العالم، كانت قد عملت على خدمة شعوبها في أوطانها وكانت تقدس أوطانها؛ فقط الأحزاب الشيوعية المحلية في الأقطار العربية، خصوصاً في العراق وسوريا ولبنان واليمن وبلاد المغرب والمنظمات الفلسطينية!

(١) ليس كلها، بل كانت حربهم فقط على العروبة المؤمنة، وفقط على العروبة والإسلام، وأذكر أنني وفي حديثٍ خاص مع الشاعر العراقي مظفر النواب، وهو شيوعي معروف، في منزله في دمشق وكان قرب حديقة التجارة منتصف السبعينيات، وإبان لجوئه إلى دمشق، أذكر أنه كان متحفظاً على الدعوة للوحدة العربية، وكان يؤكد على المشاعر الأممية، ولكنه عندما نوقشت القضية الكردية، سرعان ما أبرز تأييده لإقامة دولة للأكراد! وقال بالحرف الواحد: إن من حق الأكراد إقامة دولة! (كان هذا الموقف موقفاً لجميع الشيوعيين المحليين) وأذكر أنني أجبته قائلاً: ولكن بشرط أن ينفذوا مشروعهم هذا بعيداً عن الأرض العربية!

فجميعهم؛ كانت من أولى أولوياتهم، في عملهم ونشاطهم، العمل على محاربة وهدم المشاعر الوطنية العربية، والمشاعر الدينية، والأخلاقية لدى العرب المسلمين والمسيحيين، وكانوا يواجهون العروبة والإسلام علناً، وفي كل محفل ولايخفون تبعيتهم الأممية التي تجلت بالتبعية الكلية لنواتها، الاتحاد السوفيتي! وقد بثوا له، في البلاد العربية الدعاية الجمة، وأطنبوا في مديحه، لقد كان الاتحاد السوفييتي بالنسبة للشيوعيين المحليين، فقط في البلاد العربية، بديلاً عن الوطن، كانوا يصورونه على أنه، وكان بالنسبة لهم فردوساً منتظراً)

لقد ابتلي العرب المؤمنون بأحزاب شيوعية بعدد أقطارهم، بل وأكثر من عدد أقطارهم (لقد انشطرت بعض هذه الأحزاب وأصبح هناك في بعض الأقطار العربية أكثر من حزب شيوعي ناشط!) إن جميع هذه الأحزاب والمنظمات الشيوعية، في كافة الأقطار العربية، كانت تعمل بكل طاقتها، وبشكلٍ أساسي، وطوال المرحلة الماضية، وربما إلى الآن، فهي قد عملت، وتعمل على مكافحة الشعور الوطني العربي، والتصدي لأي نزعة وطنية عربية لدى العرب، (والغريب في الأمر أنّ الشيوعيين موقفهم هذا كان متشدداً ضد العرب، وضد أي تطلع عربي نحو الوحدة أو الاتحاد.

وكانت إذا طرحت لهم المسألة الوطنية العربية، أو القومية العربية، فهم عند ذلك كانوا ولا يزالون لا يعترفون بالقوميات أبداً، وينكرونها؛ وبالنسبة للشيوعيين المحليين، لا يعترفون بوجود أمة عربية، ولا يوجد بنظرهم شعب عربي، وليس للعرب برأيهم؛ أيُّ حقٌّ في التطلع إلى إيجاد كيان عربي لهم يوحدهم، ويحقق لهم السيادة، أو الاحترام.

وكان الشيوعيون ينكرون جميع الحقوق العربية في الأراضي العربية المحتلة والمغتصبة، وكان الشيوعيون ينكرون حقيقة الأوطان وسيادة الأوطان، نهائياً وبتاتاً؛ فقط

عندما تكون المسألة مسألة عربية، وفقط إزاء ما يتعلق بالحقوق العربية، وفقط التحرر والتحرير العربي (تعتبر الوطنية أو القومية العربية بالنسبة للشيوعيين، تعتبر دعوة برجوازية، معادية لنضال البروليتاريا؛ ينبغي تجاوزها ومقاومتها، وذلك بحسب البيان الشيوعي الأساسي ١٨٤٨م).

ولكنهم كانوا يؤيدون بكل قواهم، ووسائلهم السياسية والفكرية والثقافية والإعلامية، كانوا يؤيدون كل الحركات الشعوبية[١] الهدَّامة، التي كانت تدعو إلى الانفصال عن الوطن العربي، وكانوا يعتبرونها حركات تحررية، وحركات نضالية؛ لاسيما دعمهم وتأييدهم لإقامة دولة لليهود على أرض العرب، في فلسطين، ولإقامة دولة انفصالية للأكراد، على أرض العرب في شمال العراق، ولإقامة دولة للبربر انفصالية، على أرض العرب في جبال الأطلس، ولإقامة دولة منفصلة للمسيحيين الأفارقة على أرض العرب في جنوب السودان.

وبالنسبة للشيوعيين، في الأحزاب الشيوعية المحلية الموجودة في الأقطار العربية، كانوا يؤيدون التجزئة للعرب، ويعملون على تكريسها، وبالنسبة لهم، فمنذ وقت مبكر، كانوا يعتبرون ويُعدّون اليهود الشيوعيين رفاقاً مناضلين [٢] ويمكن أن يتعاونوا معهم في نضال مشترك؛ وكان اليهود أقرب إليهم من العرب، أصحاب المشاعر الإيمانية الوطنية

---

(١) الحركات الشعوبية الهدّامة، والمقصود بها، كل تلك الأقليات أو الجاليات أو البقايا العرقيَّة، التي نشأت أو دخلت بلاد العرب في فترة من فترات التاريخ، لمختلف الأسباب، لاجئة، أو محتلة؛ وأيضاً كل تلك الأقليات أو الفئات أو الجماعات الطائفية، إسلامية وغير إسلامية؛ منحرفة أو خارجةً، عن الدين الحنيف، وبقيت فيه، في بلاد العرب، ولم تنصهر في العرب، وبقيت متقلبة على العرب، تقض مضجعهم، تطعن في الخاصرة، فهي بمختلف أشكالها كانت دائما وإلى هذا الزمن تشكل ظهيراً ورديفاً ومُعيناً للصليبية العالمية المهودة، واليهود، في هجومهم الواسع على العرب المسلمين الحنفاء.

(٢) كانت الشيوعية المحلية السباقة في الاعتراف بدولة إسرائيل عام ١٩٤٨، قبل أمريكا!

العربية.

كان الشيوعيون ينادون بوطنهم الاتحاد السوفيتي؛ وكان لهم نشيد خاص، نشيد أممي معرَّب يرددونه بصوت عالٍ في اجتماعاتهم، وفي ندواتهم، وفي مهرجاناتهم، هذا النشيد كان يبدد ويلغي ويتجاوز أية مشاعر وطنية عربية، ليلحق من الذين انساقوا في تيار الشيوعية، بالاتحاد السوفييتي ومجده، الذي كانت نواته روسيا العظيمة؛ (هل دخل الشيوعيون إلى العراق على دبابة أمريكية؟).

ويؤكد الأستاذ الحكم دروزة، في كتابه القيِّم، والمنشور في بيروت ١٩٦٨م، والذي كان بعنوان (الشيوعية المحلية ومعركة العرب القوميَّة) أكد فيه الأستاذ الحكم دروزة، بما لا يدع مجالاً للشك، أن جميع الأحزاب والتنظيمات الشيوعية المحلية في الأقطار العربية، بما فيها المنظمات الشيوعية الفلسطينية كانت جميع قياداتها تستفيد من خطة (مارشال) الأمريكية[١]، وأكد كذلك، أن مؤسسيها جميعاً كانوا من الشعوبيين، من الأقليات غير العربية، أو من الأقليات والنحل الطائفية، غير الحنيفية، وفي كلتا الحالتين، فإنهم كانوا من الخارجين، بل ومن الآبقين، عن قوام العروبة[٢] العظيم، كانت الشيوعية تضمر للعروبة

(١) خطة تبنتها السياسة الأمريكية، إبان نهاية الحرب العالمية الثانية، وتنسب إلى واضعها وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، وتقضي بدعم وتوفير الأموال للأحزاب والتنظيمات والمنظمات والشخصيات المحلية، في الدول الأخرى، من أجل تنفيذ السياسة الأمريكية وتحقيق مصالحها وأهدافها.

(٢) دمشق قلب العروبة النابض، لا أعرف من الذي أطلق عليها هذه الصفة، أو هذه التسمية، ولا أعرف متى اكتسبت دمشق، هذا الشرف العظيم، ولكنني أذكر أنني في إحدى أيام صيف عام١٩٨٠، عندما كنت أسير باتجاه سوق منطقة (باب سريجة الشعبية) امتداد شارع خالد بن الوليد، أحد شوارع مدينة دمشق القديمة (قلب العروبة النابض!). كان ذلك مساء يوم الثلاثاء، عندما سمعت أثناء سيري صوتاً متهدجاً بلهجة غير مألوفة، كان يدوي في الآفاق،...ويملأ الأسماع...، حيث كانت (مكبرات الصوت) موزَّعة في أنحاء المنطقة، ليبلغَ الصوت إلى أبعد مدى ممكن، كان هذا الصوت منبعثاً من أحد المساجد الكبيرة هناك، والمشهورة في دمشق، فيوم الثلاثاء كان يوماً مشهوداً في هذه المنطقة، =

آنذاك؛ كان الناس يتقاطرون إلى هذا الجامع كل أسبوع، وذلك من جميع أنحاء مدينة دمشق وريفها، حيث كان موعد الدرس العلني الكبير، والمحاضرة الدينية الواسعة، التي كان يلقيها آنذاك في جامع زيد بن ثابت، الشيخ: م.ع، كل يوم الثلاثاء من كل اسبوع، وهو أحد أشهر رجال الدين (الشعبيين) ذي الصيت الواسع، في تلك الأيام. إلَّا أنني في مساء ذلك اليوم تحديداً، عندما سمعت ذلك الصوت المنبعث يحتدّ ويدوّي، بكل قوة وثقة، شعرت بأن السماء قد أطبقت على الأرض؛ كان شيئاً خطيراً فعلاً، رجَّت كل ذرة فيّ، وصدمتُ، وأُرعبتُ فعلاً، كان الصوت غريباً عن مسامعي، فأنا لم أسمعه من قبل أبداً، ولكنني إلى الآن لا أزال أسمعه يدوي في أذني! كان الصوت عالياً، ومرعباً إلى أبعد الحدود، وكان على مسمع العرب! فالكل في تلك المنطقة، وفي ذلك المسجد؛ المفروض أنهم عرب؛ والمفروض أنهم في أهم مدينة عربية! وأول مدينة عربية! وأعرق مدينة عربية، في قلب العروبة النابض! وفي عاصمة بني أمية، مجد العرب الفاتحين! كان هذا الخطيب (ومن الواضح أنه كان شعوبياً كبيراً، وواضحٌ أنه كان حاقداً على العرب حقداً دفيناً ومقيتاً، وأنه كان يفرغ من صدره على العرب حقداً أسود وواضحٌ أنه كان معبأً ضد العرب، وأنه كان يعمل على تعبئة العرب ضد العرب، والعرب غافلون لا يلوون على شيء، لقد كان هذا الخطيب شعوبياً بارزاً، وجريئاً جداً، كان يقول وبالحرف الواحد وبأعلى صوته وعلى الملأ من العرب: (كان العرب بهائم! كان العرب حيوانات! كان العرب مجانين! كان العرب تافهين! كان العرب جاهلين! كان العرب سيئين، محتقرين، ضعفاء، كان العرب لاشيء قبل الإسلام؛ إلى أن جاء الإسلام... فجعل منهم بشراً؛ وجعل منهم شعباً؛ وأصبحوا متحضرين؛ وصاروا يفهمون؛ وقبل ذلك كانوا مجرد بداوة، ورعاة، يعتدي بعضهم على بعض، ويظلم بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، يأكلون الضب، ويئدون البنات، ويعبدون ويسجدون إلى الأصنام، جاء الإسلام فاعزهم، وصنع منهم بشراً) لم ينتبه أحد من المسلمين العرب إلى هذه المؤامرة الدنيئة! ونسوا أو تناسوا أن الرسول العربي الأعظم ﷺ كان قد أكد ﷺ على حب العرب، وعز العرب، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إذا ذلَّتْ العرب ذلَّ الإسلام»، وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبغض العرب إلَّا منافق»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ «لا يبغض العرب مؤمن» (والأحاديث الصحيحة عن ضرورة تلازم حب العرب مع الإيمان كثيرة جداً، في كتب الصحاح، وفي كتب المسانيد)

ولما كان الصوت غير الصوت المألوف، فإنني أدركت أنه ليس صوت الشيخ (م.ع) الذي أعرفه، وكان (م.ع) جاراً لنا، ومباشرة ذهبت إلى منزله، لأستفهم عن سبب غيابه؛ ولأعرف من هو الشيخ العتيد، الذي كان يخطب بديلاً عن الشيخ (م.ع) في تلك الأمسية؛ وفعلاً استعلمت من منزله، فحدثني شقيق الشيخ م.ع، السيد عدنان فقال: إن الذي كان يخطب اليوم في المسجد، هو العلامة الكبير، والحبر الفهامة (الملا. ر.ب) قدس الله سره، فقلت له: ولكنه كان يشتُمُ العرب علناً! فقال لي نعم، فهو أصله غير عربي! وهو لا يتقن الحديث في اللغة العربية أصلاً!! فقلت وكيف ذلك؟ فقال: أن لسانه ثقيل، عندما يتحدث بالعربية، لذلك فهو عندما يتحدث، أكثر حديثة، في دروسه ومع الناس، وفي منزله؛ المعروف أنه يكون بلغة غير عربية!! وأضاف أن فضيلة الشيخ (الملا ر.ب) هو من العلماء الكبار!! الذين =

وللعرب حقداً أسوداً وغِلاً ومقتاً شديدين، مرد ذلك كله للتعبئة التي عُبئات بها تلك الأقليات الشعوبية، سواءٌ فيها تلك التي كانت ذات أصول واردة، غير عربية، أو تلك النحل، والطوائف الخارجة، أو التي خرجت تاريخياً، في حركات انفصالية عن سياق الدين الرباني العربي الحنيف، وتقوقعت وتحولت إلى شراذم، والتي أبت على الرغم من مرور الزمن، وبتشدد ليس له مبرر، فإنها أبت الاندماج والالتحام مع الجسم العربي الكبير وَنَبَتْ، وأصرتْ على النزوع، والتنازع، والنزاع، فانفصلت في حالة مرَضِيَّة خاطئة، وكانت تعمل دائماً على الإضرار بالعرب، والتآمر عليهم، بل وعلى حربهم، كلما حانت الفرصة، وكلما فسح لهم المجال، لذلك كانت الشعوبية، بأشكالها المختلفة، كانوا قد وجدوا في الشيوعية فرصة تمكنهم من عرقلة الحياة العربية، وتثبيط عزيمة الروح الوطنية التي لا بد أن تنموا لدى العرب المسلمين، وهم يدركون أنه بطبيعة الحال، وبمجرد قيام الكيان

---

لهم وزنهم بين البقية الباقية من مشايخ الإسلام، عمره أكثر من خمسة وثمانين سنة!!! فهو فريد عصره، وليس له مثيل الآن!!!، فقلت له ولكنه كان يشتم العرب علناً؛ وكان يسيء للعرب، وقصداً، وعن سابق إصرار وتصميم؛ فقال لا لا أنت تكبر المسألة؛ وعلى كل حال، سأسأل عن الموضوع، وحاولت أنا في حينه، وبعد ذلك، مرارا متابعة الموضوع، ولكن دون جدوى، وذهبت جهودي هباءً منثوراً،

رويت هذه الحادثة لأوضح مسألة أنَّ المسلمين العرب في هذه المرحلة كانوا غائبين عن الحضور؛ ومن كان غائباً عن الحضور، فهو الخاسر دائماً، بل من الطبيعي أن يكون المسلمون العرب في هذه الحرب الدائرة عليهم، أن يكونوا هم الخاسرون الوحيدون، ومن الطبيعي أن نسمع في هذا الزمن، بأن الكلاب حتى الكلاب، بدأت تتجرأ على المسلمين العرب، وصارت تنهش العرب المسلمين، وأن الكلاب حتى الكلاب صارت تعض العرب المسلمين! ذلك أن المسلمين العرب، وبجهالة ما بعدها جهالة، قد أضاعوا حميتهم الوطنية، العروبية، وهدروها، وبددوها وهم لا يدرون أنهم بذلك قد بددوا إسلاميتهم الحقة، وبذلك بددوا كل طاقة، أو قوة ذاتية، للإسلام عامة، أودعها الله سبحانه وتعالى فيهم أمانةً، حتى تملكت الشعوبية على الإسلام أمره، وعلى العرب المسلمين أمرهم، في الدين والدنيا، وتعمل على سحقهم، وباسم الإسلام، صار يُحارب المسلمون العرب! وباسم الإسلام، صار يُهان المسلمون العرب، وفي عقر دارهم!!! وبعد فهل للمسلمين العرب، لنجاتهم من سبيل؟ ومن الذي دخل إلى العراق على الدبابة الأمريكية؟

العربي العظيم، فإنه سينهي أمرهم، وستُحَلُ أوضاعهم غير الطبيعية، وسينفرط عقدهم، لأن من المؤكد أنه لا يصح إِلَّا الصحيح!

لذلك كانت العناصر الشعوبية، بمختلف أنواعها، كانت دائماً مناهضةً، ومقاومة، ومحاربةً لفكرة قيام كيان عربيٍّ قوي، ومتألبة عليها؛ كانت العناصر الشعوبية الحاقدة، أول المؤسسين، للأحزاب والتنظيمات الشيوعية المحلية، وأكثر الأعضاء فيها، ونسبة كبيرة من المنتمين إليها، وعامة جمهور وأتباع الشيوعية المحلية، لا غرو في ذلك. لكون العقيدة والأهداف الشيوعية أساساً، كانت تنفي وتهدم الفكرة العربية!

ولا ينفين هذه الحقيقة ما كان قد تعرض له الشيوعيون وبعض قادتهم في ذلك الزمان! من ظروف الاعتقال والتعذيب والنفي والتشريد، فلا شك في أن بعض الشوعيين في تلك الأيام وفي العديد من الدول العربية، ممن كانوا قد انساقوا في تيار الشيوعية؛ يعتقدون أنه السبيل الوحيد للتغيير ؛ كانوا ولا شك قد قدموا تضحيات وبذلوا الكثير من الجهود والنضال في حينه ؛ ولكن تلك الجهود وذلك النضال كان من نواحي أو من جوانب سياسية بحتة ونتيجة صداماتهم وتعارض مصالحهم وخططهم وأهدافهم كتنظيمات وكأحزاب مع مصالح السلطات والأحزاب الحاكمة؛ لقد كانوا يخوضون صراعاً على السلطة وكانت معركتهم مع السلطات في الأقطار العربية، معركة سياسية وليست معركة وطنية أبداً.

# السياسيون الإسلاميون المحليون، والسياسيون الشيوعيون المحليون أهداف إستراتيجية مشتركة!

نفس الوضع، ونفس الحال، أو نفس الأوهام، أو نفس الأمراض، أو نفس الوباء، نفس التجهيل، كان ينطبق انطباقاً تاماً على كل الجماعات والشخصيات الإسلامية وأتباعها المقلدين، والجمهور التابع لها، والمتأثر والمنساق لها، ومعها عاطفياً دون تفكير، والتي عملت على الساحة العربية؛ فقط على الساحة والأرض العربية[١] ولكن بأساليب وطرق مختلفة، كذلك كان الإسلاميون المحليون ورجال الدين [٢] والمدرسون الدينيون والوعاظ، الذين ربما

---

(١) لم يكن الإسلاميون المسيسون في البلاد الإسلامية، غير العربية، ليطرحون على المسلمين في بلادهم مشاعية الأوطان، كأهداف، كأهدافٍ سياسية، بل كانوا يدركون ويؤكدون أن الإسلام الرباني لم يكن ليلغي، أو لينفي حقيقة الأوطان، ولا حقيقة انتماء المسلمين الواقعي لأوطانهم؛ بل كان المسيسون الإسلاميون يقولون بمشاعية الإسلام السياسي، على أنه هادم للكيانات الوطنية، كانوا يقولون هذا الكلام، ويؤكدون عليه فقط على الساحة العربية! فالمسلم في إيران يقول لك نعم أنا أحب إيران أيضاً؛ والمسلم في تركيا يقول لك نعم أنا احب تركيا بلادي أيضاً، وكذلك يفعل الإندونيسي والماليزي والباكستاني، يقول لك أنا مسلم وأعتز بوطني، وأحبه، والحقيقة أنه لا يوجد مانع من كونك مسلمٌ لله تعالى، ومحباً لوطنك الغالي، وما المانع من وجود كيانات إسلامية طبيعية متعددة متعاونة متحابة متآخية، والسؤال المهم هنا هو هل هناك تعارض، أي تعارض، بين أن تكون مؤمناً مسلماً لله تعالى، وبين أن تكون محباً لوطنك،؟

(٢) في عام ١٩٧٨م، في لقاءٍ لي مع الشيخ م.ع، والمفروض أنه دمشقي، وكان من رجال الدين الشعبيين المعروفين، وكان مشهوراً جداً في ذلك الوقت؛ في منزله القديم.. (دوار كفر سوسة) آنذاك قال لي، وتعليقاً على كلامي عندما لفظت أمامه وأمام الحاضرين، عبارة (الإنسان العربي، أو المجتمع العربي) فبادر قائلاً:(لا لا تقل إنسان عربي، ومجتمع عربي، لأنه لا يوجد شيء اسمه إنسان عربي؛ ولا يوجد شيء اسمه مجتمع عربي؛ بل يجب عليك أن تقول إنسان مسلم، ومجتمع مسلم، ولاشيء غير ذلك، ثم ألقى عليَّ وعلى الحاضرين محاضرة حول هذا الموضوع.. فقال: ماذا كان العرب قبل الإسلام كانوا عبارة عن مجموعة من الجهلة والمتخلفين، لا يعبأ بهم أحد، ثم جاء الإسلام فجعل منهم بشراً وحولهم إلى عقلاء، وساق الأستاذ الشيخ م.ع، يومها مثالاً على ذلك فقال: إنَّ سيدنا عمر بن الخطاب ذاته، كان قبل الإسلام، يصنع في الصباح تمثالاً من =

التمر، ليعبده في النهار، ثم ليأكله إذا جاع في المساء! ثم جاء الإسلام فحوله إلى ما تعرفونه، إلى الخليفة الفاروق). طبعاً أنا لم أجب بشيء أبداً، ولم يكن الموقف يسمح بالرد آنذاك على فضيلة الشيخ، وإلا... كنت وصِمْتُ فوراً بالإلحاد! لا سمح الله، ولكنني منذ تلك اللحظة أحسست بأنَّ هنالك أزمة، وسوء تفاهم، وسوء فهم واضح، بين الفكر الإسلامي السياسي المعاصر الطارئ والجديد على الإسلام، والمسلمين في العصر الحالي، من جهة، وبين حقيقية وجود الأوطان، والمشاعر الوطنية في حياة الناس، وحقيقة وجود كيانات طبيعية يعيش ضمنها وعليها بنو البشر، مثل الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة والقرية والبلدة والإقليم وكذلك الوطن، فهل ألغى الإسلام كل هذه الكيانات؟ لكن الأزمة تفاقمت وتأججت، مطلع القرن العشرين، وكان يعززها حالة الجهل بها، فالجاهل وكما يقال عدو لنفسه، وعززتها أيضاً الشعوبية بمختلف أشكالها، وكذلك اليهود والصليبية المهودة، فقد وجدوا، جميعهم بذلك مناسبة لتحقيق مصالحهم، وإبراز مآربهم، للانقضاض بها على العرب المسلمين،

إن الأزمة ولدت بين المسيسين الإسلاميين، على اختلاف أصنافهم، وأتباعهم من العامة والمقلدين؛ من جهة، وقضية ضرورة وجود كيان يلم فرقة العرب والفكر والمنطق السليم المرتكز على الحق، وغاب عن بالهم أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بذلك فقال: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦]. فأين سيتحقق هذا الاستدعاء؟! وأين سيذهب العرب والمسلمون بهذه الآية الكريمة أين المفر؟ وذلك أن الجماعات الإسلامية السياسية والاجتماعية، إبان انهيار الإمبراطورية العثمانية، وعندما ولدت، ما سمي بـ(الدولة الحديثة - النموذج العلماني الأوربي) فرفضوها رفضاً مطلقاً، كرد فعل؛ وطرحوا تصورهم عن الإمبراطورية الإسلامية الواسعة، ذات الخليفة الواحد، واحتجوا بحجة التاريخ، وغاب عن بالهم أنَّ كلا التصورين كان خاطئاً، فلا الدولة الحديثة العلمانيَّة، كانت تشكل النموذج العربي الإسلامي الحقيقي والصحيح، ولا الصورة التي توهموها عن الإمبراطورية الإسلامية كانت صورة صحيحة، أو صورة حقيقية، أو صور واقعية، ولا هي ولم تكن من مستلزمات الإسلام العربي الحنيف أبداً. لأن الدولة نظام سياسي يضيق ويتسع بحسب الظروف، بينما مفهوم الوطن شيء مختلف، إنه كيان طبيعي مولود مع الناس، والإسلام كان دائماً يؤكد ويحافظ على الأشياء الطبيعية والفطرية الموجودة لدى الإنسان. فالدولة شيء، ومفهوم الوطن والمشاعر الوطنية شيء آخر مختلف؛ وقد تنطبق الدولة على الوطن، فتكون السيادة مكتملة، وقد لا تنطبق الدولة على الكيان الكلي الطبيعي للوطن، فيكون هنالك خلل ينعكس على الناس سلباً، كحال المسلمين العرب اليوم. إنَّ الدولة كانت دائماً مشروعاً سياسياً، بينما الوطن حقيقةً هو كيان إنساني طبيعي، وقد ينطبق وجود أو تحقق وجود الدولة على جسم الأمة وقد لا ينطبق، وليس بالضرورة أن تكون النظريات الأوربية الفرنسية والألمانية وغيرها المعروفة، والتي درسناها في المدارس، ليس بالضرورة أن تكون صحيحة، أو تعبر عن الحقيقة العربية، بل هي باطلة ومضلة؛ ولا تعبر تماماً عن الحقيقة الإسلامية العربية، النابعة أساساً من الدين الحنيفً، إنَّ الله سبحانه وتعالى فوض إلى المسلم العربي كلَّ أمره إِلَّا أن يذلَّ نفسه، فإذا ذلَّ مسلمٌ نفسه ذُلَّ المسلمون =

كان أكثرهم أيضاً من أصولٍ عرقية شعوبية، غير عربية أساسا، أو أنهم كانوا أصلاً من شراذم ونحل طائفية غير موحِّدة، وغير حنيفة، أي غير عربية. صوفية أو سلفية أو تشيعيّة طوائفيّة عديدة، بأصنافٍ ومسميات مختلفة، كانوا جميعهم؛ يطرحون ويناقشون ويكتبون، وينظِّرون لفكرٍ إسلاميٍ مشاعيٍ وشراذميٍّ واهم، يُحَطِّمُ ويُلغي وينفي ويُبدد أي شعور وطني عربي، يمكن أن يتبدى لدى العرب، أو يضيء لهم الطريق، وكانوا جميعاً متفقين على هذه النقطة!

بل ولم يكونوا ليخلصوا الدين لله أبداً، ونسوا أنَّ الرسول ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم للأهلي**» وكانوا دائماً في مؤامرة مستمرة، على العرب، ويُعَمّونَ على هدفهم الرئيسي هذا، بحجج واهية، وأسباب وفلسفات عقيمة ومختلقة، لا ترقى إلى الحق، وما أنزل الله تعالى بها من سلطان؛ وبجهالة ليس لها نظير، كانوا يصوّرون بها العروبة، للعرب والمسلمين، على أنها الشر المستطير؛ وأنها من عمل الشيطان، كانوا بجهالة وتجهيل بالغين، يضربون ويحاربون وينكرون أي وعيٍ وأي تنوير وأيَّ يقظة حقيقية للروح الوطنية والشعور الوطني عند العرب، بدعوى أن الإسلام (أو الطائفة عند أتباع الطائفة) أنه يزيل ويلغي ويتجاوز المشاعر الوطنية؛ وأن أول هذه الأوطان الذي سيزيله الإسلام هو الشعور الوطني العربي والروح الوطنية العربية!

وقالوا إن الإسلام، لا يوجد فيه، على سطح الكرة الأرضية، إلَّا دارين فقط، دار سلامٍ ودار حرب؛ وبالتالي فالكرة الأرضية قاطبة، معدَّة لتكون دولتين فقط، الأولى دولة للسلام،

---

كلهم! والمسلمون الأعراب يجير عليهم أدناهم؛ ولكن من لا يسمح لأحد بمناقشته فهو ضعيف ليس لديه حجة. قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ [ يوسف: ٢].وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧ ﴾ [ الرعد: ٣٧]. فأين سيحقق العرب المسلمون أنموذجهم الرائع، وكيانهم المنشود الكيان الذي أمر به الله سبحانه وتعالى بحسب كتابه المجيد؟

في ظل خليفة واحد للمسلمين، وهي دولة وموئلٌ لكافة المسلمين في كافة أقطار الأرض، والثانية دولة للحرب وهي دولة لغير المسلمين؛ وبالتالي في رأيهم أنَّ الإسلام لا يعترف بالأوطان، وبالطبع فإنَّ أول وطن سيُلغيه المتطرفون الإسلاميون، هو وطن العرب! وأنّ أول كيان سيهدُّمونه هو كيان العرب! إنهم سيبدؤون بالعرب! ونحن لا ندري من أين جلبوا هذه النظرية الغريبة، وغير الصحيحة، وغير المنطقية، والمتناقضة أساساً مع روح الدين السماوي الحنيف، كيف ذلك، والرسول الأعظم قال: «**حب الوطن إيمان**» ألم يقل ﷺ، وفي الحديث الصحيح: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» ألا يُفهم من هذا الحديث الشريف أنَّ الرسول الأعظم ﷺ، كان يحرص على الأوطان، ويؤكد للمسلمين،على صيانتها وسيادتها، وإلا فلماذا سمى لنا الرسول الكريم ﷺ، جزيرة العرب بالتحديد، وكانت تعني تحديداً كل أرضٍ يسكنها عرب، أو كل أرضٍ وصل إليها لسان العرب.

لكن ذلك مرهون بقيام كل عربي، أن يربي بداخله العروبة وأن ينميها، بل يجب على كل عربي أن يبحث عنها بذاته، أن يستخرجها من أعماقه شجرةً وارفةً، مثمرة معطاء، فقط يلزمها العناية والرعاية، وأن يقوم بالعناية والرعاية، على كل منا أن يرعى شجرة العروبة، النابعة من أعماقه.

فهل كان للسياسيين الإسلاميين المحليين، وللسياسيين الشيوعيين المحليين في البلاد العربية أهداف إستراتيجية مشتركة، كانت تهدف إلى عرقلة تحقق الغائية العروبية الربانية المنشودة، هل كانوا يعملون على مجابهتها والوقوف في وجهها! والعداوة عليها ونفيها وإنكارها ولكن بطرق وبأساليب مختلفة؟؛

لا غرو أن يأتي – في نهاية القرن العشرين – شخصٌ واحد من أصحاب الأموال التي لا تعد، وبمشاريعه السياحية والإعلامية التي لا تحصى؛ كان هذا الشخص بمؤسساته

وحده، كافياً وخلال فترة قياسية ليقوم بسحق وتدمير وإبادة ومحو كل منجزات وآثار تلك الأحزاب الشيوعية والأحزاب الإسلامية معاً ودفعة واحدة بالإضافة إلى الأحزاب القومية العلمانية وشلّها جميعاً وإبطال مفعولها جميعاً وعلى حدٍ سواء ؛ لقد تحولت تلك المنظمات الثورية بأهدفها المعلنة؛ تحولت الآن وبفضل تلك الجهود المبذولة إلى منظمات شبابية ذوات خطابات جنسوية مستأنسة وتتحدث بلغات محلية... وصارت هباءً منثوراً وأثراً بعد عين! الخطابات التي كانت تتحدث عن النضال والإستشهاد في سبيل تحقيق التحرير والتحررالعربي، كان هذا أكبر دليلٍ على أن تلك الأحزاب العربية وتلك التنظيمات العربية وتلك الحركات العربية وتلك الشخصيات العربية التي ناضلت، وصالت وجالت طوال القرن العشرين على الساحة العربية وشغلت الحياة العربية الإسلامية بكل أشكال الإشغالات! إنَّ كل ما قامت به وما فعلته - للأسف - كان جعجعة بلا طحن؛ وبلا جدوى وهي جميعها بكل مسمياتها لم تخلِّف وراءها إلَّا الخيبة والفشل والهزيمة للعرب المسلمين على كل صعيد، فهل كانت تلك الأحزاب المحلية العربية وتلك التنظيمات المحلية العربية وتلك الحركات المحلية العربية التي استهلكت الحياة العربية وبددتها وضيعتها خلال القرن المنصرم، هل كانت نموراً من ورق فعلاً؟ أم أنها كانت ولاتزال عبارة عن دمى ومتاهات كبيرة وصغيرة تشغل العقل العربي والوجدان العربي.

# العروبة ليست جنساً مغلقاً ولا هي قومية كما هو المفهوم المحدد في المعاجم

إنّ العروبة ليست عرقاً، ولا هي جنس مغلق، أو قومية محدودة، بل هي شعورٌ رائع بالانتماء إلى أمةٍ الأمم، وهذا الشعور ليس وقفاً على جنسٍ معين من البشر، بل يمكن لأي من الناس في العالم الدخول في الأمة العربية، متى أراد، فقط عليه أن يخلص الدين لله الواحد جل جلاله، ويصدق رسوله ﷺ ويحب العرب وأن يتحدث على أرضهم بلسانهم، ليصبح له ما للعرب، وعليه ما عليهم، فالعروبة جنسية مفتوحة، غير مغلقة كما هي الحال في القوميات الأخرى، لأن العروبة بالأساس ليست موضوعاً سياسياً!

إن العرب ومنذ قرون، يتعرضون لاعتداء اليهود والاستعمار الأوربي، وهم يعيشون كفاحاً وجهاداً مستمراً ضد اليهود والاستعمار الأوربي الأمريكي، بطرق عديدة، مناهضة لليهود وعملاء اليهود، والجهاد العربي لا يعني جهاداً بالحرب والقتال فقط، بل إنّ هناك أنواعاً من الجهاد والنضال متعددة يجب على كل عربي ممارستها جميعها ضد أعداء الله والعروبة، في كافة الميادين وذلك بالإضافة إلى استمرارية الكفاح المسلح المشروع، ضد أعداء الوطن. يجب على كل عربي تربية أولاده على حب العرب والإخلاص للعروبة، وطناً منشوداً لا أروع، وأن اليهود هم مصدر الفساد في العالم، وعلى العربي المؤمن في جميع الحالات واجبٌ دائم، وهو أن يعمق وأن يعمل على تعميق انتماء أولاده وأصدقائه بالعروبة، وإحساسهم واعتزازهم بالعروبة، وبالروح الوطنية العربية، وأن يمجد انتماءهم لهذه الأمة العظيمة، أن ينشر في العالم حب العرب، على أنه من الإيمان، قالﷺ: «**حب العرب إيمان**» ناقلاً إليهم الحقد على أعداء العروبة، وعلى ضرورة الانتقام من أعداء العروبة، انتقاما شديداً، وأن يثقوا بالله سبحانه وتعالى، وأن وعده الحق وأن النصر قريب.

كذا فإن الأوطان هي المرابض والأماكن التي تؤوينا، ووطن في المكان أي: اتخذه محلاً ومسكناً يقيم فيه، والميدان والميطان واحد. وأين وطنك وأين ميدانك؟ واحد، أي: أين غايتك والموطن المشهد من مشاهد الحرب قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ** ﴾ [التوبة: ٢٥]، ووطنت الأرض: أي: اتخذتها وطناً وتوطين النفس على فعل الطاعات هو حملها بالمواظبة والمثابرة.

والواقع: أن مفهوم الوطن أوسع من أن يُحد معجميّاً، لأنه يشتمل على مجاميع القيم والمبادئ والمثل العليا، التي يمكن أن تملأ كيان الإنسان، إضافة إلى المكان الذي يُحِبُّهُ الإنسان، والمجتمع الذي ينتمي إليه لذلك كانت وعلى الدوام وعبر العصور كانت مواكب الشهداء تترى ولا تنتهي، تندفع مضحية في سبيل الوطن، مقدمة الغالي والنفيس في سبيل القيم الوطنية، دفاعاً عن الوطن وذوداً عن حياضه.

# الدين السماوي يدعم المشاعر

إن الدين السماوي الحقّ يؤكد ويدعم المشاعر الوطنية ويجعلها لازمة للإيمان.. فلا إيمان حقيقياً دون شعور وطني ولا وطنية حقيقية دون إيمان بالله ﷻ قال ﷺ: «**حب العرب إيمان، وبغضهم كفر**».

على ذلك: فإنه ليس هناك وطنية دون شرفٍ، وليس هناك وطنية دون نخوة حقيقية، ودون انتماء حقيقي للوطن، انتماءً كلياً يستحوذ على مجامع الأبعاد المعنوية والوجودية للإنسان الأصيل.

إن الوطنية رجولةٌ.. رجولةٌ حقه، والوطنية ترفع من مستوى الإنسان المواطن وتجعله من صفوة الصفوة وتُحمِّلهُ أجمل وأثمن القيم وأنبل الأهداف.

إن الوطنية بالأساس ليست قضية سياسية، ولكنها روح تسمو بالإنسان وترفعه من مجرّد كائن حي عادي تافه، إلى كيان عظيم متميز خلاّق.

والحقيقة: أن الإنسان الوطني معنوياً مهما كان مستواه المادي الذي يحيا به، ومهما كان عمله الذي يعمل به، فإنه عند حمله معنوياً للروح الوطنية، فهوعند ذلك سيحمل صفات الملوك والأمراء والقادة العظام، بل سيكون بحد ذاته قائداً وزعيماً، لأنه عندها ستنبع منه العدالة والحرية وبالتالي فهو وحده القمين بحراستها والدفاع عنها عند اللزوم.

من كان لا يملك حبّاً للوطن، من كان لا يفهم عظمة الانتماء للوطن، فهو غير جدير بالحياة على أرض هذا الوطن، والتمتع بخيراته، ولا حتى شم نسيمه، بل الأمر عند ذلك سيكون بغاية الخطورة؛ فمن كان لا يملك روحاً وطنية ولا يحب العرب، وليس لديه انتماءٌ كليٌّ للعرب، فمواطنيته مجروحة، ومشكوكٌ في أمره، وقد فرز نفسه، ووضعها في دائرة

خاصة، وربما في الخندق المعادي للوطن، مما يستوجب أخذ الحذر والحيطة منه، لذلك فإن الدين السماوي الحق، يؤكد على محبة الوطن، وعلى تنمية المشاعر الوطنية لدى المؤمنين العرب.

إن الفساد الأخلاقي وانتشار الرشوة وشيوع الفاحشة وكثرة الجرائم والجنح والاعتداء المفرط على البيئة وتلويثها والتخلف بكل أبعاده، وجميع الأمراض الاجتماعية، تعتبر ناجمةً عن انحسار الروح الوطنية الصادقة، واضمحلال الشعور الوطني، لدى المواطنين في أي مجتمع.. بحيث تحول الإنسان في الدولة، إلى مجرّد كائن حي لا ينبض بالحياة، همّه البحث عما ينفعه، ويفيده شخصياً وآنيّاً ومباشرةً دون فهم، ولا وعيٍ بالمصلحة العامة، والمشتركة الملزمة لجميع الأفراد في المجتمع الذي يحيا به، أي: دون شعورٍ بالانتماء للوطن.

لذلك فإن المجتمعات السعيدة والواعية، تحرض دائماً على تنمية الروح الوطنية[1] لدى التلاميذ في المدارس، والأطفال في المنازل أولاً، ليخرج الإنسان إلى المجتمع بطلاً متحفّزاً وواعياً.

---

(١) في عام ١٩٨٤ حدثني صحافي كبير في السن، متقاعد، كان في (موسكو) في عام ١٩٤٥، لتغطية الأخبار، قال لي: كنت أسيرُ في أحد شوارع موسكو في عام ١٩٤٥، في ذلك الوقت، شاهدتُ إمرأةً روسية كانت تسير مع ابنتها الصغيرة إلى جانب سور إحدى الحدائق في (موسكو)، وأثناء سيرها مدَّتْ الطفلة يدها وقطفت ورقةً من أوراق النباتات المتدلية عن سور الحديقة المحاذية للرصيف، فما كان من أمها إِلَّا أن أوقفتها وأنّبتها وعنّفتها وضربتْها على يديها حتى جعلتها تبكي، وكانت تقول لها: لا يجوز أبداً إيذاء الشجر والنباتات، بل يجب عليكِ المحافظة على الشجرة وعلى الحديقة!

وقال لي هذا الصحافي، الذي والله أعلم، أنه أصبح الآن في ذمة الله تعالى، قال أنه في ذلك الوقت، وهو يسير في أحد شوارع (موسكو) قد شاهد محلاً لبيع العاب الأطفال، وقال أنه شاهد على واجهة ذلك المحل الكبير لعبةً أعجبته كثيراً، فأحبَّ أن يشتريها، دخل المحل وطلب من البائعة أن تبيعه تلك اللعبة، فقالت له: لماذا تريد شراء هذه اللعبة؟! فقال لها، وهو مندهش من السؤال: لي بنت في دمشق، وأريد أن أشتري هذه اللعبة هديّةً لابنتي! فقالت له ولكنَّ هذه اللعبة =

واليهود وكل الصف المعادي للعرب، يدركون أنه عندما يعي الإنسان العربي انتماءه، وعندما يملك إيمانه، وعندما سيحمل الإنسان العربي الروح الوطنية الصادقة، عندها لن يستطيعوا صهره واستلابه.

فاليهود والدول الاستعمارية، والفئات الموالية لهم، لا يريدون للإنسان العربي أن يعي انتماءه للعروبة، لأن وعيه الحقيقي لعروبته سيخرجه من حالة السكون والوجوم، وسيقلبه إلى حالة المارد العظيم، وهذا ما لا يريده أعداء الوطن، والمتربصون به الدوائر.

وبالتالي فقد كثر مدعو الوطنية، ولم يبق عاهر ولا دعيٍّ، إِلَّا وعملوا على تسويق بضاعتهم، عن طريق الشعارات الوطنية والثقافة والفن الوطنيين.. وأقيمت المزادات، وصارت البرامج الوطنية تُبثُّ حيةً من الملاهي الليلية والمطاعم الفاخرة، وصار المطربون النشاز أبطالاً ومثالاً، وتحولت الوطنية إلى مجرد عروض أشكال وأزياء، ومهرجانات لتصفيف الشعر... وهكذا قام الإعلام العالمي، الفضائيات والإذاعات قاموا بخدمة هذا الهدف، القاضي بتحطيم الروح الوطنية لدى العرب، هذا الإعلام الطاغي الذي أخذ يبث الحفلات غير الفنية ليلاً نهاراً، ناشراً الفساد في كل اتجاهٍ (١)، ضاغطاً على الجيل، قاضياً على

---

للذكور، وليست للإناث، إنها لا تصلح لابنتك؛ يجب عليك أن تنتقي لها ما يناسبها! فقال لها وهو مندهش من ردِّها له: نعم لديَّ ولد أيضاً، ويمكنني شراء هذه اللعبة، وأن أهديها له! فقالت لابأس، ولكن كم هو عمر هذا الولد؟ فقال: عمره نحو ثماني سنوات؛ فقالت له: ولكنَّ هذه اللعبة معمولة لطفلٍ يافع لا يقل عمره عن إحدى عشرة سنة! فقال لها: يا سيدتي نحن في البلاد العربية ليس لدينا مشكلة، فكل الألعاب عندنا تنفع لكل الأطفال، وأرجوكِ أعطني هذه اللعبة، فأنا أحببتها وأريد أن ألعب بها!

(١) بهذا الخصوص، يمكن مراجعة كتاب (المفسدون في الأرض) المترجم عن الفرنسية الذي يعدد جرائم اليهود الاجتماعية والسياسية، في دول العالم وعبر التاريخ الوسيط والحديث، ويصف ادوارهم في تهديم الكيانات الإنسانية، وزعزعة الأمن والاستقرار، في جميع البلدان، انطلاقاً من دورهم الرهيب في الثورة الفرنسية، إلى دورهم في الثورة البلشفية، في ميلادها وفي موتها! إلى دورهم في صعود النازية في ألمانيا ثم في هزيمة ألمانيا وانكسارها، إلى دورهم في بناء =

مستقبله، عاملاً على تسطيحه وتتفيهه، ناهياً أمره، مخرجه من روحه الوطنية!.

الأمر الذي سيجعل، الجيل والأجيال المقبلة[1]، من العرب، تنام مرتاحة على وسادة من البرامج الفنية، المرسومة والموّضبة والمنتجة والمصنعة خصيصاً لكي تقدم للأجيال العربية، مجاناً ودون أي ثمنٍ سوى استنـزاف الوقت والزمن العربي، والمستهدف من قبل أعداء العرب، والذي على الأجيال العربية أن تهده وتضيعه وترميه على مزابل اليهود وأمريكا، هباءً دون أيّ فائدةٍ أو أيّ نتيجة.

إن اليهود، يعملون الآن، من أجل تتفيه الأجيال العربية، والحياة العربية، وسحق عزيمتها من المهد إلى اللحد، وحتى من قبل الولادة، وذلك بصرفها عن أيّ شعورٍ بالوطنية والإيمان الحقيقي بالله تعالى.

---

الدولة العثمانية، ثمّ إلى انفراط عقد الإمبراطورية العثمانية؛ فكيف كانت ثمرات روح التسامح المطرد في النمو، في البلاد الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء؟! المفسدون في الأرض الطبعة الثالثة العربي للإعلان بدمشق١٩٩٤

(١) لقد انحدرت إلى الهاوية الأجيال العربية، من جميع النواحي الخَلْقيِّة والخُلُقِيِّة، فبينما أخذت التربية الوطنية دورها في تنمية الأجيال لدى باقي الأمم، غير العربية، والتي كانت تُزرع فيهم الروح الوطنية وحب الوطن، أصرت القوى والفعاليات العربية الإسلامية خلال القرن العشرين على سلب الإنسان العربي المسلم روحه الوطنية، تحت حجج واهية، واهمة وغير صحيحة.

# إنهم يعملون على تجريد العرب من الإحساسٍ بالانتماء للوطن

هل سيبقى العرب مسطحين تحت عناية اليهود المشددة؟ أم أنه سيدب الإيمان والشعور بالوطنية، في أوصال العرب المسلمين، وسيعودون إلى الحياة مرةً أخرى نافضين عنهم كل هذه الظروف السيئة التي باتت تحيط بهم من كل الاتجاهات: إن الله على كل شيءٍ قدير.

لا بد من قيام العرب، ولا بدّ من تحررهم، ولا بدّ من أن يستعيدوا سيادتهم على أرضهم وأنفسهم، وذلك بمجرد حصول الوعي بالوطنية العربية.

إن القوة الوطنية كامنة في الروح الوطنية[1] لدى كل شعب من الشعوب، وهي تصنع العجائب، بحيث يتحول المواطن ذو الروح الوطنية إلى مبدع وخلاق، ذي قوة جبارة، ويصبح الوطن الذي يضم مثل هؤلاء المواطنين الأحرار الشركاء، وطناً حراً ذا سيادة مهابة بين الأمم، بينما البلاد التي يفتقد أهلها إلى الروح الوطنية وإلى المشاعر الوطنية تكون

(١) من الثابت أنَّ كل نشاطٍ إنساني في الوجود البشري في العالم، معنوياً كان أو مادياً إن لم يكن هادفاً إلى غاية وطنية سامية ونبيلة، وشريفة؛ وصادقة فهو عدم؛ أو هو بحكم العدم! ذلك أنَّ علم العلماء، وفقه الفقهاء، وحكمة الحكماء؛ وفكر المفكرين، وأدب الأدباء، وتنوير المتنورين، ووعظ الوعاظ، ونصح الناصحين؛ وجهد المجتهدين، وعمل العاملين، كل تلك الأنشطة الإنسانية الفذة، تصبح هباءً منثوراً؛ وتخطيطاً في الهواء، لامعنى حقيقياً لها؛ غير ذات نتيجة؛ إذا لم تكن تهدف إلى تحقيق غايات وأهداف نبيلة، وطنية عليا وسامية، إنها إذا كانت دون المسعى الوطني، أو لم يكن فيها هدف وطني منفعة الناس في الوطن، منفعتهم في الدنيا والآخرة، فإن هذه الأعمال، أو هذه النشاطات، تصبح بلا قيمة حقيقية، فاقدةً لأي أهمية، بما في ذلك الوعظ الديني، فالوعظ الديني، المفروض أن يشجِّع الناس ويدفعهم إلى الإحسان، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يُحب المحسنين، أي أصحاب الإحساس الوطني، وجوهر الإحسان إحساسٌ وطنيٌ عميق. والله أعلم.

عُرضة للاستباحة والاجتياح من قبل الطامعين في كل حين! فلدى الوطني لا تجوز المساومة على أيٍ من قضايا الوطن، ولا على حرية الوطن، ولا يصح لدى الوطني محادثة الأعداء، ولا يصح الاتصال بهم، كذلك فإن الوطنية لا تُجوّز الاستعانة بالأشخاص غير الوطنيين، أو الاعتماد عليهم، في أي من الوظائف والأعمال، حتى يبقى الوطن حرّاً شامخاً وبالسيادة الكاملة.

وفي القرآن الكريم أيضاً قال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١]، وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والمنان من أسماء الله الحسنى سبحانه وتعالى، ولفظة (قرآن) تعني: قراءةُ الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم. ومن وحي سورة الرحمٰن، وسورة الرحمٰن هي عروس القرآن، وهي أُسٌّ من أسسه التي على العرب المسلمين فهمها فهماً دقيقاً، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمٰن: ١-٨]، والواضح من هذه الآيات الكريمة أنها تقول لنا: أنَّ الرحمٰن ﷻ كان أولاً وقبل كل شيء، المبتدأ بلا بداية، وهو واجب الوجود، وقبل أن يَخْلِقَ اللهُ سبحانهُ وتعالى الأشياءَ في هذا الكون، وعلى الأرض، وكلَّ الأشياء من خلقه تعالى، فالرحمٰن، كان أولاً، وكان عز وجل يُعلِّمُ القرآن الكريم العربي المبين، قبل أن يَخْلِقَ الله سبحانه وتعالى الإنسانَ، فلمن كان اللهُ سبحانه وتعالى يُعلمُ القرآنَ، قَبْلَ أنْ يَخْلِقَ الإنسانَ؟ ثمَّ أنه سبحانه وتعالى بعد أن علَّم القرآن قد خلق الإنسان، ثمَّ علمه (علم الإنسان البيان) إذاً القرآن الكريم العربي المبين كان موجوداً، وهو واجب الوجود، منذُ الأزلْ، لأنه كلام رب العالمين، فهو واجبُ الوجود قبل الإنسان، بينما الإنسان، قد خَلَقَهُ الله سبحانه وتعالى لاحقاً، و قد علَّمهُ البيانَ: أي وأعطاه دون غيره من المخلوقات السابقة إمكانية الفهم، فهم القرآن، أو أنّ الله سبحانه وتعالى مكَّنه، من فهم القرآن[1]، أو أنَّ اللهُ

(١) وهنالك كلمةٌ جميلةٌ (للتيجيبى الأندلسي) رحمه الله تعالى، والذي قام باختصار تفسير الطبري، فقال: إن من الخطأ بمكان، إن نقول أن هذا الكتاب (تفسير الطبري) يعتبرُ تفسيراً للقرآن الكريم، وإنما علينا أن نقول، أنّ هذا ما فهمه =

سبحانهُ وتعالى قد جعل الإنسانَ على مستوى، يفهمُ الإنسان القرآنَ الكريم، وميَّزَهُ، عن باقي الكائنات، فجعل له حواساً كاملة، بينما حُرِمَتْ باقي الكائنات، الحيوانات والنباتات، وغيرها من كمال الحواس[1]، واتساع نطاقها.

فلفظ الجلالة الرحمٰن في مطلع سورة الرحمٰن، (مبتدأ وكانت جميع الآيات التالية في تلك السورة المباركة كانت جميعها أخباراً متعددة عن الرحمٰن)، فالخبر الأول أنه سبحانه وتعالى قد علم القرآن، والخبر الثاني أنه خلق الإنسان والثالث أنه سبحانه وتعالى فد جعل

---

الطبري رحمه الله تعالى، من القرآن الكريم، وكذلك قال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى، قال: لا أدَّعي أنني أفسر القرآن الكريم، ولكن أقول أنَّ هذا ما فهمه الشعراوي؛ من القرآن الكريم.

(١) جميع الحيوانات والنباتات، لديها حاسَّات، أو حسّاسات، وحواسها (غريزية) وهي عند جميع الحيوانات محدودة وناقصة وغير كاملة؛ حتى تلك التي ترى أو تسمع او تشم أكثر من الإنسان، فإنها ترى وتسمع وتشم شيئاً محدداً فقط ولا تشم، ولا ترى، ولا تسمع غيره أبداً

فمثلاً معلومٌ أنَّ جميع الحيوانات لا ترى إلَّا لوناً واحداً من خلال الظلمة والنور، وهي تشم غريزياً رائحة واحدة فقط هي رائحة الدسم، وتحس بالخوف فقط؛ لذلك فإنّ القطة تشم بشكلٍ عجيب الدسم فقط، والكلاب تشم الدسم أيضاً، وما تدربت عليه فقط! (تميِّز رائحة واحدة فقط) والفيل يسمع عن بعد، نداء الفيل فقط، وكذلك الحوت في البحر.. فإنه يسمع عن بعدٍ شاسع ولكن صوتاً واحداً ومحدداً فقط، يسمعه أضعافاً مضاعفة! بينما الإنسان يسمع الكثير من الأصوات، ويميز بينها بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

[وكذلك التفاعل مع الأشعة، فقد أصبح، من الثابت علمياً، أن الأشعة أنواع عديدة، وأن تصدام هذه الأشعة مع الأجسام، والأجهزة الرؤيوية في هذه الأجسام، هي التي تجعل هذه الكائنات (الإنسان، والحيوان، وغيرهم من المخاوقات، من الكواكب والنجوم، إلى أصغر كائن، إلى وحيد الخلية؛) الكل يستمد الطاقة، أو هو يرى، من خلال تأثير الأشعة، والأشعة لا تعني الضوء؛! فالأشعة موجودة في الظلام أيضاً!.

ولكن الضوء ينتج عن الأشعة؛ «لذلك بات من الخطأ القول بسرعة الضوء؛ وينبغي القول بسرعة الأشعة؛ لأن الأشعة هي التي تسرع، وليس الضوء!، ولكن الأشعة أنواع فهل هي مختلفة السرعات؟؟».

لكن من الثابت أيضاً أنّ هذا التفاعل نوعي، فالأشعة التي تؤثر في الإنسان، في عين الإنسان، هي غير الأشعة التي تؤثر في باقي الكائنات، في عيون باقي الكائنات، كماً ونوعاً، والله تعالى اعلم].

هذه الفكرة تمَّ استنتاجها من حديثٍ لي مع الباحث، جمعة طحيني، أثناء نقاشي لأفكاره، في كتابه (فكر العالمين).

الشمس والقمر بحسبان، والرابع أنه قد جعل جميع مخلوقاته، ماينجم ومايتشجر يسجدان، والخبر الخامس أنه سبحانه وتعالى قد رفع السماء بغير عمدٍ ووضع الميزان، لكي يقام العدل وقد أشار إلى أمره لمخلوقاته جل شأنه بإقامة العدل لاسيما في الميزان، وطلب إلينا أن لا نُخْسِر الميزان، والخبر السادس أنَّ الأرض قد وضعها للأنام وجعل فيها فاكهةً وحباً ذو أكمام والخبر السابع هو أنه جل جلاله (دائماً هو ذو مقدرة على العصف والريحان) والعصف في اللسان العربي المبين هو الإعصار الشديد المدمر الذي يزيل بلحظة واحدة أو بضربة واحدة كل شيء يدل على الحياة ؛ قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ [الفيل: ٥][1]، قال تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ ﴾ [المرسلات: ١-٢]، قال تعالى: ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [يونس: ٢٢]، قال تعالى: ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فالعصف فعلٌ إلهيٌ عظيم يدل على قدرة الإله سبحانه وتعالى على السحق والمحق وذلك في كل آن، بينما الريحان هي الريح الطيبة التي تحيا بها الأرواح، وهو أيضاً فعلٌ إلهيٌ عظيم يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى على الإحياء والإنماء والنماء في كل حينٍ وكل آن، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ ﴾ [الواقعة: ٨٩]، وهكذا فإنَّ باقي الآيات في (سورة الرحمٰن) أخبارٌ عن الله سبحانه وتعالى، وعن عظمة أفعاله وعن قدرته، وإنما على الإنسان دائماً العمل على فهمه وإدراكه، ليخر ساجداً لله تعالى عبادة وشكراً والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

(١) لقد توهم الطبري رحمه الله تعالى فقال في تفسيره لهذه الآية : فقال أنَّ العصف هو التبن ! وتابعه على ذلك المفسرون حتى أنَّ ابن منظور في لسان العرب قد سار على نهجه وأيده في ذلك وأخذ عنه، وكان هذا وهماً من ابن جرير الطبري أولاً غفر الله له.

وبالتالي فهي، أي باقي الكائنات بما لديها من عجمة فإنها لا ولن تتمكن من إدراك ما يدركه الإنسان، أو أن تستبين ما يستبينه الإنسان بمشيئة الله سبحانه وتعالى (إِلَّا أن يشاء الله سبحانه وتعالى) إن الله سبحانه وتعالى قد مكَّنَ للإنسان، فعلمه البيان، وأعطاه السمع والأبصار والأفئدة، ليفهم الموجودات بتوسع، أو أن الله سبحانه وتعالى قد أتاح للإنسان ذلك، وأفسح له، من خلال الحواس الموصلة (التي تشكل نوافذ الذات (العقل) الإنسانية على العالم) ومن خلال الدوافع العليا والدنيا (الآلية المحركة والمولدة للطاقة والحيوية بمشيئة الله سبحانه وتعالى).

كل ذلك من أجل أن يدرك الإنسان الآيات، آيات الله سبحانه وتعالى، ليعلم مما علمه الله سبحانه وتعالى، بينما باقي الكائنات أساساً كانت محدودة الاطلاع، فاقدة للحواس، فاقدة للتمكُّن، لأنها معدة أساساً لمهام محددة، أو هي مناطٌ بها أوامرٌ مختلفة لا نعلمها، الله سبحانه وتعالى يعلمها، كذلك كانتْ هذه الأمور، وجميع الأمور، من الله سبحانه وتعالى بحسبان، وكل شيء خُلِقَ، كَبُرَ، أو صَغُرَ، فهو يَسجُدُ لله تعالى، طوعاً أو كرهاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فكل شيء يسير بنظامٍ محدد، وبموازين لا تحيد، من أجل ذلك عُدَّ الإنسان كفوراً جهولاً، بنِعَمِ الله سبحانه وتعالى، إذا هو جحد الحق، ومال إلى الخطأ.

وفي النهاية فإن المآل الطبيعي للمجتمع البشري، هو أن يصبح مجتمعاً ربانياً عربياً، وذلك بعد اجتيازه للمخاضات والأزمات والمشكلات والتجارب التي لابد له من أن يتعرض لها، ولكن لا بدَّ له في المستقبل من العمل وفق (الهارد) العربي.

والأمم المتحدة، والأمم في العالم، حتى تتحد فعلاً، وحتى تنسجم، وحتى يتم التفاهم الصحيح فيما بينها، يجب أن يكون اللسان العربي المبين لسان وحدتها، ولسانها الأساسي

للتفاهم، لأنه هو لسان الإنسان الطبيعي والأساسي والحقيقي للبشرية، وهذا الباطل الشائع المنحرف[1]، والذي يعم العالم الآن، لن يطمس الحق أبداً.

---

(١) كل شعوب الأرض قاطبة، كانت تعرف الله الخالق المبدع المدبر لهذا الكون ﷻ، وهي لا تزال تعرفه بذاكرتها؛ وهي الآن تقف منه مواقف مختلفة؛ تختلف في مواقعها من حيث الوصول إلى الحقيقة، في القرب أو البعد عنها (عن الحقيقة)! يتجلى ذلك من خلال الألفاظ التي لا تزال سائدة في لغات تلك الشعوب، والدالة على الإله، والموجودة على ألسنتها، وذلك في جميع أنحاء العالم، والدالة جميعها على وحدة المركز، أو وحدة البداية؛ إنَّ جَمْعَ تلك الألفاظ من جميع اللغات في العالم، ودراستها مجتمعة سينبينا عن أمورٍ غاية في الأهمية، والحكمة، فمثلاً في الإنكليزية لفظ الإله تلفظ (غوَد GOD ) فمن أين جَلَبَ الإنكليز، أو الألمان هذا اللفظ، وهل هو عربي كلفظ!؟ هل له جذور في اللسان العربي المبين؟ وفي الفرنسية (ديــه DIEU) ومن أين جلب الشعب الفرنسي الأول؛ هذا اللفظ؟! وهل له في اللسان العربي المبين جذور؟ لم يسأل أحدٌ نفسه هذا السؤال! كذلك في الفارسي (خُدا) من أين جلب الفرس، أو الإيرانيون؛ القدماء، هذا اللفظ، هل هو، (حدد، أو أدد أو هدد) وماذا كان يعني بالنسبة لهم؟! وهل يتطابق حقيقةً، هذا اللفظ في الفارسية كل التطابق مع ما يعنيه لفظ الجلالة العربي المبين (الله ﷻ) كما هو في القرآن الكريم؟ هل يعني نفس المعنى، هل يجوز أن يقول المسلم (ياخدا) هل يستجيب الله سبحانه وتعالى بهذا النداء هل كان هذا الاسم من أسماء الله تعالى (؟) من أين جلبوا هذا الإسم الفارسي؟ ما هو أساسه في اللسان العربي المبين؟ اللسان الأم؟

وفي الاسبانية (ديوس DIOS) وفي الإيطالية (ديو DIO) وواضحٌ أنَّ اللفظتين في الإسبانية والإيطالية كانتا من غصنٍ واحد؛ فمن أين جلبوا تلك الألفاظ اللاتينية، وهل كان لها أصلٌ في اللسان العربي المبين [في اللهجة الشامية القديمة يقول الفلاحون عند تعاملهم مع الحيوانات يقولون للبغل أو للحصان دي، أو ديوس، إذا أرادوا تسييره، أو إيقافه، وهذا اللفظ كما هو معروف آرامي كنعاني، وهو موجود في كتب الأساطير الأوربية وكتب الآثار وفي صيغ كثيرة لكل ترجمة! على أنه من عائلة الآلهة الوثنية اليونانية ـ الرومانية، زيوس، ومن الغريب أن تجد البعض ممن يدعون الفهم والعلم يربطون بين لفظة زيوس اليونانية العجماء وبين عبارة ﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ العربية المبينة، فيدعون بأنَّ عبارة ﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ القرآنية المجيدة، أنها مأخوذة من (زيوس) اليونانية! إذ كيف يأخذ الأصل من الفرع؟ وهم لايدرون أن القرآن الكريم بتعابيره كان قبل أن تخرج اليونان والرومان وأوربة كلها إلى الوجود! وفي اللغة الروسية (اللاخ ANNAX) أيضاً، و(آلالاخ) اللفظ بالروسية يعني الإله ولكن الروس الذين كانوا قد توغلوا شمالاً؛ لم يعودوا يستطيعون نطق حرف الهاء العربية فيبدلونها بالخاء! (يوجد كتاب من كتب وزارة الثقافة في سورية بعنوان الالاخ) فمن حقنا أن نسأل من أين جَلَبَ الشعب الروسي القديم هذا اللفظ؟ وهل كان لهذا اللفظ أساس في اللسان العربي القديم المبين؟! هل كل الخيوط معلقة بنقطة أساسية واحدة؟ وبالتالي ما مدى الانحراف الذي حصل تاريخياً، في الأفهام العقائدية لتلك الأمم وفي ألسنتها وفي ألوانها، عندما نأت تشق طريقها مبتعدة عن المركز الرئيسي للدائرة؛ =

إن المحاولات البائسة الجارية حثيثاً الآن لتبديل الكتابة من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، وكذلك لتبديل الألفاظ،، هذه المحاولات الجارية في بعض الدول الإسلامية وبعض الدول العربية، المدعومة من اليهود وأوربة وأمريكا، لَهِيَ محاولاتٌ مشبوهةُ حمقاءُ، وتمارس بجهالة مطبقة، للسباحة ضد التيار؛ التيار الكوني للمد الإنساني واللساني الطبيعي والفطري الذي يجب أن يكون؛ وباطلةٌ الادعاءات التي تدّعي أن العربية لغةٌ غير علمية أبداً، إذ كيف يكون اللسان المبين والذي هو الأصل، غير صالح، وتكون اللهجات المستمدة منه والمنحرفة عنه صالحة!

لكن العالم، سيصل إلى هذه النتيجة الحتميَّة، بعد اجتيازه للمرارة ومرحلة التصادم الحضاري والتفاعلات أو الاستكشاف الذي لابد منه؛ والذي ربما كان مأساوياً ملحمياً، لكنهم بعد ذلك سيكتشفون، في أوربة وأمريكا والغرب عموماً، أنهم إنما يفرون أوهم يهربون، مما ليس منه بدٌّ، بل سيكتشفون فيما بعد أيضاً أن فرارهم هذا وهروبهم من القرآن العربي، وفرارهم وهروبهم من اللسان العربي، وفرارهم وهروبهم من الإسلام العربي، إنما هو بمثابة فرارِ وهروبِ المريض السقيم من الغذاء الرباني الصحيح، والدواء الأساسي الناجع لهم (المريض فقط هو الذي يتحسس طعم الغِذَاء والدواء، وبالنسبة له فسيكون الطعم مرَّاً، لأن إحساسه كمريض إحساسٌ بدائيٌّ، فالمريض لا يدرك اللذة الحقيقية) لكنه وعلى كل حال فهو الغذاء والدواء الوحيد الشافي، الذي لا بد منه حتى يحيا الإنسان السليم بسلام، ولكي يشفى المريض.

---

وعن اللسان الأم، وذلك إلى جميع اللغات، في جميع الاتجاهات في جميع أنحاء العالم، على سطح الكرة الأرضية، وما هي درجات الميول والانحراف التي حصلت لدى كل لفظ؟، قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢].حصلت على الألفاظ مكتوبة باللغات الأجنبية من الباحث الشاعر ياسر شاكر، فله مني جزيل الشكر)

# خواطر نووية

من المُلاحظ أنَّ اللاحقة (أن) أو (ون) أو (ين) و الألف والواو والياء، أحرف علَّةٍ كما هو معلوم، أو هي الأحرف الهوائية، وربما كانت هذه الأحرف أحرفاً زائدة، أو هي فاصلةٌ بين المضاف والمضاف إليه، أو كانت للوقاية، وهي تنقلب أو تتحول فيما بينها، تلقائياً بحسب البيئة البشرية الطبيعية للناطقين بها[1]، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ**

(١) إن جميع الألفاظ، المفهومة، والتي لها معنى، في جميع اللغات، أو اللهجات الإنسانية التي في العالم، قاطبةً (كألفاظ، وليس ككتابة، لأنّ الأحرف والكتابة لتلك الألفاظ، «ما خلى الأحرف والكتابة العربية، الوحيدة في العالم التي يمكن أن يقال عنها أنها طبيعية، ولدت مع الإنسان منذ الأزل» لأن باقي الأحرف والكتابة غير العربية قد تكون اختراعية، أو متفق عليها، في فترة ما من التاريخ؛) إن جميع هذه الألفاظ، كألفاظ، في جميع لغات العالم من الممكن الوصول إلى أصلها الأصيل، العربي المبين، وذلك أولاً، بمحاولة تحويل اللفظ إلى المنطوق العربي، مع ملاحظة أن اليونان واللاتين، وفي كثيرٍ من الحالات، كانوا يدمجون عدداً من الكلمات العربية، أو جملة عربية كاملة، يلصقون مفرداتها بعضها إلى بعض، لتصبح عندهم لفظة واحدة! إن جميع المفردات عندهم ذات الحجم الكبير، أصلها جملة عربية؛ كانوا قد دمجوها، فينبغي على الباحث الحصيف الانتباه إلى هذه الناحية، ومحاولة تفريد اللفظة الأعجمية أولاً؛ وكتابة هذا اللفظ كما يُلفظ، ولكن بالحرف العربي المبين، ثم بإزالة المزيد، وفك المضعَّف وبعد ذلك يمكن دراسة اللفظ، من خلال محاولة استبعاد أحرف العلة، وهي الألف والواو والياء، ويكون الأصل ثلاثياً أو ثنائياً؛ وقد يحتاج الأمر، إلى معرفة ما اعتادت عليه العرب، في بعض المناطق، ما اعتادت على قلبه من أحرفها، مثل الميم مع الباء، مثل (مسكة – بسكة) و (مكة – بكة) والقاف أو العين مع الكاف، (مثل عود – كود؛ والصاد مع الشين مثل صِكْ التي تحولت إلى شِكْ أو سيك، وكيف تحول لفظ عود إلى كيتار) (أو الفاء والصاد مع السين، صوفي – سوفي) والضاد مع الدال،أو التاء، (في الصين، واليابان، يقال عن العنب، بيوتُ أو بيودُ وذلك بدل بيوض!) والحاء مع الهاء وغيرها. وأيضاً يحتاج الأمر لمعرفة الإدغام والإقلاب وعلومه، كما في علم التجويد، وينبغي إدراك الحقيقة المعروفة، وهي أن الشعوب البعيدة عن المركز وهو مكة المكرمة، كانت دائماً غير قادرة على إخراج الأحرف الحلقية وكانت تستبدل بها الأحرف الأقرب فالأقرب، إلى الإخراج من الحلق!! والله أعلم.. [مثال لفظة باسكت بول الإنكليزية، فإن الأساس أن تقول باسكت تبول، وواضحٌ أن معنى لفظة تبل هي طبل التي أصبحت طابة، عند الإنكليز في أقصى الشمال، بينما باسكت أصلها في العربي مسكة، وكانت متداولة في البابلية القديمة بمعنى سلة، وقلبت الباء ميماً، كما في التجويد؛ فصارت باسكت تبول، ثم دمجوا بين اللفظتين، كعادتهم في دمج الألفاظ فصارت باسكتبول، وهي (كرة السلة)، ولفظة(تيبل) =

وتعني طاولة، وأصلها العربي طاولة، لكن حرف الطاء حلقي، يصعب عليهم لفظه، فتحولوا إلى تاء، و(مدينة بطرسبرغ) معناها مدينة برج أو أبراج بطرس! وبرغ هي برج العربية، ومرسيليا هي: مرسى إيليا العربية، ومثل فورمات، وتعني الذي مات، أو الذي انتفى!! أو كل شيء ينتمي إلى العدم؛ أو المسح من الوجود!] والأكَمَة العربية، التي تعني التلة الصغيرة، كيف تحولت إلى جبل لدى الإنكليز، والحبل كيف أصبح كبل، والبنان اللفظة العربية، والتي تعني الأصابع، كيف أصبحت تعني الموز. إن الباحث الذي عليه أن يقوم بهذه المهمة الهامة، يجب أن يكون على دراية كاملة بالمعاني العربية المبينة، وخاصةً الألفاظ القديمة والألفاظ الموجودة، حالياً في الكثير من اللهجات العربية! وبأشكالها المتعددة، لأن العرب قد يكون لديها للمعنى الواحد أكثر من لفظة، وقد تكون الألفاظ التي في لغات العالم،قد ذهبت إلى هناك، من هنا أو هناك! وواضحٌ أنّ الألفاظ في إنكلترّا ذهبت إلى هناك من العراق أولاً، ومن مصر وبلاد الشام ثانياً، بينما في ألمانيا الألفاظ هناك كانت قد ذهبت إلى ألمانيا من العراق أولاً ثمّ من بلاد فارس، أما في روسيا فقد يكون الأمر معقداً أكثر لتضافر المصادر، بينما في إسبانيا وإيطاليا فقد كانت عملية الانتقال أكثرَ مباشرةً، وكانت عملية انسيابية، وكان الجميع من أساس واحد، فإن الباحث العربي يجب أن يكون ملماً باللغة الأساسية التي يقوم بدراسة اللفظ الآتي منها، والانتباه إلى أن الشعوب البعيدة قد تكون قد أخذت المعاني وركبت لها ألفاظاً (وبشكل نسبي وبحسب البعد عن مركز الانطلاق، أول بيت وضع للناس، أم القرى؛ البيت العتيق، مكة المكرمة، كما يقرر ذلك القرآن الكريم، كتاب الله، الكتاب الكوني، والله أعلم) كانت تلك العشائر كلما بَعُدَتْ في انتشارها عن المركز، كانت بطبيعة الحال تخضع وتتأثر في ألوانها وألسنتها؛ بالقوانين الطبيعية، التي أوجدها خالق هذا الكون الله سبحانه وتعالى، بحكمته البالغة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢].

لقد ثبت علميّاً أن كل سنتيمتر مربع من سطح الكرة الأرضية، ثبت علمياً أنَّ له خصائص خاصة، هذه الخصائص، تؤثر في كل شيء يعيش على هذا السطح، أو هذه المساحة الخاصة، والخصوصية، من سطوح... هذه الكرة الأرضية، إن جاز التعبير، فإنه يعيش عليها كائنات، من نبات أو حيوان، أو إنسان! وبطبيعة الحال، فإن الإنسان، كائن وكيان حي، يعيش على هذه الأرض؛ وبالتالي فهو خاضعٌ بطبيعة الحال، لنفس الظروف التي تخضع لها باقي الكائنات، من ضغطٍ جوي، ودرجةِ حرارة وكثافة وجاذبية وهواءٍ وتربة وأشعة؛ واختلاف في المأكل؛ وغيرها من الاختلافات التي لا ندركها، الله سبحانه وتعالى يعلمها. إن سكان الوديان، هم غير سكان قمم الجبال، وسكان خط الاستواء غير سكان المحيط المتجمد الشمالي، وهم غيرُ سكان المحيط المتجمد الجنوبي، وسكان الصحارى والبوادي، هم غير سكان الشواطئ، والجزر الصغيرة التي في عرض البحر هناك اختلاف بينهم بالألسنة، من خلال انطلاق، أو عدم انطلاق الألسنة، قدرتها على الإفصاح، أو عدم قدرتها على الإفصاح والبيان، واختلاف الألوان؛ والأشكال والطباع والأمزجة والعاطفة، والألسن في العروبة، والعجمة، قال تعالى (بلسانٍ عربي مبين) وهذا يعني أنه يوجد ألسنة عربية غير مبينة؛ إن الفارسية واللاتينية والسنسكريتية والصينية، وغيرها وما تفرع عنها، ألسنة عربية غير مبينة نتيجة =

انكماش الحنجرة البشرية، وعدم قدرتها، أو انغلاقها على بعض الأحرف، في مناطق معينة، وفي ظروف مختلفة، خصوصاً الحلقية منها.

كذلك نلاحظ اختلاف اللهجات بين سكان الإقليم الواحد، نتيجة سكناهم في ضياع مختلفة، بين قرية وقرية رغم القرب الشديد بين هذه القرى، والله تعالى أعلم، فكيف نستوعب علمياً، اختلاف أشكال، وألوان، وطعم النوع الواحد من الحبوب، أو الفاكهة، لمجرد اختلاف مصادر أو أماكن إنتاجه! علماً أننا مقتنعون، أن الأصل واحد، فمثلاً الرز الصيني غير الرز المصري، وهو غير الأسترالي وهو غير الأمريكي؛ وكذلك المنكا المصرية والسودانية هي غير المنكا الهندية، شكلاً، وطعماً، نتيجة اختلاف البيئة التي نبتت بها، ونحن نستوعب ونتفهم الفروقات، في أشكال النوع الواحد، من أنواع الحيوانات، لمجرد معرفتنا تنوع أماكن حياتها والبيئة التي رعت فيها؛! فمثلاً الفيل الإفريقي، هو غير الفيل الهندي؛ في الحجم، والسلوك؛ علماً أننا نعرف، ونؤمن أن الأصل واحد!، والدب القطبي وهو غير الدب الذي يعيش في غابات الهند، أو غابات أفريقيا، إذا كان لايزال يعيش فيها! وكذلك النمر الهندي، هو غير الببر الأمريكي، علماً أن الببر هو النمر، وهكذا فإن التباين والاختلاف سيصيب كل الكائنات الحية التي تعيش على سطح الكرة الأرضية، نتيجة اختلاف البيئة، وذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ﴾، ومعروفٌ،أن الضفدع في شمال أوربا، يبقى له ذيلٌ في جميع مراحل حياته، بينما الضفدع في بلاد الشام يختفي ذيله عند مرحلة بلوغه؛ ولازلت أذكر التجربة الرائعة والتي كانت موحيةً، والتي أجريت في الستينيات من القرن العشرين، حيث جُلب ضفدع من إنكلترّا إلى بيروت، وأخذ ضفدع من بلاد الشام، إلى إنكلترّا، وكانت المفاجأة، وهي أن الضفدع الشامي في إنكلترّا نبتت له ذيل، والضفدع الإنكليزي في بيروت اختفى ذيله!

يجب الاستفادة من دراسة نظرية التحولات، التي تطرأ أو طرأت على الألفاظ العربية، واللسان العربي المبين، عند انتقالها من المركز باتجاه المحيط؛ في كافة الاتجاهات، الشمال والشرق والغرب والجنوب، كيف أصبحت يونانية في المرحلة الأولى، ثم لاتينية رومانية في المرحلة الثانية، ثم كيف تشعبت إلى باقي اللهجات أو اللغات، في أوربة في المرحلة الثالثة، وكيف أصبحت فارسية ثم تركية مختلفة، في المرحلة الأولى، ثم اللغات الهندية المختلفة، في المرحلة الثانية، ثم إلى الصينية الصينية، ثم تشعبت منها إلى باقي اللغات واللهجات في آسيا وشرقي وجنوبي آسيا، وكذلك الحال، كان ما حصل في إفريقيا، من شمالها إلى جنوبها. وهذا ما يجب الاعتقاد به، أنه حصل، باتجاه أمريكا من شمالها، من الإسكيمو، إلى تحت، إلى أقصى جنوب أمريكا، كيف تحولت الألفاظ، والكيفية التي انتقلت بها، في رحلتها الطويلة، منطلقة من اللسان العربي المبين، من المركز، مركز الدائرة، إن هذه الفكرة ستيسِّر على الباحثين اللغويين العرب قبل غيرهم اكتشاف معاني المفردات الهاربة، أو البعيدة عن الاستخدام في العصر الحالي، وفي الحقيقة، فإنه لا يوجد شيء في اللسان العربي المبين، نقول عنه أعجمي!! ذلك القول الذي اعتاد على ترديده الكثير الكثير من الباحثين والدارسين العرب الكسالى، الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء التفكر والتفكير؛ فقالوا عن لفظ إبراهيم أبو العرب، والذي =

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ الروم، بينما حرف (النون) وهي حرفٌ أساسيٌ، كانت في اللغات العربية، أو في (اللهجات العربيات القديمة) إن صحَّ التعبير تعني اسمُ (الله تعالى)[١]، سليمان (يُقال أن معناه حبيب الله، والله تعالى أعلم، وسُليمة الحبيبة) غسان، قحطان، جبران، ريَّان، ربَّان، حِصان[٢] وغيره من الأسماء العربية القديمة[٣]، أو هي اسمٌ من أسماء الله ﷻ، وإذا أُلحقت أو ألصقت أو اتصلت بأيِّ اسمٍ، أو فعلٍ؛ فهذا يعني تنمية هذا الاسم، أو هذا الفعل إلى اسم الله سبحانه وتعالى، أو إضافتهم إلى الله ﷻ، وذلك في اللسان العربي المبين، ومنذ القديم؛ والله تعالى أعلم، الديّان اسمٌ لله سبحانه وتعالى، الدين، قرآن، رحمن، إنسان، سبحان، أم رومان وهذا لفظٌ عربي وهو اسمٌ لزوجة سيدنا أبو بكر الصديِّق رضي الله عنه، تزوجها قبل بعثة الرسول ﷺ، واسمها دعد بنت عامر بن عُمير الكنانية، فولدت له عبد الرحمٰن وعائشة، رضي الله عنهم، فما علاقة هذا الاسم بروما، والرومان؟

---

سماهم مسلمين، قالوا عنه أنه لفظ أعجمي! وكذلك قالوا عن إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وكلما كان يصعب عليهم لفظ قالوا عنه أنه أعجمي؛ والقرآن الكريم يقول غير ذلك؛ القرآن الكريم يقول أنه بلسانٍ عربيٍ مبين، وأنه قرآن عربي غير ذي عِوَج، ويصر الإمام الطبري على غير ذلك! والحقيقة أن جميع الألفاظ التي في القرآن الكريم عربية مبينة، لا ريب في ذلك.

(١) آن: أمون، وأمونه أسماءٌ شائعة في الريف العربي السوري، وكافة الأرياف العربية، وهي من اللغات والأساطير العربية القديمة وتعني القمر؛

(٢) لفظة (حصان) عربية تُطلق فقط على الحصان العربي الجواد، بينما غيره تدعى دواب وتسمى البرذون، كذلك لفظ (الجمل) فإنها لا تطلق إِلَّا على الجمال العربية ذات السنم الواحد، بينما يطلق على الجمال غير العربية ذات السنمين لفظ البخاتي؛ وذلك في اللسان العربي، معجم لسان العرب، لابن منظور، مادة حصان. مادة جمل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) في معجم (الآلهة والأساطير) (مون) في المثيولوجيا القديمة والأساطير هو اسمٌ لإله القمر. و(مون) في اللغة الإنكليزية يعني القمر! وعرمون وقلمون وقاسيون جبال في بلاد الشام،

وهناك مئات الألفاظ المنتشرة في لغات العالم، وكلُها تنتهي باللاحقة أن، أو ين، أو ون، (أن) أو (نون) وهي دلالةٌ بيِّنةٌ وواضحةٌ على أنَّ جميع اللغات التي في العالم اليوم؛ جميعها كان لها جذرٌ واحد، وأنها ربما كانت كُلها تعود إلى اللسانِ العربيِّ الربانيِّ المبين، كذلك يمكن ببساطة ملاحظة أن هذه الألفاظ (أن، ين، ون) أو مقلوباتها فإنها علاوة على أنها قد شكلت اللاحقة الأساسية للألفاظ المقدسة، أو التي أريد تقديسها، أو التي تنسب إلى القداسة، فإن هذه اللاحقة تحولت أيضاً إلى رقم أول، أو الرقم واحد لدى العديد من الشعوب في العالم؛ لقد صارت (النون) هي الرقم واحد، أو تحولت إلى الرقم واحد، وذلك في أكثر لغات العالم، والواحد في اللسان العربي المبين، هو الله ﷻ، وليس صدفةً أن نجد أن لفظ (ون) في الإنكليزي يعني الواحد؛ وفي الفرنسي لفظ (آن) يعني واحد، وفي اليوغسلافي (بيدان) تعني الواحد! والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم: ١]، فما معنى نون، وهل لفظة (بن) الإنكليزية، والتي تعني القلم، قلم الحبر! وهل هي لفظة هاربة من لسان العرب؟ هل تعني الحوت؟ كما ذهب إلى ذلك المفسرون، عندما أرادوا تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا** ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، هل تعني ذا العلم، أم تعني ذا الحق، أم تعني ذا القلم! لاسيما أن من معاني النون، في لسان العرب، الحد الفاصل والشفرة القاطعة!

ويجب أن نعيد النظر، في فهم الآية الكريمة وأن ننتبه، إلى أن الله سبحانه وتعالى، والذي في كلامه غاية البلاغة، وقِمَّةُ قِمَمِها، قد سماهُ الله سبحانه وتعالى، ذا النون، وأطلق عليه هذه الصفة، قبل أن يدخله جوف الحوت، وقبل أن يبتلعه الحوت؛ هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فقد وردت لفظة الحوت في القرآن الكريم، عدة مرات قال تعالى﴿ **فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝١٤٢** ﴾ [الصافات:١٤٢]، فلا حاجة للتورية ! أو لتغيير الاسم، أم

أن لها فهماً آخر، والله أعلم.

# اللسان العربي الكوني

وهذه بعض الألفاظ من القرآن الكريم، ومن أطلس العالم، ومن بعض المعاجم والكتب، وهي جديرةٌ بأن تُدْرَس دراسة جادة متأملة، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يهيىء لمثلها باحثين عرب يهتمون بها:

إيمان، آذان (هل تعني: جمع أُذُنْ؟ هل كانت العين والأذن واللسان من حواس البصيرة الإلهية وكنَّا مسؤولين عنها أمام الله سبحانه وتعالى؟) إخوان (هل تعني:جمع أخ؟) إنسان، (هل تعني: أَنِسَ بالله، أم تعني أنس الله، أي كمال وتمام خلق الله سبحانه وتعالى؟ قال تعالى:﴿ **وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤** ﴾[التين: ٤].

سبحان، ما معنى سبحن؟ هل هي (سمحان) هل هي لفظة عربية أصيلة، مُضَيَّعةٌ من كلام العرب؟ هل تعني سُمحان، بعد قلب الباء ميم مثل (بكة القديمة أصبحت مكة) أي بمعنى سماحك يا رب، أو طلب السماح من الله عز وجل؟ أو رجاء المسامحة من الله عز وجل، وطلب العفو منه ﷻ، هل كان هنالك نهيٌ عن طلب أو لفظ (السماح)، بينما نحن نسبح الله سبحانه وتعالى، كما أُمِرنا في شُرعتنا، مثلما نهينا عن لفظ (راعنا) وطُلبَ إلينا أن نقول اُنظرنا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤ ﴾[البقرة: ١٠٤] ﴿ **مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ** ﴾[النساء: ٤٦].

التين: التمام[1]، الزيتون: الحكم الشريعة الكتاب الأمر الإلهي السنى، الشمس نور الله سبحانه وتعالى، السنن، الطريق التام الموصل إلى الكمال، سينين: عوامل الزمن وتوالي الحِقب، والله تعالى أعلم، ألمان، (اسم شعب أو إقليم شمال أوربة، فهل كانت تعني: المَانُّ:المنانُ وهو من اسماء الله سبحانه وتعالى، أم أنها من اليمن أم أنها من الإنسان أي: إنسُ الله و (مان) في اللغة الإنكليزية تعني الإنسان، وتعني الرجل! هل هي من الأمن والأمان، (على اعتبار أنّ الرجل أقدر أو هو يحافظ على الأمن والأمان)، ألبان (– ألبانيا– اسم إقليم في وسط أوربا، ومنها جبال الألب في وسط أو في قلب أوربا؛ وكان هذا اللفظ مقلوب المان – المانيا (المنّان) بحيث كانت الميم باء مثل مكة التي كانت بكه، ومثل موسق التي أصبحت بوزق)!

أجبان، ألبان، مشتقات الحليب فهل لهذه الألفاظ علاقة وارتباطٌ بالتعبير عن كرم الله سبحانه وتعالى؟ اسوان، حلوان (مدينتان في وادي النيل) اسفرجان، اصفهان، اسفنداران، بازانان، أوشتوران (مدن في بلاد فارس) أردكان،(لفظ تركي فارسي) أهروان، شبروان، شمان، فارسان، فارشامان، فورتان، كاجان، كبعان، كجاران (مناطق في بلاد فارس) أركان (الجهات الأربع، جمع ركن عربي) هُنَّ (ضمير منفصل للإناث) كنعان، بيان، رحمٰن (والله أعلم أنّ الرَحِمَ هي الرحبُ البادئ المبدىء، الذي يُبدىء ويبدأ الخلق ثم يعيده، الدافع الذي دفع بهذا الوجود كله وهو ﷻ على الدوام يُدبره، ويُفعِّلهُ، ويديرهُ بأمره، المصدر الأساسي لكل الأشياء والمخلوقات، ومنبع الوجود كله صدرت عنه،

(١) في اللغة الإنكليزية (تن) عشرة، وهي التمام، تمام أصابع اليد؛ وتن مقلوب تمَّ العربية المبينة، والله تعالى أعلم.

ونبعت منه، وبإرادته وبمشيئته، السماوات والأرض وما بينهما، وهو الذي أمده ويُمده بالطاقة، الحياة، كل تلك المعاني منسوبة إلى الله ﷻ، الرحمٰن رب العالمين، الله عز وجل.

وتعظيماً لصلة الرحم، قال ﷺ: «**إن الله قد اشتقَّ للرحم اسماً من اسمه**» بينما لفظ (الرحيم) كان قد جاء من الرحمة، أو أن الرحمة من الرحيم، الله سبحانه وتعالى أعلم، ولكن الملاحظ من خلال تأمل الآيات في القرآن الكريم التي أتت على ذكر (الرحْمن)٥٧ مرة كانت دائماً تشير إلى الأول البادئ المصدر الأساسي، الخالق المبدع القادر القاهر فوق عباده، منه تندفع كل الموجودات، وهي تستمد منه الحياة، وهو جل جلاله منبع ومصدر كل الأكوان سبحانه وتعالى.

وكان لفظ (الرحيم) الذي ورد ٩٥مرة، و٢٠(رحيماً) و(أرْحَمُ) مرة واحدة) و٢(رحمتي) و٢٥(رحمته)، و٥(رحمتنا)، و٣(رحمتك) و٧٩(رحمة) و٨(ترحمون) و٤(رَحِمَ) ومن اشتقاقاتها ١٦مرة وكانت جميعها من الرحمة، التي تُرجى دائماً وتكون أثناء التكليف ومع نهاية التكليف، نهاية مرحلة الحياة في هذه الدُنيا، عند الحساب وعند التوبة، وعند الحاجة الماسة إلى الشفاعة، وعند الحاجة الماسة إلى أن يتوب الله علينا، والله أعلم فإنَّ الرحمة التي يحتاجها المقصرون عادةً، ونحن جميعاً مقصرون، نحتاج دائماً إلى رحمة من الله سبحانه وتعالى، والله أعلم ونحن لا نعلم، لأن الإنسان كان ظلوماً، وجهولاً، وكفوراً، والله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

لذلك كانت آية البسملة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الكريمة، شاملة في مقاصدها، لاسم الله الأعظم ﷻ، رب العالمين، رب العرش العظيم، بسم الله الرحْمن، الأول بلا بداية، خالق كل شيء، المهيمن على كل شيء والرحيم، من الأولى بلا بداية، إلى الآخرة بلا نهاية، قال تعالى: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] قال تعالى: ﴿

﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فالكون منه وإليه سبحانه وتعالى، قال ﷺ: «**كل أمرٍ لا يبدأ باسم الله الرحمٰن الرحيم فهو أبتر**» أو كما قال ﷺ، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

حسبان، حيوان، شيطان، إن الشيطان[1] مخلوقٌ من مخلوقات الله أيضاً، قال تعالى: ﴿ **وَمَن**

---

(١) وردت لفظة (الشيطان) في القرآن الكريم ٦٨ مرة، وكانت ذات مدلول واحد، فقد أشار بها رب العالمين ﷻ، إلى إبليس اللعين، بأنه كان شيطاناً، في تمرده عن أمر ربه، وفي عدائه للإنسان، عندما عمل على إخراج سيدنا آدم مع زوجه من الجنة، وهو يتابع عداءه للإنسان على الأرض؛ الشيطان، والشياط، والشيط هي حالةٌ، وصل إليها إبليس وكان سابقاً يصفُّ مع الملائكة، أو أنه كان من الجان، ولكنه فسق عن أمر ربه، وتمرَّدَ، فطُرِدَ من رحمة الله تعالى، فشاط ولم يَعُدْ، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [مريم: ٤٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦].
وفي لسان العرب لابن منظور (شاط: احترق مع اللصق من زيت ونحوه، وشاط ذَهَبَ بمعنى الضَيَاع والهدر، والشوط الغليان، وشاط بمعنى وزَّعَ، وشاط احترق على النار، واشتاط التهب، للحم والزيت والسمن والصوف والقطن، والإشاطة الإهلاك، وكل ما ذهَبَ فقد شاط، والإشاطة إراقة الدماء، واستشاط: احتدَّ وخفَّ وتحرّقَ، واستشاط فلان، إذا استقتل) أ.هـ، وهذه معاني تدل على التوتر والتوتير الدائم بغير هدى، وعلى القيام بلا قعود وعلى القفز عن الأرض من غير ثباتٍ عليها، وعلى عدم الاستقرار، وتعني الضجيج المستمر بلا تهدئة، ولا هدوء، وتدل على الذهاب بلا عودة ولا رجوع ولا إياب، وعلى احتراق بلا هدف ولا نتيجة ولا معنى، وعلى هلاكٍ وتلف. إنَّ لفظة شيطان صفة للحالة وللمهمَّة التي يُنفذها إبليس، فهو إبليس اللعين، المتمرد على أمر الله تعالى، وقد لَزِمَتْهُ صفة شيطان، وهذه الصفة، له ولأعوانه وللمؤتمرين بأمره، صفة لهم أصبحت نعتاً دائماً، قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ وهذا دليلٌ واضحٌ على أنَّ مهمة الشيطان (إبليس اللعين) قد تتعدَّى الناس الظاهرين، في هذا العالم، إلى المؤمنين من الجُنَّةِ في العوالم الأخرى، لأنَّ من معاني الناس المستأنسين الأنيسين المكشوفين البينين، الواضحين، الملموسين، وهناك ناس من الجان غير المرئيين، والجان هم ماخفيَ من المخلوقات الذين لايظهرون للبشر، ولا يُرَون أبداً، وهم في عوالم أخرى، ولكن الله سبحانه وتعالى يراهم، وفيهم المؤمنون وفيهم من يتأثر بأفاعيل وبرامج الشيطان فهو يؤثر فيهم في العالمين على حدٍ سواء، ويوسوس لهم، والله تعالى أعلم.

يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

مهين، هون، وهن، كأنَّ، طهران، ظهران، لبنان، يونان، عجمان، عَبَدان، جان من الجن، بوعان، جوعان، شبعان، عطشان، زعلان، وهران (مدينة عربية عريقة في الجزائر) فاران (مكة المكرمة أو جبل قرب مكة)، سيران، بمعنى النزهة في الطبيعة، أو السير في الطبيعة، أرض الله تعالى، أو القرب من الله تعالى، ومنها سيروان، وسيرون، وآن (بمعنى الوقت الحالي)، عدن (مدينة عربية عريقة في اليمن معروفة) كان (بمعنى الفعل الماضي) عثمان، عفَّان، فرحان، بستان، سلطان، سِنان، أسنان، فرسان، غيلان، قحطان، عدنان، مروان، نبهان، طالبان، شهوان، خوَّان، خْوانْ، زيتون، ليمون، رمان، زمان، سمون، كمون، معطون، سيحون، جيحون، (أنهار في شرق وجنوب العراق).

# حول لفظ فرعون ونعمان

فرعون، تعني فرعُ الله، وفرعون (اسمٌ للغصن الكبير، أو الفرع الكبير من الشجرة، يخرج من أدنى الشجرة، أو يتفرع من أدنى الشجرة)

نعمان: غصنُ الله، ونعمان: (النعم اسم للغصن الصغير الذي يخرج من رأس الشجرة، وشقائق النعمان هو اسمٌ لورد الربيع، وأيضاً النعمان من المُنعم أي المعطي، وهو الله سبحانه وتعالى)

عون (اسم عشيرة أو عائلة عربية!) عمَّان (مدينة في بلاد الشام، كانت قرية) عُمان (أو بلاد عُمان اسم إُقليم جنوب شرق جزيرة العرب) بشامون، كسروان، (ضِياع في لبنان) شمعون، انطون، كرتون، حردون، جردون، الأردن (اسم نهر في بلاد الشام) برقان، يرقان، بريدان، قطيفان، بني طيفان، غطفان، ميدان، بعدران، جاردان، بَنَان (أصابع اليد)، بلَّان، حسان، بني خيلان، بني طخمان، بهبهان، بوهبدان، بوبيان، بيت سعَّان، بيرزلان، ترعان، تلعران، ثمامان، تلمسان، تليسان، تونان، تيران بيسان، (بلد في فلسطين المحتلة)، جيزان، جايزان، جزين (قرية في لبنان) جولان، حوران، (أقاليم في بلاد الشام) جاردجيان، وجبّان، ام أشران، وجبان، ودان، وهبان، هيجان، هومدان، هنديجان، الزبرقان، فُلان، ميزان، عرب ستان، خوزستان، باكستان، أفغانستان، ستان، كرد ستان، بستان، وهذه كلها أسماء أقاليم أو تقسيمات سياسية ما يهمنا فيها هو لفظ ستان) أستانة، (اسطنبول) أبان، إبان.

وقاسيون تعني قسمة الله.

وقاسيون هل تعني قسمة الله؟ والله تعالى أعلم!

وحرمون، هل تعني حَرَمُ الله سبحانه وتعالى أعلم!

وعرمون، هل هي عَرَمُ الله سبحانه وتعالى، والعرم من صفات السيل؛ الهادر العميم، كناية عن الكرم بلا حدود، وبحمدون هل تعني حمد الله تعالى؟ أم تعني محمِّد الله وبالتالي هل اسم محمد لفظٌ كونيٌ كان العرب يعرفونه منذ الأزل وهو المقابل للفظ آدم عليهم السلام كما أوردت ذلك أودللت عليه بعض الآثار! سيما وكما هو معروف فإنَّ سيدنا محمد ﷺ كان اسمه عندما ولد أحمد وقد بشرت به الكتب السابقة والأنبياء السابقين فقال تعالى: **﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾** [الصف: ٦]، وقلمون، هل كانت تعني قلم الله، (إقليم الجبال)، وكلها أسماء جبال في بلاد الشام معروفة.

كروان (طائر جميل، له صوت جميل)، بدران، كندوان، كنكان، كوميشان، ماجلان، ثعبان، شعبان رمضان، أصلان، حنان، منان، أزربيجان، يابان، (اليابان: اسم لجزيرة كبيرة، تقع في أقصى الشرق في المياه التي تلي اليابسة في المحيط الهادي وهنالك بحر يسمى باسمها، فما معنى – يابان – في اللسان العربي المبين؟ إننا إذا أزلنا أل التعريف... وأحرف العلة الزائدة على اللفظ، حصلنا على اللفظ العربي الأساسي وهو (يبن) وقلبنا الباء، إلى ميم، كما تفعل العرب في بعض الجهات حصلنا على اللفظة الأساسية التي تطورت عنها لفظة (اليابان) وهي (اليمن) فهل كان اليمنيون القدماء هم أول الواصلين إلى الجزيرة قديماً ومنذ آلاف السنين، وبالتالي فقد منحوا اسم بلادهم إلى الجزيرة، التي صارت اليابان، أم أن معناها هو يمين الله، أم يُمْنُ الله؟ على اعتبار أنها تقع في أقصى الشرق من مطلع الشمس؟ على اليمين بالنسبة لبلاد العرب.

والمدهش في الأمر هو أنَّ لفظ اليابان في اللاتينية هو، جابان، (JAPAN) وأنَّ ألمانيا،

جرمن (GERMAN) واللفظين يبدأان بحرف الجيم! وهي في اللسان العربي المبين، الجيم مقلوب الياء، رجَّال – ريَّال؛ في بعض بلاد اليمن وفي الكويت، وهذه دلالةٌ واضحة لا لبس فيها على أن أسماء الأقاليم في العالم هي أسماء عربية مبينة، فهل ترجع تسميتهم إلى مصدرٍ أو منشأٍ واحد؛ وكانت اللاتينية عبارة عن لهجة عربية من لهجات اللسان العربي المبين ولكنها لهجة قديمة والله تعالى أعلم، وكذلك كانت لفظة (الصين) الصين بعد إزالة الأحرف الزائدة وأل التعريف فإننا نصل إلى اللفظ الأساسي وهو (صن) وكانت الصاد في اللسان العربي المبين مقلوبة من السين، وهكذا فاللفظ الأساسي المبين هو (سنَّ) من السنا، والسنا هو: نور الله ﷻ، أو نور الشمس، أو مشرق الشمس، أو الضياء، والدلالة التي لا لبس فيها على ذلك هي اللفظة اللاتينية التي لا تزال شاهدة على ذلك، وهي عربية صميمية؛ و(CHINA) الشمس العربية! وقريبة منها جداً لفظة جبل صنين وهو من القمم في لبنان العربي!

هارون، حارون، قارون، طاحون، مهران، همدان، وزوان غزوان، بصير بان، نوبران، مهرابان، هنديجان، ملكان، منيكان (النموذج بالإنكليزي)، جُمان (الدرَّة النفيسة) بورازجان، تاجان، تابجيان، جاسان، جيهان، جيلان، خُراسان، (اسماء، مدن في بلاد الفرس)

الدبلان (حي في حمص) داوان، ميدان، بلودان، زبدين، كلان، مريوان، دليجان، محطون، دهلوران، دربولان، دركبدان، لوزان(مدينة سويسرية) كان (مدينة فرنسية) مزلقان، (مسار السفينة من مركز الصيانة في البر إلى البحر) روديان، روعان، زرقان، زنجان، هامان، مزدقان، سيروان، سامان، سِيلان، سبْلان، صوفيان، طيَّان، سفّان، حيان، شيشان، صوان، قربان، عصيان، سيان، جربان، حلوان، كهرمان.

[ماسون، بعد تجريدها من الواو والنون، فهي لفظة عربية قديمة! من المس، والمساس، وهو شيط العقل، أو النط والعبثية، أو هدم الإيمان، وهدم الاستقرار في النفس، وهو معاكسة للهدى، والله تعالى أعلم، قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ** ﴾ [طه: ٩٧]، و(لا مساس) هذه هي مهمة وفعل إبليس في الحياة، وهي لفظة عربية قديمة تعني إمساس العقل أي تعطيله، وماس عكسها، سام؛ وهو إبليس بعينه [(١)] ! (وماس هي عكس (سام) اللفظة من التوراة اليهودية؛ وسام عكس أو مقلوب ماس؛ والمساس، وهي مهمة إبليس في الحياة وهي التخريب! وفي لسان العرب أنَّ المسماس هو اختلاط الأمور والتباسها؛ والمَسَى سوء الخلق بعد حُسنه؛ فهو مثل المساء ضد الصباح؛ ومسيت انتزعت، ورجل ماس لايلتفت إلى موعظة، وماس هو الخطأ، والتماسي الدواهي! والمسُّ المجون؛ قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦** ﴾ [الأعراف:١٤-١٦]، وفي الأثر أخرج البخاري (٥٩٠٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا سلَّمَ عليكم اليهودُ، فإنما يقول أحدهم: السام عليك، فقل: وعليك**» و أخرج البخاري (٦٥٢٧) عن أنس بن مالك قال: مر يهودي برسول الله ﷺ فقال: السام عليك، فقال رسول الله ﷺ: وعليكَ. فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما يقول؟ قال: السّام عليك**». قالوا: يا رسول الله،

---

(١) راجع كتاب (السر المصون في شيعة الفرمصون، نظر تاريخي ادبي اجتماعي، لويس شيخو، منشورات مكتبة نُبل بدمشق ١٩٨٤. يقول الكتاب في الصفحة ٤ من الكراس السادس: (وفي ٢٠ايلول سنة ١٨٨٤ طاف الماسون في جنوة ناشرين اعلام الشيعة في مقدمتها (راية إبليس) وكذا فعلوا في ذلك اليوم سنة ١٨٩١ في رومية ذكراً لفتح الجنود الإيطالية لمدينة رومية سنة ١٨٧٠) راجع كتاب الخطط المقريزية، حيث يشرح الكتاب عن طائفة الإمساسية؛ اليهودية التي كانت تمتُّ بالصلة للسامرة أو هي تطورت عنها! والتي طورت نشاطها؛ وأداءها؛ ومهمتها؛ وتمخضت عن منظمة عالمية (الماسونية) القرن الرابع عشر في أوربا.

ألا نقتله؟ قال: «لا إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: وعليكم»[1].

---

(١) لقد دأب اليهود، منذ أن دخلوا أرض العرب؛ على التآمر على العرب، في لغتهم السرية وذلك عندما تواطؤوا على قلب الألفاظ العربية، وعكسها أو لفظها بالعكس! في لغتهم السرية، فبينما القرآن الكريم، يوضح لنا بجلاء أنه كان من مهام إبليس اللعين، وهو استاذ اليهود؛ كان من مهامه في الحياة القول - الفعل - لامساس، وهو الوسوسة للناس، وحرفهم باستمرار عن الصراط المستقيم الموصل للحق، وكان اليهود عبدة إبليس، قد عكسوا هذا اللفظ، فأصبح لديهم، أو صاروا يقولونه ويفرضونه على الناس بدل مساس: سام! وهو أصله الوسوسة والجنون، كان ذلك خِداعاً للعرب، وفي القرآن الكريم فإنَّ المس من الشيطان، وهو التخبط! وعدم الاستقرار والنط؛ قال تعالى: ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال تعالى: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [طه: ٩٧]،وهذا الكلام قاله سيدنا موسى، لإبليس اللعين، عندما تلبس بصورة السامري، فصنع للناس العجل، وأمرهم، وزين لهم أن يعبدوه على أنه إله! فقال له موسى في نهاية الحوار: قال تعالى: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾، لقد أدرك سيدنا موسى كلام الله عز وجل الذي قال فيه:﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤-١٨]، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر: ٣٥-٤٣]، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٥]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠-٢١]، قال تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ =

والسام اسمُ لإله اليهود وهو إبليس، سكان، سرحان، مكان، كسلان، جبان، عنوان، عنفوان، روان، يقين، يمن، يمان يمين (عكس الشمال، وفي المعجم فإنها تعني الأمام، قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٧]، وفي التثنية نقول: صيادان، وجملان وصاحبان، فنضيف ألف ونون، والألف زائدة! وفي الجمع نقول حِيتان، وجيران، وحِيطان، ونضيف ألف ونون والألف زائدة! فما هي دلالة حرف النون؟ نقول سمن، وثَمَنْ، وصابون، وصحن، وحسن، ووطن، فهل هي ألفاظٌ أو معانٍ مرتبطة باسم الله تعالى؟

والأرمن يضيفون، أو يلحقون بأسمائهم العربية العريقة؛ لاحقةً وهي ألف ونون، فيقولون سميرجيان، وجورجيان، ويعقوبيان، وقازريان، وهكذا...فهل يعني هذا الأمر أنهم، أي الأرمن، كانوا يقصدون أن يجعلوا أسماءهم مقدسةً؟! فيلحقون بها اللاحقة القدسية (النون) لاسيما أنَّ ظاهر لفظ (الأرمن) ذاته يعني بطبيعة الحال، وبعد تجريد هذا اللفظ من الحرف الزائد القدسي واللاحقة (النون..) يعني أنَّ الأرمن والله أعلم، أنهم كانوا مجرد عشيرة عربية كانت قد انشقت عن الأرومة العربية الآرامية (الآراميون) في الزمن السحيق وذلك قبل آلاف السنين، الآراميون الذين كانوا قد شكلوا عبر التاريخ السحيق في القِدم إمبراطوريات واسعة وشاملة امتدت إلى ما بعد الهضبة الآرامية التي ينبع منها النهران العربيان دجلة والفرات والتي صارت تدعى فيما بعد (الهضبة الأرمينية!) فهل تعني لفظة أرمن آرام الله أم عرب الله! وخير دليلٍ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٧-٨] وإرم بالتأكيد كانت في المنطقة العربية فهي لم تكن في أوربة حتماً كذلك فإنَّ الدليلٍ على ذلك موجودٌ حالياً لدى الأرمن أنفسهم وهو أنَّ الألفاظ العربية الأصيلة لا تزال في

---

ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٧٤-٨٥].

اللغة الأرمنية المعاصرة واضحة للمتأمل وللدارس والباحث والعالم، لاتزال تشهد على ذلك، وكذلك في الكثير من عادات الأرمن وتقاليدهم الصارمة فإنها ترجع إلى جذورٍ عربية اصيلة؛ أم أنَّ الأرمن قد انبثقوا عن العرب الحثيين الذين كانوا قد شكلوا حضارة واسعة في الشمال الشرقي؛ على بطاح هضبة أرمينيا حالياً والذين كانوا قد انبثقوا بدورهم عن الأشوريين والآراميين في مرحلةٍ من مراحل التاريخ القديم؛ والذين كانوا بدورهم قد شكلوا أيضاً إمبراطوريات واسعة امتدت مئات السنين في التاريخ القديم وقد شملت هضبة إرمينيا ومنابع دجلة والفرات! الله أعلم، فهل كان الأرمن بالأساس مجرد عشيرة عربية آرامية، كانت قد انزاحت أو انبثقت عن قبيلة (عاد) العربية الآرامية القديمة وبلادها إرم ذات العماد المذكورة صراحة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝﴾ [الفجر: ٦-٨]. إن القرآن الكريم هو الحق، وهو الذي يقصُّ علينا القصص الحق، وليس كتاب (قصة الحضارة لول ديورانت) إنَّ (ول ديورانت) يهودي كان قد أعاد كتابة التاريخ العالمي وفق المسطرة التوراتية ولمصلحة اليهود! وكان في كتابه حرباً على العرب والإسلام، ولسنا نحن كعرب وكمسلمين مضطرين لمتابعة اليهود في ما كتبوه لنا عن التاريخ القديم والحضارات القديمة! لعل التاريخ لا يجد لها نظيراً حتى الآن[1] والأولى

(١) لا شك في أن التحريف والمبالغة قد لحقت التاريخ العالمي برمته، وأن اليهود قد تعمدوا المبالغة فيه إلى أقصى مجال حتى أصبح خيالياً مفتعلاً مغشوشاً موهِماً، مفلتراً... أوهموا فيه الأجيال في أوربة لدفعها من خلال تحسيسها بالذنب المستمر إلى الوقوف إلى جانب اليهود ودعمهم والتبرير لهم كل ما يفعلوه؛ واليهود في تاريخهم القديم والحديث؛ وعبر الروايات والقصص والمسرحيات والسينما، والفن التشكيلي، (الأعمال الابداعية!) التي أصبحت في هذه الأيام بديلاً عن التاريخ الحقيقي، وقد استطاعوا وتعمدوا تمرير أكاذيبهم وخداع العالم بخيالاتهم، لطالما أنَّ العالم قد استسلم نهائياً لألاعيبهم وكذبهم، وادعاءاتهم. لقد كانت الكثير من الروايات والقصص والمسرحيات والأفلام واللوحات الفنية الأوربية الحديثة، كانت بالنسبة لليهود، عبارة عن حصان طروادة، تم فيها غزو الفكر الإنساني، وعن طريقها، تم تحميل كل المبادئ التوراتية والتلمودية، كان أكثرها في خدمة اليهود، ومشاريعهم لتزوير التاريخ وتبديل وقائعه، و =

أن نتبع كتاب الله وهو تعالى أصدق القائلين وهو أعلم بكل شيء سبحانه وتعالى.

فالأرمن مثلهم مثل عشيرة الأشبين التي سبق وأن انزاحت أو انفصلت إلى ماسُميَّ الجزيرة الإيبيرية أو (اسبانيا وبلاد الأندلس) فأعطوا اسمهم لتلك الجزيرة، ومدينة (إشبيليا) التي أصلها إشبيلياء عربية قديمة أول مدينة بناها الإشبينيون الآراميون وهي

---

من خلالها، تم تغيير معالم الواقع وقلبت الحقائق، رأساً على عقب.

إن كثيراً من الروايات المعمول بها في أوربة، منذ مطلع القرن العشرين، كان قد وضع في خدمة اليهود، التي كانت تفترض وتتحدث عن إدعاءٍ وزعمٍ لتاريخٍ قديمٍ لليهود، أو عن افتراءٍ وافتراض؛ أن ظلماً لحق باليهود إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، (الحرب والسلام لتلستوي، والتي أصبحت هذه الرواية، عند الأجيال في العالم، بديلاً عن التاريخ أو هي التاريخ ذاته! بينما هي مركبة في ذهن الكاتب) ورواية (الساعة الخامسة والعشرون) وكذلك رواية (الطبل) وأكثر الروايات التي حصلت على جائزة نوبل، كذلك فإن هذه الأعمال كانت تفتري وتدعي أن لليهود حقاً، في أرض العرب وعملت على تكريس هذا الادعاء على أسماع وأنظار الأوربيين والعالم، حتى أدخلت في عقولهم الأوهام، وبالمقابل كانت هذه الأعمال تسيء للعرب أيّما إساءة، والعرب غائبون ودون أن يكون هناك من يلاحظ أو يحاسب، الأمر الذي أدّى بالنتيجة إلى تجييـش الرأي العام الأوربي والعالمي ضد العرب، ومع مرور الزمن انعكست هذه السلبيات، عن طريق الترجمة غير المسؤولة أو المسؤولة، إلى أن أُدخلت إلى الثقافة العربية الحديثة، والفكر العربي الحديث؛ وعششت في عقول بعض الخاصة، والكثير من العامة، وهي أخطاء يجب أن تصحح، عاجلاً أو أجلاً عند عودة الوعي العربي.وبخلاف التاريخ الحقيقي فإن الأعمال الفنية؛ كانت دائماً تحتمل التلفيق والافتراء، أو التزوير أو التغيير أو التبديل لأيٍ من الوقائع، أو الأحداث، أو الشروط، أو الظروف، وتحتمل الأجناس الأدبية والفنية، وأكثرها، متضمنٌ لمضامين، تُبنى بناءً، وتوضبُ توضيباً، وتحضرُ تحضيراً، ويخطط لها تخطيطاً، يختلط فيها الحابل بالنابل، الخيال والافتراض، والتصور، والتَوَقُّع، والدسُ، والافتراء والتلفيق، والتزوير للحقائق، والوقائع، ثمّ تكون النصوص، واللوحات والأفلام، طبخةً مرسومةً مهندسةً، مُقَنَّعَةً مُقْنِعَة، ومعزوقة، وملوَّنةً، وتقدم للجمهور تحت عناوين الإبداع، والحداثةِ، والواقعية؛ وكثيراً ما تخدم- هذه الأجناس بالنتيجة، غايات خاصة. ومعروفٌ لدى الأدباء والنقاد، أن هذه الأشكال الأدبية والفنون، أنها تحتملُ نسبةً من الواقعية، إضافة إلى احتوائها على نسبة أكبر من الفرضيات غير الحقيقية؛ والحوادث التي لم تحدث أبداً، (مسرحية أُديب ملكاً) ولعل هذا هو السبب الذي جعل العرب قديماً يحجمون ويتحرجون من التعامل مع هذه الأجناس الأدبية، والتي ليس بالمصادفة، أن أصلها غير عربي، وليس غريباً أن نعرف أن اليهود يشجِّعون الشعوب على الرواية والقصة، كبديل عن قراءة التاريخ، وفي نفس الوقت، فهم يعملون على تحطيم صورة الشعر العربي! عند الأجيال فلماذا؟

لاتزال تشهد على ذلك؛ وكان الإشبينيون من قبل في دمشق، وإليهم يرجع لفظ الراعي (الإشبين!) وأساساً كانوا عبارة عن عشيرة عربية كان يُناط بها رعاية معبد حدد؛ انفصلت في ما مضى من الزمان عن نفس الأرومة العربية الآرامية ووصلت إلى غرب أوربة، وذلك بصرف النظر عن كل ما كتب من أساطير وخرافات وأضاليل يهودية حديثة مزعومة تعمل على قلب الحقيقة، لتتقول نظريات ما أنزل الله بها من سلطان، مثل القول بالعرق أو الجنس الآري! على أنه شيء مختلف عن العربي، عنصرياً ودموياً، والأصول الهندو ـ أوربية ؛ واللغات الهندو ـ أوربية، قال تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣] وأمثال هذه النظريات التي وضعها الوضاعون كثيرة جداً مثل الحديث الواهم عن الأمبراطرية الميدية التي صار يتم ربط تاريخ الدول والشعوب الحديثة في المنطقة بها مؤامرة بليل؛ متناسين ومتجاوزين الحضارات العربية التي ملأت وتملؤ التاريخ والتي يضيق المجال عن تعدادها.

# خواطر عينيّة

(عرب، ع رب نسبة إلى السيد، سيد الأكوان رب العالمين وكل شيء يتصل برب العالمين فهو عربي).

(عجم،ع جم، الجم نسبة إلى الناس، الكثير).

(عَبْري، ع، بر، نسبة إلى الأرض، البرِّيَّة) وهو مقلوب لفظ عرب.

(عدل، ع دل، نسبة إلى الدلالة – الصواب).

(علم: ع لم: نسبة إلى الإحاطة والإلمام بالشيء).

(عدن:ع دن: نسبة إلى القرب).

(عرم: نسبة إلى الامتلاء والطفح والكفاية والغاية).

(عرف: ع رف نسبة إلى الاستقامة الحنيفية الطبيعية والرف الخط أو النسق أو الصف).

(عقل: ع: قل: القل الربط التمكين القفل التثبيت).

(وعمد: ع مد نسبة إلى التطويل)؛ مثلاً، والله تعالى أعلم،

ولكن لا بد أن في هذه الألفاظ الأساسية والطبيعية، وليس السياسية المحدثة! لا بد أن فيها شيفرة ورسالة مهمة، على الباحثين العرب، الباحثين الذين لديهم وعي وإحساس عميق بالانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس، هؤلاء عليهم منذ الآن العمل على فك رموز هذه الشيفرة التي هي أهم بكثير من الشيفرة الوراثية، التي أنفق العالم عليها لاكتشافها الوقت والمال الكثير دون أي جدوى، أو فائدة، اللهم إِلَّا الربح الاستعماري بقصد الهيمنة

على الشعوب من قبل تلك الدول التي قامت بذلك المشروع الوهمي؛ الكبير، لإيهام شعوب الأرض.

بينما لا تزال أمورٌ هامة أشد ما تكون الأهمية؛ وهي تحتاج لجهود كبيرة لأنها هدفٌ عظيمٌ، وسامٍ، وإيجابي، وإيماني بنَّاء، سيبين ويوضحُ بجلاء وحدة هذا الكون وجلالة وعظمة خلقه الكامل.

ولكنَّ الأجيال العربية التي باتت تذهب إلى المدارس والمساجد يومياً؛ إنما تذهب من أجل العيش لا من أجل العلم والحكمة! فهي لم تعد قادرة على المعرفة لم تعد قادرة على الولوج إلى الصميم.

المرحوم ... في كتابه القيِّم «جدلية الحرف العربي» الصادر عن دار الفكر بدمشق كان قد أشار إلى فرضية رائعة حول حمولة الحرف العربي على أنه مادة قائمة بذاتها تعني ما تعنيه وأن الألفاظ إنما هي خلطات محددة أو وصفات خاصة ضمن وحدات تصبح ذات دلالة بين المؤلِّف في الحديث أو في الكتابة وبين السامع أو القارئ (خاصة باللسان العربي) إن اللفظة تستمد دلالتها من خلال ما تحتويه من الأحرف وفي خلال التراتب أو النسق الذي جاءت عليه تلك الأحرف. مثلاً لفظة عرب فحرف العين في البداية هو غير حرف العين إذا جاء في النهاية «ربع» وهكذا.

كذلك فقد افترض المؤلف أن اللفظة قد يمكننا فهم عكسها من خلال عكس الحرف فيها مثل عرب ← برع.

# كتب فضائل القرآن، هل دسَّت على المسلمين الأوهام؟

إبان انصرام العهد العربي الأموي لدولة الإسلام، هل جرت هنالك محاولات سياسية، دينية، تاريخية، تهدف إلى حصر اهتمام الناس وتركيزهم على أجزاء محددة من القرآن الكريم، وإلى هجرهم للأجزاء الأخرى، فهل تم التركيز منذ ذلك العصر على تجاوز سورٍ محددة من القرآن الكريم، أو طيها؟

وذلك لصرف النظر عنها، أو لتغييبها عن ساحة الشعور لدى الناس؟ أو عن مدى الوعي عندهم، وهل تم استبدال القرآن الكريم، ككتاب كامل، والاقتصار على بعضِهِ في الحفظ والقراءة والتلاوة، عند التأكيد عليها في التعليم، والتحفيظ، في المساجد والمعاهد؟ وماذا يعني القول بأن هناك سوراً محددة في القرآن الكريم لها خصوصية؟ أو ثواب أكبر عند حفظها وتكرارها؟ وتم تسليط الأضواء على شطرٍ من القرآن العظيم، في حين أهملت باقي السور (الجزء الأكبر؛ وتم الاقتصار في قراءة القرآن العظيم (على سور محددة) لتلقين الأموات؛ وفي المآتم والعزاء، ولأداء الفروض المفروضة؛ ثمَّ تمَّ التركيز على بعض سوره المنتقاة بدقة وعلى بعض آياته، لتحفظها الأجيال، بحيث تواصلت الخطة، ومررت، وصار الاقتصار بديلاً عن القرآن الكامل، مثل ربع ياسين، وجزء عمَّ، وجزء تبارك؟ وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وأدعية سورة النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال وسورة براءة وسورة هود وسورة يوسف، والصمدية والمعوذات، بحجة المستوى والقدرة، ولكن الموضوع أصبح عاماً [1]، بحيث تم استبعاد غير مباشر للسور

(١) في صيف عام ٢٠٠٣، سُعدت بلقاء أحد الذين يدَّعون أنهم من رجال الدين العلماء، كنا نحتسي الشاي بالعنبر؛ في منزله الملاصق لبناء البدرائية الأثري والقريب من المسجد الأموي بدمشق، عندما كان هذا الشيخ، ذو اللحية الجميلة، يتحدث عن ضرورة معرفة علم الناسخ والمنسوخ الذي في القرآن الكريم!! وأنا أنفي نفياً قاطعاً وجود شيء اسمه نسخ =

والآيات التي تحض على ضرورة العلم والوعي والتفكروإعمال العقل والحواس، للفهم الصحيح، وللوصول إلى المنطق الذي يرقى بالواقع، لا الواقع الذي ينزل بالمنطق؛ ولماذا قاموا عمداً بتجاوز إعلامي دعائي خطير، لشطرٍ من القرآن الكريم، هل فكر أحدٌ من قارئي القرآن المجيد بالسبب غير المقنع الذي جعل المفسرين منذ العهد العباسي، بدءاً من الطبري إلى ابن كثير، وصولاً إلى هذه المرحلة؛ فلماذا كانوا جميعاً يركزون ويجمعون على سور وآيات محددة بالذات؟

---

بالنسبة لكلام رب العالمين وآياته التي في القرآن العظيم، وكنت أرد عليه وأقول له ولمن كان معه: أنه من الجهالة بمكان؛ القول بموضوع النسخ، كائناً من كان القائل! وأضفت مستنكراً: كيف يقول لنا الله سبحانه وتعالى أمراً ثم ينسخه في اليوم التالي؟ هذا والله ليس من العقل، ولا هو من المنطق بشيء!

واستطردتُ قائلاً: فمثلاً إنَّ الله سبحانه وتعالى يقول لنا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّا ﴾ فهل نتوقع أن تُنسخ هذه الآية؟ أو أنّ هذه الآية قد نُسخت؟ أو يمكن أن تنسخ بغيرها كما يدعي البعض؟

فقال الشيخ الكبير، الوقور، الذي من المفروض أنه حافظٌ لكتاب الله تعالى، قال لي بالحرف الواحد، وهو يُصحح لي معلوماتي: قرآناً عربياً!! فقلتُ مؤكداً: بل حكماً عربياً!!! فقال محتداً بعض الشيء لكوني تجاوزت الحدود أمامه: بل قرآناً عربياً!!!! فقلت بإصرارٍ شديد بل حُكماً عربياً!!!!! فقال لي بصوتٍ أعلى وقد خرج عن طوره: يا أخي هل تريد أن تخترع قرآناً من عندك، هي قرآنا عربياً هكذا هي؟!!! فقلت بل هي حكماً عربياً هي هكذا؛؛ عند ذلك الموقف تدخل الشيخ الآخر الأصغر، وسألني إن كنت أعرف رقم السورة، والآية في القرآن؟ فقلت نعم أظنها في سورة الرعد، الآية ٣٦، وفتح المصحف وبحث عن سورة الرعد، ثم عن الآية فبان خطأي! وكانت الآية ٣٧! وقراءنا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧]. عند ذلك توتر الشيخ، فتبسمت وشربت الشاي بالعنبر؛ وخرجت معتذراً.

لكنني مازلت إلى الآن، أتعجب من كون بعض رجال الدين إن صحَّ التعبير؛ العلماء والخطباء وأئمة المساجد، وليس من الذين يُقال لهم أو يُطلق عليهم (أرباب الشعائر الدينية) ومن يفتون الناس، يحفظون بعناية نصف القرآن (بعض السور) ويجهلون النصف الآخر. (أكثر السور) وفعلاً أنا جربت كثيراً، وأعدتُ التجربة مراراً، وسألت الكثيرين عن تلك الآية، وعن سورة الرعد، وعن غيرها من السور والآيات التي استثناها كتَّاب كتب الفضائل، سألتُ أناساً من جميع الفئآت، من الصوفية والسلفية والشيعة من المعممين، ففوجئتُ ووجدت، أن الكبار الكبار لا يتذكرونها، فضلاً عن كونهم لم يسمعوا بها.

بينما جميعهم قد اجمعوا على تجنب التركيز على آيات بعينها؛ لماذا؟ وهل كانوا يشعرون بعقدة النقص والتأنيب؛ فهل كانت هذه السور التي كانوا يتجاوزونها تشعرهم بصغر حجمهم؟ وعدم أهميتهم وتفاهة أعمالهم وأحوالهم في هذه الحياة من أي شيئ كانوا يهربون عندما كانوا يتجاوزون سورة يونس، والرعد، وابراهيم، والحجر، والنحل، والشعراء والنمل والعنكبوت، ولقمان، وسباء، وص، والزمر، والأحقاف، ومحمد؟ وقد جمعت السور التي لم يتم ذكر فضائل لها فكانت ٦١ سورة، بينما كان يتم التأكيد على بعض المقاطع من بعض السور بحسب الطلب.

وقد كان المطلوب من المؤمنين الجهاد والنضال والتضحية، وبذل كل الجهد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمته، ولنشر دينه العربي المبين، وهكذا تحول الأمر على يد المفسرين والجماعين، منذ العصر العباسي الشعوبي الهدام، وصولاً إلى العصر الحالي؛ مروراً بالعصر العباسي والبويهي والعصر الفاطمي والعصر الصفوي والعصر المملوكي والعصر العثماني الصوفيان، فتحول الأمر إلى مجرد حفظٍ ببغائيٍ دون فهم! كأداء للواجب وتنفيذاً لطلب لابد من تنفيذه! وذلك لدخول الجنة بأقل الخسائر، وأيسر السبل، ودون أي تضحيات جسام، دون بذل الجهد الكبير، وهكذا صار الدين الإسلامي، أو تحول إلى نسخة منسوخة عن البراهمة والبوذية، أو أنه صار امتداداً لها؛ وتحول الأمر بشكلٍ من الأشكال، إلى هبوطٍ بالمسلمين العرب لا قرار له!

لا شك أن الإسلام الأساس هو الدين السماوي الوحيد الصحيح العربي الأصيل، الذي يدعو إلى المحبة والمودة والإخاء والتسامح والسلام والعدل، ولكن مقولة (إذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر) مقولة غير إسلامية، ولاعلاقة لها بالإسلام؛ بل الإسلام يقول: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ

بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

فكيف تم تاريخياً إدخال تصوراتٍ باطلةٍ على الإسلام بعيدةٍ كل البعد عن منهجه الصحيح المتكامل، وتم إقناع المسلمين بفضائل بعض السور، بل وبعض آيات في تلك السور من القرآن العظيم، أو بشقٍ من الآيات، من أجل تجاوز، أو تمهيداً لتجاوز، الشقِ الآخر، قال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩٩]، قال تعالى: ﴿ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١]، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾ [الصافات: ٤٠].

إن عدد السور في القرآن العظيم هو (١١٤) سورة، وتصر كتب الفضائل ودعاة تفضيل سورٍ على سور من القرآن الكريم، يصرون على التأكيد على ٥٣ سورة ويتجاوزون ٦٠ سورة! (راجع كتاب فضائل القرآن للحاجة درية العيطة، بدمشق الطبعة الخامسة عشرة مكتبة العلبي، وهذا الكتاب يعتبر خلاصة للكتب التي سبقته؛ ملخصاً لها! والمؤلفة رحمها الله تعالى كانت بدمشق عالمة مدرسة معروفة، ولها الكثير من الطالبات)، فيوجهون الناس للتركيز على قراءة سورٍ من القرآن الكريم بعينها، دون السور الأخرى، وهذا الأمر خطير جداً، لأنني لدى معاينتي للسور التي أكدوا عليها في كتب الفضائل لاحظت التعمد الصوفي، ولمست لمسات الحلاج والجيلاني وابن عربي.

لذلك لم يكن غريباً قيام المفسرين أولاً، المفسرين والحُفَّاظ الجماعين؛ أولاً ودون أن يدروا؛ أو هم يدرون واعتباراً من بداية العصر العباسي الأول[1]؛ ومروراً بكل تلك

(١) نعم، فإنَّ بعض سور وآيات القرآن الكريم، كتاب الله العظيم، لم تكن لتوافق أو تناسب أحوال الخلفاء العباسيين مطلقاً، =

العصور التي لايمكن اعتبارها، أو النظر إليها، إلَّا على أنها عصورٌ شعوبية غير عربية، وصولاً إلى العصر الحالي، إذ قامَ خلالها المصنفون بوضع وتأليف كتبٍ عن فضائل القرآن، بل فضائل بعض السور، وفضائل بعض الآيات من القرآن العظيم، نظراً لتلازم مواضيع التفسير عندهم، والتاريخ والفضائل، فضائل القرآن، بل فضائل بعض السور، وفضائل بعض الآيات من تلك السور! التي تم ترجيحها دون باقي القرآن! ودعمها على حساب باقي السور في القرآن، وكانت السور التي تم تجاوزها، أو تجاهلها في نظام الفضائل هذا، هي السور التي كان فيها حضٌّ على بذل أقصى الجهد لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وبذل أقصى الجهد لإعمال العقل والتفكر والمنطق السليم.

وكانت هذه السور فيها حضٌّ على العلم والعمل والإنتاج والإعداد، والتواصل مع الآخرين من الناس، كل الناس، لا الانقطاع عنهم! بل فيها دعوة مستمرة وحضٌّ على استمرار النضال، ودوام الكفاح في جميع الاتجاهات، دون توقف، لتحصيل العزة والكرامة والسؤدد، والمجد للأمة، لإقام العدل ونيل الحرية، من خلال تحقيق الاتصال مع الله الخالق ﷻ، أولاً والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، وذلك الأمر منوطٌ بكل مؤمن، بكل مؤمن وليس وقفاً على رجال الدين، ففي الإسلام لايوجد رجال دين، وهذا الموضوع دخل على المسلمين من الملل الأخرى؛ لأن الأساس أنَّ كل مسلم في الإسلام أن يكون

---

ولا أوضاع الدولة العباسية الشعوبية، ولا أهداف الدولة، التي جاءت وبالجهود الفارسية، بغرض تحطيم وإيقاف وإجهاض مشروع القرآن العربي المبين، كذلك سارت الأمور في الفترة البويهية والفاطمية والمملوكية والعثمانية الصوفيةعلى خطا الشعوبيين الأوائل. العباسيين، الذين نكسوا عن أساسيات الدين، وغيروا وحوَّروا، أو عملوا على تحوير مضامينه الثابتة، وقد أدخلوا عليه ما هو غريبٌ عنه، فبعد أن كان الفاتحون العرب في صدر الإسلام والعصر الأموي، ينشرون الإسلام، في أقاصي الأرض، محطمين للطاغوت، في العصر العباسي أوقف كل هذا النشاط؛ وصارت البلاهة والجنون سمة إيجابية من سمات المؤمن الحقيقي!

رجل دين، لكن الأمر كان مختلفاً عند أولئك العلماء! في ذلك العصر العباسي والشعوبي، عندها لم يخطر ببال أحدٍ، أن المؤامرة على القرآن الكريم، اللسان العربي المبين، قد بدأت![1].

---

(١) لقد درج، وللأسف الشديد، البعض من الخطباء والوعاظ، الذين من المفروض أنهم في قمة الوعي أو الفهم، ومن المثقفين، ومن الكتاب أو الأدباء أو الوعاظ! درجوا على عادة الإساءة لمفهوم العروبة، جهالة منهم، بحجة التقريع! وهم يعلمون، أو لا يعلمون؛ أنه، لا الشرع، ولا القانون، ولا الأعراف تجيز الأذى، أذى الناس، وأذى الوطن، وأذى الأمة، فلا يجوز أذى الشعب العربي مطلقاً، ويجب أن يعلم من كان في موقعٍ يسمح له بإبداء الآراء، وتعميم المقالات، فليعلم أنّ سوء استعمال الموقع، ليس استعمالاً، بل هو إفساد، إنهم في تفكيرهم أو في حديثهم، أو في كتابتهم، أو في محاضراتهم، أو في خطبهم، جهالة منهم، لعدم وعيهم، أو عدم معرفتهم، وعدم امتلاكهم لأدوات البحث العلمي أصلاً، أو بتأثيرٍ من الظروف السياسية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل الوعي النسبي عندهم؛ وهم لا يدرون أنّ الإساءة للعروبة والعرب هي كفرٌ صريح بالله، وملائكته وكتبه ورسله؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول، وقوله الحق، إن القرآن عربي، وإن الحكم عربي، وإن اللسان المبين هو اللسان العربي، فكيف لأولئك، أن يسمحوا لأنفسهم بالإساءة للعرب، مع بقاء إيمانهم سالماً؟ علائم الجهل في وجوههم، تراهم خاوين من كل فضيلة، لا يقصدون وجه الله، يعملون ضد العرب، من أجل كسبهم المادي، بإيحاء من الشعوبية المقيتة واليهود، ولا تهمهم الحقيقة، أولئك ليسوا على هدى أبداً، يريدون بجهالتهم الشديدة، أن يعبروا عن قوة وعظمة الإسلام، فلا يجدون أمامهم إلّا أسلوب الحط من شأن العرب والطعن عليهم!، وذلك إبرازاً لقوة الإسلام؛ إنهم لا يدرون أنهم بذلك، يسيؤون إلى الإسلام أيما إساءة؛ كيف يفعلون ذلك، وقد جاء القرآن الكريم متحدياً للعالمين من خلال تحدي العرب، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٨]، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣].

وهل يتحدى الله سبحانه وتعالى الجهلة؟، هل يتحدى الضعاف؟، هل يتحدى المتخلفين؟ هل يتحدى الصغار؟ هل يتحدى المجانين؟ هل يتحدى الفقراء؟ هل يتحدى المرضى؟ كيف يتخيلون ذلك، وكيف يتأتى لهم تصور، أنّ العرب عندما بعث الرسول الأعظم ﷺ، كانوا أمة غير حضارية؛ أو أنهم كانوا متخلفين؛ أو أنهم كانوا الأقل شأناً بين الأمم، أبداً غير صحيح هذا التصور نابعٌ من حقدٍ شعوبيٍ مقيت، ومؤامرة يهودية مكشوفة ومعروفة، قديمة وحديثة، دأبت على الإساءة للحق، والحقيقة هي أن العرب عند نزول الوحي على الرسول العربي، كانوا أكثر الأمم حضارة وتقدماً، من جميع النواحي، ولابد من ذلك، ولا ينكر الشمس إلّا من به رمد، فقد كانت مكة المكرمة منذ العصور القديمة =

بحيث تحول أمر الدين العظيم إلى قضية إطالة اللحى، ولبسٍ للمسوح، و(إسباغ الوضوء)، وملاحظة (الترترة) و (الرقرقة) في القراءة المجودة![(1)]

إن أعداء القرآن، كلُ أعداء القرآن، صار همهم تحويل اهتمام المسلمين من الاهتمام بكامل القرآن الكريم إلى الاهتمام ببعض سور منه فقط! بل وببعض الآيات من تلك السور المنتقاة من القرآن الكريم، وفعلاً تم التركيز عليها، وفهمها بطريقة محددة من خلال التفاسير التي أملوها على الناس، وتم العمل على إغفال قراءة وحفظ سورٍ بعينها، وكان

---

الأولى، أكثر حضارة من روما، وأثينا، والمدائن، لأن الله سبحانه وتعالى تحدى الناس، على أن يأتوا بسورة بل بآية، من مثل ما في القرآن العظيم، فهل تحدى الله سبحانه وتعالى أكثر الناس في ذلك العصر، ضعفاً وتخلفاً، أم تحدى أكثر الناس حضارةً، ووعياً ومعرفةً وعلماً، ثم هل كان الإسلام رسالة للعرب خاصة، أم للعالمين؟

وكيف يتصورون أن الفرس والرومان كانوا أكثر تقدماً، وأكثر حضارةً من العرب؛ أبداً هذا غير صحيح، إذاً لأنزل الله سبحانه وتعالى عليهم القرآن ولتحداهم به، وكيف يتصورون أنهم كانوا(الروم والفرس وباقي الشعوب) بغنى عما جاء به الإسلام، وكأن الإسلام جاء للعرب فقط، لينهض بالانحطاط العربي؛ ليجعل للعرب دولة؛ على مستوى الروم والفرس؛ وكأن الأمم في العالم، لم تكن بحاجة لدين الله، ألا ساء مايتخيلون، وساء ما يصنعون، بل الإسلام دين الله ﷻ ، وهو دين العالمين، وهو هدى ورحمة للعالمين، والواقع أن من المفروض أن يعلم أولئك الجاهلون، أن الله سبحانه وتعالى، قد جعل من العرب شهداء على الناس، وقد جعل رب العالمين من الرسول العربي الأمي شهيداً عليهم، قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ والشهيدُ المتقدم، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦]

(١) فهل هذا هو دور المسجد كما في هذه الأيام، إن بناء المساجد، مهما كبر البنيان وطال، فهو لا يزحزح المنافقين عن النار، وقد هدم رسول الله ﷺ أحد هذه المساجد؛ ثم ما الفائدة من بناء المساجد، إذا تولاها أشخاصٌ غير واعين، من أنصاف الأميين، إن القضية ليست قضية خطبة عصماء، ولا هي في جمال القراءة، بالمختصر المفيد، القضية ليست في الشكل بل في المضمون، فكم من مسجدٍ صرفت عليه الملايين، ثم تولاه جاهل، مثله مثل الإناء المزخرف، ولكنه إما فارغ، أو هو مملوء بأشياء غير مجدية، أو غير مفيدة، أو غير مغذية، إن المسجد العربي الرباني، الأصل أن يكون مفعماً بالمعاني، ناضحاً بالقيم النبيلة، مولداً للأخيار، للقمم العالية، مدرسة للبطولة والوطنية، من يدخله إذا كان صغيراً فإنه يكبر، ومن كان ضعيفاً فإنه يقوى، من كان فقيراً فإنه يغنى، ومن كان جاهلاً فإنه يتعلم!

لهذه الكتب، في العصر العباسي، وفيما تلاه من العصور، إلى عصرنا الحالي؛ أثرٌ كبير في تقليص المهمة العظيمة للقرآن العظيم، وأثره في نفوس الناس؛ وتم ابتسارها، وتحديد أثرها في العقول، وتم تحويلها، وتقليصها إلى أدنى مستوى ممكن.

إلى أن اقتصرت مهمة القرآن الكريم عملياً إلى مجرد قراءة بعض سورٍ، أو آياتٍ خاصة ومحددة منه، قراءتها ربما على الأموات في الجنازات، وفي المناسبات الرسمية، والاحتفالات والأعياد، أو عند الولادة والختان، أو في الأعراس والموالد، وماشابه ذلك من اللوازم والمناسبات على طول العهود ومر الأيام، بحيث صار يمكن أن يقرأ عنك الآخرون، وأن يهبوا لك القراءة، لك أو لأجدادك، ويكفيك بالمقابل أن تدفع الثمن، وتأسست لذلك مدارس ومعاهد وجمعيات للمجودين وفرق الإنشاد الديني(١) ! وصار

(١) إن قارئ التفاسير بالنتيجة لن يفاد كثيراً، إلَّا وهماً؛ بحيث يذهب منطقه وعقله، بلا عودة، في متاهات غير واقعية - من خلال الإسرائيليات - التي شحن المفسرون فيها تفاسيرهم، الأمر الذي شتت معاني التنزيل العربية الأصيلة، وضيّعها أيما إضاعة، إن القرآن العظيم لا يحتاج إلى تفسير أصلاً، لقد توهم الناس في أهمية التفاسير. فمثلاً تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ الذي ساروا فيه على منهج الطبري الذي سبق وحدد المعنى فقال إنها تعني باب في جهنم أو جهنم أو الإصباح أو فالق الحب والنوى؛ وهكذا سار المفسرون بالكدان الذي صنعه لهم الطبري قبل أكثر من ألف سنة؛ ولم ينسَ الطبري أن يسوق لتثبيت مثل هذه الأخطاء أكثر من ثلاثين أثراً مختلقاً وذلك لتثبيت الأخطاء المتعمدة، أبداً لم يكن هذا التفسير اللسان العربي المبين، بل حشرت المعاني حشراً وقسِّرت قسراً ولويت أعناقها (الألفاظ) لياً والله المستعان على ما يصفون الأمر الذي أدى إلى الضغط على العقل والفكر وأوصل إلى الإنحراف ١٨٠ درجة عن جادة الصواب، بينما (رب الفَلَقْ) مع ملاحظة أنها محركة فإنها في اللسان العربي المبين لايمكن أن تكون مخصصة في جهة محددة، ذلك أن ربَّنا هو (رب العالمين رب السمٰوات والأرض وما بينهما رب العرش العظيم) ففي القرآن الكريم العربي المبين لم تأتِ لفظة رب لم تأتِ مخصصة لجهة معينة أبداً ولا يجوز مطلقاً وهذا هو الفرق الجوهري بين الرب في الإسلام بالمفهوم القرآني المجيد وبين الرب عند اليونان الوثنيين والمسيحيين المثلثين واليهود الذين لديهم رب خاصٌ بهم! فلم تأتي لفظة رب في القرآن الكريم ولا مرة لجهة فردية خاصة أبداً وإنما كانت دائماً دلالة على رب للجميع، السمٰوات والأرض وما بينهما وليس في الإسلام أرباب ولا يقال في الإسلام رب الينبوع ورب النهار ورب الليل أو رب الشمس، ولكن يقال رب العالمين، على هذا الأساس ينبغي فهم القرآن =

العظيم، لذلك ومن خلال قراءة سورة الفَلَق بأكملها وربطها بما قبلها وما بعدها فإننا نستطيع الاستدلال بعد تقليب اللفظة عربياً على المنهج المبين فإننا سنجد أنها ربما كانت الفَلَقْ أقرب شيءٍ أنها مقلوبة من الفَلَكْ والفلك هو ما يحيط بالأرض وما يحيط بكل الأجرام السماوية، وهو المجال أو المجالات التي تسبح فيه الأجرام السماوية الكواكب والنجوم وكل المخلوقات من الذرة إلى النجمة لكل مخلوق فلك أو مسار يدور فيه لا يتعداه، والفلَكُ تعني أيضاً كل مسار محدد لكل شيء فهل كانت رب الفَلَقْ تعني رب الفلك أو رب الأفلاك لاسيما أننا نلجأ إليه ونعوذ به سبحانه وتعالى من شر ما خلق، وهم في القرآن الكريم تحديداً الشياطين واليهود! والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

كذلك فإن لفظة ﴿ قُلْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ فهي لا تعني في هذه المواقع كما ذكرت التفاسير: أن أذكر يا محمد بلسانك أبداً؛ إذ ليس هذا هو المطلوب ههنا لأنَّ الذكر الذي يعني التذكُّر والتفكُّر مطلوب وواجبٌ وقد أكد عليه وعلى ضرورة الذكر والتسبيح وذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم، ولكن في هذه الآيات بالذات فقد جاء الأمر بالقول بمعنى الأمر بالقيام بالأفعال والأمر بمباشرة تنفيذها، وتجسيدها على الواقع وجعلها ممارسة حياتية وليس مجرد أذكار وأوراد كما ذهب إلى فهمها الجاهلون، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝ ﴾ [الصف: ٢-٤]، فإنّ من معاني قل في اللسان العربي المبين هو كل واشرب وافعل واقتل وقاتل ونفذ واذهب، وكان يقال لملوك اليمن الأقيال لأنَّ أقوالهم أفعال! فقد كان أحدهم إذا قال قولاً نُفذ من فوره وصار واقعاً لذلك فإنَّ معنى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وهذا الأمر موجه إلى كل مؤمن قرأ القرآن أي اجعل وحدانية الله سبحانه وتعالى هي المعين الذي سيروي جميع علاقتك بالآخرين في هذه الحياة، فليس من إله غير الله سبحانه وتعالى فلا تخشَ أحداً غير الله جل وعز وتعالى. والحقيقة أن التفاسير، كانت وبالاً على الفهم الحقيقي للقرآن المبين، لقد أصبحت التفاسير بديلاً عن النص الأساسي؛ عن كتاب الله، فالأصل أن تكون المعاني معاني التنزيل العزيز، مطلقة لكل إنسان أن يفهم، وأن يتصور ما يستطيعه، بحسب قدرته وإمكانيته، من آفاق الألفاظ القرآنية المجيدة، لينهض وليحاول النهوض وليصعد بنفسه إلى المستوى الأعلى، إلى مستوى كلام الله، فيحاول بذل الجهد والتفكير؛ لا أن ينزل بكلام الله إلى المستوى الأدنى، بحيث أحبط الهدف الأساسي، هدف جعل الناس يتفكرون، فقام المفسرون بتحديد المطلق، وصادروا اللامحدود في معانٍ خاصة ضيقة محدودة أساءت كثيراً ولم تفد أبداً، بحيث أُهبطت المعاني الرائعة وبسطت؛ وغاب عن بال المفسرين أن القضية في قراءة القرآن الكريم تربوية بالأساس، غرضها رفع مستوى الناس، حضهم على النهوض، ومحاولة الصعود بهم إلى الأعلى، كان هدف القرآن الكريم شد الناس إلى فوق، فقام المفسرون بإنزال القرآن إلى تحت، لقد أصبح القرآن على يد المفسرين، دون أن يدروا، أو أنهم كانوا يدرون، فإنه أصبح على يدهم أقرب إلى قصص أبو زيد الهلالي، وعنترة بن شداد، إن العربي كان سيفهم المراد من القرآن العظيم دون الرجوع لأي تفسير، وذلك بفطرته السليمة، وإنما كانت التفاسير في البداية للعناصر الأعجمية التي دخلت الإسلام، وكان هذا الأمر مطلوباً لهم، لكن ما لبثت أن أمليت الطريقة على الفهم العربي، وعلى العرب أنفسهم؛ لقد شكلت التفاسير في كثيرٍ من الأحيان حجاباً حاجزاً، =

رجال الدين، عبر التاريخ الإسلامي، من لوازم السلطات ومن مظاهرها التي لم يعد يمكن الاستغناء عنها، وصار لها مراسم وأزياء خاصة تطورت مع الزمن حتى وصلت إلى الشكل الحالي المعروف (جمعيات أرباب الشعائر الدينية).

هذه الكتب (فضائل القرآن) قدمت الأفكار الخطيرة؛ كانت هذه الأفكار أشد خطورة من المحاولات المباشرة لمحاربة القرآن والإسلام؛ ومن هو الذي يمكنه أن يفكر في محاربة الإسلام، مباشرة ووجهاً لوجه؟ [(١)].

قال ابن كثير في كتابه فضائل القرآن: (ذكر البخاري رحمه الله تعالى كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير، لأن التفسير أهمُ، فلهذا بدأ به وجرياً على منواله وسنته نقتدي به؛ ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير ؛ وذكرنا فضائل كل سورةٍ قبل تفسيرها! ليكون ذلك باعثاً على حفظ القرآن وفهمه؛ والعمل بما فيه؛ والله المستعان) ولابن كثير[(٢)] كتاب

---

بين حقيقة النص الإلهي وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلى جوهر المعنى، المعنى العربي للمفردات، والتأويل العربي الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة المباشرة للآيات الكريمة، لقد عملت التفاسير على إبعاد العقل وتشتيته، في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي والمؤدي مباشرة إلى عين النص.

(١) وبعد كل ذلك يأتي الباحثون المعاصرون، على اختلاف أنواعهم، عندما يتكلمون عن العرب والإسلام، فإنهم يرتدون ثوب المدعي العام، وهم عندما يتحدثون عن اليهود وخرافاتهم، والنصرانية ومثلثاتها، أو عندما يتحدثون عن مذاهب الشعوبية، وطوائفها، فإنهم يرتدون ثوب المحامي العام، وهم يجعلون من كل الأوهام حقائق، ثوابت، بينما، وفي حديثهم عن العرب والإسلام تصبح لديهم كل الثوابت أوهاماً؛ فلا يَسلمُ منهم القرآن الكريم، والذي هو كتاب الله الكوني، كتاب رب العالمين، ولا يسلم منهم رسول رب العالمين للعلمين، محمد ﷺ، ولا يسلم منهم الإسلام، ولا يسلم منهم العرب، ولا يسلم منهم المسلمون.

ولكن يجب أن يعلم الجاهلون، أنَّ مَنْ ذمَّ نَفْسَهُ لا يُسْمَعْ؛ ويجب أن يعلمَ الجاهلون أنَّ العودَ يُشَدِدُ الجُرْمَ؛ ويجب أن يعلمَ المتعلمون؛ أنَّ الفِعْلَ، والقُعُوْدَ عن مَنْعِهِ، مع القُدْرَةِ، سِيّان؛ وأنّ ولايَةَ الوظيفة، تُشَدِّدُ وقوعَ الجريمة!

(٢) الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ) فقيه شافعي صاحب ابن تيمية، كثير =

الاستحضار، قال فيه ابن حبيب: إمامٌ رُوِيَ عنه التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنّف وأطرب الأسماع بالفتوى، وشنف وحدثَ وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد؛ واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والتفسير؛ ومن مصنفاته التاريخ المسمى (البداية والنهاية) والتفسير المسمى (تفسير ابن كثير) وكتاب جامع المسانيد العشرة، واختصر تهذيب الكمال، وأضاف إليه ما تأخر في الميزان سماه التكميل، وله طبقات الشافعية، وله سيرة صغيرة، وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج، وشرح قطعة من البخاري، وغير ذلك! دفن بالمقبرة الصوفية بدمشق٧٧٤هـ. وقال ابن حجر: كان كثير الاستحضار وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع به الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثي الفقهاء! ولكن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ -٩١١) في كتابه طبقات الحفاظ، لا تعجبه هذه الشهادة فيعقب عليها قائلاً: (العمدة في علم الحديث: معرفة صحيح الحديث وسقيمه، وعلله واختلاف طرقه ورجاله جرحاً وتعديلاً، وأما العالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة!! وواضحٌ أن السيوطي رحمه الله تعالى كان صورة طبق الأصل عن ابن كثير، جمَّاعة للكمية لا للكيفية؛ فهو رحِمَهُ الله تعالى، كان من الحفَّاظ والقراء، وليس من العلماء المبدعين المفندين؛ كما كان يُوصَف رحِمَهُ الله تعالى، من قبل من جايله، كابن حجر، رحمه الله تعالى، لا كما يتوهم الكثير من الناس، وكان جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يتمتع بنفس صفاته، جَّماعة، مصنفاً بارعاً، صاحب تصانيف جمعيِّة مهمة جداً، لذلك بادر فوراً للدفاع عنه دون رويِّة، كان ذلك على الرغم من مرور الزمن، أي بعد حوالي ١٠٠ عام تقريباً من وفاة ابن كثير؛ والفرق كبير بين العالم والحافظ من جهة، أو المقرئ أو المصنف من جهة ثانية، ولكلٍّ دوره، فالحافظ الذي يحفظ، والمصنف الذي يصنف، والمقرئ هو الذي يقرأ، ولكن للعالم مهمة هي أكبر، وأوسع من ذلك بكثير، فما بالنا نحن العرب المسلمون، نبادر إلى توزيع الصفات ورشها على كل من نعرفهم؛ مجاناً ودون حساب؟ فهل كان ابن كثير رحمه الله يؤثر السلامة؟ هل كان محباً للجميع؟ هل كان توفيقياً، فلذلك أحبه الجميع، الصوفية، والسلفية، وكان أحياناً يستشهد بمقولة وأوهام الشيعة؛ وأن أبن كثير كان مُفَضَلاً عند الولاة، صديقاً لهم؛ في أيامه، وفي العصور اللاحقة من المماليك، والعثمانيين، إلى أيامنا هذه، فإن ابن كثير يعتبر صديقاً أليفاً وأنيقاً للجميع؛ وكذلك السيوطي، فعلى الرغم من أن العلماء والباحثين، وفي هذا العصر، جميعهم يعرفون وهم متأكدون من أن تفسير القرآن لابن كثير، كتاب يشتمل على الكثير من الإسرائيليات (اليهوديات) والخرافات، والتأويلات، وهو مشحون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، نقلها عن ابن جرير الطبري الذي سبق ونقلها عن اليهوديات والشعوبيات، أساطير ومقولات وأوهام وكلام عن أسباب للنزول، ثم كلام عن أنواع من الناسخ والمنسوخ، التي من الصعب على العقل قبولها، أو على المنطق استساغتها، ويجمع المتناقضات! ولا رقيب ولا حسيب بينما الرقابات في الدول العربية، تُعنى فقط بالأمور التي تمس أمن الدول العربية! (راجع كتاب تفسير ابن كثير، وكتاب مختصر تفسير ابن كثير، وصفوة التفاسير للصابوني؛ ثم كتاب صفوة الصفوة! وكتاب تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، الذي حشدا فيه ما هبّ ودبّ من التناقضات =

والقصص والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد نَحيَا في كتابهم هذا نحو ابن كثير، فَحَشَيَاهُ بالإسرائيليات، وملأاه بالخرافات والقصص والأخبار الشعبية والخيالية، التوراتية المنبع، البعيدة كل البعد عن الغرض. وبينما كان من المطلوب أن يرتفع التفسيرُ بالوعي لدى الإنسان إلى مستوى القرآن العظيم، نراهم أهبطا المستوى العظيم، الذي في القرآن الكريم، بحجة التبسيط، والتسهيل، فنزلا به إلى أدنى مستوى! ولعل هذا الكتاب كان مدسوساً على جلال الدين السيوطي؛ والله أعلم.

والغريب والمدهش فعلاً أن يكون هذا الكتاب مبذولاً بين أيدي الناس، وهو يشكل الأساس في المنظومة العقلية لدى عامة المسلمين وخاصتهم، وهو يشكل (الهارد أو منبع الحركة لفهم القرآن عندهم!) وأي كلام قاله ابن كثير فهو صحيح، وأي كلام يتعارض مع ما جاء في كتاب تفسير ابن كثير فهو مشكوك فيه؛ إن لم يُوصَمْ فوراً بالكفر والإلحاد؛ ويحتجون به، وكأن كلام ابن كثير هو المنزل لا القرآن الكريم، ولا ندري كيف وصل الحال إلى هذا المستوى. ولاندري متى ومن هي الجهة صاحبة المصلحة في تعويم أو نشر هكذا تفاسير، المليئة بالأخطاء، وكان جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، والأصل أنه من أسيوط، في مصر، وأصله من المماليك، وكان يعمل قيِّماً لمكتبة السلطان مما أتاح له الاطلاع على الكتب والمعرفة والعلم، فعَمِلَ في تصنيف وتلخيص المصنفات المهمة والقيمة، والله أعلم. ومع ذلك فإن من المدهش فعلاً أن هذا الكتاب (تفسير الجلالين) مع كتاب تفسير ابن كثير، الذي يتوهم أكثر المسلمين، أو يتوقعون منهم الفائدة؛ والحقيقة غير ذلك، فكانت هذه التفاسير وأمثالها عبئاً ثقيلاً على الأفئدة، بل مغاليق للعقول؛ كتباً شعبيةً ليس إلَّا، حيث أسهمت إسهاماً بالغاً في تسطيح العقل العربي المسلم، وكرست الإسلام إلى أن أصبح عبارة عن طقوس ومراسيم، كذلك أسهمت تلك الكتب وأدت إلى جعل الدين، بالنتيجة عبارة عن مجموعة من القوانين والقواعد، يمكن تطبيقها، وإذا طبقها الإنسان الآلي دخل الجنة،. لقد أسهمت تلك الكتب منذ ذلك الوقت في تجميد العقول وفرملتها، وتم إلغاء استخدام القياس العقلي في جميع الأمور التطبيقية، والأحكام العملية، وهو ما يُعرف بالاجتهاد، وتم إغلاق باب الاجتهاد منذ ذلك الحين، مما أدى إلى توقف الإبداع الإسلامي، عند العرب المسلمين، لاسيما العقل العربي، مما أدى إلى تكبيله، ومنعه من الحركة، أو من خلال تحريم الخروج عما رسمه العلماء والأئمة الذين كانوا صفوة الله في خلقه، والذين كانوا أفهم أهل الله، والذين فكروا عن باقي أبناء آدم، وبالتالي لا يحق لأحد بعدهم، أن يفكر أو أن يستنبط. وذلك من خلال الدعاية الجمة لأولئك الأئمة، الذين فسروا بالمأثور ولكن ما هو المأثور؛ وكيف ثبتوه؟ ما هي حقيقته؟ وهل يبرر لكم هذا المقال، الخروج عما نص عليه القرآن العظيم، كتاب الله عز وجل؟ فهل كان كلام ابن كثير هو المُنَزَّل من السماء، أم كلام الله عز وجل؟ وهل نحن ملزمون بما قاله ابن كثير، والسيوطي وغيرهم رحمهم الله تعالى، أم نحن ملزمون بكلام الله عز وجل؟ فمثلاً ابن كثير في تفسيره، قد خلط بين مفهوم بني إسرائيل، وهي الأقوام العربية البائدة مثل طسم وجُديث وعاد وثمود وجرهم، وبين مفهوم اليهود، القبيل الغريب الذي اقتحم بلاد العرب في فترة حديثة نسبياً أي قبل حوالي مئة وخمسين سنة من مبعث الرسول العربي محمد ﷺ) علماً أنه في القرآن الكريم، الفرق بين مفهوم بني إسرائيل وبين مفهوم اليهود واضحٌ وبين، لكل من ألقى =

السمع وهو شهيد. وابن كثير رحمه الله تعالى جرياً وراء الطبري! يقول أن لفظة (عرب) الواردة في القرآن الكريم تعني، أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب! وهذا لعمري كلامٌ، في هذا العصر، لم يعد مقبولاً أبداً بل هو كلامٌ فيه جهالة وتجهيل بالغبن! فهكذا تفسير لم يعد مقنعاً حتى للأطفال الصغار بله الكبار، لأنه لو كان هذا هو المعنى الصحيح لما كانت هنالك حاجة للتأكيد عليها في القرآن الكريم، وهو قمة قمم البلاغة، بل من العي أن أعطيك رسالة بالعربية ثم أقول لك انتبه إن هذه الرسالة مكتوبة بالعربية! ويغيب عن بال المسلمين أن لفظة (عرب) كانت قد وردت في القرآن الكريم اثنين وعشرين مرة، بصيغ عديدة، اثنتا عشرة منها وكانت صفة للقرآن واللسان والحكم وأهل الجنة، وعشرة عن حالات الأعراب في القرب أو البعد عن الله سبحانه وتعالى، فكيف استنتج ابن كثير أن معنى عرب، أو أنَّ المقصود منه، في جميع هذه الحالات، هو: (أي بلغة العرب، أو كما قال)؟ ومع هذا فإن هذه التفاسير الشعبية، المحشوة بالأوهام، وهذه الكتب التي لا تزال في مطلع الألفية الثالثة وهي التي من المفروض أن يتم تحقيقها تحقيقاً دقيقاً، من قبل الخبراء الأصلاء، الحريصين على مصلحة الدين، ومصلحة الأمة، لا من قبل أولئك المبتدئين المنتفعين! الذين لا همّ لهم إِلَّا جمع المال والشهرة، ولا من قبل الواهمين الهائمين البسطاء الشعبيين. الذين لايفرقون بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام ابن كثير! فيخلطون بين قصة عنتر وقصة أبو زيد الهلالي وبين كلام رب العالمين، رب السمٰوات والأرض، إنَّ هذه الكتب، في حياة الناس إلى الآن، لا تزال شبه مقدسة! بل ويجب أن يتم التأكد من الكتب الرائجة والمطلوبة من قِبل جمهور المسلمين في العالم، والتي يقبل المسلمون عليها إقبالاً شديداً؛ والتي هي معتمدة في مساجدهم وفي معاهدهم وفي بيوتهم وفي عقولهم، ولها في الأسواق طبعات كثيرة ومتعددة ولا تكاد دار نشر واحدة في كافة البلاد العربية تخلو من طبعة خاصة بها من هذه الكتب، تفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين، وما تفرع عنها! وفعلاً لقد شكلت هذه الكتب منظومة العقل العربي والإسلامي، طوال قرون؛ إن أشباه العلماء من الجهلة ينكبون في هذه الأيام على هذه الكتب وأمثالها ويعملون على طباعتها بأشكال وألوان وأحجام، مشاريع تجارية، وغير تجارية؛ كل من خطّ شاربه ونبتت ذقنه، ذلك لما لهذه الكتب من رواج، ولما تحققه هذه الكتب الشعبية من كثير ربحٍ، ولتملأ جيوب البعض، ولتُبقي ولتكرِّس الجهل والتخلف والمرض لدى عامة المسلمين وخاصتهم؛ ولتبقيهم متخلفين عملياً، وفي المستوى الأدنى، عقلاً وفهماً وعلماً وذكاءً ومعرفةً ووعياً وإنتاجاً وإعداداً، وهم لا يدرون أن الترويج للأخطاء المبثوثة في هذه الكتب وإشاعتها هو أسوأ من الترويج للمخدرات وأكبر من كل الكبائر!

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أن الأسلوب الذي قُدمت به هذه الكتب عموماً يُعتبر أسلوباً شعبياً جداً ومبسطاً إلى حدٍ بعيد، بحيث أهبط المراد الأساسي، أو الهدف المستهدف من قراءة القرآن الكريم، وغاص في تفسير المفردات؛ وغرق في رواية الشعر والحكايات الخرافية بأسلوب أدنى من الركاكة، وأبعَدَ عن البلاغة التي كانت مطلوبة أساساً لرفع مستوى الناس إلى الأعلى، إن ابن كثير كان جمّاعة وحافظةً ومقرئ قرآن ومن علماء العامة، يخاطب العامة، وكذلك كان السيوطي!. والفرق كبير جداً بين ابن كثير رحمه الله تعالى، وبين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، البطل الذي كان عالماً وعَلَمَاً حقيقياً، ونعرف ذلك من آثاره الخالدات، خصوصاً كتابه الفوائد، التي لا يمكن للمنصف =

المحبُ للعلم والحكمة في العالم، إلَّا التعلم منها، علماً أن الرجلين كانا تلميذين عند جهة واحدة في فترة واحدة؛ ولكن النتيجة على ما يبدو كانت مختلفة.

فابن كثير الذي كان قد آثر السلامة، وكانت كتاباته ليستْ أكثر من سجلات للمحفوظات المختلطة! بينما كانت كتابات ابن قيم الجوزية أسفاراً خالدات، ومعيناً متدفقاً، قد أفاد منه الناس في كافة أنحاء العالم، علماً وأدباً راقياً وحكمة بالغة، لا يزال إلى الآن مفكرو الغرب وفلاسفته وأدباؤه المعاصرون منكبين على أعمال ابن قيم الجوزية يمتاحون منها أفكاراً وجملاً، وفقرات كاملة، بل وأحياناً نصوصاً كاملة، يشملونها لكتبهم الحديثة، والحديثة جداً، الأدبية والثقافية والفكرية، يطعمونها بالجديد والمفاجئ، أو المدهش على سماع القارئ الأوربي، والعالمي، والناس في هذا العصر لا تدري أن هذه الجمل، وأن هذا الكلام هو كلام ابن قيم الجوزية، الذي عاش قبل ٧٥٠سنة رحمه الله سبحانه وتعالى، أو هو كلام أبو بحر الجاحظ؛ أو كلام البحتري، أو ابن الرومي، أو المتنبي؛ أو كلام أبو العلاء المعري المولود ٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ، وغيرهم كثير.

ولست مبالغاً إذا قلت بأن الأدب الأوربي الحديث، القصة والرواية والمسرحية، وخصوصاً الأعمال التي حازت على (جائزة نوبل، كوني أطلعت على أكثرها) وأكثر الأعمال التي حظيت بالشهرة العالمية، أغلبها منتَحَلٌ من أعمال المفكرين العرب في تلك المرحلة! الذين استمدوها أساساً من القرآن الكريم، وحديث الرسول ﷺ، والشعر العربي، والحكمة العربية البالغة، والأساطير العربية القديمة، والتراث العربي عموماً مثلاً كتاب (مجمع الأمثال للميداني) أمثاله تجدها منثورة وهي مترجمة إلى مختلف اللغات في العالم، تجدها منثورة في الكتب الفلسفية، والفكرية، والمسرحيات والروايات والقصص والشعر الإنكليزي،والفرنسي والألماني والإيطالي والروسي والأمريكي والأسباني وأخيراً في كل الأعمال الأدبية والفلسفية الآتية من الدول الاسكندنافية، وشمال أوربة. ولا أحد من العرب يدري بذلك، لأن قراء الأعمال الأدبية المستوردة والمترجمة، من أين لهم الاطلاع على أعمال ابن قيم الجوزية وأمثاله؛ أو أبو بحر الجاحظ وأمثاله، ولو أتيح للمهتمين من العرب، بالأدب الحديث الاطلاع عن كثب على كتب التراث العربي العظيم لتأكدوا أن الأوربيين ليس لديهم أدب حقيقي، وهم كانوا ولا يزالون، يتطفَّلون على مائدة الأدب العربي العظيم وتراثه الخالد، بل هم كانوا دائماً ولا يزالون يمتحون من معينه الثر، ولم يكن ليكون للأدب الأوربي الحديث أي رونق أو أي عمق أو أي امتلاء من المعاني الحكمية، لولا أنهم في أكثر الحالات؛ قد قاموا بعمليات سطوٍ واسعة على التراث العربي، وإلا فحق لنا أن نسأل من أين لهم هذا؟ إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه!

والإناء عادةً بما فيه ينضح؛ ومعلومٌ أنَّ الآداب في أوربة عموماً الغربية والشرقية، بما فيها روسيا، لم تبدأ فعليَّاً إلا قبل مئتي سنة! (وذلك بغض النظر عن مرحلة شكسبير التي كانت في مطلع القرن السادس عشر والتي يوجد الكثير من الأبحاث التي تثبتُ أن أعمال شكسبير بقضِّها وقضيضها، ماهي إِلَّا صدى لما في التراث العربي العظيم سواءً (هملت) أو (مكبث) أو (روميو وجولييت) أو (عطيل). لكنّ ترجمة النصوص من العربية إلى الإنكليزية، والإنكليزية الأمريكية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والسويدية والروسية وغيرها من اللغات في العالم، وتوظيفها في سياق تلك الأعمال =

(الجامع لأحاديثٍ شتى تتعلق بالقرآن وفضائله، وفضائل أهله) وهي أحاديثٌ أخرجها الإمام أحمد والطبراني والبزاز وأبو يعلى والترمذي وابن ماجه وغيرهم)[1] وأول من رَادَ هذا المجال الإمام الشافعي في كتابه (منافع القرآن) وبعد ذلك حَفُلَ القرن الثالث الهجري بجمهرةٍ ألفوا في الفضائل، من أشهرهم أبو عبيد القاسم بن سلام؛ (فضائل القرآن ومعالمه وآدابه)[2].

ومضى من بعده العلماء يسلكون السبيل[3]، بحيث حرفت للمسلمين بشكلٍ غير

---

الأدبية الكثيرة تحوير وإعداد وتوضيب وتقديم وتأخير، وإعادة صياغة بقوالب حديثة في لغات حديثة، ثم إعادة ترجمة هذه الأعمال من تلك اللغات إلى اللغة العربية اللسان الأم، وهذا الأمر ليس من السهل على القارئ العربي التثقيفي، خصوصاً أولئك المعجبين بالأدب الأوربي الحديث، أو المنبهرين به، ليس من السهل عليهم تلمس واكتشاف الجذور العربية للأدب الأوربي الحديث، لكن الناقد المحترف يستطيع بما لديه من وسائل وأدوات معرفية، التيقن من هذا الأمر بسهولة.

(١) كتاب فضائل القرآن للحافظ ابن كثير، ت:د. محمد إبراهيم البنا، جمعية القرآن الكريم بجدة، ص٦ ١٩٨٨. والواقع فإنَّ جميع هذه الكتب التي تحدَّثت عن الفضائل، لبعض السور أو الآيات من القرآن الكريم، كانت أودية الأحاديث الضعيفة، أو المدسوسةً، أو المكذوبة، أو الموضوعة؛ وفيها أو بدونها كان القرآن العظيم كله كتاب الله سبحانه وتعالى، وكان كل حرفٍ فيه من الله سبحانه وتعالى، وليس هنالك تفاضلٌ بين كلام الله تعالى، ويجب عدم تجزيء النظرة لآي القرآن الكريم فالقرآن العظيم كلٌ متكامل، وكان الإسلام دين الله سبحانه وتعالى، أنزله من السماء، الدين التام والكامل في القرآن المجيد، وهذه الأحاديث لم تقدم شيئاً ولم تكن مفيدة أبداً بل على العكس تماماً فقد كانت هذه الأحاديث قد حملت إلى حياة المسلمين الشيء الكثير، من السلبية والوبال، وكانت قد أُضيفت إلى حياة المسلمين إضافة، لم تكن أصيلة، والله المستعان.

(٢) وواضحٌ أنَّ هذا العنوان، وأنَّ هذا الكتاب، عبارة عن قولة حق يراد بها باطل، فكانت هذه الكتب تضع السم في الدسم، وتذرُّ الرماد، بل العمى في العيون!

(٣) وكمثال صارخٍ على ذلك، في الوقت الحالي، كتاب (الفضائل القرآنية - الواردة عن خير البرية) تأليف الحاجة درية خليل الخرفان، هذا الكتاب الشعبي؛ الذي يُطبع منه في كل سنة آلاف النسخ، وتوزع على الناس المسلمين البسطاء الذين يقرؤونه باعتقاد، وهم لا يدرون إلى أي مدى كان هذا الكتاب مليئاً بالأخطاء القاتلة، إن هذا الكتاب يشكل مطلع الألفية الثالثة؛ دون شك، عملية اغتيال فظيعة للفكر والعقل والمنطق العربي الإسلامي. ففي الصفحة ٦ منه =

يقول الكتاب عن معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ :(أي أنزله بلغتكم لتعلموا معانيه كما أنزل التوراة، والإنجيل) أهـ وهذا لعمري هو منتهى الجهل والتجهيل، الجهل الذي ما يزالُ يُنثر ويوزع على الأدمغة العربية الإسلامية البسيطة المسطحة! وتُحشى به العقول منذ قرون.

لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ ﴾ الشعراء، وهذا يعني بوضوح ما بعده وضوح، ووضوح لا لبس فيه، أن جميع الكتب السماوية السابقة كانت تلفظ وتقرأ بلسان عربي مبين، وأنّ علماء العرب وحكماؤهم كانوا على معرفة به، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ما أنزلَ اللهُ تعالى وحياً قط إلى نبيٍّ بينه وبينه إِلَّا بالعربية، ثمّ يكون هو بعدُ يبلغهُ قومه بلسانه» عن مجمع الزوائد باب العرب، (ولسانه المقصود في الحديث هنا: لهجته المحلية، حيث لكل منطقة لهجتها من اللسان الأساسي الرباني العربي المبين) والله أعلم.

ثمّ يقول الكتاب في الصفحة التالية: (قال الإمام الأعظم رضي الله عنه: إنّ قراءة القرآن بأي لغة صحيحة وهو قرآن بأي لسان)! ويستشهد الكتاب على صحة كلامه بالقرآن الكريم، فيقول: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ ﴾ ولم يُعرفنا مؤلف الكتاب على هوية الإمام الذي ترضى عنه؛ ونقل عنه هذا الرأي الفاسد المفسد، فكيف يكون ذلك والله سبحانه وتعالى يؤكد أن هذا القرآن بلسان عربي مبين في إثنتي عشرة من الآيات البينات في القرآن الكريم، ثم يقول الكتاب بإجازة قراءته بأي لسان! ثم يفرض الكاتب على القراء، دون مبرر، موضوع النسخ في القرآن؛ شأنه في ذلك شأن الكثير من الكتب! وهو الموضوع الذي لُفق في العصر الشعوبي العباسي، فهو لم يكن في صدر الإسلام مطلقاً، هذا الموضوع الذي كان غرضه تدمير القرآن، وتدمير الدين الصحيح عند المسلمين، وهو ادعاء باطل، وغير حقيقي، وغير منطقي، لأن قضية الناسخ والمنسوخ، أو فكرة النسخ، كانت وافدة إلى العرب المسلمين من توراة اليهود! كما هو معروف. ويقول الكتاب ص١٢ (النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب: أحدها مانسخ تلاوته وحكمه معاً، ويستشهد على ذلك بحديث ملفق عن السيدة عائشة؛ وحديث مفترى طويل جداً عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم يقول إن القسم الثالث هو ما نُسختْ تلاوته دون حكمه! وهذا الكلام، كلام جاهلين لم يكن له أي مبرر، كلام غرضه التشكيك في كتاب الله سبحانه وتعالى بشكل غير مباشر، والله سبحانه وتعالى هو المستعان على ما يصفون، ولكن أين العقول التي تفهم أو التي تعي!! إن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب الشعبية التي تباع بالآلاف، في حين أن هنالك الآن كساداً في الكتب الجادة، المفيدة فعلاً، في هذا الوقت، وأن الناس في بلاد العرب والمسلمين عامةً، عازفة عن القراءة، بينما هذه الكتب الشعبية باتت يُقبل عليها الناس بدافع التديُّن السهل البسيط، وهي الآن تشكل (الهارد) وآلية التفكير لدى عامة المسلمين، وهي تُؤثرُ تأثيراً مباشر على قناعات وسلوكيات وأفكار الناس البسطاء وغير البسطاء! من العرب المسلمين، ودون رقيب ودون حسيب، انظروا كيف يتم التأثير على الناس، وكيف تشكل الأفئدة، وكيف تُصَنعُ الأدمغة، صناعة يتم فيها التدمير للعرب المسلمين ذاتياً!.

مباشر، حرفت لهم الطريق؛ وحولت وجهتهم عن جوهر القرآن العربي الصحيح، وكانت عامل هدمٍ لكل ما هو عظيمٌ ومنيعٌ في حياض المسلمين، عامل هدمٍ لكل عزمٍ، وكل قوةٍ، وكل منعة، وكل إباءٍ، وكل شموخ.

إن العنعنات والسماعات والتخريجات، طرقٌ لم تكن عربية بالأساس أبداً واستعملتها الشعوبية في كثيرٍ من الأحيان لتكريس الضلال والخطأ، وتكريس عمليات الخروج عن المنهج الأساسي والعربي الصحيح، الذي كان يعتمد على الفطرة السليمة والعقل السليم والمنهج المنطقي السليم، لا النقل البهيمي الببغائي الخالي في بعض الحالات حتى من أدنى مستويات الحس والذوق الرفيع، ناهيك عن العلم؛ بهدف الإبعاد عن المنهج الحق، والعلم الحقيقي والمنطقي والواقعي الملموس والمحسوس والمدرك، وقادت إلى منهج زائف عقيم، يعتمد على النقل دون العقل مما أفسح المجال واسعاً، وأوجد فرصةً سانحة لأولئك الوضاعين، ولأولئك الدجالين، للافتراء وللقيام بعملية هدمٍ منظمة للدين الحق، ولإيجادهم للبديل الزائف.

لعلها (هذه المفتريات) قد أسهمت أشد الإسهام في تجميد الفكر العربي، والعقيدة الإسلامية وليِّ عُنُقِهَا، وانكفاء جِماحها، ولمها وطيها ولفلفتها، عن طريق بتر اطرافها الممتدة إلى المالا نهاية، وقطع رأسها العالي الشامخ، الواصل إلى عنان السماء، وبالتالي فقد تم حصر وجودها الذي أساساً يملأ كل الوجود، تم حصره في أضيق الحدود؛ والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً** ﴾ [الأنعام: ١١٥]، قال تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]، قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨** ﴾ [الصف:

.[٨

# الأحاديث الطويلة، أحاديث ضعيفة، وموضوعة

ولذلك كانت الأحاديث الطويلة، أحاديث ضعيفة وموضوعة وغريبة، وكانت جل الأحاديث الواردة في كتب الفضائل أحاديث ضعيفة، موضوعة، ومفتريات، وذلك بإقرارٍ من مؤلفي تلك الكتب أنفسهم؛ وهم يوردون تلك الأحاديث، ثمَّ يشككون في صحتها وصحة رواتها، ولا نعرف السبب الذي يجعلهم يوردون الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهم يقرُّون بكذِبِها، ثمّ يوردونها في كتبهم، معتمدين عليها، فالجميع كان يعرف أن هذه الأحاديث موضوعة، ثم أنهم أوردوها في كتبهم...، من بداية العصر العباسي إلى الآن، فما هو السبب، ولماذا؟ لقد أشاعوا ونشروا تلك الأحاديث بسرعة مدهشة، وبطريقة إعلامياً لا تزال تُدرس في كليات الإعلام للمحترفين وهي أن تطلق الخبر ثمَّ تشكك به!

كان أكثر اسماء رواة هذه الأحاديث غير طبيعية؛... يقول ابن كثير في كتاب الفضائل، في مقدمة كتابه التفسير:(محمد بن كعب القرطبي، غير أنه كان ضعيف الحديث؛ إِلَّا أنه إمام في القراءة!.. وقال حدثنا حجاج عن إسرائيل عن إسحاق... عن... أو يقول أبو عبيد القاسم بن سلام أ.هـ) فهل حاول أحدٌ من المحققين، التحقق من هوية أحد هؤلاء الأعلام! مع احترامنا الشديد لابن كثير القرشي الدمشقي، ولجميع السادة الحفاظ، والشيوخ المقرئين، ولجميع الحفّاظ في جميع الطبقات؛ والمقرئين في جميع العصور؛ رحمهم الله تعالى جميعاً، بما فيهم الحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) الذين جمعوا لنا الكثير من الكتب، وحفظوا لنا الكثير من المقالات.. والأحاديث، والأخبار ولكن علينا الآن واجب إعادة النظر والتأكد ومطابقة هذا الكم الهائل الموجود في التراث الديني، وفي التاريخ، ومطابقته مع الفطرة الحنيفية السليمة، والمنهج العربي الصحيح، الذي في القرآن

المجيد[1].

---

(١) موضوع تحقيق الكتب، وقضية التَحَقُق من الأخبار والآثار الآتية من الماضي، الكتب الدينية والتاريخية والأدبية وغيرها، لهو من الأهمية بمكان بالغ، حيث إنَّ هذا الموضوع، وهذه القضية في غاية الأهمية، بل يجب أن تكون من الأهمية بمكان مشدد؛ عند كل إنسان في هذا العصر، وعلى الأخص الإنسان المؤمن العربي، في هذا الزمن، زمن التحولات... وزمن المكتشفات؛ زمن المعرفة، الزمن الذي لم تعد تنطلي فيه الحيل إِلَّا على البسطاء؛ ولم يعد مقبولٌ فيه الادعاء! أو التوهيم أو تكبير الصغير، أو تصغير الكبير، لم يعد يجدي فيه الترسل، ولا التوسع، ولا الإطالة، ولا التوسل، ولا الإطناب، ولا المديح، ولا الذم، ولا السجع، ولا جودة القافية؛ ولا كثرة الترغيب، والترهيب، ولا المعميات، ولا الملتبسات، ولا التخيل ولا الوهم، بل هو زمن الوعي وزمن الفهم الصحيح، والإدراك البين والواضح، الزمن الذي أصبح فيه العالم غرفة واحدة!

ورحم الله الشيخ الدكتور محمد أبو اليسر عابدين إذ يقول: (فانظر يا رعاك الله في مطبوعات عصرنا الحاضر من كل ما وجد بخطوط قديمة غير معروفة ولا مكتوب عليها سماع أحد ولم ترد بالتسلسل المعروف، فما هي إِلَّا من نوع الوجادة المجهولة التي لا يجوز الاعتماد عليها ولا نسبتها على سبيل القطع أو الظن لمن نسبت إليه وفي نسبتها شك يكاد يكون شبهة قوية، لا سيما إذا لم يوجد قول منها مذكور في كتاب آخر، فكيف يجوز الاعتماد عليها والإفتاء بها في الدين، سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن هذا الباب دخل الكذب في روايات المؤرخين، وقصص القصّاص الظالمين الذين يروون الأقاصيص لسمعة الأقدمين) من كتاب أغاليط المؤرخين ص٤٦ مكتبة الغزالي بدمشق١٩٨٩.

إنَّ عامة الناس من العرب المؤمنين لا تزال في حالة، لا تدرك فيها مدى أهمية ومدى ضرورة التحقيق، والتَحَقُق من صحة المعلومات وصحة الأخبار، الواردة في الكتب، والمنقولة والمحمولة في الذواكر، وبالتالي أهمية صحة الأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول ﷺ، أن تكون من المؤكد أنها صحيحة فعلاً عن رسول الله ﷺ، مطابقة للقرآن الكريم، فعلى الرغم من أنّ الأولين من السلف الصالح، كانوا قد فطنوا إلى هذه القضية المهمة للغاية، فوضعوا الكثير من الكتب والأبحاث التي تحذر، بل وتنبه إلى ضرورة مقابلة كل أثر وارد من الماضي؛ مقابلته أولاً مع القرآن الكريم، وإعمال العقل والمنطق فيه للتحقق والتأكد من صحته، وهناك عشرات الكتب التي تتحدث عن الأحاديث الموضوعة، والأحاديث المفتريات وأحاديث الإسرائيليات، والأحاديث الضعيفة، والأحاديث المدسوسة، هذه الكتب التي تم تجاوزها، وتم إقصاؤها، وتم إيقاف تداولها! فلماذا؟ وأين هي المرجعيات العربية المسلمة؟ألسنا أساساً ملزمين بعدم إيراد الحديث الشريف، إِلَّا إذا كان صحيحاً، قال ﷺ: «من كذب عليَّ حرفاً فليتبوأ مقعده من النار» فما بال الناس في هذه الأيام تطبع وتنشر بكل بساطة وسهولة، كتباَ للأحاديث لا يعلم إِلَّا الله تعالى مدى صحة نسبة هذه الأحاديث إلى الرسول الأعظم ﷺ، وهي ترفع وتنسب إلى الرسول ﷺ بكل بساطة، هكذا ودون حسيبٍ أورقيب، فلا يوجد لدى العرب المسلمين مرجعية ملزمة تصدر عن مصلحة للأمة والدين العربي الحنيف.

لذلك كان كل الكلام الوارد، والذي تحدث عن الكيفية التي جُمِعَ بها القرآن الكريم غير صحيح والأخبار حول ذلك باطلة ومتضاربة وغير منطقية، وغير صحيحة البتة، والله أعلم.

وكانت كتب المصاحف برمتها، أكثر رواتها من اليهود والشعوبية، مثل إسحاق، وإسرائيل، ويعقوب، وحاطب، وسلام، وكانت خارجة عن المنطق بشكلٍ واضح، خصوصاً في وضعها للأحاديث المفتريات، وتلفيقها للأخبار المتضاربة والمتناقضة والموهِمة؛ وإشاعتها، وكان غرضها التشويش والتشويه، ليس إِلَّا [1].

---

(١) اليهود، وأمريكا المهودة، والصليبية العالمية المهودة، في أوربة وغيرها، لا تستطيع القضاء على الإسلام؛ ومن المؤكد أنها لا تستطيع محاربة الإسلام بحد ذاته؛ لأنَّ الإسلام دين الله سبحانه وتعالى، المنتشر في أنحاء الأرض، فمنذا الذي يستطيع محاربة الله جلَّ جلالُه الله، لكن اليهود، والقوى العالمية المهودة تستطيع فقط شنَّ الحرب على المسلمين، والتنكيل بهم في كافة أنحاء العالم، وأن تعمل على إضعافهم وتكبيلهم بكل أنواع القيود، وإعاقة تقدمهم والسيطرة عليهم، وعلى دولهم؛ وتستطيع أيضاً حرف وتشويه صورة الإسلام الصحيح، في عقول الناس المسلمين، وفي العالم، الإسلام الرباني الحنيف، الإسلام الحقيقي، الإسلام كما نزل من الله سبحانه وتعالى، عربياً غير ذي عِوَج، صراطا مستقيماً، يدل على الله تعالى، مبيناً يخاطب العقول، ويدعو إلى التفكير، والتفكُّر، ويحضُّ على العلم والتعلم، فطرة الله السليمة. إن اليهود والقوى العالمية المهودة، لاتستطيع القضاء على الإسلام أبداً؛ وهي من المؤكد أنها تدرك ذلك! وهي أيضاً وحتماً لا تريد ذلك! لا تريد القضاء على الإسلام، بل تريد جعل الإسلام وتعمل على نشره؛ أعرجاً أعوجاً أشوهاً، ليولد الإسلام في نفوس الأجيال خديجاً ميتاً قبل الولادة، بحيث يتحول الدين الإسلامي بعد تشويهه إلى عامل إعاقة لحياة المسلمين، وإلى عقبة كأداء، تحول دون وصول الإنسان المسلم، والمجتمعات الإسلامية إلى الانتصار والعدالة، وهكذا يصبح المسلمون أنفسهم بعد انخراطهم في دوامة التجهيل، يعملون على التخلص مما يعوقهم حياتياً! فيتصادم المسلمون بهذا الإسلام المشوه، ويتصارعون معه صراع الجهل مع الجاهلين، لا هو حقيقي، ولا هم حقيقيون! لاشك أن اليهود الأذكياء ملتزمين بمنهج إبليس في حربه الحاقدة على المؤمنين الصادقين، فاليهود لا يستطيعون بدورهم الانفكاك عن تبعيَّة الشيطان، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا =

لذلك كان على العرب المسلمين الضرب بها عرض الحائط وتجاهلها، واعتبارها غير موجودة أصلا، قال ﷺ: «**من كتب عني سوى القرآن فليمحه**» رواه مسلم في كتاب الزهد، فقالوا: جمعها أبو بكر، وقالوا جمعها عمر، وقالوا جمعها عثمان، وقالوا جمعها علي، رضي الله عنهم، حكايا حكواتية، ورواية رواة، رجماً بالغيب، كان التعويل فيها على الطبري وأمثاله، والحقيقة أن الرسول محمد ﷺ لم يغادر هذه الدنيا إِلَّا وقد ترك القرآن الكريم العظيم

---

صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر: ٣٢-٤٣]، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣-١٨].

لذلك فإنّ من الطبيعي أن تجد اليهود والصليبية العالمية المهودة، في كل مراحل التاريخ، يدعمون ويشجعون الأشكال العديدة، والصور الكثيرة للإسلام المشوه؛ الإسلام العاجز، الإسلام المريض، إسلام لا يقوى على الحركة، إسلام في حالة الفلكلور والأزياء الشعبية، إسلام العادات والتقاليد؛ إسلامٌ يعمل من الذاكرة المخزَّنة، ومسلمون مُحَرَكون كالدمى العرائس، ملونين، ومتعبين، ومتهالكين، بحيث يسهل القضاء عليهم، في كل حين، وفي كل مكان، وفق الخطط والبرامج، وذلك بعد التمتع بمشهدهم الحزين. لذلك فإنَّ دول العالم المتقدم، الحقيقة، لاترفع (الفيتو) الآن على الإسلام الفارسي، ولا على الإسلام الأمريكي، ولا على الإسلام الفرنسي، أو الإنكليزي؛ إنها لا ترفع (الفيتو) على أيٍ من الفرق الصوفية، وليس لديها أي اعتراض على السلفية الشكلانية المتحجرة، أبداً؛ ولا على التشيع بكافة أشكاله وصيغه وطوائفه ونحله، بل على العكس تماماً، إننا نجدها تدعم كل هذه الأشكال المنحرفة عن الدين العربي الرباني الصحيح، الفِرَق التي باتت تعمل بموجب الذاكرة، و(الكنترول) الذي يجعل الإنسان إنساناً آلياً يتحرك ويستجيب، وينفذ ما يطلب منه بالتأثر، والتأثير عليه؛ من على البعد؛ هذه الفرق التي أضافت إلى الإسلام الحنيف ما أضافته من أهوائها؛ فحولت الإسلام وتعاليمه العظيمة، وأنزلته من عليائه، إلى السقم والتدني وحالة الإنحطاط، بحيث آلت به إلى كدان ولجام ورسن طوائفي وفئوي لتكديش العرب المسلمين، وإبقائهم في أدنى مستوى. إنَّ الغرب المعادي للإسلام العربي الرباني يشنُّ في هذه الأيام حرباً شعواء، لا هوادة فيها، متعددة الأنماط والأشكال والمستويات، على الإسلام العربي الحنيف، فهل عَقِلَ المسلمون العرب هذه الحقيقة، ووعوها؟

مجموعاً، في أعظم جمعٍ، وأكرم وأجمل وأكمل حال.

وهناك أحاديث صحيحة تقول أن الرسول ﷺ، كان بين يديه من الصحابة، أربعون كاتباً للوحي، وفي أحاديث أخرى تقول أنه كان هنالك من الصحابة سبعون من كتَّاب الوحي، كانوا يكتبون الوحي مباشرةً عن رسول الله ﷺ، والصحيح أنَّ جميع من عاصروا الرسول ﷺ كانوا كتاباً للوحي، فقد كان لكلٍ منهم مصحفه؛ وكانت الناس من الصحابة الكرام تنتظر الوحي بلهفة شديدة، وانتظار وترقب وتوقع نزول؛ ويتلقفون ما ينزل من كلام الله على الرسول الكريم، على أنه بالنسبة لهم كان أغلى من كل غالٍ، وكل مؤمنٍ كان مكلفاً بنقل الآيات، والتبليغ إلى من يليه، قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» لذلك كانت الآيات آيات القرآن العظيم، تنتشر بسرعة كبيرة، وكانت تبلغ أقصى مدى، فما تكاد تنزل حتى تصل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى العراق، وإلى بلاد الشام، وعلى هذا الأساس كان الناس يُسألون، وعلى هذا الأساس كان الناس يُحاسبون، وإلا فكيف يُسأل الناس، في صدر الإسلام، عن أشياء لم يسمعوا بها؟ أو يطالبون بأمور لم يطلعوا عليها.

فالأمور التي قد تركها لنا رسولنا الكريم ﷺ، كالمحجة البيضاء، لاتحتاج لجهد المُجْهَدين، فلم يُترك الحبل فيها على الغارب، كما كان يشتهي المتوهمون، وكما تمنى المشككون؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥﴾ [الأنعام: ١٠٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧﴾ [القيامة: ١٧].

وصولاً إلى زماننا الحالي حيث ظهرت المصاحف الملونة المجوّدة ذاتياً، والمصاحف الناطقة، والالكترونية، والمرئية، وكلها مشاريع وأعمال تجارية ليست مفيدة، وليست معمولة لوجه الله تعالى، وهي لا، ولم تكن تغني عن الحق شيئاً. يمكن وصفها بالبدعة التي لا تنفع إن لم تكن تضر! والله تعالى أعلم.

# قراءة القرآن الكريم هل هي ترتيلٌ وتلاوة أم هي تجويد وتغنٍ؟ وهل كانت قراءة القرآن الكريم انتقائية منذ بداية العصر العباسي؟

ومن ذلك أيضاَ، تفسيرهم للفظة (يتدبرون) قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

فما معنى يتدبرون؟ إنها لا تعني مجرد القراءة والاستظهار والحفظ والتلاوة أو التداول، والاستماع للقراء المرتِّلين، وعمل المسابقات للحفظة المجوِّدين، على الرغم من أهمية ذلك كله، لكن معنى التَدَبُّر معنىً مختلف تماماً، فما هو؟

ليس صحيحاً أنّ معنى التدبّر منحصرٌ في الحفظ والدراسة، والرواية! بل يتعداه إلى التَفَكّر، وتفهُّم الخطاب، وأكثرُ من ذلك، أنّ التدبر يعني التَفَعُّل والتفعيل، فالقائد الذي يدبِّر قيادته، يفعِّلها، والمدير الذي يدبِّر إدارته، يفعِّلها أيضاً، يجعلها حيوية نشطة، في حركة دائمة، مفيدة ومنتجة، إنّ الله سبحانه وتعالى، الذي يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض، يُفعِّل هذا الكون، يُفَعَّل مخلوقاته، ويمدهم بالحيوية، بالحياة، كل شيء بأمره، يديره يفعِّله من السماء إلى الأرض، يمده بالطاقة، والحياة

[هذا ويعمل المفاعل النووي، أو المفاعل الذرِّي، على تفعيل المادة، وذلك عن طريق رفع حرارتها، إلى درجات عالية وكبيرة جداً، آلاف الدرجات، ولمدد طويلة، بحيث تتحول مباني ذرات المادة، من ذراتٍ لمعادن خسيسة، أو رخيصة، مثل الحديد، لتتحول إلى

ذراتٍ لمعادنٍ ثمينةٍ، وباهظةٍ مثل الذهب، وأكثر من ذلك فإذا استمر التسخين للمعدن في المفاعل النووي، فإن بالإمكان تحويل هذا المعدن إلى أشعّة حرارية أو ضوئية؛ ومعروفٌ أن كمية صغيرة من معدن اليورانيوم المخصَّب، يمكن أن تأخذ سفينة فضائية إلى القمر، وتعود بها إلى الأرض؛ وأن كمية صغيرة من اليورانيوم كافية لإضاءة مدينة بأكملها] وهذا قريبٌ جداً من معنى التَدَبّر.

إن التدبر في المعنى العربي يعني التفعُّل، أو أن تَنْفَعِلَ بالقرآن العظيم، أي أن تتحول من كائن عادي، إلى أن تكون مشعاً ومضيئاً، وأن تضيء كل من اقترب منك، أو نظر إليك، أن تمده بالطاقة والحيوية، هكذا كان الرسول ﷺ، وهكذا كان الصحابة الكرام، لأن القرآن بالأساس هو الجامع، ومنبع الحركة، ومركز وبؤرة التفعيل للكون، ولجميع المخلوقات، وهو أشبه بالمولِّد للطاقة وللحيوية وللعلم، والممد لجميع مخلوقات الله تعالى، ومن خلاله يتم الدفع والتحريك الإيجابي، لا السلبي.

القرآن ليس ورقات مكتوباً عليها بين دفتين، القرآن ناموس الكون، والفرن العالي، الذي تتجوهر فيه النفوس والأرواح، والعقول والأفهام، إن من يقرأ القرآن ومن يحمل القرآن، ومن يجمع القرآن، ومن يرتل القرآن، عليه أن يكون مركزاً مشعّاً ومضيئاً ومنيراً ومعلماً رائداً عَلَمَاً ومحط أنظار، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «**ليؤمُّكم أقرأكم للقرآن**» وأقرؤكم يعني أجمعكم، وأجمعكم يعني أوعاكم، وأفهمكم للقرآن.

# القرآن الكريم مفاعل نووي

إن قارئ القرآن، إذا كان صادقاً في تَدَبّرِهِ للقرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى سيُفعّله، وسيجعل منه عالماً، وعالماً كبيراً، وسيفتح عليه وسيمده بالفهم وبالعلم الشامل وبالذكاء والمعرفة والقوة، إن القرآن العظيم مفاعل نووي، بل هو أكبر مفاعل نووي في العالم، يُفَعِلُ مخلوقات الله، يُخرجها من الظلمات إلى النور، إذا عرفنا كيف نفهمه، [يرجع الفضل، جميعه، إلى القرآن الكريم، فلولا القرآن الكريم، لبقي الناسُ في كل المجتمعات، في كل أنحاء العالم، على حالتهم الأولى، ومعروف أن احتكاك أوربة بالمسلمين، والأساس هو القرآن، كان هو الشرارة الأولى التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي عند الغربيين، في كل المجالات، والذي صاروا يرفلون به الآن، ويستعلون به على باقي مخلوقات الله في العالم؛

إن القرآن الكريم هو الذي فتح الباب، وهو الذي أنار في العيون وفي البصائر، لا أديسون، ولولا القرآن، لبقي الرومان روماناً، والبيزنطيون بيزنطيين، بدائيين ليس إِلَّا[1]

وقد أُبْعِدَ العرب عن الفهم الحقيقي للقرآن، فلم يتمكنوا إلى الآن من التفاعل، أو التَفَعّل، ولا استطاعوا، إلى الآن، أن يستمدوا الدفقات من كتاب الله عز وجل، القرآن العظيم، ولا يزالون يمضون وقتهم في تجويد وتعلم التجويد.

وبالمناسبة فقد أمرنا ربنا بالتلاوة والترتيل، وليس بالتجويد؛ وكان علم التجويد قد بدأ

---

(١) إن أوربة التي أخذت من العرب المسلمين كل أسباب البناء، واستفادت من العلوم العربية الإسلامية، في الطبيعة، والكون، إلى أقصى الدرجات، لأن ذلك كان ضرورياً لهم، لبقاء أجسادهم، في القسم البارد من الكرة الأرضية، وتوفير سعادتهم فيها؛ أما الروح، فإنّها في مستوى رفيع جداً لم تتهيّأ أوربة لتفهمه، وتوفيره لنفسها، وذلك من مأدبة القرآن الكريم، ومن سرادق الإسلام، الدين السماوي العظيم، (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين) مرجع سابق.

مع مجموعة من العميان في العصر العباسي، الذين كانوا يبحثون عن عملٍ أو مهنةٍ يتكسبون منها، أو كانوا منها يسترزقون، فكان أن أجادوا فن تجويد القرآن الكريم، ثم نشأت المدارس، وصارَ لهذا الفن معلمون، لتعليم التجويد وقواعد التجويد، وتحول الأمر إلى هدف أساسي! وقبل ذلك لم يكن التجويد موضوعاً مهماً، ولا مطروقاً، ولا هو محبذ في حياة العرب والمسلمين، إذ تكرست حياة المسلمين لهذا الهدف؛ بينما لم يكن قبل ذلك يشكلُ شيئاً أساسياً، ولا يجوز أن يكون التجويد بأي حال بديلاً عن التلاوة والترتيل؛ التلاوة والترتيل الذي أمر به الله سبحانه وتعالى، التلاوة والترتيل الموصل إلى الفهم والذي يساعد على الوصول إلى الفهم.

ونذكر هنا أنّ التلاوة والترتيل أمرٌ قديم أمَرَ به اللهُ سبحانه وتعالى كل الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾** ﴾ [الجاثية: ٣١]، ولا تزال آثار وبقايا آثار هذا الأمر الإلهي موجودة [(١)]، في الكنائس بشكلٍ ملحوظ، وهي

---

(١) ما معنى (نصارى) في اللسان العربي المبين؟ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ٦٢]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١١٣]، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المائدة: ١٤]، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢].

إن مفهوم النصارى المذكور في القرآن الكريم أكثر من ١٥ مرة، مفهوم قديم جداً أقدم من الرومان وأقدم من أوربة ذاتها، وأقدم من قبيل اليهود، ويرجع هذا المفهوم إلى أيام سيدنا عيسى ﷺ، وكان النصارى جزءاً من بني إسرائيل العرب، وهم الحواريون الذين ناصروا الله سبحانه وتعالى، والتفوا حول المسيح عيسى بن مريم ﷺ، وصدَّقوا رسالة سيدنا عيسى المسيح ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
=

أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:٥٢].كانت هذه الأحداث قبل وجود روما، وقبل وجود أثينا، بزمن طويل، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤]، إن مفهوم ومعنى كلمة نصارى في القرآن الكريم يعني ويقصد به الحواريون بالذات، وهم صحابة رسول الله عيسىٰ بن مريم ﷺ، ثم بعد ذلك صارت تعني كل أؤلئك الذين ساروا في طريقهم، وكانوا في مقولتهم، تبعاً لمقولة الحواريين صحابة سيدنا عيسى بن مريم ﷺ. فهل قام اليهود منذ العصر الروماني المتأخر، وإلى العصر الحالي، عن طريق المؤسسات المهودة، بالعمل على تشويه أساس هذا المفهوم؛ وإشاعة وترسيخ مفاهيم خاطئة ومشوهة، ومُضَلِّلَة في عقول النصارى العرب، لاستعدائهم على إخوانهم ومواطنيهم، من العرب المسلمين، بحيث صارت عندهم، هذه المفاهيم، بديلةً عن المفهوم الحقيقي الصحيح؟.

ورسخوها كأخطاء شائعة مدعومة عششت في رؤوس البعض من النصارى والمسلمين العرب؟ حتى أصبح البعض منهم، وبجهالة مطبقة يتنكرُ للمفهوم العربي الأساسي الصحيح، واهماً، ومتوهماً، ويحمل في عقله ووجدانه، مفاهيم خاطئة، مستوردة معادية، سبق وأن قام اليهود بدورهم الغادر، بإشاعتها وتعميمها؛ للتفريق بين العرب مسلمين ومسيحيين، حتى أصبحت هذه الأخطاء قناعات راسخة عند الجهلة؟! وكان هدفهم قطع، وقص الأسس الأصيلة للنصارى العرب في إنتمائهم الطبيعي للعرب، وتلاحمهم مع العرب، وكان غرض اليهود القضاء نهائياً على الروابط التي كانت تربط النصارى من العرب بالعرب والعروبة، فأساؤوا إلى معنى نصارى، وفي نفس الوقت شوهوا حقيقة دعوة التوحيد الصحيحة التي دعى إليها المجاهد أريوس في مواجهة التثليث الوثني الروماني، الذي طرأ على التوحيد العربي، إبان تحول روما الوثنية تحت ضغط الانتشار والانتصار للتوحيد العربي، فتحولت روما الوثنية إلى النصرانية، ولكن بعد تحويل النصرانية! من نصرانية عربية إلى نصرانية وثنية رومانية!

إنَّ روما لم تستطع هضم النصرانية العربية الموحدة، فقاموا أولاً بتعديلها حتى تلائمهم، قاموا بتحويلها إلى مُعددة، ثمَّ كان لا بد من تشويه الأصل وتفريغه من مضمونه الحقيقي؛ حتى يصبح بالإمكان قبول البديل. فقام اليهود باختراع الروايات الكاذبة والمضللة لتشويه كل ما هو صحيح وأصيل وأساسي وقالوا أقاويل، كانت باطلة ومضللة، فهل تُراهم ينجحون في إتمام مخططهم؟ والحقيقة أنَّ للباطل جولة، وقد تكون هذه الجولة طويلة؛ ولكن لا يصح، ولن يصح إلَّا الصحيح.

في بلاد الشام يوجد الكثير من القرى والضيع، التي بقيت نصارى في جبل لبنان، وفي حمص وفي حوران والجزيرة وغيرها، فإنه لا يزال بعض الناس هناك نصارى، ولا يزالون إلى الآن، يلبسون الزي العربي، نساءً ورجالاً، ولا تزال النساء هناك، يضعون على رؤوسهم، الخمار العربي، لا يزالون على عاداتهم منذ آلاف السنين، لاسيما في (خبب)، و(بصير) من أرض حوران، وكذلك في بلاد العراق لدى الآشوريين والكلدان، فإن الخمار موجودٌ عندهم من قبل البعثة المحمدية بزمن، كغطاء على رأس المرأة، والعقال والكوفية على رأس الرجل؛ ولولا دور البعثات التبشيرية، =

تُنبينا عن أنها كان لها أصلٌ في اللسان العربي المبين! وكذلك يمكن للمدقق، أن يلاحظ نفس الملاحظة، في عبادات وصلوات العديد من الديانات الأرضية، المنتشرة في الهند وبلاد الفرس، والصين وحتى الأنكا والهنود الحمر، سيلاحظ أنهم جميعاً يرتلون، عند قراءة نصوصهم الدينية؛ إن الترتيل أمرٌ إلهي منذ الأزل، وقد انحرف هذا الأمر عن أصله العربي المبين، مثلما انحرفت باقي الأوامر؛ أشتاتاً أشتاتاً. كان الهدف من الترتيل العربي، تعميق أثر المعنى للّفظ، وجعله يملأ الكيان، كيانَ قارئهِ، وكيانَ سامعهِ، تاركاً أثراً لا يمحى، ومحولاً النفس الإنسانية إلى طاقة إيجابية عاملة وبناءة، لا خاملة؛ ولا بائسة ولا يائسة ولم يكن الغرض منه تجميل اللفظ أو بعث النشوة أو الغبطة والسرور. وكذلك لم يكن الأمر أمر قراءة القرآن الكريم، وقفاً على المناسبات، كما يفعل التجويد، إن الترتيل، ترتيل القرآن، وتلاوته يعني قراءة القرآن كما نزل، كما كان يقرؤه الرسول ﷺ، كما قرأه جبريل عليه السلام، كما سمعه من الله سبحانه وتعالى.

---

التي باشرت أعمالها مطلع القرن العشرين، لكان هذا الأمر هو الطبيعي؛ ولكان هو السائد؛ ومن الخطأ بمكان، الاعتقاد بأن الخمار للمرأة، قضية خاصة بالإسلام، أو أنها بدأت في عصر بعثة الرسول الأعظم ﷺ، لأن للخمار قديماً، أزياء خاصة لكل إقليم، وهي متجذرة ونابعة، من كل إقليم، وقد مضى عليها آلاف السنين، وليست قضية الحجاب إملاءً، حديثاً، من حيث المبدأ، من أيٍ من دول الإسلام المعروفة، لأنها أساساً موجودة في (الفلكلور) القديم جداً مثل الكثير الكثير من الأمور والعادات والتقاليد العريقة الموروثة، منذ عشرات آلاف السنين والداخلة في أعمق أعماق الروح، والوجدان العربي. وقد جاء الدين من الله سبحانه وتعالى، وأثبتها، أو كرسها، أو أكد عليها، لما فيها من خيريِّة وفائدة للإنسان. إن النصارى العرب الأصلاء، الذين كانوا ولا يزالون، تربطهم بوطنهم رابطة العروبة والإيمان بالله الخالق الرحيم، والتي لا يمكن أن تنفصم، أو أن تنحل أبداً، مع المسلمين العرب الأصلاء، الذين يحسون، ويدركون المعنى الحقيقي للعروبة، والذين يؤمنون بالله الخالق الرحمن الرحيم، النصارى والمسلمون العرب بوعيهم على الحقيقة، واتحاد هممهم، بعودتهم للنبع الواحد، يمكن أن يندحر أعداء العرب، قال تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) ٨٢ المائدة.

إن الترتيل أن يُقْرَأ القرآن، وأن يكون القرآن، دائماً رطباً كما نزل. إن الترتيل يعمق الفهم والوعي العربي للنص العربي.

# الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربيٍ (قدس الله سره)!
# هل هو عربيٌ فعلاً؟

عَرَّفَ محيي الدين ابن عربي، الصوفي[1]، عن نفسه في كتابه (الفتوحات المكيَّة) فقال: إن اسمه أبو بكر؛ محمد بن علي، من قبيلة حاتم الطائي، شهرته ابن عربي، ألقابه محيي الدين، الشيخ الأكبر، ابن أفلاطون، وأنَّ ولادته كانت في مرسيَّة من أعمال الأندلس، ١٧

---

(١) محي الدين ابن عربي من أشهر الصوفية... وكان يوصف بالحاتمي تمييزاً له، عن القاضي (أبي بكر ابن العربي بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الاشبيلي، المالكي، المشهور) صاحب كتاب (أحكام القرآن) وكتاب (العواصم من القواصم) الذي تولى القضاء بإشبيليا، والذي ولد عام ٤٦٨ هـ، وتوفي بمدينة فاس سنة ٥٤٣هـ وهو مختلفٌ تماماً عن ابن عربي الحاتمي الصوفي. فابن عربي أبو بكر المعافري هذا رحمه الله تعالى، قال عنه ابن خلدون في المقدمة: أنه كان يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، كما هو مذهب أهل الأندلس، لأن الشعر في رأيه ديوان العرب، وكان يدعو إلى تقديمه، وتعليم العربية في التعليم الديني وكان يقول أنّ ذلك ضروري جداً، لئلا تَفْسُدْ اللغةَ ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة، ثم يقول: ويا غفلة أهل بلادنا، في أن يُؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره؛ يقرأ ما لا يفهم، وَنْصَبُّ في أمره (أمراً) غيرهُ (هو) أهمُّ عليه، ثمّ قال:ينظرُ في أصول الدين ثمّ في أصول الشريعة، والفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه. ويعقب ابن خلدون على هذا الكلام قائلاً: وهو لعمري مذهبٌ حسنٌ !! إلَّا أنَّ العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال، ووجه ما اختصَّتْ به العوائد... من تقديم دراسة القرآن إيثاراً للتبرك، والثواب، وخشية مما يعترض الولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم. راجع مقدمة ابن خلدون، ثلاث أجزاء، تحقيق د. وافي، القاهرة. ويعرف د. علي الوردي فيقول: القاضي أبو بكر ابن العربي من فقهاء الأندلس ومؤلفيها المشهورين، وكان له صولات في الدفاع عن بني أمية ولعله كان الوحيد بين الفقهاء المسلمين الذي اندفع في هذا السبيل اندفاعاً شديداً وأعلن رأيه للناس إعلاناً صريحاً لاموارية فيه، ويقول: أن لابن عربي كتاب (العواصم من القواصم) بحث فيه الفتن التي حدثت في صدر الإسلام ودافع فيه عن الذين اشتركوا فيها من بني أمية وغيرهم، ولا شك عندنا أن ابن خلدون قرأ الكتاب وتأثر به كثيراً وقد وجدناه ينحو منحى ابن العربي عند مناقشته لتلك الفتن في مقدمته، ولابن عربي رأي في ثورة الحسين على يزيد معروف، فهو يقول إن الحسين قُتِلَ بشرعِ النبي جدِّه، إذ إنّ النبي ﷺ قال في حديث له كما يرويه القاضي ابن عربي في كتابه (إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق امر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان) إذ إن خروجه قد جر على الإسلام الفتنة والفرقة. د. علي الوردي، في كتابه منطق ابن خلدون ص١٦٩دار كوفان لندن ١٩٩٤م.

رمضان سنة ٥٦٠هـ / ٢٨ تموز ١١٦٥م. من أسرة نبيلة غنية وافرة التقوى، أصولاً وفروعاً، خاله يحيى بن يغان، الذي كان قد ملك تلمسان! ثم تخلى عن ملكه ليلزم خدمة عابد من أهالي إحدى النواحي هناك، كما يذكر خاله الثاني أبو مسلم الخولاني الذي كان زاهداً كذلك؛ ويذكر كذلك عمه (عبد الله بن محمد بن عربي) الذي ارتقى بتصوفه إلى مقام (شم الأنفاس الرحمانية ) زوجته مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمٰن الجبائي، وهي امرأة صالحة من أسرة كريمة، أولاده سعد الدين، عماد الدين، زينب. وفاته: في ٢٨ ربيع الثاني ٦٣٨هـ/ ١٦ نوفمبر ١٢٤٠م، في دمشق.

وكثيراً ما خلط الناس بين الشخصيتين، بينه وبين شخصية ابن العربي أبي بكر القاضي المالكي المعروف، والذي له كتاب (أحكام القرآن) والكثير من الكتب.

وبين شخصية ابن عربي الصوفي، الذي دعي بالحاتمي تمييزاً له عن القاضي أبي بكر الاشبيلي ومنْ من العرب كان قد تحقق فعلاً، أو حاول أن يتحقق فعلاً من هذا الأمر؟[1]

(١) التكية كان قد أنشأها سلطان الروم سليم خان ابن عثمان، عند (قبر محيي الدين) ابن عربي، (في منطقة الصالحية بدمشق) فبطلت وقُفلت أبوابها وختم عليها وعلى حواصلها، حوادث وأخبار ٩٢٦هجرية، وكان (الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون، يُنْكِرُ على كثيرٍ من المتصوفة المنتحلين، لأمور ينكرها ظاهر الشرع، وقام على الشيخ شمس الدين العمري المتصوف مراراً ومنعه من التكلم وأدبه وزجره عن مطالعة كتب محيي الدين ابن عربي، وعن ما كان يقع منه من الشطحات، حوادث٩٢٨هـ ويومئذ توجه السلطان سليمان خان إلى بلاد قزوين وصدوين، وكان سبب عزله عن الفتوى، (عُزِلَ المفتي المولى محمد ابن إلياس الرومي الشهير بجوي زاده، وكان مفتي القسطنطينية!) وذلك بسبب انحراف السلطان عليه بسبب إنكاره، هذا المفتي، على الشيخ محيي الدين ابن عربي! وكان غالب الأروام على اعتقاده (على اعتقاد محيي الدين بن عربي) فخالفهم على ذلك؛ ووافقه على ذلك العلامة الشيخ إبراهيم الحلبي، حوادث ٩٤٨هـ، كذا فإن العثمانيين قد أسهموا إسهاماً كبيراً في الترويج لشخصية ابن عربي وتعظيمها، وإلى منهجه الصوفي، وتعاهدوه وتعهدوها! على الدوام، وتعهدوا مقامه! وذلك أنهم وطوال فترة حكمهم لبلاد الإسلام كانوا لا يولُّون إليهم شخصاً ولا يرضون عنه، إلَّا إذا كان من محيي الدين ابن عربي والمعتقدين به، فدفعوا الناس، العامة والخاصة دفعاً على التعرف إليه والاعتقاد به. كذلك فقد كانت شخصية ابن عربي، وطوال الحكم العثماني جزءاً لا يتجزءا من المراسيم السلطانية أو =

الذي كانت العلماءُ المسلمون قديماً، كثيراً ما ينهون الناس عن مطالعة كتبه، وعن ما كان

---

مراسم الولايات، التي لا يجوز لأي كان تجاوزها، أو تخطيها أو التغافل عنها، أو مجرد نسيانها؛ كان هذا كافياً ليغضب عليه السلطان والوالي، وبالتالي ليفقد وظيفته أو مصالحه، وقد كان كل من دخل دمشق زائراً، أو تاجراً، أو متعلماً، وحتى من كان من العلماء المنكرين عليه، كان عليه أولاً أن يزور قبر (الشيخ الأكبر! العارف بالله! محيي الدين ابن عربي) وكان عليه أن يقول عن نفسه أنه محيوي، وإلا فإن الأمور بالنسبة له (مع السلطنة أو الدولة والمسؤولين فيها) ستكون صعبة جداً؛ ولن يُنظر إليه باحترام؛ كانت (المحيوية) معياراً لولاء الناس للعثمانيين طوال فترة حكمهم. حتى صار إذا مات أحدهم يوصي بأن يدفن في (المقبرة المحيوية) بقرب قبر الشيخ تقرباً وولاءً للسلطان العثماني والدولة العثمانية، حتى يحفظ ذلك في عقبه؛ راجع كتاب حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني لبلاد الشام ت: أحمد ايبش، دار الأوائل دمشق.

وابن عربي كما قال الدكتور العفيفي (هو الذي قرر مذهب وحدة الوجود في صورته النهائية ووضع له مصطلحاً صوفياً كاملاً، استمده من كل مصدرٍ وَسِعَهُ أن يستمد منه؛ كالقرآن، والحديث، وعلم الكلام، والفلسفة المشائية، والفلسفة الأفلاطونية الحديثة الغنوصية المسيحية، والرواقية، وفلسفة فيلون اليهودي! كما انتفع بمصطلحات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة وإخوان الصفا ومتصوفة الإسلام المتقدمين عليه، ولكنه صبغ هذه المصطلحات جميعها بصبغته الخاصة، وأعطى لكلٍ منها معنىً جديداً يتفق مع روح مذهبه العام في وحدة الوجود، ص٧، (يقول العلامة نيكلسون في وصف أسلوب ابن عربي في الفصوص: إنه يأخذ نصاً من القرآن أو حديثاً ويؤوله بالطريقة التي نعرفها في كتابات فيلون اليهودي، وأريجن الإسكندري، ونظريته في هذا الكتاب صعبة الفهم؛ وأصعب من ذلك شرحها وتفسيرها، لأن لغته اصطلاحية خاصة، مجازية معقدة في معظم الأحيان) ص ١٢، (ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجودٌ في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربي؛ فهو الواضع الحقيقي لدعائمه والمؤسس لمدرسته، والمفصل لمعانيه ومراميه، والمصور له بتلك الصورة النهائية التي أخذ بها كل من تكلم في هذا المذهب من المسلمين من بعده) ص ٢٥،كان للحسين بن منصور الحلاج أكبر الأثر في وضع أساس النظرية الفلسفية الصوفية التي عرفت عند ابن عربي وعبد الكريم الجيلي بنظرية الإنسان الكامل، وقُدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ التصوف الإسلامي منذ عهدهما فالحلاج كان أول من تنبه إلى المغزى الفلسفي) الذي تضمنه الأثر اليهودي المشهور القائل بأن الله تعالى خلق آدم على صورته أي على الصورة الإلهية (ينسب الصوفية هذا القول خطأً إلى الرسول محمد ﷺ) وبنى الحلاج على هذا الأثر نظريته في الحلول، مفرقاً بين ناحيتين في الطبيعة الإنسانية هما اللاهوت والناسوت وهما في نظره طبيعتان لا تتحدان أبداً بل تمتزج إحداهما بالأخرى كما تمتزج الخمر بالماء؛ وهكذا اعترف الحلاج لأول مرة في تاريخ الإسلام بتلك الفكرة التي أحدثت فيما بعد انقلاباً بعيد المدى في الفلسفة الصوفية، أعني فكرة تأليه الإنسان واعتباره نوعاً خاصاً من الخلق في لا هوتيته نوع آخر، أخذ ابن عربي هذه الفكرة الحلاجية، ولكنه اعتبر اللاهوت والناسوت مجرد وجهين لاطبيعتين منفصلتين لحقيقة واحدة إذا نظرنا إلى صورتها الخارجية سميناها ناسوتاً، وإن نظرنا إلى باطنها وحقيقتها سميناها لا هوتاً. (راجع فصوص الحكم لابن عربي تحقيق د. أبو العلا عفيفي) دار الكتاب العربي – بيروت

يقع فيها من الشّطحات.

الواقع أنه لا يوجد أحدٌ يشهد على ما أورده ابن عربي في تعريفه عن نفسه؛ ولايوجد شاهد واحد، يؤكد، أو ينفي ما كان قد صرح به ابن عربي معرفاً بنفسه عن نفسه، والملاحظ أن ابن عربي في ادعائه النسب إلى حاتم الطائي، فهو بهذا قد جاء بحركة جديدة مدروسة بعناية فائقة، فلو أنه نسب نفسه مثلاً إلى آل البيت من السادة أو الأشراف، كما كانت عادة المدعين، لاستهجن الناس ادعاءه، وانكشف بسرعة، ولكن الانتساب إلى حاتم الطائي كانت قضية لا يمكن ردها؛ وفي نفس الوقت فهي خطة رفيعة المستوى أيضاً، بحيث تضع الإنسان عند الجميع، في المحل الراقي، وكانت هذه حركة ذكية من حركات (ابن عربي) وخطة محكمة تنطلي بسهولة، في تلك المرحلة، على العقل العربي الإسلامي، في الشرق العربي المُحاصر، والمُكبَّل، والذي كان ولا يزال يفتح لمن يريد، فيه وضمنه، الولوج إليه، يفتح له الأبواب المغلقة!

ثم إنّ ادعاء (محيي الدين ابن عربي) أنه من مرسيّة من أعمال أشبيلية في الأندلس، أبْعَدَ شهوده إلى أقصى الإبعاد؛ فشق على خصومه في ذلك الوقت، دحض مقولته، أو نفيها، لذلك استمر العرض... فهل كان صحيحاً (السيناريو) الواسع النطاق الذي قدَّمه ابن عربي عن رحلته وزياراته وتتلمذه على المشائخ والعلماء البارزين في العديد من المدن، العربية الإسلامية في ذلك العصر كما ادعى؟

علماً أنه لا أحد، من علماء ذلك العصر قد أتى على ذكره مطلقاً في كل المدن التي ادعى أنه أتى منها أو التي ادعى أنه زارها وقرأ على علمائها!

لا شك أنّ ابن عربي كان عبقرياً فائق الذكاء، فأين المحققون العرب؟ ليتحققوا من مدى صحة (الفيلم) الذي قدمه وعرضه ابن عربي بذاته على العرب المسلمين، قبل ما يربو

علـى ثـماني قـرون، ولا يـزال إلى الآن يعـرض علـيهم بأشـكال متعـددة، بعـد أن تلقفتـه المرجعيات الطائفية المختلفة، المدعومة مـن اليهـود والصـليبية العالميـة، والشـعوبيات[1]، ورأت فيه وثيقة وسنداً وشاهد زور، تسترسل من خلاله بادعائها لضرب الـدين العـربي الحنيف من القواعد، ليتسنى لها عند غياب الأصيل طرح المزيف الدخيل. إن القضية عنـد نقد تاريخ ابن عربي ومنهجه، ستكون قضيةَ نقدٍ للمنهج الغريب الذي زرعه، أو اسـتطاع ابن عربي زراعته وتثبيته[2]، أو من كان له بعد ذلك، وعلى مر الزمان، مصـلحة في تسـويد

---

(١) ولابن الجوزي البغدادي المتوفى ٥٤٧ هـ رحمه الله تعالى كتاب (تلبيس إبليس)، وفيه شرح عن تلبيس ابليس على الصوفية، (في تركهم للتداوي وتركهم الجمعة، والجماعة بالوحدة، والعزلة، وفي تلبيسه عليهم بالتخشُّع وطأطأة الرأس وإقامة الناموس، وفي تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح، وتلبيسه عليهم في الأسفار والسياحة، وفي دخولهم الفلاة بغير زاد، وكيفية قيامهم في أسفارهم وسياحتهم من الأفعال المخالفة للشرع، والتلبيس عليهم إذا مات لهم ميت، وفي تلبيس إبليس عليهم في تركهم التشاغل بالعلم، وفي دفنهم لكتب العلم وإلقائها بالماء؛ وفي إنكارهم من التشاغل بالعلم، وفي ادعائهم كلامهم بالعلم، وذكر الشطح والدعاوي. وقد بيّن جملة من المرويات على الصوفية ومن الأفعال المنكرة، وذكر كذلك التلبيس على جملة من المتدينين بما يشبه الكرامات، وكذلك في تلبيس إبليس على العوام. وفي تلبيس إبليس على كثيرٍ من الصوفية في صحبة الأحداث، وعن الفرق الكبير بين الزهاد والصوفية، وادعاء التواكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال، وكيف أن طلاب الآخرة من العوام قد مالوا إليهم لِما يظهرونه من الزهد، وأن طلاب الدنيا مالوا إليهم لِما يرونه عندهم من الراحة واللعب، خصوصاً بعد أن ترخص القوم المتنسبون إلى الصوفية بالسماع والرقص! أهـ.) كتاب تلبيس إبليس، للحافظ ابن الجوزي، منشورات مكتبة دار الحياة بيروت ١٩٨٩.

(٢) يقول ابن خلدون في مقدمته (ثمّ إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس، وتوغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، كما أشرنا إليه، وملؤوا الصحف عنه، مثل الهروي في كتابه المقامات وغيره، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشربَ كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط مذهبهم، وتشابهت عقائدهم. وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب، ومعناه رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحدٌ في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله، ثمَّ يُوَرِثُ مقامه لآخر من أهل العرفان.

وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في فصول التصوف، فقال (جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد، أو يطلع عليه إلَّا =

ذلك المنهج، في مواجهة المنهج العربي الأصيل، الذي كان غير ذي عِوج. ابن عـربي هٰـذا، الذي ظهر في دمشق فجأة... وأخذ يدعو إلى مذهبه الصوفي الجديد(١)، والطارئ(١)؛ فتكلم

---

واحدة بعد الواحد...) وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي؛ وإنما هو نوعٌ من أنواع الخطابة؛ وهو بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم....فانظر كيف سرقت هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم ونحلهم وقفوه على علي رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلا فعليٌّ رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بنحاة، ولا طريقة في لبوس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم. نعم إن الشيعة يخيلون بها ينقلون من ذلك اختصاص علي بالفضائل دون سواه من الصحابة، ذهاباً مع عقائد التشيع المعروفة لهم؛ والذي يظهر أن المتصوفة بالعراق لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة، وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها مما هو معروف، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن، وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق؛ في الانقياد للشرع وأفردوه بذلك، ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين وأفردوه بذلك تشبيهاً بالإمام الظاهر! وأن يكون على وزنه في الباطن، وسموه قطباً لمدار المعرفة عليه؛ وجعلوا الأبدال كالنقباء مبالغة بالتشبيه، فتأمل ذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي، وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق) أ هـ كلام ابن خلدون الجزء الثاني من الفصل الثامن عشر، في المقدمة ت: د. وافي، المعارف، القاهرة.

(١) ثمّ ألم يكن من الغريب فعلاً، أن تأتي الصوفية على يد الشيخ محيي الدين ابن عربي، من الأندلس ومن الأندلس بالذات، حيث في الأندلس نبعت الفلسفة وساد المذهب المالكي، وانتصر وانتشر المذهب الظاهري؛ وسادت النظرة العلمية الواقعية، كيف تكون، أو تتكون صوفية في الأندلس، مثل الصوفية المعروفة لابن عربي، ولم يكن لها جذور؛ ولم يكن لها أرضٌ مناسبة، ولا ظروف مواتية، كيف؟ ولم يُعرف أبداً أن صوفياً واحداً، أو صوفيةً واحدة وجدت في الغرب، أو تواجدت في المغرب أبداً أبدا بل كان في المغرب ابن طفيل، وابن رشد، وابن حزم الظاهري، وبعد ذلك ابن خلدون!.

بينما مصدر الصوفية الأساسي، كان من الشرق، حيث كانت الهند أولاً، منبت الصوفية الأول بلا شك، ومهدها الأساسي، ثم ترعرعت الصوفية في بلاد الفرس، وتشعبت إلى طرق كثيرة، وفرق ومذاهب متعددة وامتدت، كان ذلك قبل الفتح الإسلامي... ثم بعد الفتح الإسلامي اندمجت هذه الفرق وهذه الطرق في الإسلام، كانت فيها قمة الأمثلة على ذلك الاندماج، هو الحلاج، فكيف تُصنع الصوفية بعد ذلك في المخابر الأندلسية على يد ابن عربي، صناعة =

غير مضمونة النتائج! خالية من أي مسؤولية قد تترتب على الصانع بعد التجريب والاستعمال! بحيث أودت بالحياة العربية والمسلمين إلى دركٍ أسفل، أضاعوا فيه وعيهم وفكرهم وعقلهم وتحولوا فيها إلى أشباحٍ طيبة أو ميتة.

(١) كثيرة المذاهب والطوائف والنحل التي ظهرت عبر التاريخ الإسلامي، ومنذ نهاية العصر الأموي، التي حاولتْ حرفَ الإسلام الصحيح، وشدِّه عن مساره العربي الرباني الأساسي، وكان لكل واحدة من هذه النحل، بالإضافة إلى طموحات الطامحين، ظروف تاريخية خاصة بها، زمانياً ومكانياً، أَدَّتْ إلى تكونها، ولاشك في ذلك، ولكن العامل الأهم الذي سمح بتمدد تلك الطوائف، وانتشارها أحياناً؛ كان يكمن في وهن العرب، وتراجعهم وإبعادهم وابتعادهم عن زمام الدين والدنيا، فلم يعد، بالنسبة لكل تلك الطوائف، لم يعد الفهم العربي للكتاب، هو الميزان الحقيقي، ولم يعد هو المكيال الأساسي، ولم يعد هو المسطرة التي يُقاس عليها؛ بل اعتمدت تلك الطوائف على أفهام أرضية غريبة، أعجمية، غير عربية؛ مما أدى إلى انحرافٍ خطير أخرج معظم أولئك المدَّعين عن الصواب.

وقد وجد معظم أولئك، الذين عملوا على تأسيس الطوائف مبدئياً، وجدوا في ادعائهم التشيُّع والصوفية، وجدوا فيها، مجالاً واسعاً يسمح لهم بحذف ما لا يوافق أهواءهم، مما نصَّ عليه كتاب الله سبحانه وتعالى، وإضافة ما يوافقهم، ويوافق أهواءهم من التراث الأعجمي الغريب، وغير المبين، وكمثال على ذلك السيخية.

مثال على ذلك فإن السيخية وهي: [طائفة هندية ظهرت في بداية القرن السادس عشر الميلادي تنادي بدين جديد قائم على الديانتين الإسلامية والهندوسية، أسسها (جور نانك) جور تعني المعلم، (١٤٦٩-١٥٣٨ ميلادية) ولد في لاهور وقبره في البنجاب، وكتبت عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن الكريم، وهو يدعو للتوحيد والإيمان بإله واحد، ويدعو إلى المساواة، ويرفض نظام الكهنوت، أباح الخمر ولحم الخنزير، وحرم لحم البقر(مراعات للهندوسية) وحرم التدخين، ويؤمن بالتناسخ، وينكر المعجزات، ونص على الزواج من واحدة فقط، يطلق على أتباعه (حملة الكافات الخمسة) وهي أولاً: (كيس) وهو إطلاقهم لشعرهم، لأنه يتركونه دون قص وذلك من المهد إلى اللحد، ثانياً: لحملهم (كاخ) وهو خنجر، ثالثاً: كارا، وهو سوار حديد لمعصم اليد، رابعاً كريبان وهو سروال قصير تحت السراويل رمزٌ للعفة خامساً كانجا وهو مشط لحصر شعرهم ].

وأما عن الأسباب المباشرة التي دعت أو أدت إلى الدعوة إلى تلك التعليمات؛ أو إلى نشوء تلك الطائفة فهي: أن زعيم تلك الطائفة كان مسلماً وقد جاء من بلدته في الهند حاجاً إلى مكة المكرمة سيراً على الأقدام، وفي مكة المكرمة، وقرب البيت الحرام أصابه النعاس، فنام في المسجد وكانت أقدامه أثناء النوم متجهة إلى القبلة وقد شاهده القيم على المسجد آنذاك فجزره وضربه وهو نائم! ففوجئ بالضرب وعندما سأل القيم عن سبب ضربه؛ قال له: لا يجوز أن يوجه الإنسان رجليه أثناء نومه إلى القبلة؛ لكنه لم يقتنع بكلام القيِّم! وما لبث أن عاد فنام موجهاً رجليه إلى الكعبة! فعاد القيم إلى ضربه مرة أخرى مما أدى إلى نقمته على المسلمين، وعلى فهمهم للدين! ثم ما لبث وأثناء عودته إلى الهند مع القافلة أن فكر في دين إسلامي جديد، ولم تكد القافلة تصل إلى الهند حتى اكتملت الفكرة؛ وقد آمن له من كان معه في القافلة من حجيج المسلمين الهنود! وهكذا انتشرت مبادئ السيخية. نقلاً عن الباحث الأستاذ علي الحلفي من =

فيه عـن المهـدي المنتظـر وفي معرفـة نـزول وزرائـه! فقـال في كتابـه، الفتوحـات المكيـة، ج٣ص٣٦٤: «اعلم أن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤهـا قسـطاً وعدلاً لو لم يبق من الدنيا يوم واحد، طوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفـة مـن عـترة الرسول، يوطئ اسمه اسم رسول الله، يبايع الناس بين الركن والمقام، وهـو أجـلى الجبهـة أقنى الأنف، أسعد النـاس بـه أهـل الكوفـة يقسـم بالسـوية، ويعـدل بالرعيـة، ويفصـل بالقضية، يمسي جاهلاً بخيلاً جباناً فيصـبح أعلـم النـاس وأكـرمهم وأشـجعهم، يمشيـ النصر بين يديه، يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يصلحه الله في ليلـة بفـتح المدينـة الروميـة، بالتكبير في سبعين من ولد إسحاق!!! يشهد الملحمة العظمى، مأدبة الله بمرج عكـا، يبيـد الظلم وأهله، ويرفع الذاهب من الأرض!!!! (دون تعليق!)

يفرح به العامة أكثر من الخاصة، ويبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف (فأين هم شهود يهوا؟!) له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء، ينزل عليه عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[1] متكئاً على ملكين، يقطر رأسه ماء مثل الجمان، يتحدر كأنما خرج من دماس[2]؛ ويقبض الله المهدي إليه طاهراً

---

الكويت.

(١) مهرودتين: والمقصود ثوبان مشقوقان، أو معصفران! (لسان العرب، مادة هرد) وهذا أكبر دليلٍ على أن جميع الأحاديث التي تتحدث عن المهدي المنتظر، والذي سيأتي لإنقاذ المسلمين والأحاديث المستمدة من هذا الحديث، أنها أحاديث متناقضة تماماً مع الفهم العربي المبين، القرآن الكريم، وتؤدي إلى إنسان سلبي ومتشائم، وهي متناقضة تماماً مع الروح الجهادية، التي يؤكد عليها القرآن الكريم من أجل الخير، وفي سبيل الله تعالى، لإعلاء كلمته، سبحانه وتعالى، ويتبع ذلك أيضاً الحديث عن نزول عيسى ﷺ، والمأخوذة مباشرة من رؤيا يوحنا اللاهوتي، أي من تراث أهل الكتاب!

(٢) هل هي دمشق باللاتيني؟! بل اللاتيني مستمد أو مأخوذ من العربي.

مطهراً، وفي زمانه يقتل (السُفياني)!! عند شجرة بغوطة دمشق!![1] ويخسف بجيشه في البيداء بين مكة والمدينة) [2] كذلك فقد تكلم في العرش والهواء والفلك والبرزخ[3]، وفي معرفة الأمة البهيمية! أيضاً (وفي التوراة اليهودية يُقال عن العامة، وكل من كان من غير اليهود: اليوهيم!).

فأنكره علماء دمشق وعامتها؛ في حياته كلها، وهاجموه؛ وأبعدوه؛ وأطرُّوهُ في كثيرٍ من الأحيان، إلى حماية الوالي، لقاء ما كان يدفعه له من المال، المال الذي كان يستخلصه من الذين كانوا قد اعتقدوا به من الجهلة، أو مما جلبه معه من رحلته الشهيرة التي قام بها إلى بلاد الروم[4] والتي استغرقت أكثر من أربع سنوات اختفى فيها عن الشام وكان أثناءها

---

(١) دون تعليق أيضاً! ولكن واضحٌ أنَّ المقصود بهذا التعبير هو الأمويون طبعاً.

(٢) وواضحٌ أن هذا الحديث موضوعٌ، وملفَّقٌ، ذلك أنّ له أصولاً واضحةً، وجذوراً في المعتقدات والأساطير القديمة، الباطلة التي نفاها الإسلام الصحيح، نفياً قاطعاً.

(٣) فكان يتحدث عن منازل الميت؛ وكيف أن الحي لا سبيل له لرؤية ذلك! (ولم يخطر ببال أحدٍ منذ ذلك الوقت إلى الآن أن يسأل ابن عربي كيف تمكن هو من رؤيتها!) وكان ابن عربي ينكب على تفسير الأحاديث القدسية (الضعيفة) أو الهاميَّة المنسوبة إلى الله عز وجل، كذلك فقد تحدث ابن عربي عن الحكمة الإلهية، والفلسفة الشرعية، وقد ذكر الأسباب والنتائج والأسرار الباطنية!! والألغاز العليَّة!! في الكون والخليقة والشريعة والوحي والإلهام والولاية والقطبانية!! التي تصف ذلك؛ وكان يدعي أنه إنما يوحى إليه وأن الرسول محمد ﷺ كان يأتيه في منامه؛ فيملي عليه في كل ما كتب.

راجع كتاب فلاسفة الإسلام لمحمد لطفي جمعة، وكتاب فصوص الحكمة لابن عربي ت: العفيفي، دار الكتاب العربي بيروت، وكتاب الفتوحات المكيَّة، لابن عربي ت: الهيئة المصرية، وكتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان،وكتاب تاريخ العراق المعاصر ج١ وكتاب منطق ابن خلدون لعلي الوردي، (مراجع سابقة).

كان هذا الادعاء هو نفس الشيء الذي حصل للقديس بولس عندما كتب إنجيله؛ فقال إن عيسى عليه السلام قد جاءه في أثناء نومه فأملى عليه ليكتب الإنجيل، وكان القديس بولس والذي أصبح فيما بعد (الرسول بولس) يهودياً كان قبل ذلك يقود الحملات ضد الموحدين من العرب نصارى بلاد الشام.

(٤) (ولما كان في بلاد الروم سمع حاكمها بصيته فانتقل إليه فلما وقع بصر الحاكم على محي الدين قال لمن معه: (هذا رجلٌ تذعر لرؤيته الأسود!!) فسئل محي الدين في معنى قول الحاكم عنه فقال: (أنه لما كان بمكة خدم شيخاً صالحاً بإخلاصٍ =

ضيفاً على ملك الروم[1]، في قونيه كما قيل؛ أو كما قال هو عن نفسه، ثم لما عاد، رجع محملاً بالأموال والهدايا؛ إِلَّا أنه عاد لتجديد نشاطه لبث فكرته أو مذهبه الجديد؛ أو (الدين الجديد)

فلم يُفسح له المجال أبداً في المدينة، ولا في ريفها! ثم حملوه إلى الابتعاد عنها، واللجوء إلى حضن جبل قاسيون؛ وكانوا قد أنكروا مقالته الغريبة في (وحدة الوجود) ذات المنشأ غير العربي ولا المبين، وردُّوا عليه طلاسمه، وأسجاعه، وشطحاته، وتأويلاته لآيات القرآن الكريم، التي لم تكن إِلَّا عبارة عن شِراك، ومتاهات ساهمت، وعبر القرون، في عملية إبعاد للفكر العربي عن الفهم الصحيح، والمباشر لكتاب الله تعالى رب العالمين، القرآن العربي المبين، الذي لم يكن يحتاج إلى من يبينه؛ أو يشرحه[2]

وقد وَهُمَ العامة في ادعاءات ابن عربي، وغيره،! وفي أساليبه التي نعتقد أن ابن عربي كان ولا شك عبقرياً فذاً في الابتكار؛ والممارسات، ولكن عبقريته هذه كانت فعلاً مستمدة من شياطين الإنس والجن، ولا شك في ذلك؛ بحيث باتت كتبه التي عُدتْ

---

فدعا له بقوله: (الله يذل لك أعز خلقه) فكان من آثار هذه الدعوى ما شاهده ملك الروم!!! ولما وقعت محبته في قلب الملك المذكور أمر له بدار تساوي قيمتها مائة ألف درهم، ويروى أن سائلاً لقيه يوماً فطلب منه احساناً فقال محي الدين (مالي غير هذه الدار فخذها لك!!!) وخرج منها) عن تاريخ فلاسفة الإسلام، وطبعاً الكلام كثير، وأين هو الشاهد على ما يرويه ابن عربي عن نفسه؛ لقد بعد الطالب والمطلوب!

(١) قال ابن مسدي في ترجمته (أن محي الدين كان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات وأنه حج ولم يعد إلى بلده؛ وأنه تلقى العلم على ابن بشكول!! من ابن بشكول هذا؟ وعن علماء عديدين في العواصم التي زارها في رحلته، وهذا هو ما ادعاه ابن عربي عن نفسه!عن كتاب تاريخ الفلاسفة مرجع سابق.

(٢) ففي كتاب (الجامع الصحيح) لمحمد ابن إسماعيل البخاري: «حدثنا قتيبة بن سعد: حدثنا سفيان (بن عينية) عن عبد العزيز ابن رافيع قال: دخلت أنا وشدادُ بن معقل على ابن عباس فقال له شداد ابن معقل: أَتَرَكَ النبي ﷺ من شيء؟ (زاد الإسماعيلي سوى الآن) قال ما ترك إِلَّا ما بين الدفتين. قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه، فقال: ما ترك إِلَّا ما بين الدفتين» عن كتاب الإسلام الصحيح لإسعاف النشاشيبي، دار العودة بيروت ١٩٨٥م.

بالمئات! باتت مخاضات دون قاع للفكر والعقل والقلب والروح، وكانت هي من أسس المعتقدات لكثيرٍ من الطوائف، التي ما تزال تحفل بآثار ابن عربي؛ وتنظر إليه على أنه قديس، ومرجعٌ عظيمٌ من مراجعها، التي لا غنى عنها!

كذلك فقد تلقفته المؤسسات الإشتشراقية في أوربا وأمريكا، ومعاهدها الكثيرة وقد حفلت به، (الانترناشيونال) فأشاعت مذهبه في العصر الحديث، بين الأجيال، بطرق مختلفة، في أنحاء العالم، لاسيما في الوسط العربي والإسلامي[1] وهي تعمل على نشر كتبه، والترويج لها في المحافل، وتشجِّع الباحثين على تحقيقها، وتبالغ في أهميتها.

والحصيف يستطيع من خلال استعراض عناوين كتبه البالغة أكثر من مئتي كتاب، يستطيع أن يلاحظ أنَّ أكثرها كان في التصوف، وفي الجفر، وأسرار الحروف؛ ويستطيع أن يلاحظ أيضاً، كيف أن أساليبه كلها، كانت في صرف الناس عن الواقع والحياة، ولإدخالهم جماعات، جماعات في حظيرة اليهود، والصليبية المهودة، أو الأمور التي أعدها

(١) تنتشر الصوفية بكافة أطيافها وفرقها ونحلها وطرقها وذلك في كافة أنحاء العالم الإسلامي، في القفقاس وبين المسلمين من شعوب ما بات يُسمى بالاتحاد السوفيتي السابق، ويوغسلافيا السابقة، وألبانيا ومقدونيا وتركيا، والبلاد العربية، والهند والسند والشرق الأقصى وماليزيا واندونيسيا، وحتى أمريكا وكندا، ناهيك عن الأرض العربية، ولعلها كانت السبب الأساسي في ضعف المسلمين وتخاذلهم، وتخلفهم، وافتقارهم الشديد، على الرغم من تعدادهم الكثير وعلى الرغم من امتلاكهم لمقومات النهضة والقوة، ومع ذلك فهم في حالة ضعفٍ شديد، وانتصار لأعدائهم عليهم، منذ زمن طويل، وهم لا قدرة لهم على دفع الخطر عن أنفسهم، فقدوا المناعة، فقدوا المناعة الطبيعية والمكتسبة! فالصوفية عموماً تركز على إعداد المريد لتبعية الشيخ القطب، فهي تعطف التطلعات عند الإنسان إلى الداخل، لينسى الإنسان الهموم التي في العالم ولا يبقى لديه إلَّا همٌ وحيد وهو كيفية الوصول إلى أرقى مستوى في خدمة الشيخ، وهذا هو همها الأساسي، والصوفية لا تحفل بما يجري في العالم من حروبٍ أو من مؤامرات على المسلمين العرب، لذلك فإن اليهود وأمريكا وأوربة الصليبية المهودة، وكل المستغلين ليس لهم اعتراضٌ على انتشار الفرق الصوفية وطرقها العديدة، في العالم وحتى ضمن الدول الأوربية وأمريكا ذاتها، بل على العكس فإن أمريكا تقدم تسهيلات لهم وهي لا تمانع أبداً.

اليهود والصليبيون، منذ ذلك الحين؛ لتودي بالعرب إلى أسفل سافلين.

بحيث استعمل (ابن عربي) أساليب الغرابة والإدهاش، واتَّبَعَ غير المألوفِ في كل ما قاله، وما سلكه، وهذا الأسلوب، أسلوب الكهانة، معروفٌ منذ أقدم العصور، وقد برع فيه اليهود للسيطرة على العقول، عقول العامة من الجهلة المغفلين، فاستخدموا المعميات؛ ودوَّروا الأحاجي والألغاز والعلل المثيولوجية والمسائل والأسئلة القديمة، والأوهام والخيالات التي لا طائل من بحثها، ولا من طرحها، مثل وصف وقص القصص عما يحصل بعد الموت، مما يصعب على العامة دحضه، أو نفيه، أو تكذيبه، أو الرد عليه؛ والتي كان قد نهى الشرع والعلم عنها مما لم ينزل به قرآن.

ولكنه كان في أساسه من عناصرٍ كانت في العبادات الوثنية الجاهلية القديمة، التي كانت قد عمَّت بلاد الهند والفرس واليونان، أو من توراة اليهود، وكتبهم، التي كتبوها بأيديهم، مثل التكلم والإيحاء بموضوعي التقمص والحلول وغيره، من الذين حولوا الأوهام إلى حقائق ثابتةً بحيث رأؤا فيه وثيقة ملفقةً، وشاهد زورٍ، وسنداً يسندهم وحدهم؛ يسترسلون من خلاله بادعاءاتهم لضرب الدين العربي الحنيف من القواعد، ليتسنى لهم عند غياب الأصيل طرح المزيف الدخيل.

ويكفي أن نعرف، أن العصر الذي وجد فيه ابن عربي، كان عصر اضطراب وفوضى وتسلط، وهجمات كانت عارمة تحدق بالعرب المسلمين من جميع الجهات، من فوقهم ومن تحتهم، ولكن ابن عربي (العبقري - الملهم!) في حياته، وفي كتبه، لم يتطرق مطلقاً إلى ضرورة العمل على الجهاد، أو مقاومة الأعداء أو المتسلطين.

ففي سنة ٥٨٩هـ توفي صلاح الدين الأيوبي، البطل العربي، رحمه الله تعالى، وعندما علم بذلك البابا (أرنست الثالث) الذي دعا إلى حرب صليبية لمحو آثار حروب صلاح الدين

ولإعادة اغتصاب بيت المقدس من العرب المسلمين، في هذا العام احتشد الصليبيون في البندقية ليهجموا على البلاد العربية، وتوجهوا أولاً إلى القسطنطينية واستولوا عليها عام ٦٠٠هـ وفي عام ٦١٦ كانت الحملة الصليبية السادسة!

وكان جنكيز خان في نفس الوقت قد هاجم الدولة الخوارزمية وقد أصبح المسلمون في ذلك الوقت بين فكي الكماشة أو بين حجري الرحى وقد عاش ابن عربي بين عامي (٥٦٠-٦٣٨ هـ) فأين هو ابن عربي من تلك الأحداث؟ أين هو من تلك الملاحم؟ إنه لم يحض الناس على مجرد التفكر فيها! ولا تطرق إليها مطلقاً، ولا ذكرها أبداً ولم يحض الناس، ولم ينبه على ترك التخلف الديني والاجتماعي والحياتي المذري الذي كان سائداً في تلك المرحلة ويملأ الأجواء، وليس له بهذا الخصوص ولا كلمة واحدة، وإنما عمل على صرف الناس بعيداً بعيداً[1] وهو العبقري الملهم الذكي ذو الأفكار؟!.

على كل حال فقد عاش ابن عربي بقية حياته في دمشق[2] يدعو إلى مذهبه الصوفي

---

(١) بينما ابن عساكر، (٤٩٩ – ٥٧١ هـ) رحمه الله تعالى، كان قد ألف كتاب (الأربعون حديثاً في الجهاد)، وللإمام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨) المعروف، ولتلميذه ابن القيّم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١) رحمهم الله تعالى، من العلماء في تلك المرحلة؛ ولهم الآثار والمواقف الرائعة في الجهاد ضد الصليبيين والمغول. فكيف كان دور ابن عربي!

(٢) من أجل إضاءة هذا الموضوع، فإننا سنذكر ما جاء في كتاب تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي للدكتور حسين محاسنه حيث يقول ص٣٧٠: (صحيحٌ أن الفاطميين تمكنوا من إخضاع أجزاء كبيرة من بلاد الشام لدولتهم التي نقلت مقرها إلى مصر سنة ٣٦٢هـ فسيطروا على أجزاء واسعة بما في ذلك بيت المقدس والرملة وطبرية، ثمّ دمشق وطرابلس وصور وصيدا وجميع الساحل الشامي، إلَّا أن وجودهم كان يفتقر إلى الاستقرار بسبب معارضة أهل الشام للفاطميين ومذهبهم المخالف...؛) ولم يتوانَ الدماشقة منذ دخول الفاطميين، إلى المدينة سنة ٣٥٩هـ عن طلب المساعدة من أية جهة، والتعاون مع أية جماعة، تساعدهم في القضاء على الوجود الفاطمي....وعلى الرغم من أن الفاطميين حكموا دمشق أكثر من مئة عام ٣٥٩-٤٦٨، إلَّا أن هناك بعض الحقائق التي لا يمكن إغفالها في دمشق إبان الحكم الفاطمي منها أولاً: عدم قدرة الفاطميين على تحويل أهل دمشق إلى المذهب الشيعي! فقد احتفظوا بمذهبهم السنّي وظلوا ينظرون إلى الفاطميين كغرباء،.... عاشراً: انحسار الدراسات الفقهية نتيجة معارضة =

الخاص (الجديد في الدين، أو الدين الجديد، إذا جاز التعبير كما ألمح إلى ذلك د. العفيفي) دون تحقيق ما يصبوا إليه، سوى قلة من الذين اعتقدوا به، اتبعوه لأسبابٍ مختلفة، ولم يستطيعوا أيامها الظهور إلى العلن، ثمّ إنَّ ابن عربي لما مات، دُفن في قاسيون في قبرٍ عادي، وأقل من عادي مثل كل القبور؛ إلى أن جاء العثمانيون أي بعد وفاة ابن عربي

---

الفاطميين لهذه الدراسات! وتشجيع الفاطميين للمذهب الإسماعيلي الفاطمي!

وبهذا بقيت دمشق تحتفظ بدورها التاريخي والحضاري مع تراجع مكانتها عن ذي قبل، واحتفاظ أهلها بمذهبهم السنّي بفضل التعاون الدائم بين أهل المدينة وأحداثها لمواجهة الفاطميين وإخراجهم من البلاد. وفي كتاب (الحرب على العرب) للمؤلف جاء فيه ما يلي: ولكن هل انتهت كل الأشياء التي أُبدعت في عصر الفاطميين والقرامطة؟ والتي نشرها دعاتهم؛ في أنحاء دول العرب والمسلمين؟ وكذلك فإن الفاطميين الذين حكموا البلاد العربية، شمالي أفريقية، ووادي النيل، والجزيرة العربية، وبلاد الشام، وامتد نفوذهم ونفوذ دعاتهم إلى إيران والهند، وقد دامت سلطتهم، ودام تحكمهم في البلاد والعباد، أكثر من ٢١٠ سنوات، منذ بنائهم للجامع الأزهر، إلى سقوط دولتهم سياسياً وعسكرياً، على يد القائد العربي صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. ولكن هل انتهت كل الأشياء التي أُبدعت في عصرهم؟ ونشرها دعاتهم؛ في أنحاء العرب، والمسلمين؟ هل انتهت آثارهم السلبية، عند القضاء عليهم سياسياً وعسكرياً؟ لا شك في أن التمزق، والتشرذم الحالي، الواقع المكرَّس، على الجماعات العربية والإسلامية، لاشك في أنّ فضله! يعود أولاً إلى العصر الفاطمي، وكذلك فإنَّ الكثير الكثير من العادات والتقاليد والأفكار الغريبة والمعتقدات الشاذة، كانت قد فرضت في العصر الفاطمي؛ فأين الباحثون العرب، أصحاب المشاريع الثورجية، أين هم من دراسة الآثار السلبية، للعصر الفاطمي؟ والقرمطي، السلبية على العرب، والإسلام العربي، حينما كان العرب والمسلمون بين فكي الكماشة الفاطمية القرمطية، هل قام أحدٌ بدراسة آثارهم على العقيدة والفكر الإسلامي الحنيف، خلال ٢١٠ سنوات من حكمهم؟ والذين كان دعاتهم يقومون، وعلى قدمٍ وساق، بشن الهجوم على العرب، ويعملون على تقويض العقيدة العربية الحنيفية السمحة، وبعث ونشر الأفكار الغريبة البديلة؛ وكذلك كان حال القرامطة والدولة البويهية والدولة الصفويّة والدولة العثمانية الصوفية، فهل ستأتي الأبحاث العربية، على دراسة هذه الدول، التي قامت في التاريخ العربي الإسلامي، ودراستها بشكلٍ موضوعي ومفيد! فمنذ ذلك الحين، صارت حياة العرب، جعجعة بلا طحن، عبارة عن صوت وصورة؛ دون أي نتيجة؛ وذلك على الصعيد الديني والدنيوي؛ لقد أصبح العرب مثل فقراء اليهود، لا دين ولا دنيا! راجع تاريخ مدينة دمشق د. محمد حسين محاسنة، دار الأوائل دمشق ٢٠٠١م ص٣٢٠، وكتاب العرب من اليمين إلى اليسار الحرب على العرب، خالد محمد حمد، دمشق دار يعرب ٢٠٠٦م، ص٦٣ وما بعدها.

بأكثر من ٣٥٠ سنة ميلادية، فدخل السلطان سليم دمشق عام ١٥١٦م، وذهب مباشرة إلى زيارة قبر محيي الدين ابن عربي في جبل قاسيون، وأمر ببناء مسجد على قبره وأوقف له الأوقاف وأجرى له مجريات، بحيث بقيت منذ ذلك الوقت إلى الآن لا تزال تُطبخ عنده الهريسة باللحم؛ في حلل كبيرة لتطعم الفقراء (لعله هذا هو الشيء الجيد الوحيد في موضوع ابن عربي!).

لا غرو في ذلك، فالدولة العثمانية دولة صوفية، والسلطان سليم، كان مع السلطان إسماعيل الصفوي (الذي صار فيما بعد أيضاً ملك الدولة الصفوية الشيعية في إيران!) كانا معاً تلميذين يدرسان عند الإمام الصوفي الكاشاني؛ المعروف، وقد درسا عليه كتباً لابن عربي، وقد تخرجا، ليكون الأول ملكاً للفرس والعجم في الشرق باثّاً للمذهب الشيعي بالقوة! والثاني ملك الإسلام السني في الغرب باثّاً لمذهب الصوفية بالقوة أيضاً! الكاشاني الذي كان قد شرح شروحاتٍ على كتاب ابن عربي (فصوص الحكم) وغيره.

ويقال إنَّ ابن عربي، كان قبل دخول السلطان سليم إلى بلاد الشام بقرون؛ قد تنبأ بدخوله إليها؛ حين قال في إحدى شطحاته، أو طلاسمه قبل(٣٥٠) سنة من تاريخ دخول العثمانيين إلى بلاد الشام قال: بأن (السين ستدخل في الشين)![1] فعُدَّت هذه مكرمة من مكرمات ابن عربي، ونبوءة هامة من نبوءاته، اقتضت من العثمانيين أن يُكرموهُ عليها فيُفرض على الناس، في ذلك الحين، وفي كل حين، فرضاً وبطرقٍ كثيرة حتى تعودوه على مر الزمان، وأدمنوه بعد قرون! فصار ولياً من الأولياء، تفك عنده

(١) (أما قبر الشيخ العظيم؛ فقد اكتشفه في الشام السلطان سليم الأول العثماني، ويذكرون أن الشيخ كان قد ذكر عبارة رمزية للدلالة على قبره، وتاريخ اكتشافه ونصها «عندما يدخل السين في الشين يَكْشِفُ عن قبر محيي الدين» والمقصود بذلك عند العثمانيين،هو دخول السلطان سليم بلاد الشام وأنه هو الذي كشف عن هذا القبر؛ راجع كتاب تاريخ الفلاسفة في المشرق والمغرب، تأليف محمد لطفي جمعة ص ٢٩٩ المكتبة لعلمية بيروت،بدون تاريخ.

عقدة المربوط، وترفعُ وتقدمُ إليه النذر، ويتم عنده التوجُّه رجاء إزالة حسد الحاسدين وبغض المُبغضين! قدس الله سره، فلا يجرؤ أحدٌ على نقد مقولاته، أو رد واحدة من تخرُّصاته، وإلَّا أصبح هذا الناقد كافراً، يوصم بالإلحاد والكفر[1]، والعياذ بالله.

(١) ونحن الآن في مطلع عام ٤/ ١/ ٢٠٠٦، ولا يَزالُ الناس يذهبون لزيارة ضريح ابن عربي، في حي الصالحية بدمشق، عند سفح جبل قاسيون، يتبركون به، وينذرون إليه النذور والأضاحي، ويوفون عنده بها نذورا؛ لا تزال تستشفي به المرضى، وتُرزق به المرتَزقون؛ وتفك عنده عقدة المربوط؛ وتُزالُ فاعلية الحاسد على المحسود؛ وتُبدد هناك مفعولات السحرة، والجان المردة، وتربط عند شبابيكه عقد الأماني؛ رجاء أن تتحقق ببركته، وتضاء عند قبره الشموع نهاراً، وتفوحُ هناك في كل حين روائح البخور الهندي! ولا تزال إلى الآن تُعقد عنده حلقات الذكر، والمَيْلَويِّة، وحضرة الصوفية والدراويش! وتكتب الحجابات، ونحن الآن في مطلع الألفية الثالثة، والكمبيوتر و(الانترنيت) في كل موقع، (والستلايت) في كل مكان (والمبايل) مع كل من هب ودب! وطبعاً يوجد في بلاد العرب أضرحة كثيرة مثل ضريح ابن عربي، الكثير الكثير، ولكن القضية أبعد من القبور والأضرحة....المزارات، إنها فيما تكوُّنه في العقول العربية من معتقدات سلبية ومدمرة! ولكن السؤال هو كيف سيستطيع شعبٌ، هذا هو وضعه، وهذا هو تفكيره، كيف نتوقع منه أن يقاوم الغزو والاحتلال، أو أن يدافع عن دينه ووطنه، وأن يذود عن حياضه؟ وقبل ذلك التخلف والانحلال؛ إذ ما فائدة، أو ما معنى المقاومة، إذا لم يتوفر الوعي والفهم!؟ وهل يحق للجاهل والمتخلف أن يطالب بالحرية؟ وكيف يمكن أن نتوقع منه التحضر الصحيح الناتج عن إيمان صحيح؟ أو السير في طريق الحرية الحقيقية؟ أو أن يصل إلى التفكير الصحيح، وإلى الوعي الوطني والإحساس بالسيادة والكرامة؟ الدين الصحيح، الحقيقي الأصيل، لعل العرب المسلمين، مايلزمهم الآن هو ثورة ثقافية فكرية إسلامية وطنية كبرى، ثورة تُطيح بكل ذلك الموروث غير الأساسي، الدخيل، ثورة تلقي عن كاهل الإنسان العربي المسلم كل ما كان قد علق به، عبر التاريخ، من شوائب، وزيادات جُلبتْ عليه من خارجه، من أسس مجوسية فارسية ويونانية غربية، ضرَّتهُ ولم تنفعه أبداً، وهي لا تزال تُعيقُ حركته، وتشده إلى الوراء السالب، إلى تحت؛ فكان لا بد للإنسان العربي المسلم أولاً، من الثورة عليها، وعلى امتداداتها، في جميع أشكالها، وأبعادها غير العربية أصلاً! والعودة إلى نقاء الإسلام وزهوته ونضارته العربية الحنيفية الأولى.

## هل آن الأوان للخروج من حظيرة ابن عربي وأمثاله، الماكثين ضمن الأضرحة وضمن العقول العربية والإسلامية

فهل آن الأوان ليعمل العرب المسلمون مطلع الألفية الثالثة؛ للخروج من حظيرة ابن عربي وأمثاله، الماكثين ضمن الأضرحة، وضمن العقول العربية والإسلامية، التي لا تزال ساذجة وبسيطة إلى حد الاعتقاد بالأشخاص والأضرحة؛ ومن حالة الاستلاب والسلبية المقيتة، التي انغمست فيها، ومنذ قرون، داخلةً في إعدادات ومكونات العقل (الهارد) لكلٍ من العامة والخاصة من الناس العرب المسلمين؟ هل آن الأوان للعرب المسلمين، أن يرجعوا إلى الإسلام الصحيح، الإسلام الذي كان قبل مذاهب السُنَّةِ، وقبل مذاهب الشيعة، وقبل طرق الصوفية(١)، وقبل أنواع وأصناف السلفية، الإسلام العربي الحنيف، إسلام بعيد عن الهرطقات والطرق والطقوس التي أحدثها ابن عربي، هل آن الأوان؟

هذه الدعوات جميعُها التي تعتبر، دليلاً على حالة تفتت الذات العربية الموحدة وتمزقها، فسوِّقت على أنها حالة إيجابية نادرة! ولكن الحقيقة هي أنها جميعها، كانت من اختراع حالة الانغلاب والهزيمة؛ والتراجع الخطير، الحالة التي تسلط فيها الأعداء على الحق والعدل والصحيح، فأبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

---

(١) ويذكر في هذا المقام، أنّ أساس لفظة الصوفية عربي بحت، وذلك أن صوفية اسمٌ لقبيلة عربية من العرب البائدة كانت توصف أفرادها بالحكمة، ونسبت إليها مسالك الحكماء، مثل ما نسب الحب العذري إلى قبيلة العذريين. ومن جهة ثانية فإن لفظة فيلسوف، في اللغة اليونانية القديمة تعني محب الحكمة، وتلفظ: فيل سوفي، وإذا رددنا السين إلى أصلها العربي وهو صاد، فيكون معنى صوفي هو الحكيم، وهو لفظٌ عربي أصيل ذهب إلى اليونان فتحولت الصاد إلى سين، ويجوز أن يكون اليونانيون قبيلة عربية، أو أفراداً عرباً، كانوا قد سكنوا تلك البلاد منذ آلاف السنين، وكانوا قد حملوا معهم مفرداتهم العربية التي تحولت على مر الزمن في ظروفٍ حياتية ومناخية مختلفة.

حيث جعلوا من الإسلام العربي الذي كان من المفروض أن يُعبئ الإنسان المؤمن العربي، وكل إنسان مؤمن ومسلم في العالم، أن يُعبئهُ بالإباء والكرامة والعنفوان والمجد والسؤدد والسيادة والحرية والعدل، وأن العزةَ لله الواحد القهار، وأن الإنسان كل إنسان هو كيانٌ مقدسٌ لأنه من روح الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٩].

وهذا يعني أن مبدأ الإنسان، كل إنسان كان من روح الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن الإنسان، كل إنسان، هو كيانٌ مكرمٌ لا ينبغي أن يذل نفسه أبداً، ولا فرق في ذلك بين عربي أو أعجمي، ولا بين أسود ولا أبيض، إلَّا بالتقوى، كما قال ﷺ، وهذه هي مقولة الإسلام العربي، الإسلام الصحيح، معلم الحريَّة للشعوب.

ولكن هذا الإسلام مرفوضٌ بشدة من قبل أوربة وأمريكا واليهود! كما صرح بذلك زعماء أوربا وأمريكا واليهود، وقالوا أنهم لا يريدون الإسلام العربي الإسلام الحنيف أبداً، بل يريدون إسلاماً أوربياً، أو إسلاماً أمريكياً، أو إسلاماً مهوداً؛ ينسجم مع الانحراف الحضاري؛ ويتلاءم مع أمراض العصر الشائعة؛ التي تتوهم أن إرادة الله العلي القدير يمكن أن تخضع لإرادة اليهود والصليبية المهودة، المهيمنين الآن على وسائل الإعلام في العالم، وكذلك على مركز القرار في الدول الكبرى والصغرى، وعلى الدفة التي توجه وتسوِّقُ الهيمنة، وتوجِّهُ وتقود الصراع ضد الإسلام الحنيف العربي دين الله الحق، والعرب وحضاراتهم العظيمة.

أما الحقيقة العربية المبينة فتقول أنه يجب على المؤمن العربي الحق نبذ الاستكانة، والنسك والزهد والذل لغير الله سبحانه وتعالى، الحالات التي كانت أصلاً غريبةً عن الإسلام، تلك الحالات التي تُورِثُ الاستكانة والذل، إنه أسلوبٌ في الحياة غير عربي،

أسلوبٌ كان وارداً عن الأمم الأخرى، أسلوبٌ ينطوي على خداعٍ خطير للعرب المسلمين، وعلى تسبيط عزائمهم، وتمويت مُهَجِهم، لإجهاض روح النضال والجهاد والمقاومة عندهم، ويؤدي بهم بالتالي إلى الانفناء والتلاشي والانقراض، تلك الدعوة التي تنص على نفي الذات!.

فالصبر العربي، صبرٌ على الأيام، صبرٌ على ما أمر به الله عز وجل، على ما هو من الله سبحانه وتعالى، على ما هو من أمر الله، الذي لا إله غيره، التكليف والابتلاء على ما هو فتنة من الله للإنسان، صبرٌ عن تحقيق شهوة، أو تلبية دافعٍ من الدوافع الغريزية، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بالجهاد والتناحر مع أعداء الله سبحانه وتعالى وأعدائنا، وأن لا نستكين، وأن نُعَّدَ الإعدادات ؛ ما استطعنا من كل أنواع القوة والوسائط السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وأن يكون العرب والمسلمون المؤمنون دائماً جاهزين للذود والدفاع عن حياض الوطن، وثقتهم بالله العلي العظيم كانت هي مصدر ثقتهم بقدرتهم على هزيمة أعداء الله وأعدائهم، ولا خير على الإطلاق بإنسان لا يوجد لديه حسٌ بضرورة الجهاد ضد الأعداء، لأن الحرية لا يمكن أن تنال بالسؤال الذليل وإراقة ماء الوجه، والاستجداء والانتظار كالعبيد المقيدين، بل تؤخذ وتُنال بالمناجزة، وبالمصابرة في الثغور، وعلى الحدود، والدفع والاندفاع إلى الجهاد، بشرط الإيمان والوعي والعلم والمعرفة، والتخطيط والإعداد.

فما بال العرب المسلمين اليومَ مستموتون لا نبض فيهم؟

السنَّة في اللسان العربي المبين الأساس أنها تعني: الطريق، الطريق التي أقامها الله سبحانه وتعالى وأنبتها وأبرز معالمها وصقلها وحسَّنها وأوضحها ومهَّدَها وهي الموصلة

إليه مباشرة، والسنة الصورة والصفحة[1]، وفي لسان العرب أيضاً أنَّ سنة الله أحكامُهُ

---

(١) من تداعيات الأوضاع المأساوية التي يتعرض لها المسلمون العرب في العصر الحديث، وما يجري عليهم من كوارث وحروبٍ طائفية قذرة؛ خصوصاً في العراق الحبيب وفي لبنان، و الجزائر! والسودان جنوبه وغربه!!! ومن قبل في البوسنة والهرسك، والشيشان وغيرها.

فقد دخل إلى مكتبي مؤخراً شخصٌ عراقيٌ حسن الهيئة ذو لحية شقراء كان برفقة أصدقاء له عراقيين يسألون عن كتب دينية وسياسية؛ كانوا يتحلقون حوله ويهتمون ويحتفلون به بشكلٍ لافت وفهمت من حديثهم أنَّ هذا الشخص كان شيعيَّاً وقد تحول إلى السنة مؤخراً! ولذلك فهم يهتمون به كثيراً؛ وحدثوني عن ظاهرة التحول التي كثرت في العراق في الفترة الأخيرة، بعد عمليات فرق الموت وممارساتها البشعة ضد العرب المسلمين؛ الأمر الذي أحدث ردود أفعالٍ بين الشيعة في العراق التي تنقسم بطبيعة الحال إلى شيعة من أصولٍ إيرانية؛ وآخرين عرب قد تشيعوا تحت ضغوط وهيمنة الدولة الصفوية، فأخذ بعضهم مؤخراً يتحول إلى السنة! وكان هذا الشخص قد تحول مع من تحول وقالوا بأنه يتعرض الآن إلى ضغوطٍ مختلفة من قبل أهله وعشيرته في العراق كما أن هذا الشخص وأمثاله أصبحوا مستهدفين ومهددين من قبل فرق الموت في العراق أيضاً! لذلك فهم يحيطونه بالرعاية والاهتمام وهم متحمسون له ولموقفه الرائع، وقد كرموه فجعلوه إماماً لهم؛ يؤمهم في الصلاة وهو الذي صار يؤذن لهم في مسجدهم في بعقوبة كل الأوقات!

لكنني لا أدري ما الذي دفعني لأتوجه إليه بالسؤال التالي قلت له: هل تحولت من الشيعة إلى السنة؟ قال نعم. فقلت له:أهلاً وسهلاً وعلى الرحب والسعة؛ ولكن هل تعرف ما معنى سنَّة وماهو الفرق بين السنة والشيعة؟ فاندهش من سؤالي وحار في الجواب! فقلت له لعلك تعتقد بأن السنة هي عكس الشيعة أو لعلك تعتقد بأنَّ السنَّة هي مقلوب الشيعة؟ أو أن القضية بالنسبة لك قضية خلافٍ على لعن أو عدم لعن أشخاصٍ معينين! أو كراهية بعضهم أو تقديس بعضهم الآخر؛ أبداً فالموضوع حقيقة ليس هكذا يا صديقي أبداً!! السنة ليست مجرد طائفة من الطوائف كما يتصور الناس.... بل هي الأساس إنها تعي الإسلام الصحيح، العربي المبين، الدين الرباني كما نزل من عند الله سبحانه وتعالى، حنيفاً دون اختلاطات ودون زيادات؛ وهي بهذا المعنى ليست مقلوب الشيعة ولا هي عكسٌ للتشيع أبداً... هي مثل النهر العظيم بل هي البحر الواسع الذي له مصدر واحد معروف وواضح وهو كلام رب العالمين المسطور في كتابه العظيم وباللسان العربي المبين وهذا هو النبع الرئيسي ومع مرور السنين قد خرجت عنه فروعٌ وداخلته روافد!! وكانت هذه الفروع وهذه الروافد المتعددة هي تلك الطوائف الكثيرة ولكن الإسلام الصحيح هو هذا المسار والنهر العظيم الذي لا يزال ينبع من النبع الصافي ويجري في مجراه العام نقياً من كل الشوائب والمدخلات وهو وليس فيه إلغاءٌ أو حذفٌ أو تغيير لأوامر الله سبحانه وتعالى وليس فيه ناسخ ولا منسوخ لآيات الله سبحانه وتعالى التي في كتابه العظيم ولا لأحكامه السرمدية قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَـٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّا ﴾

وأنا قلت قولي هذا وأستغفر الله العظيم فأنا لم أعد أعرف إذا كان ذلك الشخص قد فهم ما قلت أم لا ولكنني أدركت منذ ذلك الحين أن الموضوع يحتاج إلى بحث وتبيان!

وأمرُهُ ونهيُهُ؛ وسنها اللهُ للناس: بيَّنها، وسنَّ الله سنة أي بيَّن طريقاً قويماً، والسنةُ السيرةُ، والسنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قِيل: فلان من أهل السنة أي من أهل الطريقة المحمودة المستقيمة، وفي الحديث (من سنَّ سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها، الحديث، وقد تكرر في الحديث الشريف ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيه الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يُراد بها ما أمر به النبي محمد ﷺ وما نهى عنه وندبَ إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهاذا يُقال من أدلة الشرع الكتاب والسنة أي القرآن والحديث (!) والسنة النهج، والسنة الطريق التي سلكها أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم، والسنن القصد، ومن معانيها الجدوبة والإمحال، وفي الحديث: اللهم أعني على مضر بالُسنَّة أي بالإمحال). انتهى كلام لسان العرب.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٨]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾[الحجر: ١٠-١٣]، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلاً ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٧]، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلاً ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٥]، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا

تَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٨-٤٠]، قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، قال تعالى: ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣]، قال تعالى: ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٥]، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤]، قال تعالى: ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ [النساء: ١٦٨]، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم ﴾ [الجن: ١٦]، قال تعالى: ﴿ وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ [طه: ٦٣]، وقد قيل بأنَّ الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى هو أول من أطلق مفهوم أو لفظ (السنة) ؛ كدلالة تدل على اعتقاد تيار المسلمين العام (أهل السنة والجماعة) الذين لم يخضعوا للانحرافات والذين حاولوا البقاء على صفاء العقيدة الحنيفية السمحة،

العربية المبينة وكانوا ينأون بأنفسهم ويربؤون بمعتقداتهم أن تتهاوى في مهاوي تخالط حالة التشيع أوالمعتزلة؛ الفرق ذات المنشأ الشعوبي الحاقد أو السياسي الهدَّام، كان ذلك في مطلع المئة الثالثة للهجرة عندما كان خارجاً لتوه من السجن إبان محنته في قضية خلق القرآن! فما علاقة الخطوط السلفية العديدة أو الفرق الصوفية المتعددة أو الطوائف الشيعية التي لم تعد تخضع للحصر! وقد تولد بعضها من بعض!! ما علاقة كل تلك الفئات بالنبع الأساسي الصافي للدين الحنيف وما هو مقياس الصحة والعدل والاستقامة باتجاه سنة الله تعالى التي ليس لها تبديل؟ قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاًۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣]، قال تعالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٨].

# مدينة وبادية [1]

ما العلاقة بين لفظة (مدينة) وبين لفظة (بادية)، وهل البادية من بدى؟، وهل المدينة من مدى؟ هل كانت لفظة مدينة هي مقلوب لفظة بادية، حيث تحولت الباء إلى ميم، (مثل مكة كانت بكَّة؟) قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وهنالك مدينة مشهورة ومعروفة في بقاع لبنان تسمى (بعل بكّ) وتعني بيت بعل ؛ وبالقرب منها (بر إلياس) هل كانت (بكَّة) هي أول بيت لله وضع للناس[2] بحيث كان يجتمع فيه الناس المنتشرون في البادية الكبرى، فكان ببكة المسجد

---

(١) هل تعني المدينة: المنزل أو النُزُل؟ البيت؟ أو المستقر الثابت مثلاً؟

(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج: ٢٧]، وهذه الآية الكريمة تنبيك، وبدون جدال، أنّ الحج إلى أم القرى أمرٌ قديمٌ، وأنّ شعوب الأرض قاطبةً، كانت تحج إلى البيت العتيق؛ هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانيةً فإنّ الآذان مع الإقامة، والصلاة، ولا شك، أنه كان قديماً أيضاً، قِدَمَ الصلاة، والحج، فالآذان كان في زمان سيدنا إبراهيم، وكذلك الإقامة، قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقد علمه (الآذان) الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم أولاً، الآذان، ثم الإقامة، والله أعلم، وكان الناس المؤمنون، يؤذنون للحج، ويؤذنون ويقيمون عند كل صلاة، فمن أين جلبوا لنا الحديث الذي يروي أن أحدهم قد شارك رسول الله ﷺ الرؤية، وأنه علَّمَ النبي ﷺ، كيفية الآذان؟!!، إن القرآن الكريم يصرح بأنّ الآذان، والنداء الأزلي (الله أكبر، الله أكبر) كان أول شكلٍ من أشكال النداء، والدعوة إلى الحج، والدعوة إلى الصلاة، ثم انحرفت الأساليب الأولى، كما انحرفت القبلة الأولى، شيئاً فشيئاً، من النداء العظيم، إلى نفخةٍ في قرن؛ ثم إلى صرخةٍ في بوقٍ، عند البعض، ثم إلى نقرةٍ في الناقوسٍ عند البعض الآخر، وقال تعالى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٣]، إن القنوت، والخشوع والركوع والسجود لله تعالى، إنما هو أمرٌ من الله قديم جداً، نفذه، وأداه الأنبياء جميعاً، وأممهم من المؤمنين، السابقين جميعاً، وليس كما يظن البعض، من أنَّ الصلاة الإسلامية، تكليف جديد! تلقاه الرسول ﷺ أثناء رحلة الإسراء والمعراج؛ إن هذا التصور وهمٌ، وخلطٌ مرده إلى السيَّر والأقوال الشعبية، المبنية على مقولات اليهود وتوراة اليهود، والقرآن العربيُّ المبين واضحٌ وجليٌ، وفيه تحديد أوقات الصلاة، وعددها، ولم يكن هذا الأمر وقفاً على الأحاديث؛ بحيث أصبح =

الأول، الأدنى، أو الأقرب، يتقاطرون إليه من أطراف البادية، ومن أعماقها؟ وكان في إيلياء المسجد الأقصى، الذي بارك الله سبحانه وتعالى حوله؟ وكان المسجد الثاني، أو الأقصى في إيلياء، فما معنى إيليا قال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ۝١٠ ﴾ [التوبة: ٨-٩]، هل تعني القرابة الشديدة وهي بالنسبة لعرب بلاد الشام، وما يليها من الشمال كانت إيلياء تشكل المسجد القريب وكانت إيلياء بالنسبة لعرب اليمن الحجاز واليمامة والبحرين، كانت المسجد الأقصى.

فهل تعني لفظة إيلياء هل تعني المسجد القريب من جهة بلاد الشام؟ بلغة عرب الشام الآرامية؟ كذلك يوجد العديد من القرى والبلدات في بلاد الشام ومايليها شمالاً! تنتهي أسماؤها بالياء، مثل داريا، وجمرايا (قرب دمشق) وعاريا، وحاصبيا، وراشيا (قرب بيروت) وريا اسم لإلهة في معجم الأساطير، وكوريا، في أقاصي آسيا، واسبانيا، وبلغاريا، في وسط أوربا.

فمن المؤكد أن اللاحقة الياء لها قصة؛ يجب أن لا نكتفي بالمقولة التي تبتسر العقل والمنطق، تلك الفرية الصليبية اليهودية التي تقول بأن إلياء اسمٌ روماني! بل هو اسمُ أقدم من روما نفسها ومن أوربة قاطبةً، ويجب العمل على كشف أسرارها العربية لتكون مبينة، وحتى لا تبقى طلاسم يتسلح بها اليهود الأعداء اللدودون للعرب.

---

الموضوع عند البعض حجةً يستغلونها، ليدخلوا على المسلمين أموراً لم تكن أساساً من أساس الدين.

# هل كانت المدينة الأولى على تخوم الباديةأو لاً؟ (١)

هل نشأت المدن في ظاهر البادية أولاً؟ فكانت مكة، والمدينة، والمدائن، ومدين، هل كانت هذه المدن، أول المدن التي نشأت على تخوم البادية الكبرى؟ وذلك من اليمن جنوباً، إلى أعالي ومنابع الفرات شمالاً، في بداية نشوء المجتمعات البشرية، وقد وجدت قديماً على تخوم البادية الكبرى، وكان هنالك على تخوم بادية الشام الواسعة، بين الشام والعراق والحجاز، أكثر من مدينة، وأكثر من مدين، وأكثر من مدائن!

وهل أعاد الرسول ﷺ ، للمدينة المنورة اسمها الأساسي، بوحيٍ من الله سبحانه وتعالى؟ قال تعالى: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥** ﴾ [النجم: ٢-٥]، عندما أمر ﷺ بتبديل اسمها من

(١) مفهوم البادية العربية، (البادية والصحراء الأساس شيء واحد) وهو مفهومٌ يدل على الأرض الممتدة من اليمن وحضرموت جنوبا، بما فيها النفوذ والربع الخالي، إلى سفوح جبال زاغرس وجبال طوروس شمالاً ويتخللها بعض الجبال، والهضاب، والتلال، والكثبان، وبعض السهوب، والسهول، والوديان عندما تخترقها بعض الأنهار كنهري دجلة، والفرات، وتعتبر أنهار الأردن، والعاصي، وبردى والأعوج والسن وغيره من الأنهار الصغيرة على حدودها الغربية؛ وعموماً فقد عرفت البادية مناخياً بالأراضي التي يقل التهطال فيها عن ٢٠٠مم سنوياً أو ينعدم؛ وحركة الظعون هذه واهتزازها وتهاديها في السير، ومنادمة النساء فوقها وحدوهن ومناغاة الأولاد على ظهورها، وحولها الفرسان والمشاة الزاحفة والإبل المحملة والمتلاحقة بعضها وراء بعض، والمنتشرة على مسافات دون انتظام... كل ذلك من أروع الحياة البدوية. لاسيما الاستثناء كان ذلك في صفو الربيع ونموالأعشاب، وفوحان الشيح والقيصوم والخزامى، وفي هدأة الفجر أو ضوء القمر، وسكون الطبيعة في البراري والصحاري المترامية الأطراف.

والحق أن الفجر أو السحر تبدو في البادية، فلا ليل في الجلال كليل البادية، ولا صبح في الجمال كصبحها، ولا نهار في الشدة كنهارها، وما أجمل قول زهير بن أبي سلمى في معلقته حينما تمهلت في خاطره ظعائن الحبائب، متحملات تغشيهن سدول صفيقة وكلة وردية الحواشي، فتبعهن ببصره الحزين وقلبه الواله، ووصف ما سلكنه من طرق، ونزلنه من منازل، حتى بلغن المنزل الذي أردنه، وما أحلى أسلوبه في استحضار هذه الذكرى حتى لكأنها ماثلة للعيون فلو تبصر صاحبه قليلاً لرآه

(يثرب) إلى (المدينة)؟ وقد نهى ﷺ نهى الناس عن تسمية يثرب للمدينة، فلماذا؟ هل كانت لفظة يثرب تعني الهلاك، أو الدمار؟ وهل تعني الثبور والخوف؟.

وهل سبق أن دمرت المدينة المنورة وأن محقت، أو نُكبت؟ أو أنها تعرضت سابقاً لمحنة من الله سبحانه وتعالى، بحيث تحول اسمها إلى يثرب؟ ثمّ صلحت بعد ذلك وعاد إليها الإيمان، فاقتضى أن يعود اسمها الأساسي، الله اعلم، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، قال ﷺ يوم فتح مكة، مسامحاً لأهلها: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾.

# في أي مكان في العالم تقع البادية [1]؟

هل هناك بادية أو بواد في العالم في أنحاء العالم، خارج منطقة، أو دائرة بلاد الحجاز وبلاد الشام وبلاد العراق؟ هل أطلقت هذه الصفة أو هذه التسمية خارج هذا الإقليم، هل يَلْفِظ احدٌ في العالم لفظ (بادية) خارج هذه المنطقة؟ هل هنالك بادية في وادي النيل؟ أو في الهند، أو في الصين؟

أم أن الاسم انتقل مع السكان الذين انتقلوا أساساً من بلاد الشام والعراق إلى شتى بقاع العالم، حاملين معهم مسمياتهم وألفاظهم؟ قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ [الحج: ٢٥]، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

هل هنالك فرق بين الصحراء[2] والبادية؟ والحقيقة أنه لا يوجد بادية إِلَّا في بلاد الشام والعراق وشمال الحجاز المتاخم لبلاد الشام، ولكن يقال بادية الشام في الشام، وبادية السماوي في جنوب العراق، وبادية الحَمَاد شمال الحجاز، وهذه جميعها تشكل بادية كُبرى، وهي بادية العرب، أو البادية العربية، أو بادية بلاد الشام. وأساساً هذا كله كان عبارة عن إقليم واحد!

بينما لفظ الصحراء، يعني تلك الأرض التي يقل معدل التهطال السنوي للمياه فيها

---

(١) هذا البحث كان من وحي حديثٍ دار بيني وبين الباحث الأستاذ عبد اللطيف ذياب، وهو من دير الزور، في مكتبي في دمشق، وذلك بتاريخ ٢٥ / ١١/ ٢٠٠٥م فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجزيه الخير الجزيل.

(٢) تعرَّف الصحراء على أنها الأرض التي لا يمكن زراعتها، ولا تنبت فيها النباتات أبداً، حتى ولو توفرت فيها مياه، فهي أرض رملية قاسية، بينما البادية أرضٌ يمكن زراعتها وهي جاهزة لنمو النباتات حال نزول المطر.

عن مئة ملم، أو ينعدم؛ وبالتالي فهو مفهوم مناخي بحت! فالصحراء اليوم قد تكون أغلى من غيرها من البقاع في العالم، وأهم طبعاً بوجود البترول (الذهب الأسود) والثروات السطحية والباطنية، التي لم تعد تقدَّر بثمن، لقد تحوَّلتْ الصحارى حديثاً إلى جنان[1]، لم تعد الصحراء مجرد كثبان رملية متحركة، كما كان يُفهم من مفهوم (الربع الخالي) فقد يكون الربع الخالي في هذه الأيام، أهم بقعة في العالم!

---

(١) لا شك أنَّ تجربة الدول والإمارات العربية الحديثة التي قامت في الجزيرة العربية و شرقيها على الخليج العربي، في النصف الثاني من القرن العشرين، تُعتبر مثالاً رائعاً على إمكانية تحويل الصحراء من أماكن جرداء قاحلة، إلى دول حديثة.

# البادية العربية

لا شك في أنَّ الحياة في البادية العربية، الممتدة من شمالي بلاد اليمن والنفوذ جنوباً، إلى منابع الفرات وجبال طوروس شمالاً، ومن سهول وسهوب بلاد الشام غرباً إلى أواسط العراق شرقاً، لاشك أنه كان في هذه البادية تخلف شديد، ولا يزال، (وشظفٍ في العيش، وكفافٍ فيما يتعلق بأساليب المعاش، والعلاقات بين الناس، نتيجة للمناخ القاسي، الذي كان ولا يزال، يتحكم عادة بحياة البادية، ويؤثر بكل العناصر فيها)[1] إن البادية العربية مثل بطن

---

(١) في كتاب نحو حضارة جديدة للأستاذ أحمد حيدر إضاءة جميلة ورائعة وتحليل عميق جديرٌ بالاطلاع يقول فيه: (إن العربي لم يرتكز على الأرض إِلَّا بتكأة ضئيلة لا تتجاوز الحد الضروري لاستمراره وبقائه، فهو لم يمتلك الأرض ولم يبنِ البيوت ولم يؤثثها بالاثاث الضخم ولم يعرف فاخر الثياب أو الطعام، إنّ العربي، لأنه استغنى عن كل ذلك، فقد ظلَّ محتفظاً بذاته، فلم يُبَدَّد في العلاقات الآسرة التي يتبدد فيها مالك الأرض مثلاً، إننا نعرف الطبيعة المحافظة التي يتميز بها الفلاحون، إنهم يكرهون التغيير ويخشونه، فهم مشدودون إلى الأشياء التي يمتلكونها في عادات صلبة، مشدودون إلى البيت والأرض والشجرة المغروسة والينبوع والرابية، إن عالمهم مغروس في الأرض وهم يخشون على هذا العالم الذي ارتبطوا به بعادات رسختها قرون من الاستقرار المتوارث، ولذلك نجد تاريخ الفلاح هو في الحقيقة تاريخ الأرض والجدود، يُذكرون بما كانوا يملكون، وبما شادوا من بيوت وغرسوا من شجر الخ. وما دام الإنسان حصيلة تاريخه، فالفلاح حصيلة الأرض التي غرس فيها منذ القدم، واقتلاعه منها يعني اقتلاعه من التربة، ولذلك كانت خشية الفلاح من هذا الاقتلاع تَحُولُ بينه وبين أن يغامر في حركة ثورية إِلَّا في النادر، في حالة الضمان العالي الاحتمال، ولذلك كان موضع شك الذين يرمون إلى تغيير بنية المجتمع لأنه مرتبط بهذه البنية بكليته. أما إنسان البادية فقد كان متحرراً من هذا الارتباط بالأرض وبالأشياء، كان عالمه محمولاً، وهذا العالم المحمول نفسه كان عرضة لأن يتقوض كل يوم من قبل الغزاة الآخرين، بل إن أصحابه أنفسهم كانوا يقوضونه كل يوم ليعيدوا بناءه في مكان آخر، ولذلك لم يكن العربي يخشى من ضياع شيء لأنه استغنى عن كل شيء. إن تضاؤل عالم الموضوع لدى العربي قد نمَّى لديه عالم القيمة وجعل هذا العالم ملاذه الوحيد، فهو من ناحية المعرفة قد امتلك رؤية واضحة للحياة عبَّرَ عنها في لُمَحٍ قوامها تلك الأمثال والحكم والعبارات الموجزة التي تلخص كلٌ منها موقفاً من مواقف الحياة وتعبر عن معنى أساسي من معانيها.) (إن نظرة عابرة إلى منظومة المعاني - القيم العربية، وهي التي يمكن أن نلتقي بها في كل مجالات حياتهم، في الأدب والأعراف والعلاقات والاجتماعية، إنَّ نظرة إلى هذه المعاني لَتدل إلى أي حدٍ تضاءلت فردية العربي أمام =

الأم، الذي يحتوي على الأحشاء، والحشا، ولكنه أيضاً قد ينجب الأرواح، وفيه مستودع الأسرار؛ فوجود التخلف الشديد عند سكان البادية، في بعض العادات السيئة مثل الغزو والثأر وغيرها، كل ذلك يجب أن لا يجعلنا ننجر إلى أن نفكر في القضاء على الحياة في البادية قضاءً مبرماً.

لأننا بذلك - ونحن ندعي الفهم - نكون ونصبح في هذه الحالة، أجهل بكثير من سكان البادية؛ لأن القضاء على البادية، قضاءٌ على نبع الحياة الصافي، على مهد الحياة الحقيقية، على الحالة النقية للحياة، والفطرة الإنسانية السليمة، على أحسن القصص، على مركز الإلهام ونقطة ارتكاز الوحي الرباني في صلته واتصاله بسيدنا آدم وبنيه.

ولكنَّ كل هذه الأسباب (وجود التخلف في البادية وعند سكان البادية) لاتبرر، بأي حال، أن يتم السعي للقضاء على الحياة البدوية في البادية، أو التفكير في القضاء على ظاهرة البدو، أو التفكير بهم، على أنهم مشكلة ينبغي التخلص منها، وقد قيل (إن تاريخ البدو والبادية هو تاريخ العرب العام...)

إذ إنَّ البدو، في جميع أنحاء البطاح العربية، سواءً أكانوا في الحجاز، أم في بادية الشام، أم في السماوى في العراق، أم كانوا في صحراء المغرب العربي، أم في غربي السودان أم في جنوب الجزائر أم في ليبيا، أم في مصر ووادي النيل، أم في جميع أنحاء الأرض، فإنهم جميعهم يشكلون جزءاً من الأعراب، كانوا وسيبقون قطاعاً هاماً جداً، وأساسياً وطبيعياً، من الحياة الإنسانية العربية، يجب أن يبقى، وأن يتم العمل على المحافظة عليها، ورعايتها

---

تلك القيم فهي لم تكن عنده بمثابة معانٍ مجردة تقيم في عالم مفارق؛ ولكنها كانت ذات كيان مشخَّص قوامه الآخرون، شركاؤهم في المعني، أبناء جمعتهم اللغوية، كل العرب). كتاب نحو حضارة جديدة للأستاذ أحمد حيدر الطبعة الأولى ١٩٩٦ مطبعة الإنشاء، توزيع دار الفكر بدمشق.

ودعمها وإصلاحها.

يجب العمل على تحضيرها واستقرارها وتثبيتها في أماكنها، لاالتفكير في القضاء عليها، والتخلص منها! إنَّ البادية جـزء من الطبيعة هام جداً، كان العرب يرسلون أولادهم إلى البادية، ليشتد عودهم، وينبني خلقهم، رجولة وعزة ونخوة ومروءة وكرماً[(١)]

---

(١) تاريخ البدو هو تاريخ العرب نفسه في الجاهلية والإسلام، إذ إنهم أرومة العنصر العربي ومادته، شملهم ما شمل الحضر من بؤسى ونعمى من قبل ومن بعد، والعرب كما هو معلوم من أعرق الأمم السامية في القدم،عاصروا جميع الأمم التي اشتهرت في التاريخ كالسومريين والآكاديين والآشوريين والبابليين والمصريين و الرومان، وكل هذه الأمم بادت وانقرضت، أما هم فقد ظلوا أحياء أعزاء، والساميون في رأي أكثر المحققين نشؤوا في جنوبي الجزيرة العربية، وشرعوا منذ آلاف السنين قبل الميلاد يهجرون البادية تباعاً ويبلغون الهلال الخصيب أي أطراف العراق والشام ومصر، (مع ملاحظة أنّ لفظ (الساميين) كان وارداً من التوراة اليهودية؛ ولا يجوز استعماله أو إطلاقه على شعوب المنطقة العربية نهائياً) – المؤلف – لقد كانوا مثل بدو هذه الأيام يعيشون من تربية الماشية، ويتنقلون طلباً للكلأ والماء، ويغزو بعضهم بعضا، وقد تحضر بعد قسم من هؤلاء الساميين، فأنشؤوا عدة دول في جنوبي الجزيرة العربية وفي شمالها، فمما أنشؤوه في جنوبها، دول المعنيين والسبئيين والحميريين، التي قامت وازدهرت في حضرموت واليمن، وتركت آثارا بارزة حتى الآن من مدن وقصور ومصانع وحصون وكتابات، ومما أنشؤوه في شمالها، دول الكلدانيين والبابليين الحمورابيين في العراق، ودول الكنعانيين في فلسطين، والثموديين واللحيانيين في شمالي الحجاز، وكسم وجديس في نجد، والآدوميين والنبطيين في شرقي الأردن وحوران، وبني السميذع في تدمر، كل هؤلاء كانوا ساميين وعرباً متحضرين، بلغوا درجة غير يسيرة من التمدن والرفه، استمدوها من مصر وبابل السابقتين في المضمار. وهجرة العرب البدو من جنوبي الجزيرة العربية وأواسطها إلى بوادي العراق والشام ومصر وانسياحهم فيها كان يحصل على هيئة موجات تتابع ورودها منذ آلاف السنين، ولا يزال حتى يومنا هذا، وتعزى هذه الهجرات إلى أنه في كل قرن أو قرنين يزداد عدد سكان تلك الديار العربية، وتضيق بوفرة مواليدها فتصير مواردها ومعاطنها غير كافية لسد الحاجة، أو تتبدل الظواهر الجوية فيها، وتتحول الشروط الإقليمية. فلا تعد المعيشة سائغة، كما جرى في مشارق اليمن، وأدى إلى انحطاطه، وزوال دول المعنيين والسبئيين والحميريين منه، أو تأتي أعوام قحط جائحة، أو تحته فتن شعواء بين القبائل بسبب الاختلاف على المراعي والمناهل أو الخيل أو النساء، فتضطر موجة منها إلى أن تنزح نحو الشمال، وتزحف وتفتش عن بقاع وبرار أوسع، فلا تجد ذلك إِلَّا في أطراف العراق والشام ومصر المسماة بالهلال المخصب، فالموجة القادمة منها إذا وجدت أمامها عشيرة سبقتها في الهجرة تسعى لدفعها واحتلال مكانها بالقوة والغلبة أو بالاتفاق والانضمام، فإذا وجدت أمامها عشيرة ظفرت تضطر السابقة المغلوبة إلى مزاحمة الأسبق والأضعف منها. =

وهكذا يزحم المتأخر المتقدم، ويدفع القوي الضعيف كل في دوره، وينازعه منزله ومرتعه، وحينما يحرم المغلوب مجال النجعة، ويترك رعي الإبل إن كان من القسم الأول (أهل الإبل) وينصرف إلى رعي الغنم فيصير من القسم الثاني (أهل الغنم)، ومن هذه يتدرج إلى التحضر والاستقرار في القرى والمدن، وهكذا كلما فرغت البادية من موجة من سكانها البدو، واحتوتهم المعمورة، تأتي موجة جديدة من صميم الجزيرة العربية فتملأ الفراغ، وتحل مكان من هجروا البداوة وتحضروا، وهكذا دواليك. والأمثلة على ذلك كثيرة، تراها في عشائر شمر وعنترة التي جاءت على هيئة موجات وزاحمت (عربان الديرة) في بادية الشام، بعد أن كانت عربان الديرة هي السائدة المنفردة في هذه البادية، وقد استولت عليها عشائر أقدم منها تحولت عن البداوة و ذابت في بوتقة الحضارة، وستنصرف شمر وعنزة يوما ما عن التبدي وسوف تتجهان نحو التحضر، ولا تخلو البادية، إلَّا وتأتي موجة أخرى لتستولي على أماكنها في تلك البادية وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. (ص٦٦-٦٧) عشائر الشام، وصفي ذكريا. ولما كان المرحوم الملك فيصل بن الحسين في دمشق سنة ١٣٣٧هـ ١٣٣٨ هـ يشيد أركان السيادة والاستقلال في بلاد الشام، والجنرال غورو الفرنسي في بيروت يشاكسه ويهيئ وسائل الاستبعاد والاستعمار لهذه البلاد، رأت العشائر البدوية بثاقب فطنتها أن ريح الغلبة يهب مع الفرنسيين فمالت نحوهم شأنها في الميل نحو من كان أشد قوة وأندى يداً فأفتى رؤساء العشائر الكبيرة بانتداب فرنسا أمام اللجنة الأمريكية التي جاءت في حزيران ١٩١٩م (١٣٣٧) تستفتي أهل البلاد عن شكل الحكم الذي يريدونه، وهرع بعض هؤلاء إلى بيروت لمقابلة الجنرال غورو وعرضوا عليه ولاؤهم فأجزل لهم العطاء وزاد بعضهم أوسمة جوقة الشرف أو لقب أمير أو لقب باشا. وإذا كان الناس على دين كبرائهم لحقت العشائر الصغيرة العشائر الكبيرة، وحذت حذوها في موالاة الفرنسيين منذ بدء احتلالهم، ولما ثار أهل الحواضر في المدن والقرى في وجه الفرنسيين الزاحفين، كانت العشائر تكتفي بوقفة الحياد ونظرة المتفرج عن بعد بحجة أن الثوار لم يستشيروها فيما كانوا يفعلونه ولم يستنهضوها، ولم يشذ عن هذا السلوك ويناجز الفرنسيين إلَّا بعضها أمثال العقيدات في وادي الفرات، والموالي في جنوبي حلب والفضل في جنوبي دمشق والدنادشة في غربي حمص لكن هذا الشذوذ انحصر، إذ ذاك في أماكن تلك العشائر الضيقة، ومساعيها المنفردة وغير المنتظمة، فلم يثمر سوى نكبة القائمين به. وبعد ان استقر المقام بالفرنسيين في سنة ١٣٣٩هـ وبعدها قضوا على الثورات الوطنية، وبسطوا شدتهم ورهبتهم في البوادي، كما بسطوها في الحواضر، وساقتهم قواعد الاستعمار إلى إبعاد العشائر عن سلطة الحكومات المحلية التي أقاموها تحت إشرافهم في بلاد الشام، وإلى ربط العشائر مباشرة بدوائر الانتداب وتكوين إدارة خاصة دعوها (إدارة مراقبة البدو) عهدوا بها إلى ضباط عسكريين، يقودون جنداً خاصاً للمتطوعة الأعراب راكبي الهجن من عقيل النجديين وغيرهم، وقد ألفوا من هؤلاء من سنة ١٣٤٠ هـ سريتين إحداهما في تدمر، والثانية في دير الزور، يعاضدها عند الحاجة مصفحات وطيارات، وقد اشتبكت هذه السرايا في معارك عديدة مع الغزاة المتجولين للسلب والنهب وفتكت بهم، جرى ذلك في سني ١٣٤١و ١٣٤٢ و١٣٤٣هـ في بئر بصيرى والسخنة وجنوبي تدمر. وأعظمها ما عملته سرية الهجانة في اذار سنة ١٩٤٧ حكم (١٣٣٤هـ) بعشيرة الغياث المشهورة بشقاوتها ونزواتها، فقد فاجأتها =

فهل هم معنيون بالآية الكريمة قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦].

وهل العناية بالعين أو بالأذن أو بالأنف أو بأي من الأعضاء في الإنسان، يقتضي بترها؛ هل كان واجب العناية بالأشياء المهمة، يمكن أن يجعلنا نفكر باستئصالها أو قطعها، أو الاستغناء عنها إلى الأبد؟

كان من الخطأ بمكان التفكير بهم (البدو) أو تصويرهم للناس، على أنهم مشكلة يجب التخلص منها، من خلال توطينهم في المدن، مخطط تفريغ البادية العربية، فالغربة مُضيِّعة للأصول، وهادرة للحقوق، والغريب ليس له حقوق! أو هو لا يستطيع المطالبة بالحقوق، كما يُطالب بها الأصيل، إنّ الأصيل لا يمكن أن تسلبه حقوقه، بينما الغريب فهو يتخلى عنها بسهولة ويُسر، يأخذ ما يستطيع من حاجته وينتقل، ولا يطالب بحقوقه كاملة كما

---

قبل الفجر حينما كانت مخيمة قرب جبل سيس، ففتكت بها فتكاً ذريعاً، وكبدتها عشرين قتيلاً، وعدداً كبيراً من الجرحى وغنمت منها ٤٠٠ رأسٍ من الماشية. وأجرت هذه السرايا معارك أخرى مع غزاة شمر وثوار الأكراد في الجزيرة قرب الحدود التركية وناوشت مراراً عشائر العقيدات والموالي وأولاد سليمان من الفدعان الخرصة وغيرهم، وما زالت تعمل وتقتل وقوادها الفرنسيون يفرضون الغرامات والعقوبات، حتى تمكنت كما جاءت في الكتاب الذهبي لجيش الشرق من الأمن في بادية الشام رويداً رويداً، وفي تلك الفيافي الشاسعة التي لم تألف فيما مضى من العصور غير مرور القوافل وغزوات القبائل، توقفت الصناعة العصرية مما أدى إلى تمديد أنابيب النفط العظيمة التي تصب زيوت العراق في طرابلس، وأنشأت في محاذاتها نقاطاً لتأمين العمل. وقد عمل الانكليز في شرقي الأردن في توطيد الأمن ومنع الغزو مثلهم وأكثر منهم. وتولى كبر هذا الأمر الجلل هناك المقدم كلوب المعروف عند البدو بأبي حنيك وكذلك عمل العراقيون في بداوي العراق وجلالة الملك سعود في بوادي نجد، واتفقت هذه الدول على منع الغزو منعاً باتاً فاستتب الأمن في طول البادية وعرضها استتباباً لم ترَ نظيره منذ قرون، وانقطعت دواعي الشرور وبواعثه وأخلدت العشائر إلى الهدوء والاستقرار، وصارت تفكر بالحضر، وتعنى بالرزق الحلال، وأصبح حالها في أيامنا هذه في غير ما كان يروى عنها، مما نرجوا دوامه وثبوت قوامه في العصر الوطني الحاضر.(١١٢-١١٣) المرجع

يُطالب بها الوطني الأصيل!

أما الوطني الأصيل صاحب الأرض فإنه يُطالب بها ولا يستطيع التخلي عنها أبداً، على أن فيها أهله وعشيرته، وهي بيئته وفيها قبور أجداده وتراثه وتاريخ آبائه وأجداده وأمجادهم وذكرياتهم، فإذا اقتُلع من أرضه وانتزع منها، تحول والأجيال من بعده، إلى مجرد أرقام لا قيمة لها، كما هي حال العرب اليوم في مركز العطالة.

فمن السهل على الغريب التنازل عن الأرض والحقوق، بحيث تم العمل على توطينهم (البدو) بشكلٍ مباشر، وغير مباشر، تمت قيادتهم إلى خارج البادية، بدأت هذه المخططات أيام الاحتلال المباشر الفرنسي، والبريطاني، لبلاد العرب في عام ١٩٢٠م، وذهب الاحتلال المباشر، واستمرت المخططات الاستعمارية؛ وتم تنفيذها بأيدٍ وطنية[1]

(١) (فعصر الانحطاط هو عصر الفردية الفجة التي تحقق ذاتها بوسائل الغابة: البطش والمراوغة معاً، والمثل الأعلى لهذه الفردية هو السلطان الذي يستخدم كل إنسان دون أن يثق بأحد، ويقوم بتحقيق المنجزات في سبيل تحقيق ذاته، ويستغل كافة مظاهر الحياة الاجتماعية فينقش اسمه بماء الذهب على المنجزات، ويتغنى الشعراء بأمجاده، ويؤكد رجال الدين أنه امتداد النظام الإلهي الخ... وهو يستأصل البشر بارتياح البستاني الذي يقلم الأغصان الناشزة عن نظام الشجرة. وبالهبوط عن مستوى القيمة تغمض الرؤيا، فالرؤيا تتم في ضوء القيمة، ومن جهة ثانية فإن استغراق إنسان ذلك العصر في عالم العيش الخاضع للمصادفة والمزاج، وفقدانه الغد المضمون، كل ذلك يحول بينه وبين الرؤية الواضحة، فالمعرفة تحتاج إلى تحرر من ضرورات الحياة كما رأينا. ولذلك يرتمي إنسان ذلك العصر في النظرية الجاهزة فاقداً كل حس نقدي وكل قدرة على التمييز لأنه إنسان مهدور، هكذا يؤدي انهيار بعد البقاء إلى إنهيار أبعاد القيمة كلها. ثمَّ إن الطاغية لا يكتفي بأن يهدم بعد البقاء وحده، ولكنه يعمد إلى أبعاد القيمة ذاتها فيقلمها مباشرة، فهو يحجر على العقل، ويحول بينه وبين المعرفة، وذلك بأن يُغلفه بنظرية من عنده، وكذلك فإنه يفرض الصمت ويقطع الحوار ويدمر كل نزوع نحو القيمة عن طريق تدمير صاحبه. هكذا نجد عصر الانحطاط يضطهد المفكرين، ويسبق العصور الحديثة بفرض نظرية الدولة على المواطنين، وبذلك يقطع الحوار الحقيقي ويُغلفه بحوار كاذب، ويقتل المتصوفة (الزاهدين الحكماء) الذين يُذَكِّرُون بالقيم المنهارة. إنَّ عصر الانحطاط هو عصر السقوط الإنساني من مستوى الشخص ذي الابعاد إلى مستوى الفرد المعزول، فاقداً أبعاده، ولكن الفرد في ذلك العصر لم ينس أبعاده المفقودة وماهيته المستلبة، ولا نعدم يوم ذاك من يذكر بالقيم المنهارة مثل المتنبي وأبي العلاء ومثل كبار المتصوفة (الزاهدين
=

بحيث تم في البلاد العربية، وخلال القرن العشرين، ومنذ بدايته، كخطة متكاملة، تم فيها العمل على دفع سكان البادية والجبال إلى المدن دفعاً، من خلال التضييق عليهم، في البادية وفي الريف القريب من البادية؛ مناطقهم ومواطنهم الأساسية، تمّ التضييق عليهم فيها بالقوانين والإجراءات وأنواع الحرمان، من أي من الخدمات، وتم تركيز الخدمات الصحية والتعليم في المدن الكبرى، دون البادية العربية، ودون الريف العربي.

السياسة التي اتبعتها إزاءهم الحكومات المتعاقبة في جميع الدول العربية المشاطئة للبادية العربية الكبرى، من شواطئ الخليج العربي وبحر العرب، إلى شواطئ المغرب العربي على المحيط الأطلسي، نفس السياسة، نفس المخططات، كانت واحدة تلك القوانين والإجراءات، التي كانت تحد من نشاطهم وحركتهم الطبيعية، وتضيِّق عليهم، شيئاً فشيئاً، سواءاً في باديتهم أم في قراهم، تحت ستار أو بحجة العمل على تمدينهم أو تحضيرهم!.

الحركة والنشاطات التي كانت فيما مضى إنسيابية وغير محدودة بحدود! ثم بإغرائهم بالمغريات نظراً لسذاجة وبساطة أهل البادية الذين يمكن خداعهم واستدراجهم بسهولة خاصة عن طريق الترغيب والترهيب والدعم!

وكان الاعتماد عليهم واستيعابهم في سلكي الجيوش والشرطة العربية، وفي مختلف الوظائف، في الدولة العربية عموماً، كعناصر أمينة، تنفذ الأوامر دون اعتراض، وشرسة في نفس الوقت، نظراً إلى طبيعتها الآتية من القفار والجرود؛ بحيث يمكن الاعتماد عليها؛ في تنفيذ الأوامر بحذافيرها، كخدم شرس ومطيع ينفذ الأوامر بأقل التكليف وأيسر

---

والحكماء) ولذلك نجد المناخ النفسي لذلك العصر مناخاً كئيباً متشائماً يسوده الشعور بعدم الرضى، فقد كان إنسان ذلك العصر يشعر بما ينقصه، يشعر بأبعاده المستلبة ولذلك لم يكن قد بلغ حضيض الانحطاط بعد.) كتاب نحو حضارة جديدة للأستاذ أحمد حيدر، مرجع سابق.

الخسائر، فلمصلحة من تمت هذه العملية؟.

إن رسم الاستراتيجيات لتفريغ البادية من سكانها، والقضاء المنظم على أشكال الحياة فيها، الإنسانية والحيوانية والنباتية، بشكلٍ جائر، والعمل على تحويلها إلى قفار خالية من أصحابها، أو تحويل هذه البادية الواسعة، تحويلاً سريعاً أو بطيئاً إلى مجرد صحراء عديمة الحياة، إنَّ مثل هذا العمل هو عملٌ عدواني ذو نوايا سيئة للغاية، وليس له ما يبرره أبداً إلَّا بكونه مؤامرة كبرى هدفها النهائي محق الجذور والأبعاد، وتبديد الأصول والمنابع، أو إعدام مُبْرَم لأي مجال من مجالات الإمداد للعرب، وكذلك لسد أي إمكانية أمامهم للجوء أو المؤازرة من العمق، إزاء ما يتعرضون إليه كعرب، من حصار وملاحقة؛ مطلع الألفية الثالثة، وإلَّا فلماذا يتم القضاء على البادية وعلى الحياة البدوية، وعلى الحياة في الريف، في حين تبذل الدول، جميع الدول المتقدمة؛ كل جهدها للحفاظ على الغابة وعلى أشكال الحياة الأولى في الغابة والغابات، والأرياف والصحارى! ويمهدون عندهم كل السبل لسكنى الريف، ويبذلون من أجل ذلك كل مساعدة، وكل تسهيل، وتتنادى الدول للحفاظ على البيئة في الغابة، ويعقدون من أجل ذلك المؤتمرات.

بينما لا يوجد من يحس بما جرى أو بما يجري للبادية العربية أو يستبينه، ومن هو صاحب المصلحة؟ علماً أنَّ البدو لم يكونوا بحاجة إلى مكيفات! لقد كانت أجسامهم ذات طبيعةخاصة، ولم يكونوا بحاجة إلى الآلات، ولا إلى الأجهزة، ولا إلى الرفاهية، ولا وسائط النقل الحديثة، وكان أهل البادية راضين عن حياتهم، مقتنعين بها، قابلين بها، ويقبلون عليها بكل عزمٍ وثبات، مستقلين، فمورست عليهم كل ضروب الحِيَل لإخراجهم من أرض الله الواسعة، وحشرهم على أطراف المدن في بيوت ضيقة، في القرى والمدن؛ بحيث تمتْ عملية احتلالٍ غير معلنة لأرضهم، وتمَّتْ عملية إجلائهم وطردهم

بشكل غير مباشر، تمَّ اقتلاعهم من جذورهم، ثمَّ تم تحويلهم، نوعياً إلى كائنات عصرية![1].

وهكذا تم العمل على تعطيل الحياة في البادية العربية الواسعة، وتم القضاء عليها جملة وتفصيلاً [2] حتى تحولت تلك المساحات الشاسعة الواسعة، التي كانت في يومٍ من الأيام عامرة تضجُ بالحياة والنشاط، أصبحت جرداء، مقفرة، ليس فيها ولا حتى نعيق غراب.

اللهم إِلَّا أصوات الحفارات التي تنقب ليلاً ونهاراً باحثةً عن الذهب الأسود البترول، والغاز، والثروات السطحية والباطنية!

إنك إذا دخلت البادية ومخرتها بطولها وعرضها، في هذه الأيام، فلن تجد إِلَّا الأطلال والقرى المهجورة، والخرائب، في فراغ ليس له حدود، حتى إنك قد تواجه الموت! إذا أوغلت فيها دون دليل يرودك الدروب.

---

(١) ومباشرة قفز البدوي إلى سوق البورصة، وصار يرطن بالإنكليزية، ويلبس ويأكل على الطريقة الأوربية، وانغمس في أعمق أعماق الطين، طبعاً ليس أكيداً أنه كان في باديته إيجابياً مئة بالمائة، ولكن المسألة تكمن في كونه، كان مهيأً كعنصر، على الرغم من كل ذلك التخلف المادي والحياتي، فإن البدوي في باديته كان مهيأً ليكون نبياً، وكان من المنتظر منه أن يكون رسولاً فعلاً لو فقه، أو تعلم؛ كان من الممكن تحويله ورعايته ليكون إنساناً حضارياً بكل معنى الكلمة فيما لو تمت رعايته أصولا، ولكن اقتلاعه قسرا من البادية، ثم زجه أو حشره في أطراف المدينة، كانت هذه العملية عملية سحق لكل إيجابية منه منتظرة.

(٢) وفعلاً ليست واحدة، نظرة الحَطَّاب، أو الفحَّام، إلى الأشجار والغابة، ولا يمكن أن تكون واحدة، أو أن تتحد، مع نظرة الأديب، والشاعر، والعالم. إنَّ الحطّاب لا يرى في الشجرة والغابة، إِلَّا الحطام؛ بينما الشاعر والأديب والعالم، فإنهم يرونها، عالماً، مفعماً بالحياة والجمال، وكذلك كانت نظرة الإنسان المعاصر إلى البادية، كان لا يرى فيها إِلَّا الحطام، من أجل ذلك، فإن النظرة للخلافة أو لمفهوم الخلافة، ليست واحدة. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، لقد كانت البادية الرحم الذي خرج منه العرب، فكيف يقوم العرب بالقضاء على الرحم الذي كانوا قد خرجوا منه، لا شك أنها جهالة ما بعدها جهالة.

فلماذا يحافظون على البيئة في صحراء فلوريدا ونيفادة عن طريق دراستها لصيانتها، ويتم دعمها ومراقبتها، ويعملون دائماً على إحياء الموات فيها! ويتم التخطيط لها، لفتح مغاليقها وسبر أعماقها، ليقيمون فيها المراكز والتجمعات السكانية الاختراعية غير الطبيعية؛ والمحطات الحيوية من أجل الإمداد والاتصال.

بينما يتم عندنا العمل بعكس ذلك تماماً، فتهمل البادية العربية، إلى أقصى درجة، ويعملون على قتل الأحياء التي فيها، بحيث يتم التحذير والتخويف من الدخول إليها وترفع فيها، من أجل ذلك لوحات خطر الموت، وشاخصات عليها الجمجمة والعظمتان؛ ونحن في مطلع الألفية الثالثة!

فهل لا تزال البادية العربية عصيَّة على الاكتشاف؛ وهل لا تزال مجهولة إلى هذا الحد؟ ليتم التعامل معها على أنها من التلفيات التي لا خير فيها وتم تحويلها مؤخراً إلى حاوية ومقلب للنفايات النووية! واتخذت القرارات الاستراتيجية القاضية بإعدامها، إعدام صورتها في العقل والفكر والعاطفة العربية، فسنت القوانين الخفية غير المباشرة ومورست خفية الإجراءات لإعاقة النقل والحركة فيها! ولتجميدها وتجميد الحياة فيها على الإطلاق،

البادية العربية التي كانت فيما مضى موئلاً وملاذاً ومصدراً ومستودعاً لكل الأسرار، صدرت عنها العروبة، وشعت منها الأنوار والأعراب يتنقلون فيها يخرجون منها، إلى المدن على أطرافها ويعودون إليها[1] أفراداً وعشائر، كانوا على اتصالٍ دائم بها، لا شك في

(١) أثبتت الدراسات والأبحاث الحديثة، أن البادية العربية، كانت تنتشر فيها فيما مضى الواحات والأدغال، وتتخللها الغابات والأحراش، وأنه كان بها أنواعٌ كثيرةٌ من الأشجار والنباتات والحيوانات من جميع الأنواع، وقد كشف النقاب مؤخراً عن حقيقة أنها كانت أي البادية العربية، فيما مضى عبارة عن جنان واسعة حافلة بأنواع الحياة، عرفوا ذلك من خلال البذور التي عثر عليها في تربة البادية، لا غرو أن الشعر العربي، واللسان العربي، يحتوي الآن على مفردات، أو هو غني بالمفردات والألفاظ والأسماء، التي لا يعرف لها الآن، على الأرض العربية مثالٌ، ولكنها من =

ذلك أبداً، فلقد استوطنها وعبرها الأنبياء، جميع الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، والرسالات السماوية، جميع الرسالات السماوية كانت قد نزلت فيما بين جَنَبَات البادية العربية، وكان فيها مستقرأ مؤسس للإنسان العربي[1] مع القرآن الرباني، تفاعلت ونضجت فيها أنبل وأسمى وأعلى المثل والقيم والأخلاق الإنسانية الرفيعة، فكيف انتهت إلى هذا المستوى من الخلاء والترك؟

فمنذ أن دخلت قوات الحلفاء إلى البلاد العربية، وبمجرد دخولهم، وربما من قبل، فإنهم عملوا على استطلاع المواقع وعلى وضع المخططات، وشرعوا في العمل؛ باتجاه تفريغ البادية من أهلها، وبثوا البعثات من شتى المجالات آثارية، وثروات باطنية، وعلمية، إنسان ونبات وحيوان وطبيعة، وحتى البعثات التبشيرية كانت قد أدلت بدلوها في البادية!

وقامت هذه البعثات الإنكليزية والفرنسية بتمشيط البادية ودراستها، كل شيء في البادية تمَّ درسه، في جميع المجالات والاتجاهات، الجغرافيا والطبوغرافيا والجيولوجيا المثيولوجيا، من إحصاء البشر في القبائل والعشائر والأفخاذ، ودراسة أوضاعهم وأحوالهم ومعاشهم، إلى عد

---

المؤكد أنها كانت هنا في يومٍ من الأيام! كان هذا هو السبب لوجودها في لسان العرب ومعرفة العرب لها وذكرها في أشعاهم وقصصهم؛ في الزمن الأموي، قام الأمويون بحفر ٢٠٠ بئر في البادية على المراحل وبالقرب من المسالك، معروفة، بقيت صالحة للشرب إلى وقتٍ قريب ثم زالت بفعل العوامل والإهمال. وقد قام الأمويون بتأسيس العديد من المدن في البادية العربية وشجعوا الناس على سكناها، مثل الرصافة، والرملة، وغيرها الكثير الكثير مما لا يتسع المكان لتعدادها. وكان الأمويون يتبعون سياسة يدعمون فيها سكان البادية، أيام القحط والمحل، والسنين العجاف، تثبيتاً لهم في منازلهم وباديتهم لأنهم كانوا يرون بثاقب نظرتهم أن في البادية عز للعربي، ونجعته، وموطن طبيعي له، وبيئة مناسبة وأنها بالنسبة له مثل الماء بالنسبة للسمك، إن خروج العربي من البادية ألحقت به خسارة لا يمكن أن تعوض؛

(١) (وجل ما يحتاجه البدوي في النهارات المضيئة، والليالي الصافية، والآفاق الواسعة، الممعنة في البعد، والمساحات الشاسعة اللانهاية لها، حيث الأرض يرثها أول من يطؤها) وصف جميل للبادية العربية من كتاب (عشائر الشام) لأحمد وصفي زكريا رحمه الله تعالى.

الحيوانات بأنواعها، ومعرفة أمراضها، إلى رسم الخرائط وتحديد المراعي، إلى تحديد أنواع النباتات والبذور الكامنة في كل بقعة من بقاع البادية الواسعة، إلى تحديد المواقع الآثارية، التي أصبحت جميعها، القلاع، والحصون، والأوابد المنتشرة في أعماق وأطراف البادية الواسعة، التي أصبحت بقدرة قادر آثاراً رومانية!!! ولهم فيها رحَّالة، ورحلات مشهورة، ونوادر وتجارب خطيرة، وكثيرة، بحيث أحصوا فيها كل صغيرة وكبيرة، ومنذ فترة مبكرة، وصلوا فيها إلى لجة النفوذ في الجزيرة العربية! والحقيقة أنهم يعلمون عن باديتنا أكثر بكثير مما نعلم عنها! ونحن نُعتبر أهلها!.

وهكذا قدم الحلفاء أو كانوا يقدمون النصائح والوصفات إلى الرجل المريض، والواقع أنه منذ مطلع القرن العشرين بدأ الاهتمام الغربي غير المعهود بالبادية العربية، وبمن يعيش فيها، وذلك من أجل إزالتها نهائياً ؛ أو لحرفها إلى أقصى أشكال الانحراف، وقد بدؤوا بإدانتهم لها، فوصفوها بالتخلف وقالوا إن أهلها متخلفون.

إن البعض يتعامل مع الأرض العربية على أنها منتهية الصلاحية؛ يتعاملون معها وهم يشعرون بإمكانية الاستغناء عنها، إنهم يمكثون فيها مؤقتاً، ريثما يجمعون الثروات! وريثما ينتهون من إنجاز مصالحهم، إنهم يعيشون فيها، بشعورٍ مؤقت، وعينُهُمْ على أوربا وأمريكا، يتطلعون إلى أمريكا وأوربا، لذلك فقدوا الإحساس بالانتماء، الانتماء للوطن، ولأمة العرب، الأمة الإلهية الربانية، إنهم لم يعودوا ينظرون إلى الأرض العربية نظرة احترام، ولا بكونها الوطن والحضن والأم والموئل والعمق، أو بكونها الحياة والكرامة، والشرف والسيادة المطلقة، إن هؤلاء الذين في نيتهم المغادرة، لا يدركون معنى الكرامة أو السيادة، وقد تعطلت عندهم مفاهيم الشرف والإيمان الحقيقي، فباعوا أنفسهم للشيطان!

.[1]

---

(١) (إن عصرنا هو عصر انحطاط مموه ولذلك فهو أسوأ عصور الانحطاط جميعاً، انه مموه بالابعاد الكاذبة ومموه بالآلة، اننا نظن أن ازدحام حياتنا بالآلة التي صنعها ذوو التقنية كفيل بتحضيرنا، ولكننا نثبت كل يوم أننا دون مستوى هذه الآلة، واننا عاجزون عن امتلاكها، فالآلة لا تفصل عن الإنسان، وما دام الانسان العربي مستأصل منخلع من ذاته فالآلة وسيلة ذوي العطالة لامتلاكه. إننا لم نتجاوز عصر الانحطاط إِلَّا في المظهر، في انتشار الآلة في حياتنا، ولو رفعنا هذه الآلة لانكرنا عصر الانحطاط ذاته، إن الوظيفة التي تقوم بها مؤسساتنا الكثيرة هي أن تحول بيننا وبين اكتشاف أبعادنا الحقيقية، فهي تقوم بالحجر على هذه الابعاد من جهة، وتخلق أبعادا زائفة بدلا منها من جهة أخرى، انها أعمدة رياء وتزييف وينابيع ظمأ حقيقية.

تلكم هي مأساة العرب: لقد كانوا في جاهليتهم أشبه بالدون كيشوت الذي كان منظومة قيم محمولة على جواد هزيل، لقد كان العرب في ذلك الحين منظومة قيم لا تجد مرتكزاتها الواقعية لان الصحراء تضن عليهم بذلك.

وقد استمرت مأساتهم هذه خلال الدول المتعاقبة التي حاولوا اقامتها، فقد استمر طبع الصحراء في حياتهم حائلا بينهم وبين اقامة مجتمع حقيقي، وبالتالي دولة حقيقية. وعندما تردوا في عصور الانحطاط فقدوا أبعادهم جميعها بالاضافة إلى بعد البقاء الواهي منذ عصر الصحراء الأول.

وفي العصر الحاضر تلقفتهم الاميركانية بروحها الساخرة المزيفة فنشرت في حياتهم الاوهام الكثيرة التي تحول دون اكتشاف الابعاد الموءودة.

ولكن هذه المأساة التي تجعل تاريخنا أشبه بمسيرة جنائزية لا ينبغي أن تحجب عن عيوننا رؤية المستقبل، فنحن ما نزال أحياء رغم هذا التاريخ الطويل من التجارب المريرة وقسوة الحياة، لقد نجحت الاميركانية في تزييف القشرة السطحية من أبناء شعبنا، هؤلاء المستأصلون بطبيعتهم والذين لا بد من وجودهم في جميع الشعوب. أما الشعب الحقيقي فلم تنجح الاميركانية في اطفاء جذوة شعوره، فالمواطن العربي يشعر اليوم بأنه من أقل مواطني العالم استقلالا في مصيره الاقتصادي والسياسي، وبأن هناك ما يشبه القدر الخارجي الذي يحول بينه وبين السيطرة على حياته وتوجيهها الوجهة التي يريد، وهو يشعر أن المؤسسات محكومة بنظام غريب عنه، مغاير لمصلحته. ولكن الاميركانية، إذ تكتشف أن الشعب الحقيقي ما يزال يشعر بعدم الرضى، وما يزال يذكر أبعاده المستلبة، إنها إذ تكتشف ذلك تقوم بسلسلة من التغييرات الزائفة في أوضاع المواطن، لاتفعل سوى أن ترده إلى نقطة انطلاقه الأصلية وبذلك تشعره بأن التاريخ يعيد نفسه دوما وان إرادة التغيير فاشلة. ولكن الشعور بضرورة التغيير الجذري كامن لدى هذا الشعب، وعلينا أن نوقظ هذا الشعور لكي ينزاح التافهون، صنائع الاميركانية، فيمتلك الشعب هويته الحقَّة. ثم إن لنا إخوانا في سائر أنحاء الأرض هم المستلبون الذين بدؤوا يتلمسون أبعادهم المفقودة، إن الإنسانية على وشك يقظة شاملة، فالمعرفة ثمرة المعاناة، ولابد من العثرات من أجل يقظة الوعي) نحو حضارة جديدة مرجع سابق.

فإذا كان أهلها، أهل البادية، معجبين بها، ولا يرضون عنها بديلاً؛ فما بال المفكرين والمنظرين، يبذلون أقصى الجهد من أجل القضاء على الحياة في البادية العربية، وتحويل البادية العربية، والريف العربي، إلى مجرد مساحات شاسعة وواسعة، خالية من الحياة؟ [1].

من الذي روّج إلى مسألة ضرورة توطين البدو في ضواحي القرى والمدن، وكان قد هيّأ ومهَّد لذلك دينياً [2] وسياسياً، واجتماعياً، وإعلاميا، وكانت البداوة جزءاً حيوياً

---

(١) أذكر أنه في منتصف السبعينيات من القرن العشرين كان الإعلام العربي يركز على موضوع مخاطر الهجرة من الريف إلى المدينة، ويتحدث عنها كأزمة كارثية محتملة بالنسبة للوطن العربي، وفي عام ١٩٧٥ شاهدت بأم عيني كيف قامت، آنذاك، بعض الجهات الحكومية باقتلاع آلاف الأشجار والغراس من أحد بساتين غوطة دمشق، لتبني مكانها بعض المستودعات! وقد كنت في مدينة حمص في نهاية عام ١٩٧٦، وشاركت وقتها في حملة لتشجير منطقة الوعر، إلى (خربة السودة) على طريق حمص مصياف، وكنت مع مجموعة كبيرة، وزرعنا هناك في صباح ذلك اليوم آلاف الأشجار، ولكن للأسف الشديد لم يكد يأتي وقت العصر، حتى جاء الراعي بقطيعه الكبير فحصدَ كل انجازاتنا، في وقتٍ قصير، ولم يُبقَ، ولا على غرسة واحدة! وعندما أعلنت عن غضبي وامتعاظي؛ قيل لي لا عليك؛ فإن هذا المشهد يتكرر هنا في كل عام وهكذا الأمر في معظم مناطق البلاد.

(٢) هل صحيحٌ الحديث الذي يقول (من بدا فقد جفى) لا نعتقد بأن مثل هذا الحديث يمكن أن يكون صحيحاً أبداً، لأن الرسول ﷺ لا يمكن أن يقول إلَّا الحق، وهذا الحديث مخروم، ولا يمكن اعتباره قاعدة صحيحة أبداً، لأن في البادية أقواماً (مثل الصليبة، وغيرها، وهم منتشرون في البادية منذ زمن طويل وهم مضرب مثل في اللاعنف) فهؤلاء يمكن أن يكونوا معلمين لـ(غاندي) في مسألة اللاعنف... وهنالك أناس يقطنون المدينة منذ عصور وهم بالحقيقة، مثالُ الجفاء والعجرفة والتكبر؛ وهم أسوأ من فرعون! والرسول العربي ﷺ لم يكن في حياته الرائعة، مع صحابته الكرام، والتي ستشكل المثال، بالنسبة للمؤمنين على مر الزمن، إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، رسول الهدى والسلام، رسول ونبي المرحمة، فهو ﷺ، وصحابته الكرام لم يكن في نشأته وفي حياته لم يكن بعيداً عن البادية، إن لم يكن في لجة البادية، والسيرة النبوية العطرة تُؤكد لنا أنه ﷺ قد أرضعته حليمة السعدية حولين كاملين وفي لجة البادية فكيف يعود ﷺ فيدين البادية ويدين البداة! ومن هنا فإنَّ عملية إدانة البادية كبادية، وإدانة البداة كبداة، إن هذه الإدانة كان الغرض منها دائماً، وعلى مر الزمن أبعد من ذلك، كان الغرض منها النيل من العرب وقيمهم الذين خرجوا أساساً من تلك البادية، وأخرجوا معهم من لجتها رسالة السماء، الدين الحق، الفطرة السليمة، الفطرة الأولى، الإسلام، في مواجهة العنت والطاغوت المفرعن المديني؛ قال تعالى: (بل ران على قلوبهم) والله أعلم والحمد لله رب العالمين. ولكن لماذا تدان البادية ولماذا هذه الإساءة للبداة الذين لا حول لهم ولا قوة؛ ولا يملكون الرد على ما يجري بحقهم في المدن، والواقع فإنَّ ابن =

وطبيعياً وأساسياً وهاماً من العرب، والمجتمع العربي، لايمكن، ولايجوز التفكير بالقضاء عليه أو التخلص منه، وهل يصح أن يتخلص الإنسان من عضوٍ من أعضائه ثم يعود سليماً معافى؟.

فهل ستكون العودة إلى البادية نهايةً، ومصيراً للإنسان المحترم، وهل ستكون العودة إلى البادية مصيراً للإنسان، الإنسان الحقيقي، وأنها أمرٌ حتميٌ لا بد منه، بعد أن ينتهي هذا الإنسان من المرور بالتجربة[1]، وذلك بعد أن يزهد هذا الإنسان في العالم، أن يزهد كلَّ هذا

---

خلدون على مكانته، وأثره الرفيع، قد أخطأ خطأً بالغاً في كتابه المقدمة عندما وصف البداوة بالتوحش، فأوهم الناس من بعده وأساء للحقيقة إساءة بالغة ومستمرة، مما يقتضي إعادة تقييم آراء ابن خلدون وغيره من كبار المفكرين، لأن البادية كانت وما تزال خزان القيم والمثل الرفيعة، ملهمة الشعراء، وملاذ النسَّاك، ويتعلم فيها الحكماء الحكمة، وهي ستبقى الظهير، والبيئة الأم، والعرين للعرب، والإسلام الصحيح.

(١) علينا أن لا ننسى أنه قد مر أكثر من خمسمائة سنة على اكتشاف وشيوع مادة وعادة التدخين (التبغ) بكافة أشكالها!، ولقد اخترقت هذه العادة جميع الطبقات الإجتماعية في العالم وأكثر المجتمعات أبعدها نأياً عن التأثر بالمدنية ومنتجاتها بحيث وصلت إلى البدو في لجة البادية وإلى القاطنين في قمم الجبال وإذا كان التدخين في يوم من الأيام، دليلاً على الحضارة، ومؤشراً على الأرستقراطية، وفي بعض المجتمعات على الرجولة والثورية! وهو أيضاً من منجزات الحضارة الحديثة! والآن ونحن في مطلع الألفية الثالثة، فإنه يتمُ الحديث في جميع الدول عن مضارِّ التدخين؛ ويتم وصفه بالعادة السيئة، وتُشَنُ الحملات لمكافحة التدخين، وشرحِ مضاره، الهيئات والمنظمات الدولية والمحلية تعمل الآن للحد من انتشاره وشيوعه، وسُنَّتْ من أجل ذلك القوانين، وصدرت التشريعات؛ والحقيقة أن التدخين بكافة أشكاله كان عامل دمار للبشرية، وهو الآن يعتبر من أشد الأمراض والعادات فتكاً بالإنسان، ولكن هيهات أن يعي الإنسان الذي كان قد استمرأ الانحراف، وأعرض عن الحق، هيهات أن يستطيع العودة بسهولة عن أخطائه، ليتخلى عن التدخين! فهنالك شخصيات كبيرة في العالم، وقيادية وثورية (مثل فيديل كاسترو، وتشي غيفارا) وقضاة وأطباء وعلماء وفلاسفة ومفكرون؛ وأدباء وشعراء يدخنون! وأنا أعرف طبيباً جراحاً، يدخن في العيادة والمشفى، وصيدلياً يدخن في صيدليته، وقد رأيت بأم عيني في القصر العدلي قاضياً يدخن في غرفة المحكمة؛ أثناء الاستراحة! وكذلك كان يفعل العديد من المحاميين، ولقد سمعت التلاميذ الصغار يقولون أن المعلمين والمعلمات في الصفوف الابتدائية، يدخنون أمام التلاميذ أحياناً! وقد رأيت محاضراً في المركز الثقافي العر بي وكان يحاضر عن المستقبل العربي ويعلن نهاية العرب! يُشعل سيجارته وهو على المنصة أثناء إلقاء المحاضرة، وقد شاهدتُ بأم عيني في مستوصف للأطفال الرضع آباءً =

يحملون أطفالهم الرضع بأيديهم وهم يضعون في أفواههم السيجارة ووينفثون السموم في وجوه أطفالهم! وكثيراً ماشاهدت أناساً يدخنون سجائرهم في بيوت مغلقة، أو في سياراتهم المغلقة وإلى جانبهم الأطفال الصغار والرضَّع وهم لا يدرون ما يفعلون! إنهم لا يعلمون أنهم ربما كانوا يمارسون قتل أطفالهم بأيديهم والإضرار بهم، وحدث ولا حرج عن السائقين أثناء قيادة السيارة، إلى البائعين إلى المديرين والموظفين والعاملين والمستخدمين في جميع القطاعات الذين لايتوقفون عن التدخين، حتى أثناء أداء أعمالهم المهمة والحساسة دون إحساس بالمسؤولية الأدبية تجاه أحد! فهل كانت هكذا عقليات عاقلة فعلاً!! وهل يُنتظر من أمثال هؤلاء معرفة الحق؟ هل يُنتظر من أمثالهم معرفة الخير؟ هل يدرك أمثال هؤلاء معنى العدل، أو هل يقدر أمثال هؤلاء على أن يفرقوا بين الحق والباطل؟ أو بين الصح والخطأ؟ أو بين الخير والشر أو يعرفون معنى الروح الوطنية، لا أظنُّ ذلك أبداً! قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].قال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨] قال تعالى:
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، قال تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [التوبة: ٨٧]، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ ﴾ [الكهف: ٩٣]، فهل كان هنالك من العرب المسلمين من كان قد وصل إلى هذا المستوى!؟ وهل يفكر أمثال هؤلاء بمقاومة الاحتلال وهل يدرك أمثال هؤلاء معنى الاحتلال أو معنى الاستعمار؟! أو هل يعرف أمثال هؤلاء البلهاء كيف يُقاوم الإحتلال؟ ووبالتالي ما قيمة امثال هؤلاء لعل كثرتهم التي لا قيمة لها كانت وبالاً على الأمة والوطن، وأحد أهم أسباب تخلفه وانحطاطه؛ وهكذا فإن القوات الإسرائيلية في فلسطين يومياً تقتل العشرات من العرب المسلمين وكذلك تفعل القوات الأمريكية وأعوانها في العراق فإنه يقتل المئات من العرب يومياً في وضح النهار وهؤلاء لا يكادون يفقهون حديثاً.
وبالنسبة لهم فإن التدخين يُعتبر عامل إلهامٍ وإبداع!!! للفنانين والأدباء، ودون تدخين ينكشفون ويسقطون، بله شرب الخمر والمخدرات، للفنانين والأدباء والشعراء الذين يروجون لآراء حقيرة تافهة تقول بأن الخمر والمخدرات تمنحهم القدرة على مواجهة الجمهور، والقدرة على العطاء الفني والإبداع! وهذا طبعاً مجرد وهم وتبرير باطل وتحريف وكذب وبهتان حقير غرضه تمرير الخطأ وإشاعته بين العرب المسلمين، إنَّ الإنسان الآن، في هذا العصر، منغمسٌ في الأخطاء وهابط إلى أدنى مستوى، وهو واقعٌ الآن تحت تأثير شياطين الإنس والجن! ثم يتقيؤون أفكاراً ونظريات أقل مايمكن أن يقال عنها أنها (مسخرة) فيقولون ويصرون على مقاطعة التبغ الأجنبي وأنهم سيعملون على تعاطي التبغ الوطني إنَّ هذا الكلام دليلٌ قطعي الثبوت والدلالة على تفاهة هذه العقول وانعدامها وتلاشيها.
=

الدفق السلبي من المخترعات والأجهزة والوسائل، والوسائط والأفكار والآراء والفلسفات والنظريات والعقائد والأديان الأرضية المنحرفة والمواد الصناعية المطورة، والبديلة، في جميع المجالات، ما كان مضافاً إلى حياته من دون مسوغ، ولا لزوم[1] ولم يكن

---

والأطرف من هذا، أن قضية الطالع والحظ والأبراج باتت تُعتبر الآن من الأمور الدارجة والمقبولة حضارياً لدى الطبقات الأرستقراطية، وتنشأ عنها الكتب وهي تشغل الحيز الواسع من صفحات الجرائد والمجلات وأصبح لها برامج خاصة على الشاشات وفي الإذاعات! وتجند لها الطاقات من المحررين والمحررات والصحافيين والصحافيات الذين حازوا على تخصصهم في مواضيع معرفة الحظوظ والأبراج من أرقى الجامعات الفرنسية؛ وقد فرض (هذا الدجل) على الأجيال لتصبح بديلاً عن الحقيقة التي يعملون ما بوسعهم على طمسها وإخفائها! وهذه الحضارة الحديثة، في أكثر منجزاتها، ما هي إلَّا مدٌّ للظالمين، لو كان الناس يعلمون قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النمل: ٤]، إنما تقع مسؤولية كبرى على الأفراد العرب الناهضين المؤمنين دون غيرهم من الشعوب، فعلى عاتقهم مهمة البيان والتوضيح ومنهم اولاً سينبثق النور على العالم، من أجل ذلك يجب عليهم بناء ذواتهم بناءً جميلاً وعظيماً وقوياً ومثالياً، خالياً من الوهن والضعف والانحلال، وقد تقول الأمثال أشياء مفيدة مثل قولهم(لا يُسمع من ذمَّ نفسه)، فكيف نسمع أو نأخذ من أولئك الذين لا يدركون ولايستدركون الأخطاء؛ ويُعرضون عن الحق! والحقيقة أنه من المفروض أن تدرج لدى العرب في هذا الزمن أعرافٌ وتقاليد وعادات جديدة يتعارف عليها العرب؛ تقضي باتفاقهم فيما بينهم على احتقار وازدراء وتتفيه كل شخص كائن من كان يدعي أنه عربي مسلم ويمارس خطأ يؤدي إلى أذيته، وأذية غيره، خصوصاً مرتكبي الكبائر، وهذا الموضوع أو هذا الجانب يجب أن يكون نابعاً اجتماعيا من الأمة أولاً، وقبل أن يكون من اختصاصات الحكومات قضائياً أو سياسياً، إنه أولاً موقف المجتمع.

(١) (لقد انهار المجتمع العربي، لأن الفرد فيه لم يستطع أن يكتسب العادات الاجتماعية بشكل ثابت، ولكنه ظلَّ خاضعاً لمعاييره الذاتية فلم ينسلخ من أطره الخاصة ليتصور قيماً تعلو على هذه الأطر، ولذلك أتيحت الفرصة لشعوب أخرى ذات بنيان اجتماعي ثابت أن تنفذ من خلال الصراع... كالفرس مثلاً، بالإضافة إلى قبائل أخرى فتية، ما تزال تحمل روح البداوة فلم يدخل الترف حياتها بعد، رأت في هذه الحضارة الآفلة ما يشبع حاجتها إلى الغزو، مثل المغول وغيرهم. إنّ المجتمع العربي قد انحل انحلالاً ذاتياً، وهذه الشعوب الغازية لم تفعل سوى أنها أجهزت على هذا المجتمع المحتضر، وبذلك سقط العرب في عصر الانحطاط الذي لا يزال مستمراًحتى اليوم. في عصر الانحطاط، لم =

لها لزوم حقيقي، حيث كان الإنسان، بإمكانه الحياة والبقاء دون تلك المبتدعات [1] بل

يعد البقاء ملك صاحبه، كما كان الأمر في الجاهلية، ولكنه أصبح ملك الطاغية (السلطان الأمير الخ...) يتصرف فيه كما يشاء دون أن يعتبر في تصرفه عرفاً أو قانوناً، فالقانون الوحيد هو مزاج الحاكم، إذا صح هذا التعبير المتناقض، فهو يستطيع أن يتصرف بحقوق الناس ومصائرهم تصرفه في حقه ومصيره. وهذا الحاكم نفسه كان يتغير بسرعة، فقد كانت الانقلابات رائجة في ذلك الوقت، فلا يكاد الناس يفكون رموز مزاج حاكم ما حتى يحل محله آخر ذو مزاج مختلف.... ولذلك كان بعد البقاء خارجاً من يد صاحبه من جهة، وخالياً من أي عنصر موضوعي من جهة ثانية، فلم تكن المؤسسات الاجتماعية (الحياة الاقتصادية، القضاء، التعليم، الخ..) تملك أي استقلال ذاتي أو تخضع لأي نظام، ولكن رغبة الحاكم كانت قادرة في كل وقت على أن تعبث بالمؤسسة وتديرها في الاتجاه الذي يلائم المزاج.

وهكذا خضعت حياة الناس للمصادفة، وانتفى الشعور بالأمان والضمان، فلا حياة الناس ولا أعمالهم، كانت في مأمن من عبث الطاغية، وبذلك انهار بعد البقاء بانهيار الأبعاد الأخرى، فضياع الشعور بالأمن، وخضوع الحياة للمزاج والمصادفة، كل هذا أدى إلى انهيار المستقبل، ففي جوٍ كهذا يصبح حظ المستقبل من الاحتمال ضئيلاً، فهذا المستقبل قد لا يجيء، ولذلك يكفُ الناسُ عن ترقبه ويغوصون في الحاضر، وبذلك يتحجر الماضي وينغلق على ذاته ويكف عن النمو ويصبح حضوراً سرمدياً، وبذلك يتحجر الإنسان معه ويصبح ذلك الماضي إلى الأبد، كالميت الذي تصبح ماهيته عين ماضيه، ولذلك أصبح الناس في ذلك العصر يذكرون الماضي كما يذكرون الفردوس المفقود ويعيشون في ذلك الماضي، في قيمه وأفكاره. والغوص في الحاضر يؤدِّي من جهة ثانية إلى أن يستسلم الناس للذائذهم، وإلى أن ينهاروا عن مستوى الحوار، وهذا يؤدي إلى انقطاع التواصل الاجتماعي وانعزال الأفراد وغرقهم في بحر من الحذر وسوء الظن، وبذلك يمتنع قيام أية قضية مشتركة لأن الحوار أساس كل القضايا كما رأينا، وهكذا تنعدم القيم الموضوعية وتنهار الحياة الاجتماعية. ثمَّ إن الانهيار عن مستوى الحوار يؤدي إلى الانهيار عن مستوى القيمة، وذلك يؤدي إلى أن تحل علاقات التشييء محل علاقات الحضور فتنحدر علاقات الإنسان بالآخر إلى مستوى العلاقة بالشيء ويصبح كل إنسان وسيلة للآخر، فيحل الجنس محل الحب، والخداع محل الصدق، والخبث والرياء والنفاق محل الاحترام الحقيقي، وبذلك تسود الفردية في أحط مستوياتها) الأستاذ أحمد حيدر، كتاب نحو حضارة جديدة، مرجع سابق.

(١) (إن التقنية غير واعية وصيرورتها محكومة بقانون العطالة وحده والتاريخ إذا ترك وشأنه لا يؤدي إِلَّا إلى المزيد من الانخلاع الإنساني.

ولكن نقطة الأصالة لدى ماركس تكمن في اقتناعه بحاجة التاريخ إلى التصحيح المستمر فما من حل نهائي والإنسان لا يستطيع الاحتفاظ بذاته وسط عالم الأشياء إِلَّا باليقظة الدائمة والجهد المستمر وذلك من أجل امتلاك زمام التاريخ والأخذ بناصية الصيرورة إن القيمة الإنسانية تبدو خلال التاريخ مثل حضارة في الصحراء: تعمل الرمال على دفنها باستمرار وعلى أصحابها أن يزيلوا عن وجهها كل حين آثار الرياح، إن عصرنا يمثل لحظة حالكة من تلك اللحظات فالإنسان يبدو اليوم منسحقا أكثر من أي وقت مضى تحت وطأة الضرورة العمياء، وهي جملة أثقال التقنيات المختلفة التي رأيناها فيما سبق، بالإضافة إلى ذوي العطالة أنفسهم الذين استراحوا إلى انطفاء المبادرة الإنسانية.) الأستاذ أحمد =

لكانت حياته أفضل وأجمل وأسعد لو أنه استغنى عنها، أو لو أنه استطاع أن يستغني عنها!

وهذا ليس مستحيلاً؛ بل بإمكانه عندما يعي ويفهم المعنى الحقيقي لمفهوم الحضارة والتحضر؛ المعنى الأساسي الذي ينبني على الحضور وليس الغياب؛ الحضور الذي يتضمن ويتطلب المساهمة والأداء والتفاعل والعطاء الإيجابي لأفضل وأحسن وأجمل وأغلى ما لديك، لا السلبي السالب الساكن! بحيث صار الإنسان (الأكثرية) في المجتمع العربي، تسلك سلوك باقي الكائنات الحية؛ غير الواعية وغير المكلفة؛ تسيرها غرائزها، وتدفعها دوافعها! لا تلوي على شيء، يحركها المال والشهوة؛ وأعرضوا عن دين الله سبحانه وتعالى، الدين الحق، وعمَّ يؤكد عليه هذا الدين، من الشريعة الناظمة والمُنَظِمَة، والموصِلة لأكرم المنازل، وأنبل المستويات، شريعة الخالق المبدع التي تحمل الإنسان إلى أرقى المستويات، بما تولده من المثل والأخلاق والقيم العليا، التي تسبغ حياة المؤمنين الصادقين، والتي كانت ودائماً ترفع من مستوى الإنسان على مر الزمن، بينما هذه المخترعات التي لم تجلب على الإنسان سوى الهبوط والخسران.

ولكنَّ أكثر الناس غير مدركين للأسف الشديد، وليس لديهم القدرة على الإدراك الصحيح، لا يفكرون بفكر، ولا يعقلون بعقل؛ ولكنهم بسلوكهم، وبمواقفهم، بأقوالهم وأفعالهم يصدرون عن ذاكرة محملة عندهم، معطيات ثابتة؛ مثبتة في أدمغتهم مسبقاً، يسيرون وفقها لا يحيدون عنها، إنهم لايستطيعون تغيير خط مسيرهم المنبعث من هذه الذاكرة، والذي صُمم ووضع لهم إبان العهد العباسي!

لذلك كان كل ما هو صحيح، عندهم، هو ما وافق ذاكرتهم الطيبة، وكل ما ناقض

---

حيدر، كتاب نحو حضارة جديدة، مرجع سابق.

هذه الذاكرة، هو خطأ وغير مقبول، ومرفوض عندهم، فلا قيمة للعقل عندهم على الرغم من أنّ القرآن الكريم قد أكَّد على العقل والتعقل ٤٩ مرة، والفقه ٢٠ مرة، والفكر١٣مرة، و قد ورد لفظ (العلم) بمختلف الاشتقاقات، أكثر من ستمائة مرة.

# الطائفية موضوع آخر

إن جميع الدول الصليبية المهودة في العالم، جميع الدول الأوربية وأمريكا وكندا واستراليا، تستقبل في كل عام، ومنذ زمن، عدداً من المهاجرين الجدد، عشرات الآلاف، من كافة أنحاء العالم، النُخَب من أصحاب العقول المفكرة، والهمم والطاقات العالية، ومن الأيدي العاملة، والدماء الجديدة المجددة للشباب؛ لا سيما من البلاد العربية والإسلامية، والحكومات في تلك الدول الغربية، لديها دائماً خطط ومخططات، وبرامج خاصة، تمارسها وتتبعها في السياسة الداخلية، وتعمل على إنجازها على الدوام، وبشكلٍ صارم.

وهي تهدف في سياستها الداخلية؛ باستمرار إلى إزالة الثقافة الأساسية للوافدين إليها، والعمل على إذابتهم وصهرهم في بوتقة حضارتها الحديثة؛ وتبذل من أجل تحقيق هذا الهدف كل ما بوسعها، وهي بذلك تنجح نجاحاً مطَّرِداً، فمن أجل تحقيق هذا الهدف، صار لديهم خطط وأساليب خفيَّة وشيطانيَّة، بحيث يكون الجيل الثاني من المهاجرين، على أبعد تقدير، قد تخلى نهائياً عن ثقافة الآباء، وحمل ثقافة الحداثة بملء رغبته، مقبلاً عليها بكامل وعيه؛ [1].

لذلك لم يكن غريباً أن تسمع عن شخص مثل (فيليب حبيب) المبعوث الأمريكي أثناء الحرب اللبنانية، العربي الأصل؛ الأمريكي الجنسية، أن تسمع بأنه كان من أشد الناس عداوة وحقداً على العرب، كذلك الجنرال (جون أبي زيد) قائد قوات التحالف في العراق،

(١) بحيث لا يستطيع أحد من المهاجرين إلى أوربة، أو أمريكا، أو كندا، أو أستراليا من العرب المسلمين أن يضمن أبداً أن يبقى أولاده، بل أحفاده على العهد، عرباً ومسلمين، اللهمَّ إِلَّا من رحم ربي. وقد صادفت وسمعت عن كثيرين من الذين خسروا أعمارهم في الغربة هناك، ثمَّ كان أولادهم الذكور والإناث، لا يتحدثون العربية، ولا يعرفون عن الإسلام إِلَّا القليل؛ ينتمون إلى تلك الدول الأجنبية بالكلية، ثقافتها وأديانها؛ كان الآباء يتحدثون بمرارة.

والذي قيل وأشيع بأن أصله عربي![1].

فكيف يحوِّلون العربي، في الغرب وخلال فترة قياسية وجيزة، إلى كاثوليكي حاقد حقداً لئيماً على العرب والإسلام، أو بروتستانتي متشدد وظالم ضد العرب والإسلام؟ كيف يفعلون ذلك؟ ما هي الخطط المتبعة؟

وهل صارت هذه الخطط التي كانت تطبق على المهاجرين من العرب إلى دول الغرب، هل انتقلت هذه الخطط لتطبق وتُتَّبع، ولتمارس ضمن فئات وطوائف عرقية ودينية، موجودة وتعيش على الأرض العربية، بحيث صارت هذه الفئات تبدي تنكرها ورفضها وكراهيتها وحقدها العلني للعرب والإسلام؟ على أرض العرب والإسلام!

بينما في الدول العربية، فإن الحبل كان دائماً متروكاً على الغارب، العرب المتسامحون إلى أقصى الحدود، الطيبون زيادة عن اللزوم، لم يلتفتوا إلى هذه المسألة المهمة والحساسة والضرورية والسيادية، والتي كان من الواجب على أصحاب القرار في الدول العربية، وعلى العرب عامة، في كل زمان وفي كل مكان، التنبه لهذا الأمر والتصدي له، ومواجهته على أرضهم بكل حزم.[2].

---

(١) ومن قبله الجنرال (عمر برادلي) رئيس أركان الجيش الأمريكي، والمخطط الفعلي للمعارك (عندما كان إيزنهاور وزير الدفاع) في الحرب العالمية الثانية، وقائد قوات الحلفاء، وهناك دبابة أمريكية باسمه، أو سيارة (هومر!) كان (عمر البرادلي) أصله من دمشق، من منطقة ركن الدين، فهل كان (البرادلي) حفيداً لصلاح الدين الأيوبي.

(٢) قبل سنتين تقريباً، كنت جالساً في إحدى الأمسيات الصيفية، في مكتبي أتحدث مع صديقي السيد عاطف، الشيوعي السابق؛ فدخل إلينا شخص لا أعرفه، كانت ملامحه عربية من يراه يشعر أنه قريب من القلب... فهو أسمر، بشوش الطلعة، نظيف، لبق ومؤدب، حَّيانا وبادرني بالسؤال عمّ إذا كان عندي أي كتاب يتحدث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛؟ ناولته على الفور ثلاثة كتب مختلفة، لثلاثة مؤلفين، كلها بعنوان (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) وكتاب رابع كان بعنوان (الناسخ والمنسوخ في الحديث النبوي) لكنني لاحظتُ أنه فوجئ بوجود أكثر من كتاب مختلف عن (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) وفوجئ أيضاً بوجود كتاب عن (الناسخ والمنسوخ في الحديث)! أخذ يقلب صفحات تلك الكتب وينظر فيها؛ ثم قال لي: الحقيقة أنني =

ماكنت أتوقع وجود عدد من الكتب المختلفة عن الناسخ والمنسوخ في القرآن، وأنه يوجد أيضاً كتاب عن النسخ في الأحاديث! ومع ذلك فإنَّ هذه الكتب ليس فيها الكتاب الذي أبحث عنه! فأنا أبحث عن كتاب للناسخ والمنسوخ، فيه آية واحدة، تنسف أربعمائة وعشرين آية من القرآن!!!!، وأنا لا أجد هذه الآية في هذه الكتب!!!!؟. فقلت له مندهشاً: وهل تعتقد ياصديقي، أنه يمكن أن تكون في القرآن الكريم كلمة واحدة منسوخة؟ فالقرآن الكريم كلام رب العالمين وبالتالي فلا يجوز أن يُنسخ منه حرف واحد، فإذا نُسخ منه حرف واحد فهو إذاً ليس بكلام الله تعالى، وأستغفر الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن الكريم كذلك، فقال: نعم؛ أنا أعرف أنَّ هناك آية واحدة في القرآن أسمها (آية السيف) هذه الآية تنسف أكثر من أربعمائة وعشرين آية!!! فقلتُ له: هذا كلام غير صحيح طبعا! فقال لا لا أنا أعرف أنَّ في القرآن آيات منسوخة، وأنّ هناك أنواعاً من النسخ ومنها ما هو منسوخ لفظاً وموجود كتابةً؛ وهناك آيات قد نسخت لفظاً وكتابةً! وأردف قائلاً محاولاً التأكيد وبإصرار: ثمّ ألا ترى أن هذه الكتب كلها التي أمامك تؤكد على موضوع النسخ! فالنسخ أكيد؛ وهو موجود ولا يستطيع أحدٌ نفيه أبداً، فقلت له: بل هذا وهمٌ توهمه البعض، في الفترة العباسية أيام سيطر الفرس على الدين والدنيا، ولم يكن أيام الرسول ﷺ ولا في صدر الإسلام ولا في أيام الأمويين، والنسخ في القرآن الكريم غير صحيح أصلاً، وغير منطقي إطلاقاً، ولا يجوز أبداً، وهو يتناقض مع كون الدين من عند الله سبحانه وتعالى. ولا يجوز أبداً أن يقول الله سبحانه وتعالى لنا كلاماً، ثم ينسخه في اليوم التالي! فإذا صح ماتقوله فيكون الكلام في القرآن الكريم، كلام بشر وليس كلام الله، وأستغفر الله تعالى، فمعنى قولك هذا هو أن هذا القرآن الكريم من عند محمد؛ وأنه ليس رسولاً مبعوثاً من الله سبحانه وتعالى، وأنه كان يبدل ويقدم ويؤخر بحسب المناسبة؛ قال نعم! ولكن في القرآن ذاته آيات تدل على النسخ، مثل قوله (وما ننسخ ومن آية أو ننسها نأتي بخيرٍ منها). لقد جرى كل هذا الحوار بيني وبينه، وهو واقف، فلمَّا لاحظت تَعَمُّدَهُ إبراز الخلل والتشكيك.. قلت له: إذا كان الأمر كذلك فأرجوا أن تتفضل وتجلس على كرسي الاعتراف؛ وأشرت إلى كرسي أحمر اللون، وقلت له مداعباً: إن هذا الكرسي مريح جداً للجلوس عليه، ومن خصائصه، أنَّ الجالس عليه يصبح صادقاً وينطق بالصراحة، فأحب الفكرة وتجاوب مع اقتراحي، وجلس على الكرسي الاعتراف، وكان نبيهاً وذكياً، فقلت له: يا سيدي مشكلتنا مع كتاب الله العظيم، هي أننا إلى الآن لم نفهم آياته الفهم الصحيح، ونحن إلى الآن لانزال أبعد ما نكون عن إدراك المعاني الحقيقية لألفاظه، لذلك فإنَّ الآية التي أشرت إليها لا تعني نسخ كلام الله سبحانه وتعالى، الذي في القرآن الكريم، وحاشا وكلا أن تعني ذلك، ولكن بعض المتفيقهين من الذين حاولوا وضع ما سميّ خطأً بالتفاسير؛ وكان أصلهم، أكثرهم، من غير العرب؛ كانت لهم مشكلة في فهمهم للقرآن الكريم، فعملوا على وضع التفاسير! كانت التفاسير أساساً قد وضعت للمسلمين من غير العرب، ولا يجوز أن تكون للعرب! فقال: إذاً ماذا تعني الآية التي تقول بشكلٍ صريحٍ وواضح ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦] فقلت له: هل تعرف الفن التشكيلي؟ فقال: أنا فنان تشكيلي! فقلت له: عظيم جداً، فإذا أتينا بلوحة فنية كبيرة ووضعناها على هذا الجدار، وقمنا بتغليفها فأخفيناها كلها، ثمَّ كشفنا لك عن مقطع صغير من زاويتها، وقلنا لك ما هو رأيك بهذه اللوحة، هل بإمكانك أن تبدي لنا رأياً صحيحاً وكاملاً عن هذه اللوحة؟ فقال: لا طبعاً. فقلت: وكذلك القرآن الكريم، كتاب الله العظيم، كلامه سبحانه وتعالى، فإن السورة في القرآن الكريم عبارة عن لوحة متكاملة لا يمكن فهم الآية الواحدة إذا تمَّ اجتزاؤها من السورة؛ بل يجب أولاً قراءة السورة بالكامل، ويجب =

أيضاً العمل على فهم السورة من القرآن الكريم بالكامل ثمَّ نعمل على دراسة الآية في موقعها... وهذا هو السبيل الوحيد لفهم الآية من القرآن الكريم، وليس هناك أي طريق آخر، بل ويجب والأساس طبعاً، أن يُقرأ القرآن بأكمله، لفهم السورة، ثمّ قراءة السورة للوصول إلى حقيقة المعنى للآية واللفظة الواحدة؛ أما أن نقوم بفهم القرآن عن طريق تفسير المفردات، من القواميس والمعاجم التي وضعها البشر وكانوا قد استنبطوها من القرآن أساسا؛ فهذا الأمر لا طائل منه أبداً! وهو غير مفيد إطلاقاً، ولا يجعلنا نفهم الآيات، ولا يُوصلنا إلى المعاني الحقيقية، التي في كتاب الله تعالى، أبداً بل على العكس تماماً، فهذه الطريقة هي التي تأخذ، وقد أخذت العرب والمسلمين في الاتجاه الخاطئ! طوال القرون الماضية. القرآن الكريم كتاب الله العظيم، كلامه سبحانه وتعالى، كتاب الكون، وهو موجَّهٌ للعالمين، وهو مَعينه لا ينضب أبداً، ولاتنقضي عجائبه، القرآن الكريم ليس كتاباً مكتوب بلغة إنكليزية أو فرنسية أو صينية، تقوم بترجمة المقطع منه، أو الجملة الواحدة أو اللفظة الواحدة فتفهمها، فقال: فإذاً؛ ماذا تعني الآية التي تقول ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾؟ فقلت: الواقع أننا لو عدنا إلى سورة البقرة، وقرأنا السورة من أولها، لوجدنا السورة تتحدث عن الأقوام السابقة من بني إسرائيل، من أهل الكتاب، من الذين هادوا (وهؤلاء ليسوا اليهود طبعاً) ومن النصارى، ومن الصابئة وغيرهم، في مواقعهم المختلفة وفي أزمانٍ مختلفة ومتنوعة؛ وعن الشرائع والرسالات العديدة التي قد نزلت على تلك الأقوام من بني إسرائيل، وصولاً إلى عهد الرسول العربي محمد ﷺ، والقبائل العربية، وغير العربية التي كانت في عصر الرسول ﷺ، وكانت بطبيعة الحال هذه الشعوب وهذه القبائل، امتداداً لقبائل بني إسرائيل البائدين، المنحلين والذين تشكلوا في قبائل جديدة مثل قريش وثقيف والأوس والخزرج. هؤلاء كلهم كانوا بني إسرائيل وكانوا يعرفون ذلك وقد خاطبهم القرآن الكريم على هذا الأساس، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وعلماء بني إسرائيل في هذه الآية هم رهبان النصارى، ويعدد رب العزة الآيات الكثيرة، والبراهين العديدة والكثيرة، التي كانت للأنبياء السابقين مع أقوامهم؛ وأممهم، ثم يقول رب العالمين أن الله سبحانه وتعالى قد ينسخ هذه الآيات وهذه الشرائع، ليبدلها بخيرٍ منها، ما يتناسب مع العصر الجديد! عصر الرسول العربي محمد ﷺ، فقد نسخ الله سبحانه وتعالى المعجزات التي كانت مع الأنبياء السابقين على اعتبارها أساليب قديمة كانت لازمة أو مطلوبة قبل التعقل الإنساني، وقد نَسَخَ الرسالات السابقة وكتبها المنزلة، التوراة، والإنجيل، والزبر، والصحف جميعها قد نسخها رب العالمين، وشمَّلها القرآن الكريم، وضمَّنها إلى القرآن الكريم، فلم يعد هنالك توراة؛ التوراة الحقيقية موجودة في القرآن الكريم، ولم يعد هنالك إنجيل، الإنجيل الحقيقي، كما نزل، موجود في القرآن الكريم. ففتح ثغره وقال: ها! القرآن نسخ الإنجيل؟ فقلت هذا هو مدلول الآية التي أشرت إليها يا صديقي! فقال: ليلة أنيسة! في هذه اللحظة رن الهاتف (الموبايل) في جيبه فأخرجه وتحدث فيه، وكان على ما بدى سعيداً ويُطمئنها عن أنه سعيد للغاية في هذه الليلة!! وقال لها تحديداً أنا الآن أقضي ليلة أنيسة! ثم أنهى المكالمة، وقال هذه زوجتي تتحدث معي من روما، من حضرة الفاتيكان، فأنا مقيمٌ الآن في روما، وأنا أدرس اللاهوت، وأدرسه،! فأنا الأصل من لبنان، ومقيم في روما، وجئت إلى سورية في زيارة قصيرة، وسأسافر بعد غد، ولكنني الآن سعيد جداً في هذه السهرة! ما كنت أتوقع أن تصادفني مثل هذه المصادفة كم أنا محظوظ! ثم ذهب وكانت الساعة الثالثة صباحاً! لكننا أنا وصديقي أصبنا بالذهول وانتابتنا مشاعر وأحاسيس مختلفة، لم نكن =

ولماذا أغفل العرب المسلمون منذ خمسة عشر قرناً ولم يطبقوا ولم يتبعوا، منذ ذلك التاريخ، مثل هذه الخطط والمخططات؛ لإذابة الاختلاف وتذويب العناصر المخالفة للعقيدة السمحة بطرق حضارية وإنسانية رائعة وعظيمة؟

هل كان العرب المسلمون على حق في نشر دعوة الإسلام؟ إذا كانوا على حق فما مبرر بقاء واستمرار نقيض الحق، على الرغم من مرور كل هذا الزمن، ومثلاً كيف استمرت بعض القرى العربية النصرانية على نصرانيتها؟ وسط بحرٍ من العرب المسلمين؟ وكيف بقي البعض يرطنون بلغاتهم السرية الخاصة؛ دون أن ينتبه الأوائل من أجدادنا العرب إلى خطورة هذه المخالفات وخطرها على الاستراتيجية العربية الإسلامية التي أكد على أمر صيانتها ومتابعتها القرآن الكريم في آياته البينات، والسنة النبوية الشريفة في عريض ما نصت عليه، وأنه واجبٌ، كان فرض عين على كل مسلم ومسلمة، فأهملت هذه الأمور عند انهيار الدولة الأموية، حتى تفاقمت ووصلت إلى أدنى مستوى في العصر الحديث؛ ووصلت إلى ما هي عليه من التعقيد، وكان السبب فيها تهاون العرب المسلمين في الماضي، وعدم إدراكهم للمسؤولية الجليلة العظيمة التي أنيطتْ بهم؛ وذلك بهدرها وتبديدها؛ وتسامحهم في تلك العصور في التسيُّب غير المبرر، فتفلَّتت زمام الأمور، وأدَّت إلى الانخلاع، انخلاع العرب المسلمين، المهد الأساسي للإسلام، ومركزه، ما أدى إلى ضياع المسلمين عامة، لأنه كان بالإمكان وخلال العصور السابقة، بذل الجهود، ومتابعة الحوار مع الجميع، للوصول إلى الحق![1].

---

نصدق أن هكذا لقاء يحدث بين الأرواح صدفة! قال لي صديق عاطف: رب صدفة..

(١) حاورني رجل دين لاهوتي محترم من لبنان، كان لا يُنْكِرُ عروبته، رغم اعتزازه أولاً بكونه فينيقياً؛ وثانياً بالقومية السوريةَّ؛ فطرح عليَّ مجموعة من المقولات التي يحفظها... عادة كل مسيحي عربي، كما يحفظ اسمه، واسم أبيه وأمه! وذلك لما يُغرس فيه من الأفكار لإعداده ليكون في مواجهة كل مسلم عربي! وهذه المقولات هي المقولات التي تشكل =

الصورة المقلوبة للحقائق التاريخية، والتي عادة ما يتم تلقينها لكل مسيحي عربي، من قبل بعض الجهات، في كل الطوائف المسيحية العربية، ليسمعها كل طفل مسيحي عربي، في سنيه الأولى، قبل دخوله المدرسة بشكل مشوه؛ وذلك لدى كل الطوائف المسيحية العربية، مع احترامنا وتقديرنا للجميع، الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستنت، والسريان، والأشوريين، والموارنة؛ والأقباط، والإنجيليين، وذلك فتلاً، وقلباً للحقيقة رأساً على عقب؛ وتشويهاً للدين الحنيف، وتعريضاً بالعرب المسلمين، وتشويهاً لدورهم العظيم، وطمساً لصورتهم الرائعة، في حين تتطلب الروح الوطنية العربية، أن تقدَّم صورة العربي المسلم للطفل العربي المسيحي في أروع مثال، وأبهى حلة وأرقى مستوى، كما تُقدَّم الآن صورة المسيحي للطفل العربي المسلم على أنها حضارية ومثالية؛ فهل يطلع العربي المسيحي في حياته كلها على الثقافة العربية الإسلامية؟ لماذا ينظر العربي المسيحي إلى الثقافة العربية الإسلامية على أنها غريبة عنه؟ هل يعتبرها ثقافة وطنية له؟ هل يعتز بها؟ لماذا لا يعتز بها؟ على أنها جزءٌ من تاريخه الوطني؟ لماذا يتم تحميله مبادئ الثقافة والحضارة الغربية، وليتم ربطه بها دون الثقافة العربية؛ التي يتعمدون قطع علاقته بها تماماً فلماذا؟ على كل حال فإن صديقي اللبناني المحترم، قد قام حيالي بمهمته الطبيعية، فذكَّرني وأعاد على مسامعي مقولة أن بلاد الشام كانت في يومٍ من الأيام، أكثرها من النصارى، وكذلك العراق، ومصر؛ وهو يتحسر؛ وقال أنَّ آثار الكنائس لا تزال موجودة في عمق الجزيرة العربية إلى الآن! ثمّ ذَكَرَ لِيَ (ورقة بن نوفل) بطريقة استفهامية لا تخلو من ذكاء، وبأسلوب السؤال، فقال هل كان ورقة بن نوفل نصرانياً؟! هل كان خال خديجة أم عمها؟! وقال لي: لماذا لم يسلم؟ ثمّ ذكر موضوع (الجزية) وموضوع إخلاء عمر بن الخطاب لجزيرة العرب من النصارى ولاسيما من نجران؛ ثم بدأ يحدثني عن العهدة العمرية، وشروطها القاسية مما أدى برأيه إلى انحسار المسيحية إلى أضيق الحدود؛ في بعض القرى، والمناطق بينما انتشر الإسلام؛ فقلت له ياأخي العربي؛ من الواضح أن لديك قدرة خاصة على الفهم والاستيعاب، وأريد أن أطرح عليك سؤالاً: هل أنت على استعداد لتجيبني من عقلك لا من ذاكرتك؟! فقال نعم أنا أفضِّل الحديث بطريقة عقلانية وعلمية بحتة؛ فقلتُ له عظيم جداً اتفقنا إذاً، والسؤال هو أنك أنت بالذات، لو أنَّ أحد أجدادك العظماء السابقين، الذين بقوا نصارى، لو أن أحدهم كان قد دخل الإسلام مع من دخلوه من النصارى، الذين دخلوا الإسلام في عصره الزاهي، قبل مئات السنين؛ أو عشرات السنين، لو أن أحد أجدادك العظماء كان قد أسلم، فكيف سيكون وضعك الآن؟ وفي أي صفٍ كنت ستكون؟ وعن أي دين، وعن أي عقيدةٍ كنت ستدافع؟ فقال بالتأكيد كنتُ سأكون مسلماً، وكنتُ سأدافع عن الإسلام، فقلت له: بل وربما كنتَ صرتَ ملتزماً ومتشدداً أكثر مني أنا بكثير! ياصديقي هناك خطأ تاريخي لدى الأخوة من المسيحيين العرب، في نظرتهم للقرآن الكريم، لأنهم لايعلمون أنَّ القرآن الكريم أصلاً هو كتاب سماوي موجهٌ كان أساساً، وبداية إلى النصارى من العرب، أهل الكتاب؛ ولم يكن موجهاً للمسلمين! لأنه أساساً، لم يكن الإسلام عندما قد نزل القرآن الكريم على الرسول العربي محمد ﷺ، وبالتالي لم يكن الإسلام قد انتشر في العالم، في ذلك الوقت؛ ولم يكن المسلمون منتشرين قبل بعثة الرسول محمد ﷺ، بل كانت النصرانية وغيرها، كانت هي السائدة طبعاً، والقرآن الكريم واضحٌ، في أنَّه كان، في خطابه لبني إسرائيل، وهم العرب عامةً، أولاً الذين هادوا =

منهم، ومعنى الذين هادوا، أي الذين حادوا عن الطريق الصحيح، ونكسوا في الميثاق (وهؤلاء غير اليهود؛) وكان الخطاب ثانياً للنصارى، وهم الذين قالوا لسيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (نحن أنصار الله) عندما سألهم (من أنصاري إلى الله) فسماهم القرآن الكريم (النصارى) {وليس الأمر كما يشيعون في بعض الأوساط من أنّ لفظَ النصارى أُطلق في عصر الرومان على فئة منشقة عن المسيحيَّة الرومانية، كما يدعون، والمقصود بها أتباع المجاهد (آريوس) الذي بقي يناضل وينادي بالتوحيد ووقف في وجه الوثنية الرومانية التي اخترقت الدين السماوي التوحيدي الحقيقي، وحوَّرَتْهُ} والصابئون أيضاً كانوا مستهدفين في القرآن الكريم، وكانت المهمة الأساسية للقرآن الكريم، وللرسول العربي الأمين، هي تحويلهم جميعاً، من أوضاعهم المنحرفة، إلى الإسلام، إلى الإيمان الحقيقي، وقد خاطبهم الله سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم، على أنهم (نصارى) في ١٤آية، وعلى أنهم (آل كتاب) في ٣٢ آية، وخوطبوا مباشرة على أنهم (آل الإنجيل) مرة واحدة، وعلى أنهم من (بني إسرائيل) ٤١ مرة. وذكر القرآن الكريم سيدنا عيسى بن مريم ٢٥ مرة، وسماه المسيح ١١ مرة، وذكر أمه السيدة مريم ٣٤ مرة، والحواريون ٥ مرات، والأحبار ٤ مرات، ومرات كثيرة قال عنهم (الذين آمنوا). ثم استطردت قائلاً له: فيا صديقي إن القرآن الكريم، ككتاب عربي نزل من السماء، كان لكل العرب، ولكل العجم! على اعتبار أنهم عرب أيضاً ولكن غير مبينين.. وأنهم على عِوَج، ولكن طُلِبَ منهم أن يعودوا فيستقيموا فالجميع بالنسبة للقرآن الكريم هم أعراب؛ سكان المدن وسكان البادية والروم، والفرس، وقريش وكل الآخرين كانوا بالنسبة للقرآن الكريم أعراباً، ونصارى، وآل كتاب، فالنصارى كانوا المعنيين به أساساً، ويجب عليهم الآن أن يكونوا معنيين به، وفي جميع الحالات النصارى العرب يجب أن يكونوا معنيين بفهمه وبدراسته، هذه هي الحقيقة يا صديقي. والواقع أنه على كل عربي أصيل أياً كان انتماؤه! أن ينظر إلى القرآن الكريم بحُبٍ، على أنه كتابه الخاص، موجهاً له بالذات؛ ثمّ ما الذي يمنعك أو يمنع كل مسيحي عربي من قراءته، ودراسته، وفهمه، لماذا أنت تنكبُ على دراسة الفلسفة اليونانية، والأدب الأوربي الحديث، والتاريخ العالمي، وتفهم اللغة الإنكليزية، وتتحدث الفرنسية بطلاقة، وتعلمت الكمبيوتر، وتدرس اللاهوت في الفاتيكان، ولم تقرأ القرآن إلى الآن، ولم تطلع على شيء من السيرة النبوية الصحيحة، ولا الآحاديث الشريفة، ولا حتى الشعر العربي، ولا الحكمة العربية، وتقول أنك عربي، وتعتز بكونك عربياً! وأنت منقطع عن أي رابط يربطك بالعروبة (وهذا الوضع، وهذا الحال، ينطبق تماماً على كل الفئات والنحل والطوائف، والفرق التي تعيش على بطاح الأرض العربية، وتسمي نفسها بأنها عربية، وأحياناً إسلامية؛ وتنضوي أو تتصف بأنها عربية من حيث الشكل، بينما أكثرها في الواقع؛ تسلك سلوكاً مختلفاً، وربما كان حياتياً مناقضاً للعروبة وللإسلام معاً!! وهم يعيشون على الأرض العربية، ولكنه من المؤكد أنَّ هذا الوضع، في جميع الحالات كان قد نتج عن خطأ تاريخي، ومرحلة تاريخية قد مضتْ، والآن يجب، وتقتضي المصلحة الوطنية، لمن يفهم؛ أن يُصحِّح هذا الخطأ فوراً) [وهكذا فإنه في المدارس العربية في جميع البلاد العربية، يتم إخراج التلاميذ غير المسلمين من حصص دراسة الديانة الإسلامية، فلماذا لا يترك الطلاب العرب، غير المسلمين، في درس الديانة الإسلامية على الأقل ليأخذوا فكرة صحيحة عن الإسلام؟ بدل أن يستمروا كلَّ حياتهم =

ينظرون إلى الإسلام بجهالة وعدائية ليس لها مبرر إِلَّا مصالح فئوية ضيِّقة، أبعد ما تكون عن الروح الوطنية الحقة! ياصديقي.. وهنا قاطعني هذا الصديق المحترم قائلاً: لكني سبق وأن قرأتُ القرآن من زمان.. وأعرف منه بعض الآيات؛ فقلت له: نعم أنت عندما قرأتَ بعضَ آياته قرأتها بهدف محدد! من باب الفضول وأنتَ كنتَ تتوقع أنه مليء بالأخطاء... أنتَ لم تقرأه على أنه الكتاب العربي العظيم، الذي يجب عليك كعربي أن تحبه وتحترمه، وتعتزَّ به، تحت جميع الظروف؛ لذلك لا يمكن لك أن تفهمه أبداً، القرآن الكريم بالذات لا يمكن فهمه إِلَّا إذا قُرِئ بحب! فمثلاً لو كان لك صديق سافر إلى بلادٍ بعيدة وأرسل لك رسالة، لك بالذات، فإذا أخذتُ أنا الرسالة وقرأتُها، إنني بالتأكيد لن أفهم منها شيئاً أبداً، وهذا شيء طبيعي، فهي لا تعنيني وليست موجهة ليّ، بينما هي بالنسبة لك، فإنها تُدَغْدِغُ مشاعركَ؛ لأنها تحمل ذكريات ومشاعر، قد مرت بك في مراحل الطفولة والشباب، وهذه الرسالة هي لك، خاصة بك، مشتركة بينك وبين صديقك، فأنا لم أكن موجوداً بينك وبينه في تلك الأيام الخالية، وهو قد يرمزُ لك رموزاً، وقد يلمح لك تلميحات عن حوادث، وعن أسرار، أنت الوحيد القادر على فهمها! فقال: نعم نعم بالتأكيد وفعلاً أنا لي صديق قديم في أمريكا، لاتزال بيني وبينه مراسلات، حتى زوجتي عندما تقرأها، فهي لا تفهم منها شيئاً، علماً أنني أجدها مليئة بالمشاعر وهي تعني لي الكثير... فقلت عظيم جداً، وكذلك القرآن الكريم، لن يستطيع أحدٌ فهمه، إِلَّا إذا قرأه بحب، وإنك أيضاً لن تستطيع فهمه، إِلَّا إذا قرأتَه أنت بحب؛ على أنه رسالة موجهة إليك بالذات، لا إلى غيرك! حاول أن تفعل ذلك، وسترى كيف يفتح لك الكونُ خزائن أسراره، في كل اتجاه، وهنا لا حظتُ أن الدهشةَ قد علتْ وجه هذا الصديق وكأنه فوجئ بهذا الكلام، فقلت له جرِّب ولن تخسر شيئاً إن لم تربح كل شيء؛ ثم إنك أنت كعربي أقدر من غير العربي، على فهم القرآن وكشف أسراره، أقدر من المسلم غير العربي، الذي يؤمن بالقرآن والإسلام، ولكنه لا يقرأ العربية، ولا يفهم العربية؛ فهو لن يكون أكثر منك فهماً لهذا الكتاب، وأنت العربي، وابن البيئة العربية وسلالة النجب من العرب؛ فقال: بالتأكيد فقلت له: يا صديقي قيل لي أنه في بعض الدول الإسلامية غير العربية، فإنه هناك يجلس أحد الأئمة غير العرب، لتفسير القرآن! وهو لايعرف شيئاً عن اللغة العربية، لا قراءة العربية، ولا كتابة العربية، وعمره أكثر من ثمانين سنة، ويجلس في أحد أكبر المساجد هناك، وله مريدون بالآلاف يستمعون إلى دروسه، ويأخذون عنه الدين، والشريعة الإسلامية، وهو لا يعرف إلى الآن أن يتحدث، أو أن يفهم اللسان العربي المبين، بل يفتح القرآن الكريم ليقوم بتهجئة بعض الآيات من القرآن بلسان أعجمي غير مبين، ثم يبدأ الشرح بلغته غير المبينة! فما يدرينا ما يقول هذا الشيخ الإمام للناس هناك؟ هل يقول لهم أشياء صحيحة عن الإسلام، وعن العرب؟ هل يتحدث عن إسلام صحيح، هل يمكن له ذلك وهو لا يعرف العربية كما قيل؟: فإنه في حياته اليومية هناك لا يتحدث العربية مطلقاً؛ فهل يتمثل بحق الإسلام العربي، أو هل يفهمه فينقله بأمانة وصدق! إننا لا ندري بماذا يحشي عقول مريديه، وآذان سامعيه؛ إنك يا صديقي كونك عربياً فأنت أقدر من ذلك الشيخ، على قراءة القرآن الكريم، وفهمه، لأنَّ هذا الشيخ القابع هناك، قد صار عمره أكثر من ثمانين سنة، وهو لا يزال يأنف من التحدث بالعربية، فماذا تتوقع أنه يعرف عن القرآن، وعن الإسلام لذلك فشيء طبيعي أن تراهم هناك يمارسون شعائر وعادات وثنية تماماً وتحت
=

إنَّ تباطؤ العرب وعدم اكتراثهم، في الماضي وتهاونهم في تعاملهم مع هذه القضية الأساسية، وعدم اتباعهم السياسة الصحيحة، والملائمة حيال الوافدين إلى البلاد العربية أفراداً وجماعات، بكافة أشكالهم وأنماطهم وثقافاتهم وعقائدهم قد أورث الواقع العربي، والمستقبل العربي، مشكلات جساماً استفحلت واتسعت وأصبحت دولية! واكتسبت صفة الديمومة، وصار لا قبل للحكومات العربية الحالية؛ على حلها أو التغلب عليها.

---

اسم الإسلام فقال صحيح أنا لاحظت ذلك في جنوب شرق آسيا عندما كنت هناك... فقلت له بل أكثر من ذلك لأن بعض هذه العادات والمعتقدات الغريبة عن جوهر الإسلام، قد عادت ووردت إلينا، إلى هنا، وقد تجد بعض المسلمين يمارسونها على أنها إسلامية وهي غير ذلك.

## الوثيقة رقم (١)

وللإمام الشافعي كتاب الأم، ومن قبله كتاب الموطأ للإمام مالك، على الرغم من أهمية تلك الكتب في الفقه، وفي الدقيق من الأحكام، وفي الفروع، والفروض، واستنباط الحلول؛ فإن هذه الكتب أسهمت، ومنذ ذلك الحين، بتكريس وضع الحديث على قدم المساواة مع القرآن الكريم؛ وكانت هذه هي أول عملية خلقٍ لمصدرٍ آخر من مصادر التشريع، أو التوجيه، والذي اقترحه بدايةً الإمام الشافعي، وكانت هذه هي المشكلة الرئيسية مع أهل الحديث، إنها تكمن في إمكانية قبولهم للحديث الذي ربما يكون ملفقاً، بالرغم من صحة السند وثبوته، وعدالة الراوي، فضلاً عن إسلامه وبلوغه! وذلك رغم وجود القرآن العربي المبين قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[الأنعام: ١١٤]، كذلك أسهمت تلك الكتب، وأدت إلى جعل الدين، بالنتيجة عبارة عن مجموعة من القوانين والقواعد! يمكن تطبيقها، وإذا طبقها الإنسان الآلي دخل الجنة! لقد أسهمت تلك الكتب منذ ذلك الوقت، في تجميد العقول وفرملتها، وتم إلغاء استخدام القياس العقلي في جميع الأمور التطبيقية، والأحكام العملية، وهو ما يُعرفُ بالاجتهاد وتم إغلاق باب الاجتهاد منذ ذلك الحين، مما أدى إلى توقف الإبداع الإسلامي، عند العرب المسلمين، لاسيما العقل العربي، مما أدى إلى تكبيله ومنعه من الحركة، أو من خلال تحريم الخروج عن ما رسمه العلماء والأئمة الذين كانوا صفوة الله في خلقه، والذين كانوا أفهم أهل الله، والذين فكروا عن باقي أبناء آدم، وبالتالي لا يحق لأحد بعدهم، أن يفكر أو أن يستنبط، وذلك من خلال الدعاية الجمة لأولئك الأئمة، فليس كمثل الإمام الشافعي رحمه الله، ذي القدرات الواسعة، والسيط الذي طبق الآفاق، ولسنا بمستوى الإمام مالك رحمه الله، الذي بقي في بطن أمه ثلاث سنوات؛ يقرأ القرآن، وأبو يوسف قدس الله سره تلميذ أبي حنيفة العبقري الفذ، ذو القدرات الخارقة، والذي لايداني، لقد خلقهم الله من طينة مختلفة! وذهبت مئات المذاهب، والآراء وبقي القليل! لاشك في أنّ الأئمة رضي الله عنهم جميعاً كانوا في حد ذاتهم قمماً فكرية فذَة، وعبقريات فريدة ورائعة، وكانوا رحمهم الله تعالى، مبدعين في العلم، وأصحاب مدارس في الفقه، لكن العامة من أتباعهم، والخاصة من أتباع السلاطين، قد أثقلوا الأحمال؛ وضخموا وكبروا المعيار، بحيث أبعدوا المشوار أو ضيعوه ضيعوا الغاية والهدف الأساسي، لكن الحق بيّن، ولايخفى على أحد، واتباعه أولى من اتباع الأخطاء، الشائعة والمخالفة للحق المبين.

وفي زمن صلاح الدين بن أيوب، صارت الفتوى بالتناوب، بين أصحاب المذاهب، بعد أن كان أصحاب كل مذهب من قبل، يستأثرون في الفتاوى، ويجبرون اتباع المذاهب الأخرى، على العمل بمقتضى مذهب القاضي المعين، فكان الناس في دمشق أيام صلاح الدين، قد أحسوا بالظلم، وحصلت بعض المناوشات ولما رفع الأمر إلى صلاح الدين بن أيوب رحمه الله، وكان في القاهرة، فأمر بجعل الفتوى في دار الفتوى (الأوقاف حالياً) مناوبة بين المذاهب، ومنذ ذلك الحين، صار يعيِّن في دار الإفتاء، المفتي بالتناوب، ثم صار يعيّناً مفتي عن كل مذهب!

وكمثال على تناقض الفتاوى، فقد جاء في كتاب (حوادث دمشق اليومية ٩٢٦-٩٥١ هـ) لابن طولون الدمشقي، دار الأوائل بدمشق،٢٠٠٢ ما هو نصه: «وقد وصلني كراس التراجم المفيدة، وكتبت لكم مؤلفين في القهوة؛: أولهما أصل التحريم، للعلامة عين الأطباء بمكة نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري الكازروني الشافعي نزيل مكة، وكان تأليفه له سنة سبع عشرة وتسعمائة، وقد سبقه إلى ذلك شخص يماني يقال له الغزالي، وآخر يقال له مكي بن الزبير العدوي، وسمى تأليفه، (قمع الأمّارة بالسّوء عن الشهوة عن شرب القهوة) وشيخ القراء العلاّمة خطيب المدينة الشريفة وإمام محرابها الشمسي محمد بن زين الدين عبد الرحمن القطّان الشافعي، وسمى مؤلفه (زلة القدم والهفوة ممن يتعاطى شرب القهوة)! وقد ورد علينا صورة سؤال في تحريمها من الديار المصرية؟! بعد أن منع من شربها مفتي الشافعية نور الدين علي بن ناصر المكّي في سنة ثماني عشرة وتسع مئة، فكتب عليه بالتحريم شيخنا البرهان ابن أبي شريف الشافعي، وشيخ القراء شرف الدين عبد الحق بن محمد السنباطي الشافعي، وقاضي القضاة السريّ عبد البر ابن الشحنة الحنفي، وشيخ الشيوخ البرهان إبراهيم ابن موسى الطرابلسي، والقاضي نور الدين على بن ياسين الطرابلسي، أيضاً الحنفيان، وقاضي القضاة الشرفي يحيى بن إبراهيم الدميري المالكي، وشيخ الشيوخ شهاب الدين أحمد بن محمد المالكي، والقاضي شمس الدين محمد بن حسن اللقاني المالكي، وقاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي الحنبلي، وقاضي القضاة بعده الشهابي أحمد بن المنجّا الحنبلي، ولما حجّ شيخ الشيوخ نور الدين علي المحلّي الشافعي، سنة عشرين وتسعمائة، رُفع له سؤال فيها، فأجاب بالتفصيل فقال: إن كانت تضرُ بالعقل فلتحريمها سببان، وإن لم تكن مضرّة فلتحريم تعاطيها على الوجه المعروف سبب واحد، وحاصله القول بالتحريم.

وثانيهما (أصل الإباحة) للعلامة المفنن الأديب فخر الدين أبي بكر ابن العلاّمة الشرفي إسماعيل بن أبي زيد المكي الشافعي، وسمى مؤلفه (إزالة الهفوة بتحريم شرب القهوة)، وكل من ألف في التحريم سمى هذا المؤلف الكبير ب (إجابة الدعوة بنصرة القهوة).قال ابن طولون: وأنا ممن شربها ولم ير الضرر منها، ولكن النفس تنفر من شربها لقول بعض مشايخي إنها تشبه لقاعة الرذائل، وتضر السوداوي وتنفع البلغمي... إلى أن قال: والذي أدين الله به أنها مباحة، وتحرم على من تضره أو يضيف إليها ما يحرمها، انتهى» ويذكر صفحة ٣٦٤ (قال بتحريم القهوة التي حدثت بدمشق؛ وقال إنها من جملة المصائب التي حدثت بهذا الزمان، قال [العيثاوي] وحدثني عن شيخنا السيد كمال الدين، يعني ابن حمزة، أنه كان يسمي بيت القهوة الخمّارة وأنه لمّا سلّم عليه حال رجوعه من مصر، سأله عن رجلٍ كيف حاله، فقال: إنه ملازمٌ الخمّارة؛ فقال له: كيف جرى؟ قال حدثت بمصر شرب القهوة، يجتمعون عليه كاجتماعهم على شرب الخمر وهو معهم. لكن الكتاب يعود فيذكر في حوادث ستة ٩٤٧هـ الصفحة ٣٣٨ ما يلي: أن الشيخ على بن عِراق (ابن شيخ الحرمين) أنه في مدة إقامته بدمشق قد أشهر شرب القهوة بدمشق، فاقتدت به الناس وكثرت من يومئذ حوانيتها، قال ومن العجب أن والده كان ينكرها وخرب بيتها بمكة.

ومثالٌ آخر، على أنّ مبدأ الفتوى إذا كانت من خارج كتاب الله سبحانه وتعالى، أو من غير الحديث الصحيح المأثور عن الرسول محمد ﷺ فهي حالة تخلف، وانحطاط، وتدني للمستوى أنني وفي بداية الثمانينات من القرن العشرين كنت قد سمعت

الشيخ المرحوم محمد متولي الشعراوي، في حديث له لإذاعة صوت العرب، وذلك أثناء انعقاد مؤتمر لعلماء المسلمين في جامعة الأزهر، كانت الغاية من ذلك المؤتمر، هي تحديد موقف الإسلام من قضية (مشروعية العمليات الجراحية، وقضية نقل الأعضاء) و(عمليات القلب المفتوح) التي كانت قد تضاربت حولها آراء العلماء، وفتاويهم في ذلك الوقت، فمنهم من أفتى بمشروعيتها، ومنهم من حرَّمها تحريماً قاطعاً! فقال الشيخ الشعراوي يومها بالحرف الواحد تقريباً: أنّ هذه العمليات هي حرامٌ قطعاً، وهي غير جائزة، ذلك أنّ المسألة تتعلق بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، وتساءل الشيخ الشعراوي فقال: كيف يقدر الله سبحانه وتعالى، على إنسان ما المرض، أو الموت، أو إتلاف أحد أعضائه، ثم يعمد البعض، أو يحاول تغيير المقدور المقدر، على الإنسان، من الله سبحانه وتعالى؟و يحاوا تغيير ما قدره الله سبحانه وتعالى؟ إِلَّا أنني وفي النصف الثاني من ثمانينيات نفس القرن، عدت فقرأت في أحد الكتب (سلسلة أنت تسأل والإسلام يجيب!) للسيد الجميلي، كلاماً منقولاً عن الإمام الشعراوي، وهو يبيح فيه تلك العمليات، ويجيزها، ويعتبرها مشروعة تماماً، والله أعلم.

ويشير الدكتور علي الوردي في كتابه القيِّم (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق المعاصر الجزء الخامس) يشير إلى أنَّ (جماعة الأخوان) السلفية الوهابية؛ والتي كانت تشكل الدعامة الأساسية التي ساهمت في إقامة ملك ابن سعود فإنَّ هذه الجماعة، وعندما شاهدوا الدراجة الهوائية لأول مرة عام ١٩٠٥م وكان يستخدمها لأول مرة ساعي بريد الملك ومراسله الشخصي، فإن هذه الجماعة قد افتت بأن الدرّاجة الهوائية بدعة وكان في رأيهم أنَّ كل بدعة في النار؛ مما سبب للملك آنذاك مشاكل حقيقية وإطرابات داخل حرسه الخاص! كادت تودي بملكه، الأمر الذي جعل الملك ابن سعود يعمل على القضاء فوراً على تلك الجماعة!

ومن أمثلة التناقض في الإفتاء أنه وأثناء الحرب، ١٩٩٠ عندما اجتاحت القوات العراقية آنذاك الكويت، كنا نسمع بعض وسائل الإعلام العربية، الإذاعات والتلفزيونات، تبث فتاوى دينية تؤيد فيها فعلة الحكومة العراقية في ذلك الوقت، وتأتي على ذلك بشواهد من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف؛ وكان البعض الآخر من الإذاعات والتلفزيونات العربية ضد هذه الحرب، وكانوا أيضاً يبثون الفتاوى الدينية المعاكسة، ليلاً نهاراً، ويستشهدون على صحة تلفيقهم لمواقفهم بفتاوى محرَّفة من القرآن الكريم، وقد ساقوا فيها الآيات سوقاً، وكذلك فعلوا بالأحاديث النبوية الشريفة، الفتاوى التي كانت تبرر مواقف السلطات التي كانوا يتبعون لها! (وكانت دائماً الفتاوى تتبع السياسة وهي دائماً كذلك).

وبالنتيجة فقد صدرت من رجال الدين فتاوى متعارضة ومتناقضة ومتعاكسة، وجميعها كانت تأتي بشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فكيف يحصل هذا الأمر؟ وكيف يستمر كل ذلك الدجل والتدجيل في الدين الرباني الحنيف؟

وأهالي دمشق الكرام وقراها، قديماً [خلال الفترة المملوكية، والفترة العثمانية، وإلى وقت قريب] يعرفون الكثير من القصص، عن أولئك الرجال الذين كانوا قد تورطوا في حلفهم يمين الطلاق على زوجاتهم؛ وأرادوا التراجع عن

موقفهم، ثم لم يمكنهم ذلك؛ إلَّا بالرجوع إلى المفتي! [وربما كان المفتي أجهل من المستفتي] كانت هذه المواقف، فيها من الهَمِّ، والغمِّ ما لا يستطيع العاقل تصوره، حيث كانت الإفتاءات نسبيِّة، تتناسب وحالة التخلف السائدة، من جهة، لدى الناس، وحالة الوعي، أو العلم، أو الجهالة التي كانت لدى المفتي من جهة ثانية؛ وكثيراً ما كانت المصالح تلعب دوراً بارزاً في إصدار تلك الفتاوى، أو أن عوامل كثيرة كانت تتحكم في تلك الأساليب، غير الإسلامية أصلاً! والتي لم تكن تمتُّ إلى الفهم العربي، أو عروبة النص بأي صلة. وإنما كانت غريبةٌ، مجلوبةٌ، ولا زلت أذكر في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، كيف كان المتورطون والذين وقعوا في تلك الإشكالات، كيف كانوا يلجؤون إلى (الشيخ الشامي) رحمه الله تعالى، في منطقة دوما، كون هذا الشيخ من السادة الحنابلة، والمعروف أنّ الحنابلة، لديهم في المذهب آفاق أرحب، في تفهم مسألة الحلف بالطلاق، أو أنهم يأخذون بالظروف، وبالعوامل النفسية المصاحبة للحالة، المبررة، فكانت الفتاوى عنده أسهل؛ بالنسبة لموضوع الطلاق، والرجعة فيه، على عكس المذاهب الأخرى، كان المسلمون يأتون من أماكن بعيدة إلى منطقة (دوما) قرب دمشق، يقصدون الشيخ الشامي ويبحثون عنه بالذات رحمه الله تعالى، لسماع فتواه المريحة والمطمئنة؛ في حين كانت بعض الفتاوى تقصِم الظهر! فهل كان موضوع الفتوى من مخلفات العصور المظلمة؟!

بينما إلى الآن لم يبدِ أيٍ من السادة المفتين، برأيهم إزاء أصوات أجهزة (الخلوي) التي صارت تلعلع في وسط الحرم المكي، والحرم النبوي الشريفين، وأثناء الحج، وأثناء أداء شعائر الله سبحانه وتعالى، في الطواف حول الكعبة الشريفة، وفي السعي بين الصفى والمروة وأثناء الوقوف على جبل عرفة، بله مساجد المسلمين، في أنحاء العالم، وأثناء إقام الصلاة، هذه الأصوات الموسيقية الراقصة، قاطعةً اتصال المصلين بربهم سبحانه وتعالى، وخلوة المختلين من المعتكفين، والله المستعان.

## الوثيقة رقم (٢)

فلماذا يقال حصان عربي وما معنى لفظة عرب، ولماذا ننسب إليها هذا الكائن النبيل والنادر والرائع، ومعلومٌ أن ثمنه باهظ جداً، وفي جميع أنحاء العالم، علماً أن هذا الحصان الرائع الذي يكادُ أن يكون إنساناً، بكل معنى الكلمة، إلَّا أنه لا يتكلم اللغة العربية؛ وبالمناسبة فإن لفظة حصان تعني تحديداً، الحصان العربي، وغير العربي مجرد دابّة، ويدعى (البرذون) وكذلك لفظة الجمل، فهي لا تطلق إلَّا على الجمال العربية، ذات السنم الواحد؛ وغيرها دواب وتدعى البخاتي؛ والحصان العربي مشهور جداً، (ولمن يعرفه ليست مزاياه في جماله الأخّاذ أو شكله الأنيق فحسب، بل في ما يتصف به من ذكاء وقدرة على المحاكمة ويقال أن الأصيل منه، إذا أُجهد تنبعث من عرقه رائحة عطرة، نادرة، زكيّه ومميزة، (قيل إن سيدنا سليمان عليه السلام، كان قد أهدى الملكة بلقيس عطراً من عرق الحصان! ويُذكر أن (شارلز داروِن ١٨٠٩-١٨٨٢) في كتابه أصل الأنواع١٨٥٩، في دراسته عن النشوء والتطور، تطور الكائنات والحيوانات، كان قد استثنى الحصان العربي! من السلسلة التي افترضها.. في نظريته، لكونه قد لاحظ الفرق في البنية التشريحية للحصان العربي، فقد لاحظوا إنها مختلفةً عن البنية التشريحية لغيره من الخيول، في الجمجمة والعظام والعضلات، خاصة كون العمود الفقري في الحصان العربي، ناقصاً فقرة، قبل اتصال الذيل بالجسم، ولا يعرفون أين ذهبت؟ ويقال إن غياب هذه الفقرة هو الذي يُكسب الحصان العربي تميزاً وقدرةً على التحمل أكبر وأكثر، وفي كتاب الحصان العربي وخيول العالم، مجهول اسم المؤلف، - ترجمة محمد غسان سبانو دار الكتاب العربي بدمشق- أن مؤلف الكتاب قد وضعه أيام ابن سعود حاكم السعودية كما هو واضح من ثنايا الكتاب وهو مستشرق، ومن المُلفِت قوله في الصفحة ٢٤: أن هناك ١٫٥ مليون حصان عربي، أو أكثر، ويجب أن تسمى شرقية!، رغم أنه عاش ردحاً من الزمن، بين البداة من العرب، وقد أكرموه كثيراً كما يعترف، وواضحٌ أنه كان عبارة عن جاسوس بين العرب، وواضحٌ أنه منذ ذلك الوقت، كان خائناً للعرب، ويدعو إلى العداء والتنكر للعرب، إنه يريد أن يلغي نسب الحصان لا عرب! والحصان العربي في أنحاء العالم، ثمنه باهظ جداً، إذا كان صحيحاً ما يقال: بإن السبب في تسميته، كونه خرج من جزيرة العرب؛ إذاً لعملنا على إعادة تأهيل أفراس العالم، بإعادتها إلى مزارعٍ في الجزيرة العربية، ولربحنا الكثير.

جاء في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري المتوفى عام٣٩٠ للهجرة أن أول من ركب الحصان العربي واستأنسه سيدنا إسماعيل، هو وسيدنا إبراهيم، عليهما السلام، كان ذلك إبّانَ شروعهم في تلبيتهم لأمر الذبح، وتذكر الآثار أن سيدنا إبراهيم ﷺ، كان قد جمع أبناءه ومواليه، والذين آمنوا معه، وواجه وحارب أعداء الله في عدة معارك؛ وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمدَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بقطيعٍ من الأفراس، أمره وابنه إسماعيل بأخذها من شِعْبٍ يقع قرب مكة، يدعى شعب جياد، وهذا هو سبب تسميتها بالجياد، وهذه الجياد سلالتها كانت فيما بعد مع سيدنا سليمان ﷺ، كما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾ [ص:٣١]، وقد أمر المؤمنون أمراً إلهياً

بإعداد الخيل، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[الأنفال: ٦٠] فلبى الرسول ﷺ أوامر البارئ عز وجل وارتبط الخيل وخصها بعنايته، وحببها إلى المسلمين معلناً لهم، ما جعل الله لهم فيها من العز والشرف، وما يكسبونه بارتباطها من الأجر والمنفعة، حيث قال فيها ﷺ الأحاديث الكثيرة التي تؤكد أن الخير، كل الخير، في ارتباطها في سبيل الله: (من همّ أن يربط فرساً في سبيل الله بنية صادقة، أعطيّ أجر شهيد) (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يديه في الصدقة).

فما معنى لفظةُ عرب ولماذا يقال الطب العربي؟ والعالم بأجمعه يقول بذلك (طبعاً قبل عصر النزعات القومية، أي قبل بداية القرن العشرين، حيمنا لم يكن هناك إلّا الطب العربي) «الآن صار يقال الطب الشعبي، والطب البديل، وطب الأعشاب، والطب الموازي، والطب الصيني، والطب الهندي، وغيره وغيره، وأصل التسمية هي الطب العربي؛ وإذا قرأنا كتب التراث، سنلحظ مقولات عديدةٍ، تذكر أن الأنبياء والرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام، كانوا أطباءَ أنفسٍ، وأطباءَ أبدان؛ وكثيراً ما سُئل الأنبياء عن الأدوية للعلاج، وأنهم كانوا يستلهمون ذلك من الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي، ثم إن التابعين والصالحين من الأولياء في كل أمة، كانوا يعلّمون الناس ما تعلموه من الأنبياء؛ وإلّا فكيف سيكتشف إنسان ما بالصدفة؛ كما يزعمون، أن البابونج علاج لآلام البطن، إذا أراد تجريب نحو ٤٨٠٠عشبة! المتوفرة في الطبيعة والمكتشفة حتى الآن! ولماذا سميّ الطب القديم بالطب العربي، علماً أن العرب، كانت فيما قبل ما سُمِيَّ بالعصر الجاهلي وفي العصر الإسلامي كانت تأنف من العمل بالطب، ولا تسمح لأبنائها بامتهان هذه المهنة؛ بما فيها من فصدٍ وحجامةٍ وتحضيرٍ للأدويةِ من الأعشاب البرّية، وَتَرَكها العرب للموالي، لكون عمل الطبيب يقتضي الاطلاع على عورات الناس، وتحدثنا أدبيات الطب التاريخية عن دواءٍ كان رائجاً في أوربة، يدعى البول العربي؛ ومعلومٌ أن أعلام وعلماء الطب العربي، كان أكثرهم مسلمين غير عرب، أو يونان، ومع ذلك فهو كان يدعى الطب العربي، في أنحاء العالم القديم، حتى في الصين والهند وبلاد فارس قديماً، وكذلك في اليونان والرومان ووادي النيل؛ كان يدعى (الطب العربي) مع أن العرب لم يخترعوا هذا الطب؛ فلماذا؟ وما معنى لفظة عرب؟ ولماذا يقال في الكنيسة لفظةُ عرّاب؟ وما معناها؟ وهي وكما هو معلوم تطلق على من سيقوم ويتكفل بتعليم الطفل الدين والأخلاق، وتعريفه بحقوق الله، وهي في الكنيسة قديمةٌ جداً ومتداولة في جميع أنحاء العالم؛ فما معناها الحقيقي؟ والعرّاب في العاميّة، الْمُوَفِّق بين الأطراف، وعَارَبَ: قاربَ، أو صِلَةَ وصل، والعرّاب الْمُهيئ والْمُحضر لتلاقي المتناقضات والمنجّح للاتفاقات، والعرب اسمٌ للمطر وربما اسمٌ لأصل أو اسمٌ للفطرة، عرّبَ – قربَ، وعُرْبَاً أترابًا: أي قريبين أنيسين شديدي الإخلاص والمودة، وعُرَبْ: في علم الأصوات والغناء، جماليات خاصة، توهب للبعض دون الآخرين، وأعرب أقرب، وأعراب أقراب، والمعرّب المقرّب، وتحية عربية، عبارة أصيلة قدسيَّة وهناك زمانٌ وتاريخٌ عربيان قديمان، كان العالم القديم يعمل على إيقاعهما ولاتزال الفِلاحـة والزِراعة والمواسم الزراعية تحتاج إلى تطبيق المواعيد العربية بحسبهما، فلماذا نقول سنة عربية وشهر عربي وتوقيت عربي، لماذا ننسب هذه الأمور إلى عرب (ونذكر هنا، أنه لا يوجد ولا دليل واحد، على وجود شيء اسمه سنة عبرية، وأنَّ السنة العبرية اختراع يهودي،

أُمليّ على الناس، ليس له أساس مثله مثل اللغة العبرية؛ سرقة من العرب في وضح النهار، والعرب غائبون، غائبون عن مصالحهم، غائبون عن حقيقتهم، لا يلوون على شيء. كذلك التاريخ والمواعيد والأعمال اليدوية والمواسم العربية ثمّ إنه – كل أقلية لديها لغة خاصة أو لهجة سرية يتواصلون بها فيما بينهم! إذا كانت متقوقعة على نفسها، أو متشرذمة، في خضم المجتمع الكبير الذي يعيشون فيه، الحديث الشريف هنا يوضح ويثبت ويؤكد لنا، أن اللغة التي كان اليهود يتواصلون بها فيما بينهم، ويتآمرون بها على الآخرين، ويرطنون بها منذ أيام الرسول ﷺ، وفي صدر الإسلام، وإلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، كانت السريانية العربية سرقوها وجعلوا منها لغة سرية يتآمرون بها على غيرهم من الشعوب. وبالتالي فقد أطلقوا عليها اسماً جديداً لتمييزها في العالم، ثم وضعوا لها القواعد، نفس قواعد اللغة العربية تقريباً... بعد أن أضافوا عليها وحوروا بعض الألفاظ فيها!! وقلبوا البعض الآخر! مثل ما فعلوا بـ (لا مساس، اللفظة من القرآن الكريم) وكانت هذه مهمة إبليس في الحياة؛ فأصبحت (سام) معبوداً لليهود؛ ثم شكل ابناً لنوح يرجع إليه اليهود؛ وصار هناك علم يسمى علم اللغات الساميَّة، وعروس هذه اللغات بالطبع صارت اللغة (العِبْرِيَّة)! مع أن هذه اللغة لم تكن قبلاً ذات قيمة، لا هي لغة أدبٍ، ولا هي لغة حضارةٍ، لم تكن سوى كلام يرطن به اليهود القاطنون (الغيتو) خارج المدن في أوربة، ثم تحول هذا المدلول ليصبح أخيراً دلالة على شعب الله المختار، اليهود أيضاً!. وذلك مثل ما قلبوا لفظة (عيس) لتصبح (يسوع)، وحكيم العربية إلى حاخام! فهل كان لفظ (حام) في لغة اليهود السرية، أو هو رمزٌ أصله، أو هو مقلوب لفظ (ماح) أو (محَّ) وبالتالي فهل كان اليهود يُطلقونه على باقي الشعوب، من غير اليهود، وذلك تعبيراً ودعاءً من اليهود؛ وأملاً منهم في فناء تلك الشعوب ودمارها! راجع من أجل ذلك كتاب ابن قيم الجوزية (هداية الحيارى) لتقرأ أن اليهود، عندما كانوا عبيداً عند الفرس (وكان الفرس ملوكهم، يُعدون أنفسهم من بني إسرائيل كابر عن كابر؛ حيث كانوا يرسلون في كل عام المحامل والهدايا إلى مكة، إلى بيت أبيهم إبراهيم، راجع من أجل ذلك كتاب الفخري لابن طباطبا) كان اليهود في تلك المرحلة (٥٠٠ق.م) كانوا يدعون في صلاتهم لآلهتهم! يدعون على باقي الشعوب من غير اليهود بالبوار والفناء (المحو من الوجود)!

فما معنى عرب ولماذا ننسب التاريخ والمواعيد والمواسم إلى عرب، علماً أن العرب لم يخترعوا هذه المواقيت حتماً، لماذا نقول نجار عربي وحداد عربي والبنَّاء والبِناء العربي،لماذا نصف تلك المهن اليدوية الأصيلة، وننسبها إلى عرب ونقول الخيط العربي، وزخارف عربية، و نقول الخط العربي، «هذا الخط الذي كانت تخط به، في يوم من الأيام، شعوب الأرض؛ ومنذ آلاف السنين، ومن قبل انتشار الإسلام، كان الخط العربي منتشراً من خط الاستواء جنوباً إلى أواسط آسيا وأوربة شمالاً»، علماً أن هذا الخط، وهذه المهن، وهذه الفنون الرائعة والعظيمة، لا يشتغل بها العرب ولا العرب اخترعوها؛ الصمغ العربي، ولماذا نقول لفظة (الصمغ العربي)، علماً أن الصمغ العربي، أشجاره تنبت في النطاق الاستوائي، وهي منتشرة في مناطق الهند وأفريقيا والقليل منها في اليمن والكثير منها في جنوب السودان، وأفضل أصنافه في الصومال؛ وبالتأكيد ليس لأن العرب كانوا قد اكتشفوا أشجاره، أو زرعوها، ولكن لماذا وصِفَ بالعربي؟ وهو كذلك في كل لغات العالم، وإلى الآن؛ لفظ عرب في المراعي والحقول ولماذا يقول

الرعاة في المراعي لفظ: عربتُ القطيع، إذا أرادوا انتخاب قطعانهم؟ ولماذا يقول الفلاحون في الحقول وعلى البيادر لفظ: عرّبنا الحب إذا أرادوا انتخاب الحب والغلال؟ فمن أين جاء هذا اللفظ وما هي دلالته؟ ولماذا نقول عن العربة التي يجرها الحصان، لماذا نقول عنها عربة، ولماذا ننسبها إلى عرب؟ ويوم الجمعة هو يوم العروبة، ولماذا كان اسم يوم الجمعة، يوم العروبة، وهو كما نعلم يومٌ مقدسٌ ويسمى يوم الرب، وهو أحب الأيام إلى الله؟ ولماذا كان اسم مكة المكرمة العروبة؟ ولماذا تدعى السماء السابعة بالعروباء؟ وذلك كما هو مدون ومسطور في كثيرٍ من كتب التراث ولماذا يُقال سمن عربي ولماذا نسمي الخلاصة من الدسم التي تستخرج من الحليب واللبن، لماذا نقول عنها: سمن عربي، لماذا ننسبها إلى عرب؟ولماذا نقول لباس عربي؟ ونعني به اللباس الإنساني التقليدي، الثوب الواحد زائد غطاء الرأس، للمرأة والرجل؛ وهو اللباس الفطري الإنساني الأساسي، وكان هذا نعته في كافة أنحاء العالم القديم، وطبعاً لم يكن ذلك بسبب نسبته إلى العرب لأن هذا اللباس، كان لباساً لجميع الناس في العالم القديم، في الهند والصين وبلاد فارس والعراق والروم ووادي النيل، فلماذا نسب إلى عرب، طبعاً ليس لأن العرب اخترعوه، لماذا يقال بيت عربي ولماذا نقول عن كل بيت تقليدي، مبني ببساطة من مواد طبيعية، من البيئة المحلية من الحجارة والطين والخشب، وموصفات مريحة وحرة، لماذا يقال عن هذا البيت أنه بيت عربي، هل لأن العرب هم الذين اخترعوه، لا أظن ذلك، ولماذا يُقال (نهارك عربي بالصلاة على النبي) ولماذا كان يقال نهار عربي، عن كل نهار جميل، ذي طقس رائع؟.

وكان يقال: «نهارك عربي بالصلاة على النبي» وذلك بدلاً من عبارة صباح الخير، فما علاقة النهار والطقس الجميل بلفظ عرب؟ ولماذا نقول الأخلاق العربية، ونعني بها الشهامة، والشجاعة، والمروءة والكرامة، والكرم، كانت هذه المعاني لدى جميع الشعوب وفي جميع أنحاء العالم تدعى الأخلاق العربية، ولماذا نقول عن الموعد الملزم، والوعد المبرم، والعهد الوثيق، أنه موعد عربي أو وعد عربي؟ على أنه وعدٌ مبرم، غير قابل للنقض، ولا تراجع عنه مهما كلف الثمن؟ وأنَّ العربي لا يُخلف وعده أبداً.

ولماذا نقول: الشعر العربي؟ عن القصيدة الموزونة والمقفاة، التي تؤثر في أعمق أعماق النفس الإنسانية، وتعلق في الفكر والبال، وآثارها لا تنمحي؛ والتي من المعتقد أنها إرثٌ قديمٌ قديم، يتصل بالسماء والوحي؛ وله علاقة وثيقة بكلام الأنبياء والمرسلين، من آدم عليه السلام، حيث هناك شعر عربي موزون معروف ينسب إلى سيدنا آدم، وإلى سيدنا داوود وإلى سيدنا سليمان، حيث المزامير التي يعتقد أنها كانت موزونة ومقفاة وعمودية وعلى الطريقة العربية؛ وأبَداً ليست صحيحة المقولة التي تنسب الشعر العربي- أوائله- إلى العصر الجاهلي؛ كذلك فقد وجد أن الشعر العربي كان الطريقة الوحيدة لدى الشعوب القديمة، لِتَقَوُّلِ فيها الشعر؛ ففي دراسة قيِّمة للأستاذ أحمد نجيب، من مصر، تحت عنوان أغاني الأطفال الشعبية،١٩٨٣الهيئة المصرية العامة للكتاب، والتي أجراها على واحد وعشرين لغة في العالم، في أفريقية وآسيا وأوربا وأستراليا؛ وفي أمريكا الجنوبية، أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أصل الشعر لدى أمم الأرض في العالم القديم كان موزوناً على الطريقة العربية، وأنه لا يزال يوَقّع على الأوزان نفسها؛ فما معنى لفظة عرب، ولماذا ننسب إليها هذا الشعر العظيم؟.

## الوثيقة رقم (٣)

جاء في كتاب عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا عن حياة البداوة الكلام الطيب التالي: (والخمور لا أثر لها في البادية، هذا ولشظف العيش عندهم، يعدون في الأعياد، اليوم الذي ينزل على شيخهم ضيف يجب أن ينحر له شاة، فإنهم في تلك الوجبة مدعوون كلهم بالبداهة فينسلون من كل حدب ويصطفون داخل بيت الشيخ، وعندها يأكلون اللحم، وترى وقتئذ السواعد مشمرة، والأيدي ممتدة تمزق اللحم، وتضغط على الرز أو البرغل ضغطا قوياً حتى يصبح كتلة واحدة، والدهن يسيل على سواعدهم، ويقلبون هذه اللقمة الضخمة في الأكف، ويعصرونها ويكورنها ثم يقذفونها في الحلق، دون مضغ وبسرعة خاطفة ثم يتناولون إناء الشنينة ويضعونه على فمهم ويشربون، وهكذا بينما الأيدي العديدة صاعدة هابطة تسمع عندها تعريق اللحم عن العظم وقرقعته، والقوم إذ ذاك حول المنسف يتزاحمون بالمناكب، وجاثمون على ركبة واحدة لتسع دائرة المنسف أكبر عدد منهم، وكلما شبع فوج كبير تلاه فوج أصغر قدراً إلى أن ياتي دور الصبيان، وفي أقل زمن ممكن وأسرعه يصبح المنسف في خبر كان. ومن عادة المضيف أن يتناول اللحم ويقطعه بيده ويقدمه لضيوفه، ويعد عمله هذا من دلائل الكرم وحسن القرى، ومن أصول الطعام البادية أنهم يسكبون المرق على الطعام كلما قل المرق عنه، وذلك ليسغونه هيئاً مريئاً، وإذا طلبوا المرق نادوا (اللّيان ياعيال) بتشديد اللام الثانية من ليان كأنه ينحتونه من الليونة، وإذا شبع أحدهم قام يلحس أصابعه، وبعض البدو يمسحون أصابعهم وأفواههم بأهداب من جهة العامر وذلك لندرة الماء والصابون، ويعرف القسم الذي يمسحون به أيديهم بالرفه، ولا يمسحون بلحاهم كما قيل، وقول بعضهم (صابون العرب لحاها) يستعمل للهزل فقط، وإذا كان هناك رجال لم يتح لهم الجلوس على المنسف لعدم وجود محل فان بعض متناولي الطعام ينضحونهم بعظمة عليها بقية من اللحم يتلهون بها حتى يأتيهم الدور، ومن عادتهم أن لا يقوم أحدهم عن الطعام قبل أن يشبع الجميع، فهم يقومون عن الطعام سوية. ((وفي صدد طعام البادية يقول الأستاذ عز الدين علم الدين في رحلته إلى وادي السرحان والجوف ما نصه: لا يزال البدو مقتصرين ـ كما ذكر ابن خلدون ـ على الضروري من الأقوات والملابس وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرين عما فوق ذلك من حاجي أو كمال، ولا يتناولون أقواتهم بعلاج أو بغير علاج ألبتة إلَّا ما مسته النار، وذلك لاضطرار البدوي إلى التنقل في كل حين، فاختار بحكم معيشته الأيسر تناول، فتأنق الحضارة أمر لم يعرفه البدوي، فانه إذا أقام أيام في منزل وأكل العصيرة، عد ذلك من النعيم، وهذه العصيرة عبارة عن لبن الحليب يغلى، فيذرون عليه الدقيق تارة، ويدعون عليه البر الجريش (البرغل) وقليلا من الدهن، ويقال لها حينئذ الجريشة، وإذا ضيف رجلا عزيزا ذبح له نعجة أم خروفاً، ودعا إكراما للضيف كثيراً من البدو لمؤاكلته، فكنا نفرح إذا ما حل بنا ضيف حظنا من اللحم لا نذوقه في البادية الا قليلا، أما في الأعياد والأفراح فيذبحون الإبل الكماء لأن لحم البعير عند البدوي سيد اللحم كله، وكان بريكان الصليبي إذا أراد أن ينعمني بطعام العشاء طبخ الأرز ويسمونه التمن، بعد أن ينضج بأوساخه يضعه في باطية، ويحفر في وسطه حفرة يضع بها الزبدة التي تذوب بحرارة الطعام، فنليك الأرز بالزبدة ونزدرده إزدراداً. وكان شاهر الخريشة

الصخري يذيب السمن وياتينا به بمقلاته فنغمس في خبز الصاج فطير، وقد يجرج لنا السحلب الأقط وبقينا هكذا أياماً لا نتغذى إِلَّا بالخبز والسمن ولا يزال البدو على آثار أسلافهم في صنع خبز الملة، وذلك بأن يلقوا الدقيق بالماء ويعجنوه عجناً خفيفا، ثم يحتطبوا، ويوقدوا النار، فيفرشوا الجمر، ويطرح عليه الرغيف الثخين، ثم يغطوه بما بقي من النار فإذا نضج الرغيف تقاسموه، وأكثر ما يصنع خبز الملة في السفر، وأما في الإقامة فيأكلون خبز الصاج، وفي كلتا الحالتين لا يذوقون الخبز الخمير لأنها من الرفاهية التي حرم منها البدوي، فإذا ما ظفر بها شكر الله على تلك النعمة كثيراً،)) وقد كان السلف الصالح لهؤلاء البدو، يُعدون الخمير من فاخر القرى، فمما رواه لنا عبدالله بن مصعب قال: وقف معاوية على إمرأة من بني كنانة فقال لها: (هل من قرى؟) قالت: نعم، قال: (وما قراك؟) قالت: (عندي خبز خمير ولبن فطير وماء نمير).وفي حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وسقانا النمير» (عن المقتطف، أكتوبر سنة١٩١٧م) هذا وإن للبدو عادات لها معنى رائع منها أنه إذا تناول أحدهم الطعام فشبع، وحمد الله تعالى، وقام عن (السفرة) فإذا عُزم عليه لمتابعة الأكل وعاد إلى الطعام عُدَّ من المتخلفين، المتهاونين، فلا يخطبون من بيته أو من بناته، كذلك فإذا قدم لأحدهم الماء ليس له رد الماء أبداً، بل عليه تناول الماء والشرب منه ولو قليلاً، ذلك أن الله عز وجل قد كرم الماء فقال عز من قائل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، إن هذه الأدوات كافية بحكم أن طعام البدو بسيط لا يحتاج لأكثر منها، وأسباب هذه البساطة عديدة: أولاً فقرهم النسبي الذي يضطرهم إلى اختصار أثاثهم وخرثيهم وإقلاله، ثانياً قلة الوقود التي تمنعهم من إكثار الطبخ والنفخ وإطالتها، ثالثاً وهو الأهم عسرة نقل المؤونة الوفيرة وأدوات الطبخ الكبيرة المحتاجة إلى عدد كبير من الأباعر لا يتيسر وجوده دائماً، وعلى افتراض وجود هذه الأباعر هنالك عسرة التحميل والتنزيل اللذين يحتاجان إلى أيدٍ عاملة قوية قد لا توجد، ومن هنا كان طعام البدوي المتوسط الحال مقتصر على (الكسرة) أي الخبز الفطير فحسب، يضيف إليه في الصيف قليلاً من الزبد أو السمن ، وفي الشتاء قليلاً من التمر الذي يأكله رطباً أو مغلياً، ويتموَّنونه من بلدة شناثة في جنوب العراق وغربي الفرات ، أما إذا انتهى الشتاء وبرز ربيع الأرض فيكثر درّ الغنم والإبل فيتغذى به وهو يظل زهاء خمسة أشهر على هذا الغذاء اللطيف أعني به حليب النوق وزبده اللذين لا يبيعهما قط، ثم اللباء والشنية والسمنة المستخرجة من حليب الغنم والمعز ، ثم الخاثر وهو اللبن الرائب المعروف، وإذا حل الصيف واقترب البدو من المعمورة يحصلون بادئ بدء على (الفريكة) وهي حبوب القمح الطري الأخضر المشوي ، ثم بعد انتهاء الحصاد والدراس في القرى يحصلون على (البرغل) ويحصل كبرائهم على الرز فيقتاتون بهما ، إِلَّا أن هذا القوت لا يناله البدوي وحمولته في نجعة الشتاء وكانوا قبلاً يحملونه حباً فتطحنه النساء في طريقهن ، أما الآن فقد صاروا يأخذونه مطحوناً جاهزاً في أكياس الشعر الكبيرة (العدول) التي تنسجها نساؤهم في أوقات فراغهن. وهم يطحنون الحبوب بالرحى، ويعجنون الدقيق في قدر أو قصعة، ويخبزونه فطيراً على الصاج أرغفة رقاقاً، أو يخبزونه على الجمر أقراصاً وهو أكلهم في السفر، وذلك أنهم يطحنون الحب بهاون من خشب إذا لم يوجد رحى، ثم يعجنونه في قصعة صغيرة ويجعلونه قرصاً ثخيناً، ويوقدون الحطب على الأرض حتى يصير جمراً فيزيلون الجمر عن الرماد ويطمرون القرص في الرماد ثم يردون الجمر عليه إلى أن يجف وجهه الأول

فيكشفونه ويقلبونه ويعيدون الرماد، ثم الجمر عليه حتى يجف وجهه الثاني فيقسمونه كسراً صغيرة ويأكلون، ولا يستغرق عمل القرص بهذه الطريقة أكثر من ساعة ويدعى (قرص الملة) وهم يأكلون خبزهم بلا إدام، أو بإدام من القمر الدين أو اللبن أو السمن أو الزيت أو اللحم، وأطعمتهم بسيطة للغاية متشابهة تركيباً وطبخاً، وقوامها كلها أو أكثرها الحليب والسمن والدقيق والخبز والتمر والهقط وأشهرها (الجريشة) وهي أنهم يجرشون القمح بحجر الرحى حتى يصير برغلاً خشناً ويسلقونه جيداً، ثم يسكبونه في قصاع ويصبون عليه من الأدام اللبن أو السمن أو الزيت، (والعصيدة) يغلون الماء في حلة ويصبون عليه الدقيق شيئاً فشيئاً وهم يحركونه حتى يكون له قوام، فيصبونه في القصاع ويأكلونه، أو يغلون اللبن أو الحليب بدل الماء وهو (الثلبانة والخمعية) وهو فتات الخبز (الثريد) يصب عليه بدلاً من اللحم حليب و (الدفنية) وهي الثريد أو مسلوق الرز بمرقة اللحم واللحم مثوراً قطعة فوقها، وهم لا يتخذون البهارات في أطعمتهم، وأكلهم للخضر والفاكهة قليل، وكذلك أكلهم لحم وسمك. وفي أيام الربيع ينبت في بواديهم كثير من الأعشاب، التي يأكلونها، وهم يأخذون أغصان الشجر والجرجير و القريص والريبان والزعتر وأمثالها، ويجففونها ويطحنونها بحجر الرحى، ويمزجونها ويغمسون قرص الملة بها ويأكلونها.

# المصــادر


١- القرآن الكريم
٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث بيروت بدون
٣- كتاب صحيح البخاري بتحقيق د. مصطفى البغا مكتبة دار العلوم، دمشق ١٩٩٨.
٤- الجرح والتعديل / الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت عن طبعة حيدر أباد، ١٩٥٢.
٥- تفسير الطبري / محمد ابن جرير الطبري، دار إحياء التراث الطبعة الأولى ٢٠٠١ بيروت.
٦- إعحاز القراءات القرآنية / صبري الأشوح، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٨.
٧- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى الحق من أصول التوحيد/ اليماني/ العلمية بيروت ١٩٩٣.
٨- أبو حنيفة النعمان تأليف د حمزة النشواتي وآخرون توزيع مكتبة الزهراء القاهرة، دون تاريخ.
٩- أطلس العالم / مكتبة الصغار/ بيروت، ١٩٩٨.
١٠- الأخلاق في الإسلام د. محمد عبد القادر حاتم الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٥.
١١- أدب الكتاب/ الإمام أبي نكر الصولي/ ت. أحمد حسن بسج، العلمية بيروت ١٩٩٤
١٢- أصول الفقه ١-٤ / محمد أبو النور زهير/ المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٢.
١٣- الأوائل / أبي هلال العسكري، ت: محمد السيد الوكيل، دار البشر القاهرة ١٩٨٥.
١٤- الأوائل / لأبي بكر تقي الدين الحنبلي/ ت. عادل فريجات، دار الإيمان دمشق، ١٩٨٨.
١٥- الاسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف ٥٣٥/ ٦٧٠ ميشيل لباد، مطبعة الاتحاد ١٩٦٣.
١٦- أكثم بن صيفي ومأثوراته / كاظم الظواهري / دار الصابوني، القاهرة ١٩٩١.
١٧- أنساب العرب / سمير عبد الرازق القطب/ الدار العربية للتوزيع، الزرقاء الأردن دون تاريخ.
١٨- الإسلام الصحيح-بحث وتحقيق/ محمد إسعاف النشاشيبي/ بيروت دار العودة ١٩٨٥.
١٩- أسرار العقل الصهيوني / د. عبد الوهاب المسيري/ دار الحسام القاهرة دون تاريخ.
٢٠- أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ ١-٧/ د. جمال عبد الهادي سعود/ دار الوفاء، مصر العربية، المنصورة ١٩٨٤.
٢١- أمريكا والإسلام/ د. عبد الحسين شعبان، دار صبرا دمشق ١٩٨٧.
٢٢- الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء/ إدوارد سعيد/ ت. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ط ٣، ١٩٩٥
٢٣- الإيقاع في الشعر العربي / عبد الرحمن الوجي/ دار الحصاد / دمشق بلا تاريخ.
٢٤- ايبلا-عبلاء الصخرة البيضاء-دراسات أثرية ولغوية تاريخية/ ت. قاسم طوير، إصدار خاص دمشق ١٩٨٤.
٢٥- بحوث في التقاويم/ عبد الكريم محمد نصر دار البشائر دمشق ١٩٩١.
٢٦- البروتوكول الدبلوماسي والعرف الدبلوماسي. د. الطفيلي الكتاب الحديث، بيروت ١٩٨٧.
٢٧- تاج العروس من جواهر القاموس/ السيد الزبيدي، وزارة الإعلام، الكويت ١٩٩٠.

٢٨- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١-٤/ د. حسن إبراهيم حسن - دار إحياء التراث العربي.
٢٩- تاريخ فلاسفة الإسلام في الشرق والغرب / تأليف محمد لطفي جمعة / المكتبة العلمية بيروت.
٣٠- تاريخ التمدن الإسلامي ١-٤ جرجي زيدان منشورات مكتبة الحياة بيروت دون تاريخ
٣١- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي د. محمد حسين محاسنة دار الأوائل دمشق ٢٠٠١.
٣٢- تاريخ الأمة الواحدة/ د. جمال عبد الهادي مسعود دار الوفاء المنصورة مصر العربية ١٩٩١
٣٣- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء صلى الله عليهم وسلم/ حمزة بن حسن الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ.
٣٤- تاريخ الدولة الأموية / د. محمود السيد/ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٢.
٣٥- تاريخ مصر السياسي والحضاري/ د. صبحي عبد المنعم العربي للنشر القاهرة ١٩٧٧.
٣٦- تاريخ فاتح العالم / عطا الجويني/ ت.د. محمد التونتجي/ دار الملاح دمشق ١٩٨٥.
٣٧- تاريخ العلوم عند العرب / د. حسن عاصي / دار المواسم بيروت، ١٩٩٢.
٣٨- التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ١-٢ ت الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٦.
٣٩- التراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته د. نبيل سلامة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦
٤٠- التفسير النبوي/ تأليف د. محمد عبد الرحيم محمد/ مكتبة الزهراء القاهرة، ١٩٩٢.
٤١- تحرير العقل من النقل / سامر اسلمبولي/ دار لأوائل دمشق ٢٠٠٠.
٤٢- تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية/ الإمام عبد الغني النابلسي / ت. علي محمود معوض، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩١.
٤٣- تحفة ذوي الألباب ١-٢ / صلاح الدين أيبك،/ ت إحسان خلوصي، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣.
٤٤- التخطيط الحضري في دول الخليج العربي / د. إسحاق يعقوب القطب وكالة المطبوعات الكويت ١٩٨٠.
٤٥- تعليم الخط العربي ١-٣/ فوزي سالم العفيفي/ دار الكتاب العري ١٩٩٦.
٤٦- التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل/ إعداد محمد قاسم/ جامعة قطر ١٩٩٢
٤٧- تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى / أ.د.أحمد رمضان أحمد/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩.
٤٨- التشريعات البابلية/ عبد الحكيم الذنون / دار علاء الدين، دمشق،١٩٩٢.
٤٩- تهافت الفلاسفة ط ٧/ الإمام الغزالي / ت. د. سليمان دُنيا / دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢
٥٠- الحديث النبوي والتاريخ/ د.أحمد جمال العمري/ دار المعارف القاهرة ١٩٩٠.
٥١- الحصان العربي وخيول العالم/ ترجمة وإعداد محمد غسان سبانو/ نادي برس لندن، جنيف، توزيع دار الكتاب العربي، دمشق والقاهرة، دون تاريخ.
٥٢- حياة الحيوان الكبرى / كمال الدين الدميري/ دار الألباب دمشق ١٩٨٨.
٥٣- حمورابي البابلي أعصره/ تعريب محمد وحيد خياطة، دار المنارة اللاذقية ١٩٩٠.
٥٤- الخصائص العامة للإسلام / د. يوسف القرضاوي / مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٩.

٥٥- الخلفاء الراشدون / عبد الوهاب النجار / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠.

٥٦- الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام/ د. أميمة الجلاهمة، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٧٠

٥٧- الخلفية التاريخية لمحاكمة روجيه غارودي / د. صالح زهر الدين / المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت ١٩٩٩.

٥٨- دولة الرسول في المدينة/ د. محمد ممدوح العربي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.

٥٩- دمشق، تراثها، ومعالمها التاريخية،/ د. عبد القادر ريحاوي/ دار البشائر ١٩٩٦.

٦٠- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صادر بيروت دون تاريخ.

٦١- رمسيس الثاني—فرعون المجد والانتصار/ ت. د. أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٧.

٦٢- رحلة بايرون إلى مصر والحجاز ج ١-٢/ ت. عبد الرحمن عبد الله الشيخ/ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥.

٦٣- رحلة إلى بابل القديمة/ د.إفلين كلنكل/ ت.د. زهدي الداوودي/ دار الجليل ، دمشق ١٩٨٤.

٦٤- السيرة النبرية وأوهام المستشرقين/ عبد المتعال محمد الجبري/ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٨.

٦٥- السنة قبل التدوين / الدكتور: محمد عجاج الخطيب/ مكتبة وهبة، ١٩٩٨.

٦٦- سفر نامة / ناصر خسرو علوي/ ت: د. يحيى خشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

٦٧- سوريا الحضارة ماذا أعطت للغرب/ د. عفيف بهنسي، إصدار خاص، دمشق ١٩٨٨.

٦٨- شبهات حول التغريب في غزو الفكر الإسلامي/ أنور الجندي/ المكتب الإسلامي دمشق ١٩٧٨.

٦٩- الشاهنامة الفردوسي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠.

٧٠- شعر العقيدة في صدر الإسلام،/ إعداد أيهم عباس حمودي القيسي/ ، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦.

٧١- صبح الأعشى في صناعة الانشى/ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ١٤/ وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، دون تاريخ.

٧٢- صناعة الكتابة / أبي جعفر النحاس/ ت. بدر أحمد ضيف دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٠.

٧٣- صلوات وحكايات وأساطير حثية / قاسم طوير/ تعريب قاسم طوير، إصدار خاص دمشق ١٩٨٦.

٧٤- الصراع المائي بين العرب وإسرائيل/ د. رفعت سيد أحمد، دار الهدى القاهرة ١٩٩٣.

٧٥- طبقات الحفاظ / الإمام السيوطي، ت: على محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٤.

٧٦- طبائع الاستبداد / عبد الرحمن الكواكبي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣.

٧٧- ظاهرة الخلق والتكوين ما دون المستوى العلمي/ جمعة طحيني، دار يعرب دمشق ٢٠٠٣.

٧٨- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية / ابن قيم الجوزية/ دار الكتب العلمية بيروت عن نسخة ط ١٩٥٣.

٧٩- فتح القدير / الإمام الشويكاني، أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤.

٨٠- فتوح البلدان/ الإمام البلاذري رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١.

٨١- فجر الإسلام / أحمد أمين / دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٥.

٨٢- الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر بيروت.
٨٣- الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة/ روز ماري صايغ/ ت. خالد عايد مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٠.
٨٤- فقه السيرة/ محمد الغزالي/ دار الدعوة، الإسكندرية ٢٠٠٠.
٨٥- الفكر التاريخي في الإسلام/ عبد اللطيف شرارة/ دار الأندلس بيروت ١٩٨٣.
٨٦- الفكر التوراتي والحرب النووي/ المبشرون الإنجيليون على طريق القيامة الذرية ت. عبد الهادي عبلة، الكندي، حمص ١٩٨٨.
٨٧- الفهرست لابن النديم ١-٢/ د. شعبان خليفة/ وليد محمد العوزة_ العربي، القاهرة ١٩٩١.
٨٨- في التاريخ العباسي والفاطمي. د. أحمد مختار العبادي شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣.
٨٩- في الشعوبية/ إسماعيل العرفي/ منشورات خاصة، دمشق ١٩٧٩.
٩٠- في الشعر الجاهلي/ طه حسين/ منشورات النهار القاهرة-الدقي، ١٩٩٦.
٩١- القواعد الكلية للفقه الإسلامي- نشأتها- رجالاتها- آثارها/ د. أحمد محمد الحصري، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٩٣.
٩٢- قصة الحضارة ج ١ - ٤٠/ ول ديورانت/ ت. محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الطبعة الثالثة ١٩٦٨.
٩٣- القبيلة الثالثة عشر ويهود العالم، آرثر ليستر/ ت. أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤.
٩٤- القوش، دراسة انثر بيولوجية، اجتماعية ثقافية المهندس البحري حبيب يوسف تومي بغداد ٢٠٠١
٩٥- قاموس المورد، إنكليزي عربي/ منير بعلبكي/ دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥.
٩٦- قصة الفلسفة الطبعة السادسة/ ول ديورانت/ مكتبة المعارف بيروت، دون تاريخ.
٩٧- قصة الديانات/ سليمان مظهر، الوطن العربي، بيروت ١٩٨٤.
٩٨- القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين د. خير الدين عبد الرحمن/ دار إشراق، عمان ١٩٩٦.
٩٩- العبادات في الأديان السماوية/ عبد الرزاق رحيم الموجي دار الأوائل دمشق ٢٠٠١.
١٠٠- العودة إلى القرآن - إعادة تقييم الحديث/ تأليف، قاسم أحمد، تقديم دكتور حسن حنفي، مدبولي الصغير القاهرة ١٩٩٧.
١٠١- العروة الوثقى/ السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبدو، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣
١٠٢- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة/ أبي الحسن بن هذيل، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٣- عالم صوفيا رواية في عالم الفلسفة/ ت. أحمد لطفي ١٩٩٨ دار يعرب بدمشق.
١٠٤- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم تاريخ ابن خلدون دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦.
١٠٥- الغجر ورحلة الضياع، المدني المنارة بيروت ٢٠٠١.
١٠٦- الكامل في التاريخ ابن الأثير إحياء التراث بيروت ١٩٩٦.
١٠٧- كتاب غريب القرآن/ عبد الله بن عباس، تحقيق. د. أحمد بلوط، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٣
١٠٨- كتاب الأصنام، هشام بن السائب الكلبي د. محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣.
١٠٩- كتاب النزاع والتخاصم في ما بين بني أمية وبني هاشم/ تأليف تقي الدين المقريزي، ت.د. حسين مؤنس، المعارف القاهرة ١٩٨٨

١١٠- كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة/ القاضي عبد الرحيم بن على القرشي/ ت.محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت١٩٨٨.
١١١- كتاب مكارم الأخلاق/ الإمام أبي بكر بن أبي الدنيا/ ت. ياسين محمد السواس دار البشائر دمشق ١٩٩٩.
١١٢- كتاب الفوائد/ الإمام ابن قيم الجوزية/ دار مكتبة الحياة، بيروت دون تاريخ.
١١٣- كتاب نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢
١١٤- كتاب كشف الخفاء ومزيل الالتباس عم اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ج ١-٢/ المقدسي، دار زاهر القدسي القاهرة دون تاريخ
١١٥- كيف يُتلقى القرآن -آداب التلاوة، وأحكام التجويد/ عامر السيد عثمان/ دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٥.
١١٦- لسان العرب ط الثالثة، العلامة ابن منظور/ ت أمين محمد عبد الوهاب دار إحياء التراث العربي بيروت.
١١٧- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١-٨/ د. علي الوردي، دار كوفان للنشر لندن ١٩٩٢
١١٨- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم/ الأمير شكيب أرسلان/ دار مكتبة الحياة، بيروت، دون
١١٩- مدخل إلى اللغة العبرية/ د. محمود أحمد مراغي، دار العلوم العربية بيروت١٩٩٠
١٢٠- المدخل إلى التاريخ العربي/ إسماعيل العرفي/ دار الفكر دمشق ١٩٨٢.
١٢١- مجمع الزوائد، ج ١٠ ، باب ما جاء في فضل العرب - للحافظ الهيثمي، تحقيق الدرويش، دار الفكر بيروت، ١٩٩٦.
١٢٢- الملل والنحل للإمام الشهرستاني ١-٣/ تحقيق، أ.د. أحمد فهمي محمد دار الكتب العلمية بيروت.
١٢٣- مقدمة ابن خلدون ج٣ ت د. ع وافي القاهرة.
١٢٤- معجم فقه ابن حزم الظاهري المجلد الأول/ لجنة موسوعة الفلسفة الإسلامية جامعة دمشق، ١٩٦٦.
١٢٥- معجم الأدباء / ياقوت الحموي / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١.
١٢٦- مختصر دراسة التاريخ ١-٤ / أرنولد تونبي/ ت. فؤاد محمد شبل جامعة الدول العربية، ١٩٦٠.
١٢٧- مختصر تفسير الطبري ١-٢/ للتيجيبي، محمد حسن أبر العزم الزيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٨٠.
١٢٨- المستشرقون والقرآن الكريم/ د. إسماعيل عبد العال/ رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمةعدد ١٠٤، ١٩٩٠.
١٢٩- مقالة في المعرفة، مقدمة لدراسة العقيدة الإسلامية/ د. عدنان زرزور/ مكتبة الفتح، دمشق.
١٣٠- موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين/ ت. محمد غريب جودة/ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥.
١٣١- ملاحظات حول السينما الصهيونية/ عز الدين المناصرة/ دار يعرب، دمشق ١٩٨٩.
١٣٢- موسيقا الشعر / د. إبراهيم أنيس/ دار القلم، بيروت ١٩٨٧.
١٣٣- مفهوم النص- دراسة في علوم القرآن/ د. نصر حامد أبو زيد،المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٦.
١٣٤- المفسدون في الأرض بقلم س. ناجي الطبعة الثالثة العربي للإعلان، والنشر، دمشق ١٩٩٤.
١٣٥- معجم الأساطير/ ت: حنا عبود، دار الكندي دمشق ١٩٨٩.

١٣٦- من معالم الإسلام/ بقلم محمد فريد وجدي/ جمعها د. محمد رجب البيومي / الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤.
١٣٧- المأثورات مرسي، دار الثقافة القاهرة، ١٩٨١الشفاهية/ ترجمة وتقديم الدكتور أحمد
١٣٨- من الأسطورة إلى التوحيد–التحريف من الموسوية إلى اليهودية/ وليد مدفعي/ توزيع دار يعرب ٢٠٠٤.
١٣٩- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب / ابن الجوزي / ت. زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧.
١٤٠- من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية/ تأليف د. جابر محمد دياب، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢.
١٤١- المصطلحات العلمية والفنية وكيف واجهها العرب المحدثون/ د.ضاهي عبد الباقي/ ،مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢
١٤٢- نقض مطاعن القرآن الكريم/ بقلم محمد أحمد عرفة تعليق محمد رشيد رضى صاحب المنار/ مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٨٦.
١٤٣- النشاط الصهيوني في العراق/ صادق حسن السوداني/ العراق، وزارة الثقافة، ١٩٨٠ا.
١٤٤- نظم القرآن/ من تراث الجاحظ، ت.د. سعد عبد العظيم محمد مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٥.
١٤٥- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لمؤلفه أبو القاسم هبة الله بن سلامة/ ت. أحمد مصطفى الحسن، دار ابن هانئ دمشق ٢٠٠٠٥.
١٤٦- هل مات المسيح على الصليب / سليم الجابي / المؤلف، دمشق ٢٠٠٠.
١٤٧- هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى/ ابن قيم الجوزية، منشورات مكتبة الحياة بيروت، دون تاريخ.
١٤٨- الوفيات ١-٢ / محمد بن رافع السلامي الدمشقي/ ت. عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٨٢.
١٤٩- اليهود المصريون / بين المصرية والصهيونية، أسرار العقل الصهيوني/ سهام نصار/ دار الوحدة بيروت ١٩٨٠.
١٥٠- اليهود وبنو إسرائيل في القرآن الكريم / منصور إبراهيم، مركز الذاكرة والتراث الفلسطيني، بيروت ٢٠٠١.
١٥١- اليونانيون في مصر ١٨٠٥-١٩٧٨م / سيد عشماوي دار عين القاهرة ١٩٩٧.